الأخطبـــوط الأحمـــر

قصة الصراع الكبير بين
أجهزة المخابرات العالمية

تأليف / توم باور

ترجمة / طلعت غنيم حسن

مجدى عبد الكريم

The RED WEB

M16 and the KGB Master Coup



TOM BOWER

Bestselling author of Maxwell The Outsider

الأخطبــوط الأحمــر

قصة الصراع الكبير بين
أجهزة المخابرات العالمية

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



كتاب

« الأخطبوط الأحمر »

ترجمة أمينة

لكتاب : " The Red Web "

الصادر عام ١٩٩٣

فى لندن

المملكة المتحدة

لمؤلفه : توم باور

تقـديم

مثيرة جداً ومحيرة فى آنٍ واحـد الحياة الخفيـة للشعوب ، تلك الحيـاة التى تمتزج فيها الحقيقة بالخيال ، والوهم بالواقع ، وتعتمد على الحدس العقلى ، والتكهن بما سوف ينفع من خلال مجمـوعة الحقائق والمقـدمات التى يبنى عليهـا الخبير السرى فى أجهزة الدولة الخاصة للمخابرات نتائجه وتوقعاته بما سوف يكون عليه الحال فى المستقبل .

* فقد يتوقع مـن خلال تلك الحقائق والأدلة نشوب حـرب مستقبلية تغير الشكل السياسى لمنطقة معينة .

* وقد يتوقع أيضاً تغييراً اقتصادياً وفكـرياً « فلسفياً وعقائدياً مترتباً على التغيير السياسى والعسكرى فى دولة ما .

وأكبر دليل على ذلك من هذا الـذى ذكرنـاه آنفاً هو مـاتوقعـه « سيرجى نيلوس » الكـاتب الروسى فى ذلك الكتـاب الوثـائقى الـذى أوقع فى يده عن طـريق الصدفـة تلك الوثائق السرية للمؤامرات اليهودية من أجل السيطرة على العالم .

فأخرج لنا كتاب « برتوكـلات حكماء صهيون » ؛ فتنبأ من خلاله بسقوط روسيا القيصرية ، وإحلال البلشفية مكانها . وتنبأ أيضاً بنشوب حرب عالمية فى هذا الكتاب .

وتنبأ أيضـا ببناء وطن قـومى لليهـود . للعلم كانت أول طبعـة لهذا الكتاب سنـة ١٩٠٦ .

والشىء العجيب والمحير أيضاً أن الذى توقعه حدث بالفعل ، بل وأكثر منه .

والكتـاب الذى بين أيـدينا من هـذا النـوع ، فهو يحكى قصـة الصراع المخابـراتى والجاسوسى للدول العظمى بينها وبين بعضـها ؛ فيوضح لنا مرارة الحياة التى يحياها هؤلاء الرجال الذين يحترفون هـذا النوع من العمل الشاق المضنى ، وما يترتب عليه من نتـائج فى الغالب تكـون هلاك العميل أو تعـرضـه لأشد أنـواع العذاب من قبل رجـال مخابرات الدولة المعادية التى يعمل ضدها إذا انكشف أمره .

ولكن ثمة وقفـة تسترعى النظر للقارىء المدقق حين يطلع على مثل هـذا النوع من

الكتب ـ ماهى الفائدة التى تعود عليه ؟ أو بالأحرى ما الفائدة التى تعود على الدولة من كتاب مثل هذا ؟

* أولاً معرفة أحدث النظم المخابراتية لتلك الدول العظمى والإفادة منها ، وليس فى هذا عيب ، فنحن نعرف أنهم يملكون الحضارة المادية ويسيطرون عليها ، ويصدرون إلينا كل غثٍ تافه ؛ فينتشر بيننا انتشاراً يكاد يغلف حياتنا ، فالأحرى أن نتمسك بالشىء الذى يجعلنا نملك الحضار ونهيمن عليها .

* ثانياً جعل هذا العمل مادة علمية تدرس لطلبة المدارس من المرحلة الثانوية كما يحدث فى كثير من الدول المتقدمة ، فهى من قبيل التاريخ السياسى أو العلوم السياسية التى تركز فى ذهن الطالب المعرفة الحقيقية للعالم الذى يحياه ويعيش فيه ، فهو عالم المعلومات .

ونحن بدورنا كدار نشر نحاول أن ننشر فى وطننا العربى أحدث ما ألف فى هذه الدول فننشره مترجماً إلى العربية حتى يفيد منه القارىء العربى العادى ، ناهيك عن المتخصص .

وعلى الله قصد السبيل

« دار رشاد »

مقدمة

لايزال جهاز المخابرات السرية البريطانية المعروف باسم « إم آى ٦ » يتمتع بسمعة واسعة بين سائر أجهزة ووكالات الاستخبارات العالمية .

ولايزال ضباط المخابرات البريطانية يتمتعون بالصيت الذائع حول العالم بأنهم محترفون ومحنكون وأهل للثقة والاعتماد والمسئولية ، وذلك على الرغم من قائمة الفشل والإخفاق التى تعرض لها جهاز المخابرات السرية البريطانية ، تلك القائمة التى نالت الشهرة والذيوع .

ولم تؤثر الثورات السياسية أو الاضطرابات العسكرية فى ذلك الجهاز الاستخبارى الذى استفاد من ميزة الاستمرارية التاريخية دون انقطاع ، مما أدى إلى اكتسابه فوائد التقاليد المستقرة وأضفى عليه طابعاً أسطورياً ، ولاغرابة أو دهشة فى ذلك ، فهو بمثابة الصورة الحسنة التى عززت مصداقيتها الحكومة البريطانية ، كما زادها شهرة الأعمال الفنية السينمائية والتليفزيونية والقصص الروائية والدرامية التى عرضت للأعمال الخفية للاستخبارات البريطانية وذلك فى هوليود العالمية ، ناهيك عن أقوال الصحافة وتقاريرها التى تناولت الـ « إم آى ٦ » .

ولقد فتن الجواسيس وأعمال الجاسوسية والعمليات السرية رجال الصحافة منذ زمن غير معلوم ، ليس بسبب أن تقاريرهم الصحفية عن الاستخبارات تكشف فحسب الأسرار الحصينة على نحو يؤثر فى جماهير القراء ، بل أيضا لأنها موضع اهتمامات الجماهير العريضة من القراء ، ولقد زاد الاهتمام فى أعقاب عام ١٩٤٥ لأن المؤرخين وغيرهم صار بوسعهم ولأول مرة أن يكشفوا نتائج أعمال المصادر النشيطة ورجال المخابرات السرية البريطانية وأعمالهم البطولية وتضحياتهم من أجل الـ « إم آى ٦ » إبان الحرب العالمية الثانية .

ثمة سبب آخر لذلك الاهتمام المتعاظم ألا وهو أن سائر الحكومات حول العالم ، اعتمدت اعتمادا كبيراً أثناء الحرب الباردة على أجهزة المخابرات التابعة لدولها إلا أن الفهم الصحيح لذلك كله وتلك الأنشطة سار محدوداً وضيقا جدا ؛ لأن الحرب السرية

بين الشرق والغرب استمـرت بدون انقطاع ، وعلى مـدار أربعين عاما لم يلقَ البـاحثون المجتهدون الذين غاصوا بدراساتهم فى عالم الجاسوسية ، لم يلقوا سوى حوائط صماء بكماء قوامها الصمت ، مما جعلهم يكررون ببلاهة المعلـومات المشوهة المدسوسة عمداً للتضليل ، أو استطاعـوا فى أحسن الأحوال أن يضمنـوا أبحاثهم نتفـا من الحقيقة وفى الـوقت الذى أصبحت فيـه حجب السريـة مبررة بأن مطـالب الحكومـات تقتضى من الاستخبارات أن تصنع سياساتها وفق تكَتُّم شديـد وحرص بالغ ، كما أن هناك حالات تقتضى فيهـا حـاجـات الحكـومات أن تضرب ستـارا كثيفـا من السريـة على أنشطـة الاستخبارات ليس من أجـل حماية حرمـة الجهاز الاستخبارى فحسـب بل أيضا من أجل حماية المنظمة المخابراتية من الإرباك أو الاختراق ، وتقع تلك الظروف التى عالجها كتاب « الأخطبوط الأحمر » فى هذه الفئة .

ويـرجع سبب الشروع فى تدبيج هـذا الكتـاب إلى الظهور المفـاجىء للمستر « كيم فيلبى » على شاشات التليفزيون فى جمهوريـة لاتفيا السوفيتية فى خريف عام ١٩٨٧ ، وفى ذلك اللقـاء الذى عـرضه التليفـزيون البريطـانى ، ادعى الجاسوس السـوفيتى أن القلائل القومية التى كانت تكتسح آنذاك دول البحر البلطيقى سببها هو السخط العام أو سياسـات المكاشفة والمصـارحة الـ « جـلاسنوست » التى اتبعهـا الكريملن فى ذلك الوقت ، ولكنها كانت موضع اهتمام متعمد من جانب جهاز المخابرات السرية البريطانية والحكـومة الإنجليـزية ، وقـال « كيم فيلبى » : إن سياسـة المكاشفـة ماهى إلا تكـرار وإعادة لسيـاسات واستراتيجيات جهـاز المخابـرات البريطانية السريـة التى انتهجها البريطانيون فى دول البحر البلطيقى إبان ذروة الحرب الباردة .

وفى فبراير ١٩٨٨ ، ذكـرنى « بارى بينـروز » بادعـاءات « فيلبى » التى بدت غير قابلـة للشرح أو التفسير فى ذلك الحين ، أما الكتب المنشورة فقد أشـارت فقط إلى فقدان جهاز المخابرات السرية البريطانية لعملائه الذين زج بهم إلى داخل الاتحاد السوفيتى فى أعقـاب عام ١٩٤٥ ، فى حين أن « أنتـونى كافييـنـديش » وهـو أحد ضبـاط المخابـرات البريطانية السابقين ذكر دوره المحـدود فى العمليات المنفذة فى البحر البلطيقى بأسلوب يثير الخلاف وبطريقة المذكرات الشخصيـة ، أما سبب التجاهل فهو بسيط ، حيث أراد كل من الضباط الاستخبـاريين فى كل من لندن وواشنطن أن يطبقوا نـوعا من الكتمان والسرية على كارثة محدقة .

ولقد استحثنى كل من « بينروز » و « جورج كارى » و « فيل ويات » و « فيلب نايتلى » و « روبيرت الاسون » عضو البرلمان ، و « توماس باورز » .. على السفر مرارا وتكرارا على مدار الأشهر الاثنى عشر التالية عبر أوروبا ، والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ؛ لاستكشاف الحقائق التى قال بها المستر « فيلبى » .

ولقد بدأت البحث وسط جملة مصادفات غير متوقعة كلها عبارة عن تناقضات وتضاربات فى المواقف ، وفى حين كنت فى لندن ، أدخلت الحكومة البريطانية إجراءات تقيد تقييدا شديدا أية نوع من أنواع الحديث حول أنشطة أجهزة المخابرات السرية البريطانية .

ولقد تحدثت أثناء الأشهر التسعة التى قدمت أثناءها طلب زيارة الاتحاد السوفيتى وكان المسئولون فى موسكو ينظرون فى شأن الزيارة ، تحدثت مع حوالى مائتى ضابط من ضباط المخابرات السابقين ، والعملاء السابقين ، والزعماء المهاجرين والخبراء العاملين فى أوروبا وشمال أفريقيا .

أما مسألة تجزئة المعلومات ، وهى أمر ضرورى ومتطلب من أجل الأمن ، فقد كانت تعنى أن هؤلاء الأفراد الذين خدموا داخل جهاز المخابرات السرية البريطانية أو وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أو أجهزة مخابرات ألمانيا الغربية والسويدوالدنمارك وفنلندا فقد كانوا مدركين فقط مثل تلك القصة التى أثرت على عملهم الخاص وفى نفس الوقت الذى كان الجميع فيه يعرفون أن عمليات جهاز المخابرات السرية البريطانية ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية قد انتهت نهاية مفجعة وماسقته ، فلم يدرك أحد فى الغرب أو يفهم الصورة الكلية للحقائق .

لهذا السبب ، حينما سمحت لى الحكومة السوفيتية فى نوفمبر ١٩٨٨ بالاطلاع على المعلومات والوصول إلى العملاء والجواسيس المأسورين والذين لايزالون أحياء من عملاء جهاز المخابرات السرية البريطانية ووكالة الاستخبارات المركزية ، فضلا عن كبار المسئولين العاملين فى المديرية الثانية الكبرى التابعة لجهاز أمن الدولة السوفيتية أو الـ « كى جى بى » ، داخل الجمهوريات السوفيتية المطلة على البحر البلطيقى ومنها « لاتفيا ولتوانيا » فقد عرفت على وجه الدقة أسماء أولئك الذين أردت أن أعقد معهم لقاءات ومقابلات ، كما عرفت أيضا بعض التفاصيل المتعلقة بأنشطتهم .

ولقد عاوننى « بول هامان » و « كولين كاميرون » المسئولين فى تليفزيون هيئة

الإذاعة البريطانية على زيارة دول البحر البلطيقى ثلاث مرات ، مما هيأ لى الفحص المرة تلو المرة ثم إعادة الفحص تكرارا فى روايات وجدال كل من الطرفين ، وهو العمل الذي تكشف عن وجود عملية خداع كبرى وغير عادية دبرتها أجهزة المخابرات السوفيتية المعروفة باسم الـ « كى جى بى » .

وعلى جانبى الستار الحديدى ، كانت ثمة تساؤلات لاتزال غير مجابة مما تسبب فى الإحباط ، ففى بعض الأحايين كان العذر فى عدم الإجابة هو « الأمن » ودواعى الأمن ، وفى مناسبات أخرى ، وجدت أن الشخص الوحيد الذى بإمكانه وحده فقط أن يسدى لنا المعلومات الدقيقة والمطلوبة ، قد انتقل إلى الرفيق الأعلى .

وفى أحايين أخرى كنت أتعرض للارتباك والتخبط الناتج عن تضارب المعلومات وتناقضها الشديد ، مما جعلنى أشعر بأن المسائل كلها مدبرة على نحو وثيق من أجل التضليل والخداع وتضييع أية فرصة ممكنة من أجل معرفة الحقيقة ، وهى ظاهرة معروفة فى عالم المخابرات الخفى باسم « المرايا المتوحشة أو المجنونة » ، ولايسعنى إلا أن أؤكد أنه يتمخض على ذلك أن بعض التكهنات والاستنتاجات المنتقاه من هذا التضارب الوحشى ، ثبت أنها دقيقة جداً وصائبةً وأنها قد لمست عين الواقع الحقيقى .

وأتوجه بجزيل شكرى إلى شخصين لولاهما لما خرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود وهما المستر « مايكل شو » الذى كان لحماسه وتشجيعه كبير الأثر فى إتمام هذا الكتاب ، كما أشكر زوجتى « فيرونكا » التى تحملت الوحدة التى يفرضها الكاتب على زوجته وفقا لما يقتضيه العمل ...

لندن

المؤلف

« المصطلحات المختصرة »
لأجهزة المخابرات والتنظيمات المختلفة
التى ورد ذكرها فى الكتاب

١ ـ سى ـ اى ـ ايه ..... وكالة المخابرات المركزية الأمريكية

٢ ـ سى ـ اى ـ سي ..... فيالق مكافحة المخابرات المعادية .

٣ ـ دى ـ بى ..... الأشخاص المرحلون عن أوطانهم لأسباب عرقية أو طائفية أو دينية .

٤ ـ إف ـ بى ـ اى ..... مكتب التحقيقات الفيدرالى .

٥ ـ جى ـ سى ـ اس ..... رئاسة هيئة الأركان المشتركة .

٦ ـ كى ـ جى ـ بى ..... لجنة أمن الدولة فى الاتحاد السوفيتى .

٧ ـ الـ ـ سى ـ سى ..... مجلس لاتفيا المركزى .

٨ ـ ان ـ كيه ـ فى ـ دى ..... البوليس السرى السوفيتى .

٩ ـ ان ـ سى ـ اس ..... مجلس الأمن القومى .

١٠ ـ ان ـ تى ـ اس ..... التحالف القومى للعمال « الاتحاد السوفيتى » .

١١ ـ او ـ جى ـ بى ـ يو ..... الأمن الروسى الداخلى .

١٢ ـ او ـ ام ـ جى ـ يو ـ اس ..... مكتب الإدارة العسكرية « الولايات المتحدة ».

١٣ ـ او ـ بى ـ سى ..... مكتب تنسيق البوليس .

١٤ ـ او ـ اس ـ او ..... مكتب العمليات الخاصة .

١٥ ـ او ـ اس ـ اس ..... مكتب الخدمات الاستراتيجية .

١٦ ـ او ـ يو ـ ان ..... منظمة القوميين الأوكرانيين .

١٧ ـ او ـ يو ـ ان ـ ار ..... منظمة القوميين الثوريين الأوكرانيين .

١٨ ـ بى ـ سى ـ او ..... مكتب الرقابة على جوازات السفر .

١٩ ـ بى ـ اتش ـ بى ـ سى ..... لجنة تخطيط مواقع المعادين .

٢٠ ـ اس ـ اى ـ اس ...... هيئة المخابرات الســـرية « تغير اسمها من وقت لاحق إلى إم ـ ١٦ »

٢١ ـ اس ـ ام ـ تى ..... هيئة المخابرات الحربية السويدية .

٢٢ ـ اس ـ او ـ اى ..... هيئة العمليات الخاصة .

٢٣ ـ اس ـ اس ـ يو ..... وحدة الخدمات الاستراتيجية .

٢٤ ـ ف ـ الـ ـ اى ـ كيه ..... اللجنة العليا لتحرير لتوانيا .

٢٥ ـ دبليو ـ اي ـ ان ..... الحركة البولندية من أجل الاستقلال والحرية .

* * * *

" THE RED WEB "

الأخطبــوط الأحمــر

BY : TOM BOWER

بقلم : توم باور

DRAMATIS PERSONAE

الشخصيات الرئيسية والأماكن الهامة

التى ذكرت فى الكتاب

CHAPTER ONE

الفصـل الأول

1 - HARRY Carr	هاري كار
2 - PROKOFIEV	بروكوفيف
3 - PYOTR LESCHENKO	بيوترليشينكو
4 - ROMANOV	رومانوف
5 - LLOYD GEORGE	لويد جورج
6 - CZAR NICHOLAS	قيصر نيقولاس
7 - ALEKSANDR KERENSKY	الكسندر كيرينسكي
8 - SOMERSET MAUGHAM	سوميرست موم
9 - LENIN	لينين
10 - BOISHEVIKS	البلاشفة
11 - C . MAYNARD	س . مانيارد
12 - WINSTON CHURCHIL	ونستون تشرشل
13 - TROTSKY	تروتسكي
14 - DISRAELI	دزرائيلي
15 - FREDERICK POOLE	فريدريك بول
16 - FRANCIS CROMIE	فرانسيس كرومي
17 - MANSFIELD CUMMING	مانسفيلد كامينج
18 - SIDNEY REILLY	سيدني ريللي
19 - GEORGE HILL	جورج هيل

20 - PAUL DUKES	بول ديوكس
21 - ROBERT BRUCE LOCKHART	روبرت بروس لوكهارت
22 - SIGMUND ROSENBAUM	سيجموند رودينبوم
23 - CHEKA	تشيكا
24 - OKHRANA	أخزانا
25 - FELIKS DZERZHINSKY	فيليكس دزرزنيسكي
26 - EKATERINBURG	إيكاتيرنجبورج
27 - DORA KAPLAN	دورا كابلان
28 - MAXIM LITVINOV	ماكسيم ليتفيينوف
29 - GEOGE KENNAN	جورج كنيان
30 - VLADIVOSTOK	فيلاديفستك
31 - MURMANSK	ميرمانسك
32 - LORD READING	لورد ريدنج
33 - WILSON	ويلسون
34 - ARCHANGEL	ارشانجيل
35 - KAISER	كيسر
36 - BLINKER	بلينكر
37 - LORD ROBERT CECIL	لورد روبرت سيسيل
38 - AMON DENIKEN	آمون دينيكين
39 - EDMUND IRONSIDE	ايدموند ايرونسايد
40 - COLIN GUBBINS	كولين لوبينز
41 - UKRAINE	اكرانيا
42 - COSSACKS	القوازقة
43 - AZERBAIJANIS	الأذربيجانيون
44 - LITHUANIA	ليتوانيا
45 - LATVIA	لاتفيا
46 - ESTONIA	استونيا
47 - BREST - LITOVSK	بريست ـ ليتوفسك
48 - H . G . HOLMAN	هـ. ج. هولمان

49 - DENIKEN	دينيكين
50 - SIR WALTER COWAN	سيروولتركوان
51 - ARTHUR BALFOUR	آرثر بلفور
52 - KRONSTADT	كرونستاد
53 - TALLINN	تالينين
54 - SIR HURBERT GOUGH	سير هربرت جوف
55 - NIKOLAI YUDENITCH	نيكولاي يدينيتش
56 - PAUL DUKES	بول ديوكس
57 - HELSINKI	هيلسنكي
58 - AUGUSTUS AGAR	اوجستوس آجار
59 - KING GEORGE V	الملك جورج الخامس
60 - GALLIPOLI	غاليبولي
61 - GEORGE WISKEMAN	جورج ويسكمان
62 - RILEY LE MAY	ريلي لوماي
63 - ERNEST BOYCE	إيرنست بويس
64 - VERNON KELL	فيرنون كيل
65 - LENINGRAD	لينينجراد
66 - ODESSA	أوديسا
67 - BORIS SAVINKOV	بوريس سافينكوف
68 - MARSHAL CARL VON MANNERHEIM	المارشال فون مانيرهايم
69 - RAINIS BOULEVARD	رينيس بوليفارد
70 - RIGA	ريجا
71 - LESLIE NICHOLSON	ليسي نيكولسون
72 - COLONEL ROBERT F . MEIKLEJOHN	الكولونيل روبرت ف . ميكليجون
73 - VARVICKSHIRE	فارفيكشاير
74 - GREGORY	جريجوري
75 - MAXIM LITVINOV	ماكسيم ليتفينوف
76 - SINN FEIN	سين فين
77 - ALEKSANDR YAKUSHEV	الكسندر ياكوسيف

78 - LUBYANKA	لوبيانكا
79 - V . TRIANDAFILOV	ف . ترياندافيلوف
80 - BARON PIOTR WRANGEL	بارون بيوتر رانجيل
81 - GRIGORI ZINOVIEV	جريجوري زينوفيف
82 - DAILY MAIL	ديلي ميل « صحيفة »
83 - SAVINKOV	سافينكوف
84 - NIKOLAI BUNAKOV	نيكولاي بوناكوف
85 - RIVER SESTRY	نهر سيستري
86 - IZVESTIA	ازفستيا « صحيفة »
87 - HUGH QUEX SINCLAIR	هوف كويكس سينكلير
88 - WILFRED BIFFY DUNDERDALE	ويلفرد بيفي دندرديل
89 - KUTYEPOV	كوتيبوف
90 - ZINOVIEV	زينوفيف
91 - STALIN	ستالين
92 - SCOTLAND YARD	سكوتلانديارد
93 - PAVEL VOIKOV	بافيل فويكوف
94 - GENERAL YEVGENY MILLER	الجنرال يفجيني ميللر
95 - JOHN LAWRENCE	جون لورانس
96 - KENETH BENTON	كيينث بينتون
97 - GESTAPO	الجستابو (البوليس الألماني)
98 - REX BOSLEY	ريكس بوسلي
99 - STEFAN BANDERA	ستيفان بانديرا
100 - KHRUSHEHEV	خروشوف
101 - EILEEN DAGGETT	إيلين داجيت
102 - MOLOTOV - KIBBENTROP PACT	مولوتوف ـ كيبينتروب
103 - HITLER	هتلر
104 - MUNICH	ميونخ
105 - CHAMBERLAIN	شمبرلين
106 - DUKE OF WINDSOR	دوق وندسور

107 - GOERING	جويرنج
108 - JOACHIM VON RIBBENTROP	يواكيم فون ريبنتروب
109 - BYELOUSSIA	روسيا البيضاء
110 - LIEUTENANT COLONEL VALE	الليفتنانت كولونيل فيل
111 - MARSHAL MANNERHEIM	المارشال ماينرهايم
112 - SIR ORME SARGENT	السير اورمي سارجينت
113 - SIR PAUL DUKES	السير بول ديوكس
114 - REINO HALLAMAA	رينو هالاما
115 - BALDWIN	بولدوين
116 - COLONEL SEAMUS MCGILL	الكولونيل سيموس ماكجيل

***

الفصل الثانى
CHAPTER TWO

1 - JOHN PINCHER MARTIN	چون بينشير مارتين
2 - BIRGER JARLSGATAN	بيرجو يارلسجاتن
3 - VICTOR MALLET	فيكتور ماليت
4 - CHURCHILL	تشرشل
5 - PETER FALK	بيتر فولك
6 - OSSIAN GOULDING	اوسيان جولدنج
7 - DAILY TELEGRAPH	ديلى تليغراف « صحيفة »
8 - GOUTEBOING	جوتيبورج
9 - GOULDING	جولدنج
10 - COLONEL VILLEM SAAREN	الكولونيل ڤيليم سارسين
11 - RICHARD MASSING	ريتشارد ماسينج
12 - KARL - HEINZ KRAEMER	كارل هاينز كريمر
13 - VICTOR CAVENDISH BENTINCK	ڤيكتور كاڤينديش بينترينك
14 - SIR ORME SARGENT	السير أورمى سارجينت
15 - ROOSEVELT	روز ڤيلت
16 - PLACENTIA BAY	خليج بلاسينتيا
17 - NEWFOUNDLAND	نيوفوندلان « دولة »
18 - WEHRMACHT	ڤيرماخت
19 - KAUNAS	كوناس
20 - CORDEL HULL	كورديل هول
21 - MOLOTOV	مولوتوف
22 - SUMNER WELLES	سومنر ڤيللس
23 - STALINGRAD	ستالينجرا
24 - ANGLO - SAXONS	الآنجلو ساكسون
25 - STEWART MENZIES	ستيوارت منيزيس
26 - YALTA	يالطا

27 - SIR ALAN BROOKE	السير آلان برووك
28 - SIR CHARLES PORTEL	السير تشارلز بورتال
29 - SIR ANDREW CUNNINGHAM	السير اندرو كافينجهام
30 - FELIX COWGILL	فليس كوجيل
31 - ABWEHR	أبويهر
32 - HAROLD KIM PHILBY	هارولدكيم فيلبى
33 - SAVENSKA MILETER TGANST	سافينسكا ميليتير جانست
34 - ALLMANR SACKERAETST	آلمنر ساكراتست
35 - AKE EEK	آكى إيك
36 - ALEXANDER SANY MACKIBBIN	الكسندر ساندى ماكيبين
37 - VILNIUS	فيلنيوس
38 - ALEXANDER WARMA	الكسندر فارما
39 - WALTER ZILINSKAS	وولتر زيلينسكاس
40 - VYTAUTAS GYLYS	فيتوتاس جيليس
41 - COLONEL KAZYS SKIRPA	الكولونيل كازيس سكيربا
42 - GENERAL POVILAS PLECHAVICIUS	الجنرال بوفيلاس بليشفيسوس
43 - VLIK	فليك
44 - HERSHEL JOHNON	هيرشيل جونسون
45 - IVER OLSEN	ايفر اولسين
46 - RAOUL WALLENBERG	راؤول والينبيرج
47 - WILLIAM DONOVAN	ويليام دونوفان
48 - EDGAR HOOVER	إدجار هوفر
49 - GYLYS	جيليس
50 - ALGIRDAS VOKETITIS	الجيرداس فوكيتيتس
51 - STUTTHOF	ستاتوف
52 - DR . VALDEMARS GINTERS	دكتور فالديمارس جينترس
53 - VERNERS TEPFERS	فيرنوس تيبفيرس
54 - BRUNO KALNINS	برونو كالنينس
55 - HIMMLER	هيلمر

56 - VALDEMARS SALNAIS	ڤالديمارس سالنيس
57 - PETER KLIBITIS	بيتر كليبتبس
58 - GENERAL JANIS KURELIS	الجنرال جانيس كوريليس
59 - ERWIN HASELMANN or LILIA	ابرڤين هاسيلمان أو « ليليا »
60 - SICHERHEITSDIENST	سيكيو هايتسدينس
61 - JANIS BERZINS	جانيس بيرزينس
62 - GENERAL GRECIEN	الجنرال جريسين
63 - ARTHURS ARNITIS	آرثر ارنيتس
64 - RIHARDS ZANDE	ريتشارس زاندى
65 - VENTSPILS	فينتسبيلز
66 - KRAPA	كرابا
67 - ROBERTS SEBRIS	روبرتس سيبريس
68 - JAGD KOMMANDO	جاجد كوماندو
69 - MAJOR VICTOR ARAJS	الميجور ڤيكتور اراجس
70 - MIKHAIL SUSLOV	ميخائيل سوسلوڤ
71 - GENERAL SERGEI KRUGLOV	الجنرال سيرجى كروجلوف
72 - PANAVESCIS	بانافيسيس
73 - ALLEN DULLES	آلان دالاس
74 - KRUGLOV	كروجلوڤ

***

الفصـــل الثالث
CHAPTER THREE

1 - DE VERE GARDENS	دى فيرى « حدائق »
2 - KENSINGTON	كينسجتون
3 - KENNETH COHEN	كينيت كوهين
4 - JAMES JACK EASTON	جيمس چاك ايستون
5 - CHICHESTER	شيشيستر
6 - WILFRED BIFFY DUNDERDALE	ويلفرد بيفى دندرديل
7 - HAROLD GIBSON	هارود جبسون
8 - PRAGUE	براغ
9 - BUCHAREST	بوخارست
10 - BAD SALZUFLEN	باد سالزوفلين
11 - ERNEST BEVIN	إرنست بيڤين
12 - PICCADILLY	بيكاديللى
13 - BASIL SMEDLEY	باسيل سميدلى
14 - CHARELES ZARINS	شالز زاريننز
15 - T . C . SHARMAN	ت. س. شارما
16 - POTSDAM	بوتسدام
17 - ATLANTIC CHARTER	ميثاق الأطلنطى
18 - HARY TRUMAN	هارى ترومان
19 - GENERAL WLADYSLAW ANDERS	الجنرال ڤلاديسلاو آندرز
20 - WALTER ZILINSKAS	ولتر زيليبنسكاس
21 - ODENGARTEN	اودينجارتس
22 - GEORGE BERGER	جورج بيرجر
23 - MACLACHAN SILVEWOOD - COPE	ماكلاشلان سيلڤيروود - كوبى
24 - ALGIRDAS VOKETITIS	اليجيرداس ڤوكيتيتس
25 - ANTHONY VAIVADA	انتونى ڤيڤادا

26 - GENERAL PATTON	الجنرال باتون
27 - PHILADELPHIA	فلاديلفيا
28 - BATARIA	باقاريا
29 - RIVER ELBE	نهر إيلبى
30 - PILSEN	بيلسين
31 - WURZBURG	ورزبيرج
32 - MONSIGHOR MYKOLAS KRUPAVICIUS	المونسينيور ميكولاس كروباڤيسيوس
33 - ROBERT MURPHY	روبرت ميرفى
34 - GENERAL LUCIUS CLAY	الجنرال لوسيوس كلاى
35 - EISENHOWER	أيزينهاور
36 - STASYS LOZORITIS	ستاسيس لوزوريتيس
37 - GENERAL RAYMOND SCHMITTLEIN	الجنرال ريموند شميتلين
38 - FRENCH DEUIEME BUREAU	المكتب الثانى الفرنسى « الاستخبارات الفرنسية »
39 - TUBINGEN	طوبنجين
40 - ZAKEVICIUS	زاكيڤيسيوس
41 - MAJOR JOHN LIUDZIUS	الميجور جون ليو دزيوس
42 - JONAS DEKSNYS	جوناس ديكسنيس
43 - KLEMENSAS BRUNIUS	كليمنساس بروينوس
44 - HUGO GINTERS	هوجو جينترس
45 - JANIS SMITS	چانيس سميتس
46 - LAIMONIS PETERSONS	ليمونيس بيترسون
47 - EDUARDS ANDERSONS	إدواردس أندرسون
48 - ALBERTS BUNDULIS	البيرتس بونديوليس
49 - VICTOR KOZINS	ڤيكتور كوزنيس
50 - ALPHONS NOVICS	الفونس نوفيكس
51 - GENERAL JANIS VEVERS	الجنرال جانيس ڤيڤيرس
52 - GENERAL SERGEI KRUGLOV	الجنرال سيرجى كروجلوف
53 - CALAIS	كالايس
54 - BERGMANIS	بيرجمانيس

55 - JAMES BYRNES	جيمس بيرنيس
56 - WILLIAMSBURG	ويليا مزبورج
57 - FRANK ROBERTS	فرانك روبيرتس
58 - ANDREI VYSHINSKY	أندريه ڤيشينسكى
59 - SIR STAFFORD CRIPPS	السير ستافورد كريبس
60 - THOMAS BRIMELOW	توماس بريمالو
61 - CHRISTOPHER WARNER	كريستوفر وارنر
62 - MANCHURIA	مانشوريا
63 - OKINAWA	اوكنياوا
64 - ALGER HISS	الجير هيس
65 - DR . ALAN NUNN MAY	دكتور آلان نون ماى
66 - HANS HELMUT KLOSE	هانز هيلموت كلوس
67 - MONTGOMERY	مونتجو مرى
68 - CAUCASIANS	القوقاز
69 - BILL COFFIN	بيل كوفين
70 - GENERAL ANDREI VLASOV	الجنرال اندريه فلاسوف
71 - NIKOLAI KRASNOV	نيكولاى كرسنوف
72 - CHARLES KEIGHTLEY	تشالز كيتلى
73 - ROVERT ARBUTHNOTT	روڤيرت اربوشنوت
74 - SIR HAROLD MALEXANDER	السير هارولد الكسندر
75 - JUDENBURG	جودينبورج
76 - DR . ALFREDS VALDMANIS	الدكتور الفريدز ڤالدمانيس
77 - MARSHAL GRIGORI ZHUKOV	المارشال جريجورى زوكوف
78 - COLONEL ARVIDS KRIPENS	الكولونيل ارڤيدس كريبينز
79 - MAJOR THOMSON	الميجور تومسون
80 - ZYMANTAS	زيمانتاس
81 - CAPTAIN ORE LILJENBERG	الكابتن أورى ليلچينبيرج
82 - VYTAUTAS STANEVICIUS	ڤيتوتاس ستاينڤيسوس
83 - RIHARDS ZANDE	ريهاردز زاندى

84 - ERIKS TOMSONS	إريكس تومسون
85 - LUKINS	لوكيننز
86 - SKOBE ELMARS	سكوبى ، إليمارز
87 - FRED LAUNAGS	ريد لوناجز
88 - KARLIS ARINS	كارليس أرنيس
89 - HELSINGBORG	هيلسينجبورج
90 - HAGBARD	هاجبارد
91 - GOTLAND	جوتلاند
92 - BERTIL BONDS	بيرتيل بوندى
93 - TJELDERS	جيلدرز
94 - OTTO DÀNIELSSON	أوتّو دانيلسون
95 - ARTURS PLUME	آرثر زبلومى
96 - KJELLSONS KONDITORI	جيلسونزكونديتورى
97 - COLONEL LEONARD JOHNSON	الكولونيل ليونارد جونسون
98 - KARLIS ARINS	كارليس أرنيس
99 - FELIKS RUMNIEKS	فيليكس رومباينكس
100 - ROBERTS OSIS	روبرتس أوسيس
101 - MELBARDIS	ميلبارديس

***

الفصل الرابع
CHAPTER FOUR

1 - JUOZAS LUKSHA	خوراس لوكشا
2 - DR. JUOZAS ALBINAS MARKULIS	الدكتور جوزاس البيناس ماركوليس
3 - ERELIS	ايليرس
4 - HAMBURGH	هامبورج
5 - DONOVAN	دونوفان
6 - HARRY ROSITZKE	هاري روزيتزك
7 - RICHARD SORGE	ريتشارد سورج
8 - LEOPOLD TREPPER	ليوبولد تريبر
9 - GEORGE KENNAN	جورج كينان
10 - JAMES FORRESTAL	جيمس فوريستال
11 - ROSCOE HILLENKOETTER	روسكوي هيلينكوتير
12 - REINHARD GEHLEN	راينهارد جيهلن
13 - GIBRALTAR	جبل طارق
14 - PENTAGON	البنتاجون
15 - GUSTAV HILGER	جوستاف هيلجير
16 - EINSTAZGRUPPEN	اينشتازجروبين
17 - GENERAL ANDREI VLASOV	الجنرال اندريه فلاسوف
18 - CHARLIE KATEK	شارلي كاتيك
19 - KAUFBEUREN	كوفبورين
20 - GEORGE BELIC	جورج بيليك
21 - CONSTANTINOPLE	القسطنطينية
22 - RICHARD HELMS	ريتشارد هلميز
23 - GORDON STEWART	جوردن ستيوارت
24 - ANATOLI GRANOVSKI	اناتولي جرانوفسكي
25 - MONSIGNOR KRUPAVICIUS	المونسينيور كروبافيسوس

26 - COLONEL ANTANAS SOVA	الكولونيل أنتاناس سوفا
27 - MARKULIS	ماركيوليس
28 - SVEICS	سيفيكس
29 - BIELESKANS	بيليكانس
30 - KAZIMIERAS PIPLYS	كازيميراس بيليس
31 - JUSTAS BREDIS	جوستاس بريديس
32 - JONAS DEKSNYS	جوناس ديكسنيس
33 - LIDINGO	ليدينجو
34 - STRAUMENI	سترو ميني
35 - VALDIS AMOLS	فالديس آمولس
36 - GUTERSLOH	جويترسلوه
37 - ANTHONY COURTNEY	انتوني كورتني
38 - HAS HELMUT KLOSE	هانز هيلموت كلوس
39 - MINDEN	ميندين
40 - MICKLENBURG	ميكلينبورج
41 - LORD MOUNTBATTEN	لورد مونتبلاتين
42 - WILLIAM HAYTER	ويليام هايتير
43 - LORD TEDDER	لورد تيدر
44 - GLADWYN JEBB	جلادوين جيب
45 - LORD JELLICOE	لورد جيليكوي
46 - FRNK LINDSAY	فرانك ليندساي
47 - JAK EASTON	جاك ايستون
48 - CLEMENT ATTLEE	كليمينت آتلي
49 - CHARLIE KATEK	شارلي كاتيك

* * *

الفصـــل الخامس
CHAPTER FIVE

1 - A . W . H . WILKINSON	أ . و . هـ . ويلكينسون
2 - COLONEL ALFONS REBANE	الكولونيل الفونس ريبان
3 - GENERAL JOHANNES SOODLA	الجنرال جوانيس سودلا
4 - CAPTAIN VAINO PARTEL	الكابتن فينو بارتيل
5 - RUDOLPH SILARAJS	رودولف سيلاراس
6 - PEGGY COCKERTON	بيجي كوكيرتون
7 - VITOLDS BERKIS	فيتولدس بيركس
8 - ANDREI GALDINS	اندريه جالزنيس
9 - MEONIS	ميونيس
10 - GEORGE COLLIER	جورج كولير
11 - JOHN CORFTON	جونكروفتون
12 - FORT MONKTON	فونت مونكتون
13 - MONCKTON	مونكتون
14 - ANTHONY CAVENDISH	انتوني كافينديش
15 - GALDINS	جالدنيس
16 - MAJOR ALBERTS BUNDULIS	الميجور البرتس بونديوليس
17 - GAILITIS	جاليتيس
18 - QUEEN MARY	الملكة مارى
19 - KRUPAVICIUS	كروبافيسيوس
20 - BENEDICTUS TRUMPYS	بينديكتوس ترومبيس
21 - PAULUS SIRVYS	بولوس سيرفيس
22 - SKRA JUNAS	سكراجوناس
23 - AUGUST TORMA	اوجست تورما
24 - BERKIS	بيركس
25 - SENATOR McCARTHY	السناتور ماكارتي
26 - DULLES	دالاس

27 - MICHAEL BURKE	ميشيل بورك
28 - PAUL HARTMAN	بول هارتمان
29 - KUKAUSKAS	كوكوسكاس

***

الفصـــل السادس
CHAPTER SIX

1 - JOHN LIUDZIUS	جون ليودزيوس
2 - JOHN CORFTON	جونكروفتون
3 - BURGESS / MACLEAN	بيرجس ماكليان
4 - FELIKS DZERZHINSKY	فيلكس دزرزينسكي
5 - ANTONYS SPRINGOVITCH	انتوني سبرنجوفيتش
6 - ERGLIS	إرجليس
7 - VIDZEME	فيدزيمي
8 - KLOSE	كلوس
9 - JANIS BERZINS	جانيس بيرزينز
10 - LODIS UPANS	لوديس اوبانيس
11 - PETER	بيتر
12 - VITOLDS	فيتولدس
13 - ALPERTS DABOLS	البيرتس دابولس
14 - VYACHESLAV MOLOTOV	فيكيسلاف مولوتوف
15 - LADY JANE RUSSELL	السيدة جين روسيل
16 - REMESS	ريميس
17 - DAMPENING UPANS	دامبينينج أوبانس
18 - GABRIEL	جابرييل
19 - PITANS	بيتانس
20 - EDMUNDES	إدموند يس
21 - ALBERT KUSK	البيرت كوسك
22 - ZIGMAS KUDIRKA	زجمانس كوديركا
23 - CONRAD	كونراد
24 - WILLIAM COLBY	ويليام كولبي

* * *

الفصـــل السابع
CHAPTER SEVEN

1 - GENERAL ROBERT MAcCLURE	الجنرال روبرت ماكلور
2 - GENERAL LUCIAN TRUSCOTT	الجنرال لوسيان تروسكوت
3 - PETER JESSUP	بيتر جيسوب
4 - TOM JESSUP	توم بولجار
5 - MICHAEL BURKE	ميشيل بروك
6 - WALPOLE DAVIS	فالبول ديغيس
7 - TURSCOTT	تروسكوت
8 - DAVID MURPHY	ديفيد ميرفي
9 - LEONIDS BRMBERG	ليونيدز برومبيرج
10 - COLONEL KULL	الكولونيل كول
11 - ALFREDS RIEKSTINS	الفريدس ريكستينس
12 - IMANTIS	ايمانتيس
13 - NIKOLAI BALODIS	نيكولاي بالوديس
14 - BORIS	بوريس
15 - EDVINS OSOLINS	إدفينس اوسولينز
16 - HERBERT	هيربرت
17 - RIEKSTINS	ريسكستينز
18 - DWIGHT EISENHOWER	دوايت ايزنهاور
19 - JOHN FOSTER DULLES	جون فوستر دالاس
20 - HARRY LAMBTON CARR	هاري لامبتون كار
21 - DOROTHY COLLIER	دوروثي كولبير
22 - KLIMKANS	كليمكانس
23 - LEONIDS ZARINS	ليونيدس زارينس
24 - PILSETNIKS	بيلسيتينكس

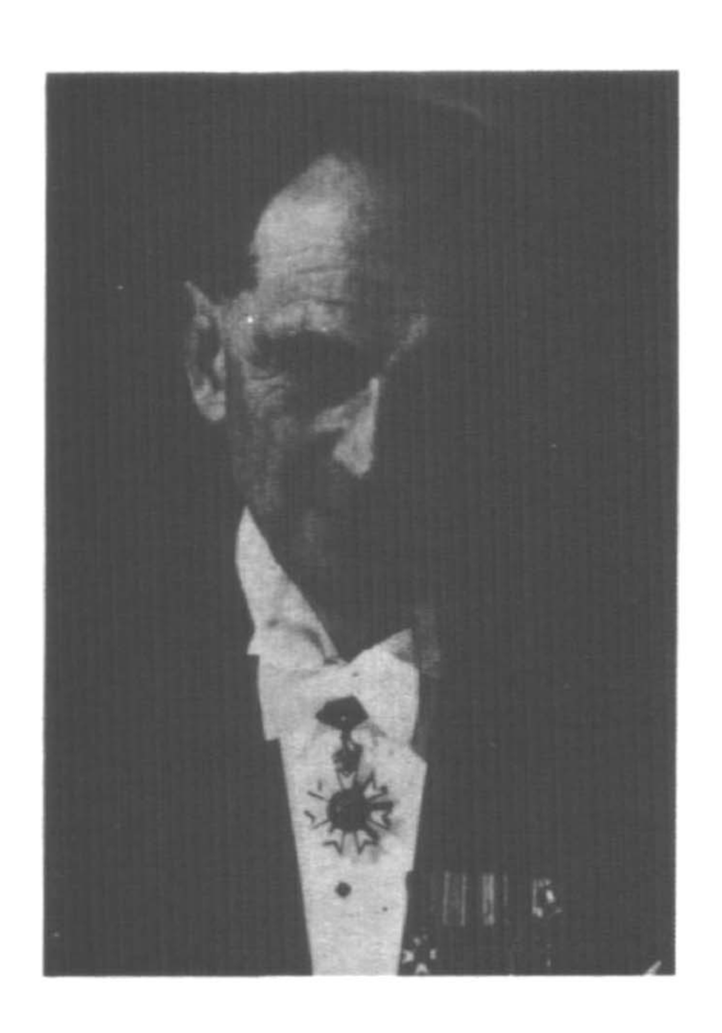
***

الفصـــل الثامن
CHAPTER EIGHT

1 - POPS	بوبس
2 - FRED	فريد
3 - ALEX	اليكس
4 - VITOLINS	فيتولينس
5 - HARVEY NICHOLS	هارفي نيكولس
6 - ABERDARE	أبيرداري
7 - RIVER DAUGAVA	نهر دوجافا
8 - MCKIBBIN	ماكيبين
9 - SCOTT	سكوت
10 - NORA DASHOOD	نورا داشوود
11 - HYDE PARK	هايد بارك
12 - EDVINS OSOLINS	إدفينس اوسولينز
13 - BUNDULIS	بونديوليس
14 - ANCIETAS DUKAITIS	آنستياس دوكاتيس
15 - MIKE	مايك
16 - KARKMAN	كاركمان
17 - SIR DICK WHITE	السير ديك وايت
18 - PHILBY	فيلبي

***


صور الشخصيات الهامة



هاري لامبتون كار ، رئيس المنطقة الشمالية لعمليات المخابرات السرية البريطانية ، قبل فترة وجيزة من تقاعده عن العمل في الأجهزة المخابراتية البريطانية عام ١٩٦١ .



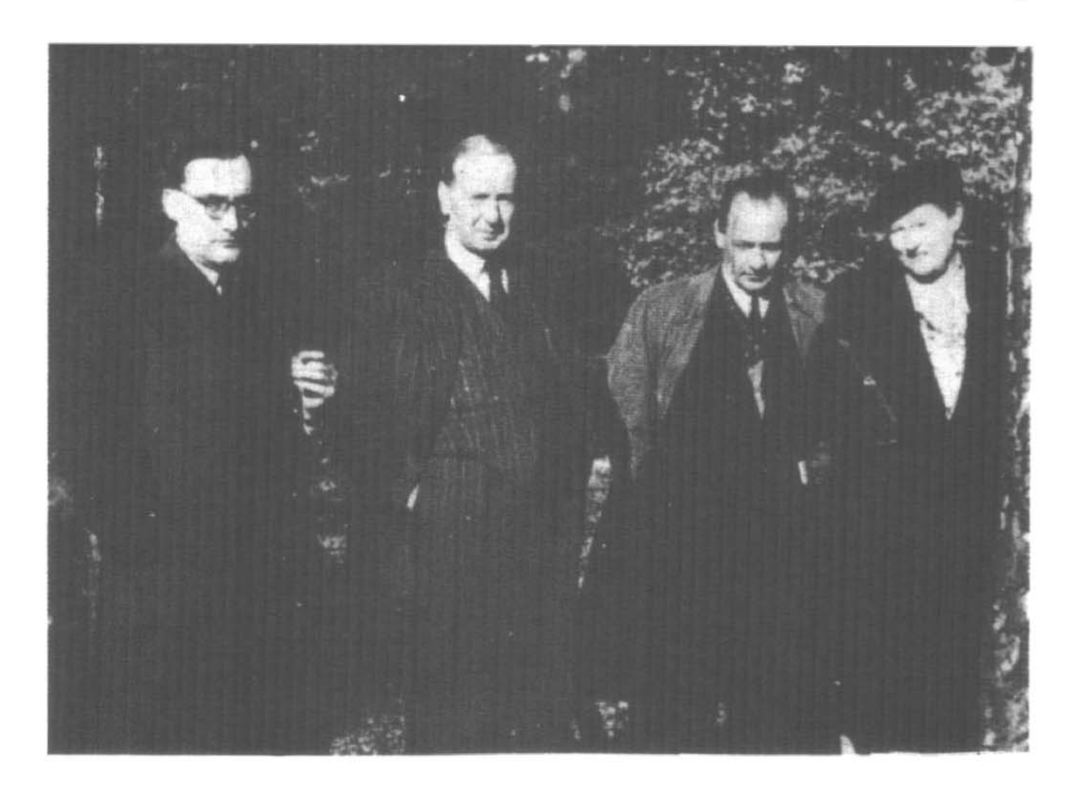
كار (ويجلس في المقعد الثاني من جهة اليسار) كان يعمل مترجماً للجنرال « ايرونسايد » قائد جيش التدخل البريطاني .





صورة لـ « ستاسيس زيمانتيس » الذى نظم عمليات تجنيد العملاء للاستخبارات البريطانية فى « ليتوانيا » .

أعلى اليسار : الكسندر « ساندى ماكيبين » المولود فى موسكو ، وزوجته الفنلندية « هيلمى » عملاء لصالح المخابرات البريطانية فى « استونيا » حتى عام ١٩٣٩ .



في عام ١٩٤٥ أصبح « ماكيبين » (الثاني من ناحية اليسار) رئيساً لعمليات المخابرات السرية البريطانية في دويلات البحر البلطي السوفيتية ، ويقف عن يمينه « ستاسيس لوزوريتس » الممثل الدبلوماسي في حركة مقاومة ليتوانيا ، أما عن شماله فيقف « ستاسيس زيمانتيس » .



رودولف سيلارايس كان منظم عمليات المخابرات البريطانية في « لاتفيا » .



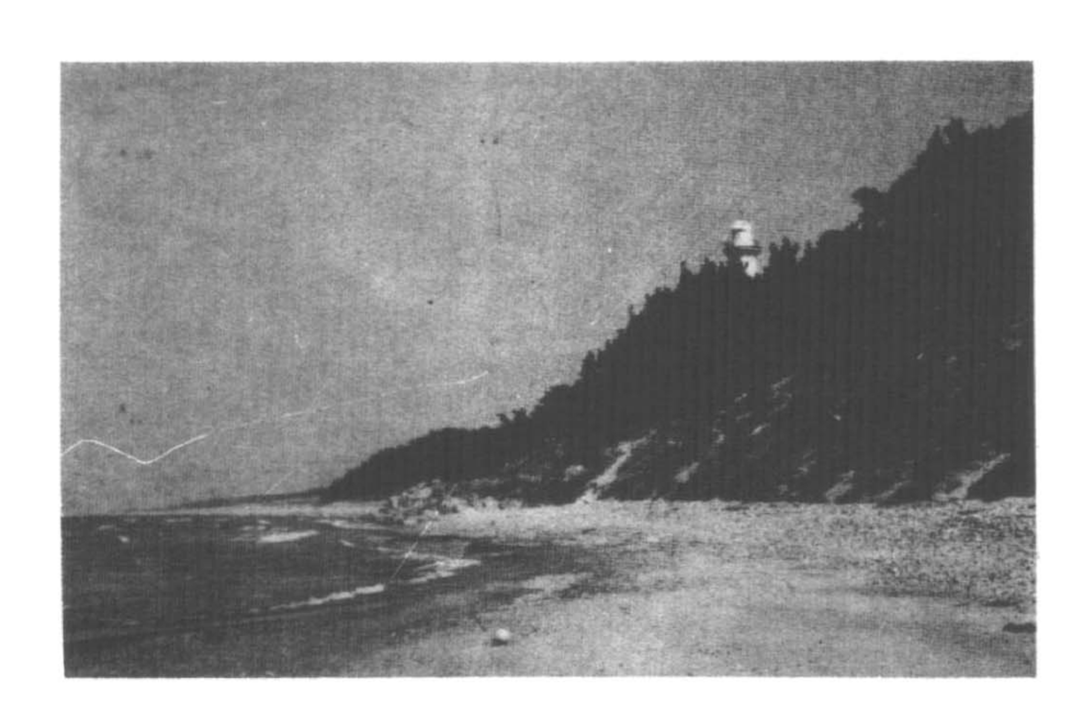
العقيد السابق كولونيل الفونس ريباني لفيلق « اس ـ اس » في ليتوانيا ، قام بتجنيده رفاقه القدامي في قوات اس ـ اس ليصبحوا عملاء للاستخبارات البريطانية في بلادهم .



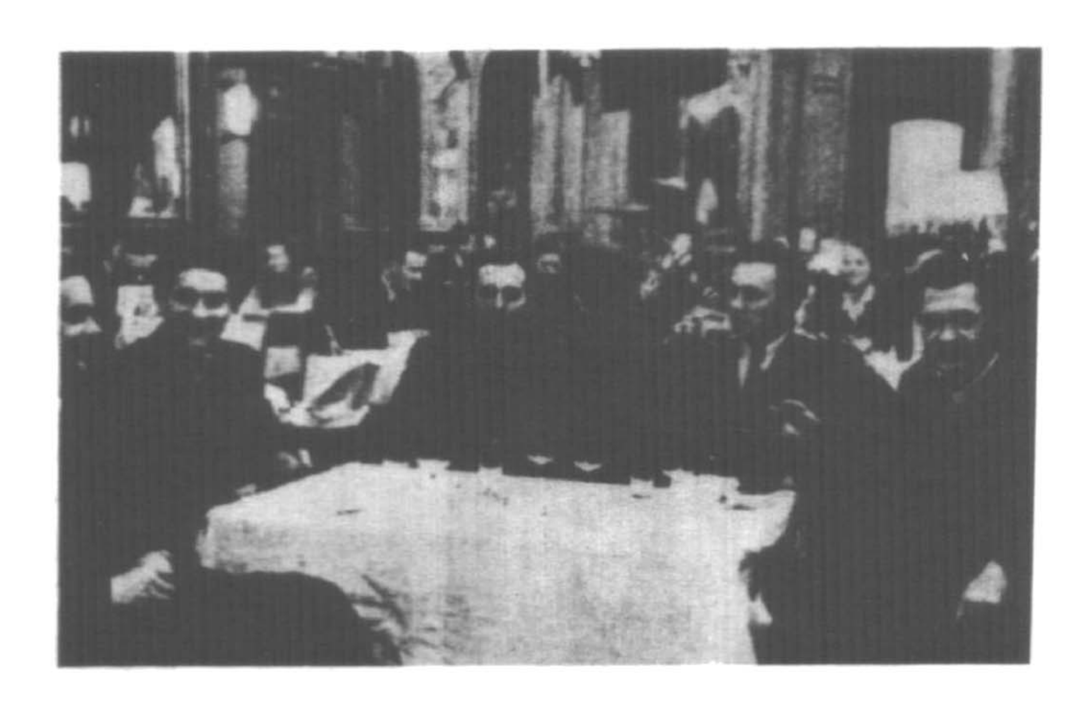
تشارلز زارين في الوسط ، سفير لاتفيا في لندن ، كان بؤرة وهدفاً لتجنيده عميلاً من عملاء المخابرات البريطانية .



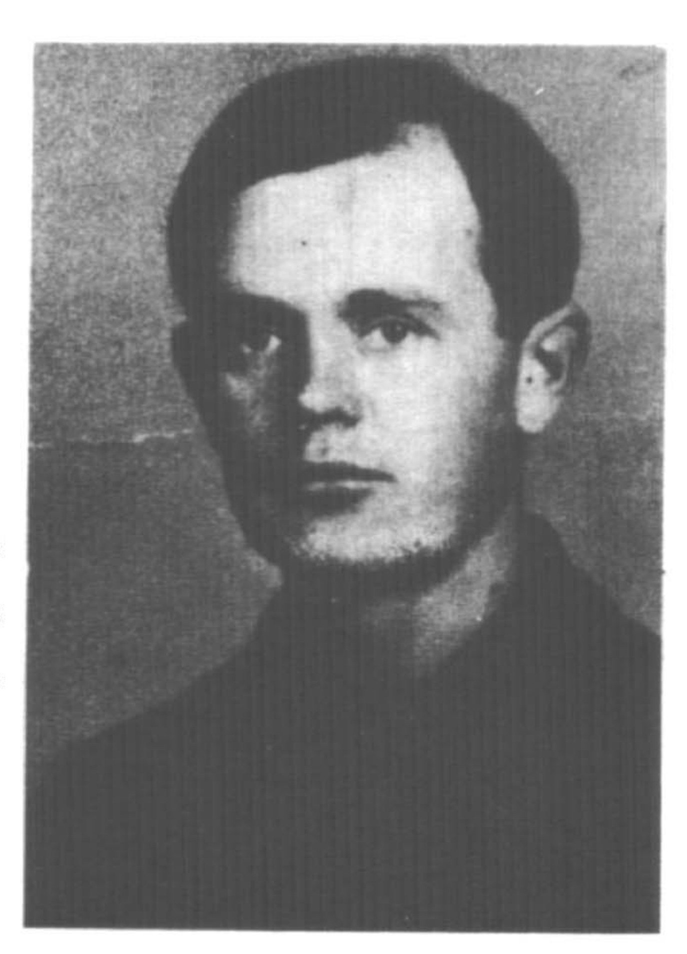
« اريكس تومســون » في منطقة حائط الميناء حيث هبط علي رأس إحدي فرق عمليات المخابرات السرية البريطانية عام ١٩٤٧ . جاء تومسون مع مشغل أجهزة الراديو واللاسلكي « ريهاردز زاندي » ولقد وقع كلاهما في براثن الأخطبوط الأحمر الـ « كي - جي - بي » السوفيتي .



منارة « فنار » يوجافا الواقع على سواحل لاتفيا ، وهو موقع التعارف الذى يتم فيه إسقاط عملاء المخابرات البريطانية .



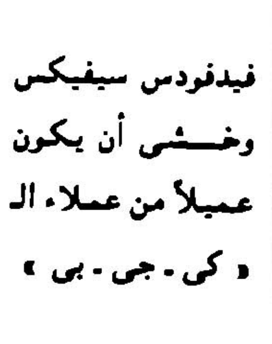
وولتر زيلينسكاس ، ممثل الاستخبارات البريطانية في ستوكهولم ، جالساً مع أربعة عملاء من لاتفيا قبيل تنفيذ المخابرات البريطانية لكبري عملياتها مباشرة ، في مايو ١٩٤٩ ، ويجلس من اليسار إلي اليمين : جوناس ، ديسكنيس ، خوازالوكاشا ، جوستاس بريديس و كازاميراس بيليس



لم تكن أجهزة الاستخبارات البريطانية تعلم أن المستر « ديسكنيس » كان بالفعل قد سقط في قبضة السيطرة القوية لمخابرات أمن الدولة السوفيتية « كي - جي - بي » منذ فترة طويلة .







فيدفودس سيفيكس وخــشى أن يكون عميلاً من عملاء الـ « كى - جى - بى »

انسحب « فويد لونجاس » فى اللحظة الأخيرة من عملية الاختراق الأولى السرية للاستخبارات البريطانية وعدد أفرادها ستة عملاء فى مايو ١٩٤٩ لأنه ارتاب فى أمره .





الميجور « البيرتس لوكاسيفيكس » ويعمل فى منصب الرئيس الثانى للمديرية الثانية للـ « كى - جى - بى » التى دبرت وأشرفت بنجاح على عملية الخداع

تزعم فيتولدس بيركيس »ثانى دفعة من عملاء الاستخبارات السرية البريطانية للقيام (بعملية أدغال)



الميجور « جانيس بونديبوليس » تظاهر بأنه زعيم إحدى جماعات (ماكسيس) الفلاحية « للفلاحين »



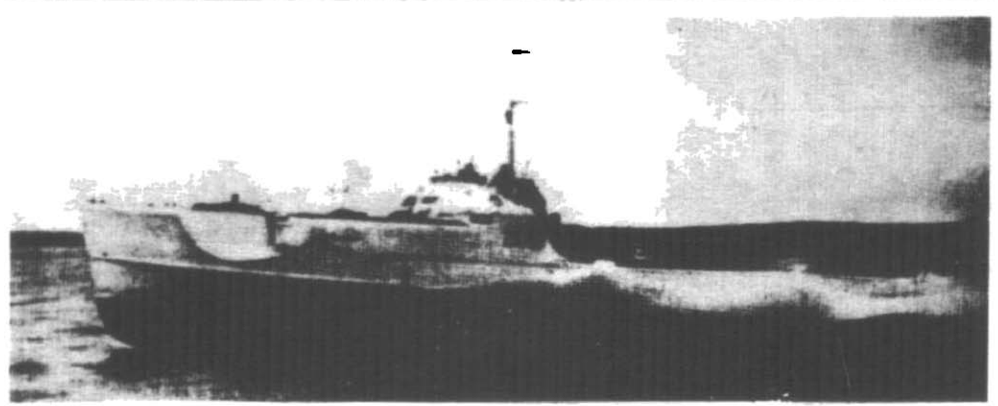
جينرال « جانيس نيفيرس فى مخابرات الـ « كى . جى . بى » السوفيتية أشرف بنفسه على التحقق من اتفاق التقارير الاستخبارية المرسلة للمخابرات البريطانية



« كازيميرز كيبورز » المتقاعد حالياً من استخبارات الـ « كى . جى . بى » عاش فى غابات « كورزيم » كأحد الفلاحين

جزء صغير من الغنائم المأسورة التى تم الاستيلاء
عليها من أجهزة المخابرات السوفيتية





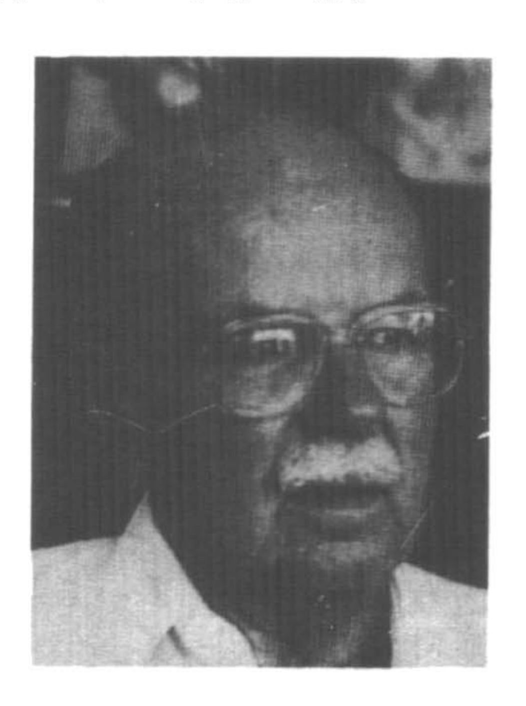
سفينة من طراز
اس ٢٠٨



« هانز هيلموت كلوس » قائد الزوارق الألمانية على عهد الحرب ، قامت المخابرات البريطانية بتجنيده لإسقاط العملاء على سواحل البحر البلطى باستخدام السفينة الموضحة فى الصورة من طراز « اس - ٢٠٨ » .



« هارى روزتيك » أسس أولى الفرق العسكرية التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية المعادية للسوفيت لبث العملاء داخل روسيا



« جورج بيليك » رئيس فرع الاتحاد السوفيتى داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى ميونيخ فى الفترة مابين ١٩٤٨ وحتى ١٩٥١



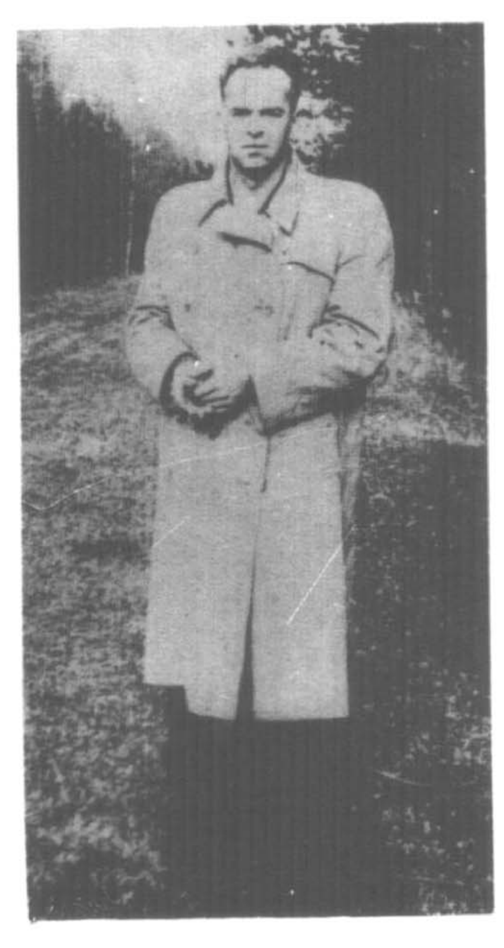
« بول هارتمان » كان مسئولاً عن العمليات التخريبية التى قامت بها أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية فى « لاتفيا »



« ايدفينس أوسولينس » كان أحد أفراد الفريق الأول الذي تم إسقاطه بالبراشوت من جانب أجهزة المخابرات المركزية الامريكية إلي داخل لاتفيا ، ولدي وصوله عمل لصالح المخابرات السوفيتية الـ « كي - جي - بي » وأغرى « ليونيدس زارين » و « ليونيدس برومبيرج » للدخول فى فريق « الأخطبوط الأحمر » السوفيتي .



« ليونيدس زارين »



« ليونيدس برومبيرج »



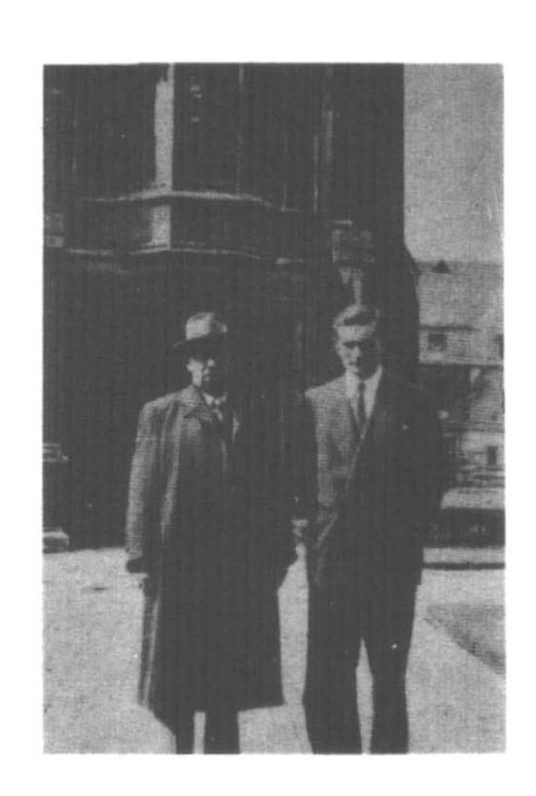
« خوازا لوكاشا » تزوجت قبل فترة وجيزة من إسقاطها بمساعدة

« المونسينور كروبا فينسيوس » الجالس علي يمين عروسه

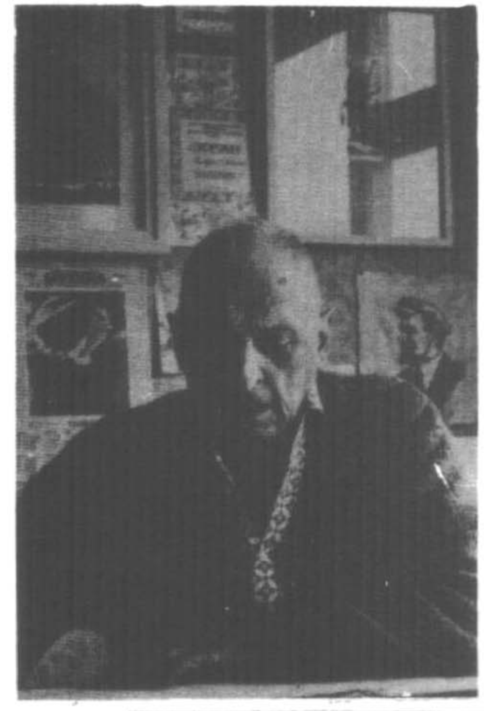


« لوكاشا » القاعد القرفصاء علي اليسار مع أعضاء

جماعة « إخوان الغابات من الفلاحين » عام ١٩٤٧



« زيجماس كوديدكا » (اليمين) تلقي تدريباته علي أيدي رجال المخابرات السرية البريطانية عام ١٩٥٠ ليصبح مشغلاً لاسلكياً في ليتوانيا بجانب زعيم الفلاحين « إدمونديس » (اليسار)



« مارجيرس فيتولينس » المتخفي في زي أحد الفلاحين ، أرسلته إلي لندن الـ « كي - جي - بي » لطمأنة الاستخبارات السرية البريطانية من أن شبكتهم التجسسية في أمان ، والآن يعمل فناناً

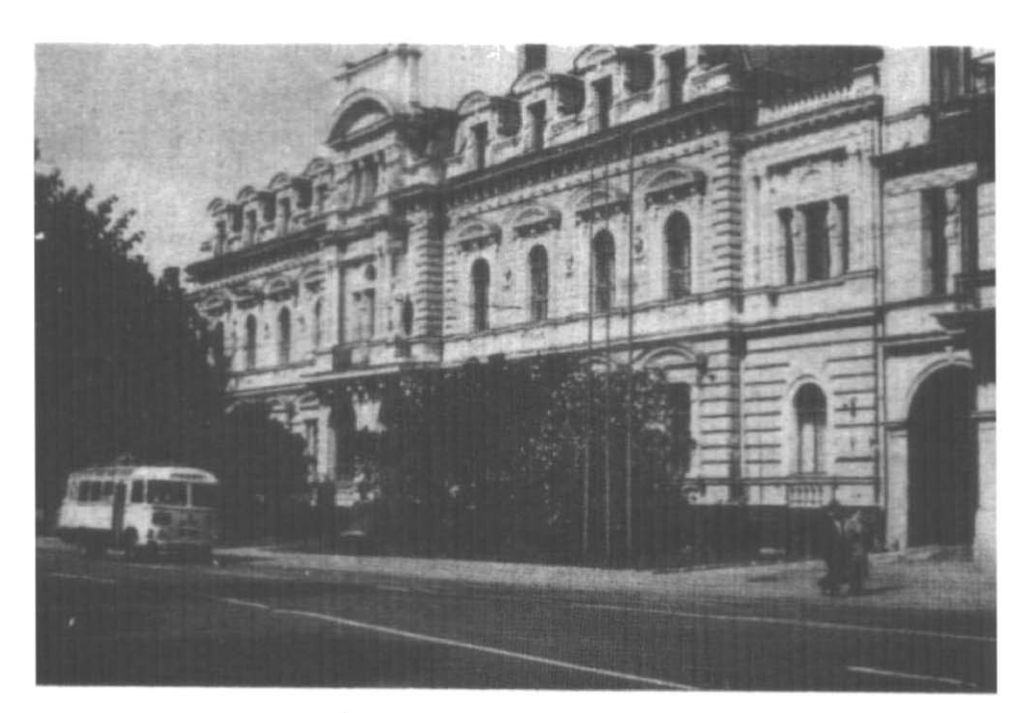




حينما اكتشفت المخابرات البريطانية خداع الـ « كي - جي - بي » فأرسلوا « جانيس كليمكانس » إلي بريطانيا حيث حقق معه « سكوت »



مقر المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » فى شارع لينين ، ريجا حيث خرجت من هناك عملية الخداع



السفارة البريطانية السابقة في « ريجا » التى أصبحت قاعدة هامة لعمليات المخابرات السرية البريطانية فى روسيا السوفيتية فى أعقاب حصول لاتفيا على استقلالها عام ١٩٢٠



تم إطلاق سراح « كار ريميس » من معتقله في سيبيريا ليعمل مع الـ « كي - جي - بي » وكـان معيناً لاثنين من أجهزة المخابرات السـرية البـريطانيـة في « ريجا »



« جون ليودزيوس » الضـابط المولود في بريطانيا ويعمل لصالح أجهزة الاستخبارات السـرية البـريطانيـة ، والذى أشرف على تدريب العـملاء في « تشلسيا »

في نوفمبر ١٩٥٥ أنكر « كيم فيلبي » أنه
« الرجل الثالث » في مسألة « بورجيس ـ ماكليان »

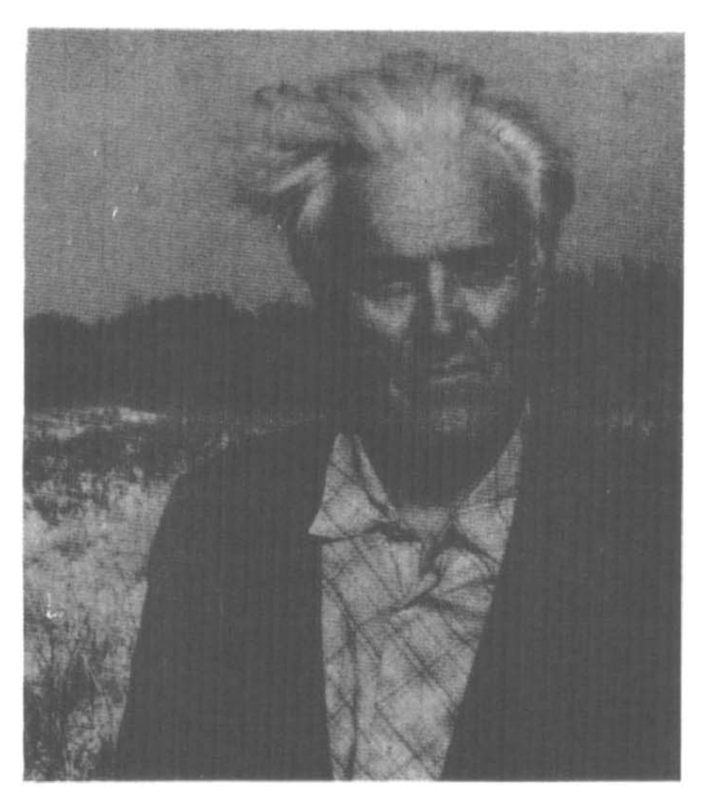




في نوفمبر ١٩٨٧ اجتمع الجنرال « جانيس لوكاسيفيكس
وفيلبي » أخبر فيلبي المستر « لوكاسيفكس » بأنه لايعرف شيئاً
عن عمليات المخابرات البريطانية ولا المخابرات السوفيتية



صورة نورا داشوود سكرتيرة « ماكيبين » رسمها مارجيرس فيتولينس أحد جواسيس الـ « كي - جي - بي » حينما كان يعيش عميلاً للمخابرات السرية البريطانية في لندن ..



في عام ١٩٤٩ كان « بوليسلاف بيتانس » خبازاً في بيتربوروج وبعد تلقيه تدريبات على أيدى المخابرات البريطانية السرية تم إسقاطه بالمظلات على سواحل لاتفيا لإقامة صلة لاسلكية مع لندن . ألقى القبض عليه عام ١٩٥٥ وهو الآن يعيش في لاتفيا

الفصل الأول

اندلاع الحرب الضروس

إن حياة كاملة من السرية المطبقة والتفرد المهني والاحتراف ، كانت الثمن الذى دفعه « هارى كار » ليتفادي المتاعب تفاديا كاملا في خضم الكفاح الهائل الذى خاضه مدى الحياة ، ولقد عاش « هارى كار » حياة طويلة حافلة بلغت الثامنة والثمانين ، أما أيامه الأخيرة فقد كانت مليئة بالذكريات ومفعمة بالأحاسيس ، وكان يفهم دائما أن الحرص المنظم بمثابة المؤهلات الضرورية للرجل الحرف ولم تخل تلك الحياة الحافلة من الاتهامات التى نسبت إلى صاحبها وكذا الاتهامات المضادة ، وفى حالة المستر « كار » كانت تلك الاتهامات والاتهامات المضادة أكثر عنفا عن المعتاد ـ على الرغم من أن معظم زواره كانوا يستثيرون حفيظته وغضبه .

كان « هارى كار » يعيش فى شقة بها غرفة نومه ذات الطلاء الأبيض الشاهب وتقع فى الدور الثانى من بيت تقاعده الذى يطل على المناظر الطبيعية بنوافذه الجميلة ، إن « هارى » هو الذى وصف نفسه فى كتاب « هوية الشخصيات » أنه ضابط سابق بقسم جوازات السفر والسكرتير الأول فى الجهاز الاستخبارى الخارجى البريطانى ، ولقد أحاط نفسه بمجموعة أشياء تمثل ذكريات غالية لديه مدى الحياة وفيها : الأيقونة الفضية ، والقليل من لوحات ألوان الماء ذات الطلاء الجيد وتصور الطبيعة الخلابة ، وهدايا من المستر « بروكوفيف » الذى قام بطلاء اللوحات أثناء إحدى رحلات النزهة العائلية ، وصور فوتوغرافية عن أشخاص فى مشاهد الثلج ، وأدوات لعبة التنس وغيرها .

وتكشف هذه الهدايا التذكارية النذر اليسير أو على الأصح لاتكشف شيئا عن الأربعين عاما الماضية من حياة المستر « كار » وهى التى أنفقها كموظف فى الحكومة البريطانية على الرغم من أن الزائر ربما يلاحظ أن كتبه توحى بانشغاله الدائم واهتمامه بأجهزة المخابرات البريطانية .

وعلى مدار فترة إقامته فى داخل بيت التقاعد ، كان المستر « كار » يزهد فى كل شىء ويحتقر متاع الدنيا الزائل إلا الاتصال الروتينى مع جيرانه وأصدقائه المقربين

وكـان يتحرك بين تـارة وأخـرى داخل بيتـه ويستمع حينا إلى الأغـانى الشعبيـة الراقصة العاطفية التى تنتمى إلى الفن الشعبى والفلكولور الروسى وبخاصة تلك التى يشدو بها المغنى والمطـرب المفضل « بيوتـر ليشينكو » ، إلا أنه لم يعـرف يقينا مـا هو السبب الذى يدفع به إلى النزعة الفطرية فى الاستماع إلى تلك الأغانى بولع وغواية .

وحينما كان الشبـاب ذوو الوجوه الظـريفة من الموظفين الجدد يـزورونه على غير موعد أو بـدون توقع منه ، ويصلون إلى مكـان عمله القديم التماساً ـــ على حد قولهم ـ لخبرته وحنكته فى بعض شئون العمل وبخـاصة تلك التى كان يقوم بها فى الماضى قبل تقاعده ، فإنهم عـادة ماكان يجابهم تحفظه وتكتمه وفى نفس الـوقت يلقون منه حسن المعاملة وأطيب اللقاء .

وهـذا ربما كـان السبب فى أن يعـاود أرباب العمل (قسـم الجاسوسيـة بجهـاز الاستخبارات) إرسال ممثلين رسميين آخـرين إلى بيته لمعاودة التماس الخبرة وبعض التصفح فى شئون خاصة بأدق أسرار العمل نظراً لثقتهم العـالية فى مقدرته المهنية وفى أيامه الأخيرة كان كبار رجال الجهاز الاستخبـارى يرسلون بعمال النظافة (الذين هم أصلا من رجال المخـابرات) وقد تخفوا فى زى العمال العـاديين من أجل البحث عن أية مستندات فى منزله ربما يكون قد أخفاها منهم ، وخشيت أن تقع فى نفس الوقت فى أيدى غير أمينة تسيىء استغلالها مما يضر بالأمن القومى للبلاد .

وحينما توفى « هنـرى لامبتون كار » وفـاة طبيعية فى ١٩ مارس ١٩٨٨ ، كـان قد ترك فراغـاً رهيباً فى العمل السرى البريطانى ، فهو على مدار أربعين عامـاً ، كان قد شن خلالها حربـاً ضروساً ـ وهو أحد مـؤسسى جهاز المخابرات السرية البريطـانية ـ على روسيا السوفيتية ، وذلك بالتوازى مع أبنـاء العم من الولايات المتحدة الأمريكية داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذين شنوا هم أيضاً حرباً ضروساً ضد روسيا .

ولقد أحس بفطرته أنه من الأفضل أن يترك الحســابات والتى لم يتم تسويتها بعد طالما أن الأمور قد قضت بذلك ، وعلى الرغم من أن التاريخ قد سجل له جنونه واهتمامه الـزائد بمراعـاة الأمن القـومى لبلاده ، وانـه تعرض للغـدر وهَـوَّن الناس فى الجهـاز البريطانى السرى من أعمالـه وانتصاراته ، ولـذلك فقد ظل دائما مقتنعـا بما حققه من النجـاحات الشخصيـة التى لم يكن مستعـداً لشرحهـا ، إن وفاة « كـار » قطعت آخـر صلاته بتلك القصص التى لاتنتهى أعاجيبها .

مولد رجل الاستخبارات القوى

ولد المستر « كار » فى ٢٨ نوفمبر ١٨٩٩ بالقرب من عاصمة سانت بيترسبرج لأب يعمل مديراً لخمسة مطاحن بريطانية ، وكان يتمتع بحياة طلقةسعيدة كرجل مهاجر يسكن فى جزيرة « موسى » التى كانت تحتوى على ملعب تنس فريد فى نوعه مكسو بالخضرة والمناظر البهيجة ، كما كان والده يفاخر بوظيفته وحبه العظيم لبلاده ووطنه البعيد .

وفى ذلك الزمان البعيد كان آلاف من الألمان والبريطانيين والفرنسيين يعيشون مع عائلاتهم بالقرب من البحر البلطى حيث يعملون ويديرون أعمالهم ويكسبون أرزاقهم ومنهم من حقق الثروات الطائلة والأموال العريضة من المصانع والعقارات والضياع والبنوك فى روسيا الرأسمالية .

فقد كانت روسيا شأنها فى ذلك شأن سائر البلدان الأوروبية والأمريكية فى الغرب ، كانت موطنا لاجتذاب رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية وكان يستثمر أمواله هناك أجيال كاملة كثير من رجال الأعمال الأجانب والتجار .

وهكذا جنى الثمار من جاء من بعدهم، فضلا عن حقيقة أن فقر روسيا مَكَّن أهل الغرب المستثمرين فى روسيا من الاستمتاع بحياة رغدة ومستوى معيشى مماثل لذلك الذى كان سائداً فى ظل الحكم البريطانى .

وحتى عام ١٩١٤ كان المستر « كار » قد شهد بحياته طرقا من هذا النعيم والبهجة وانطلاقة الحياة ، وفى نفس العام اندلعت نذر الحرب العالمية الأولى ، مما اضطر الأسرة إلى العودة إلى انجلترا فى مدينة « هيلى بيرى » حيث تلقى تعليمه هناك فى الكلية المسماة بنفس اسم المدينة .

وفى اثناء سنوات الحرب الناشبة ، أنفق المستر « كار » ذلك الزمان فى الدراسة منقطعا عن أسرته إلا أنه كان واثقا من سلامتهم وأنه لن يلحقه أذى بسبب ظروف الحرب ، وكذلك أسرته التى كانت تبعد مئات الآلاف من الأميال عن موقع العمليات العسكرية والحربية فى الجبهة الشرقية ، إلا أن هذا الوهم انفصم عام ١٩١٧ ، بسبب إندلاع الثورة البلشفية والإطاحة بأسرة « رومانوف » الحاكمة .

أصاب الاضطراب المستر « كار » لأن تقارير الصحافة آنذاك كانت تسجل تحقيق البلاشفة والثوار لانتصاراتهم المتوالية ، وكتب أن الثوار الجدد ثاروا يتحدون أعمق

أسس وجذور الرأسمالية الغربية، حيث كانوا يدعون إلى الشيوعية، ومناهضة المجتمع الرأسمالى الليبرالى المفتوح ويأمنون بالاقتصـاد الموجه والمجتمع المنغلق وفرض الستار الحديدى.

وأخذ « لويد جورج » عقب تخرجه من كلية المدفعية الملكية وتوليه المناصب الكبرى فى انجلترا، أخذ يجند المتطوعين الموالين المشهورين بالـولاء والإخلاص والوفاء ويعدهم من أجل الاضطلاع والقيام بمهام خاصـة داخل روسيا الشيوعية من أجل تغيير عجلة الأحداث هناك وإيقاف المد الشيوعى، وتغيير وجـه الحياة والتاريخ فى تلك البلدان التى عرفت آنذاك بجمهوريات الاتحاد السوفيتى.

انتهز « كـار » الفرصـة وعاد إلى روسيا عـام ١٩١٩ عضوا فى جيش من الـرجال السريين والعمـلاء والجاسوسيـة من أجل الإطـاحة بـالشيـوعيين، وكان شأنـه شأن الكثيرين من الضباط المؤسسين لجهاز المخابرات السريـة البريطانية، إذ صارت حياته كلها مكرسة من أجل المغامـرات العجيبة والخطيرة فى العمل الجاسوسى والسرى، مما أدى إلى كسر شوكة العدو.

تنـازل القيصر الـروسى نيقـولا الثانـى فى مارس ١٩١٧، وكـانت الحكـومـات البريطانية والفرنسية والأمريكية قد شغلتها المشكلات الملحة للحرب الدائرة على الجبهة الغربية وتجاهلت التحذيرات الواردة التى أضاءت الضوء الأحمر ضد الثورة الناشبة فى روسيا، وفى ذلـك الحين كانت الاستجـابة الصادرة عن تلـك العواصم الثـلاث، لندن وباريس وواشنطن بطيئـة ومرتبكـة، فضلا عن نقص المعلومـات وتشوههـا وفقدان التعاطف مع النظام القديم القيصرى المخلوع.

وأصدر « لويد جورج » تعليماته ـ وكان رئيسـا لوزراء بريطانيا آنذاك ـ بإرسال بعض المال إلى « الكسنـدر كيرينيسكـى » رئيس الـوزراء الجديـد، غير أن المزيـد من المعونات والعون قد تم حجبه، حتى يتم تلقى تقـارير العميل الذى استأجره الأمريكان وهـو المؤلف « سوميرسـت موم » الـذى كـان يسافـر مـرتحلا حينـذاك عبر اليابـان وفيلاديفستوك، عن تحريـاته وتجسسه فى تلك البقاع الشيوعيـة، وحدث بعد ذلك أن استقال « كيرينيسكى » فى ٨ نوفمبر وحل محله « لينين » والبلاشفة.

وعلى الرغم من أن تلك الأخبار كـانت مفزعة، إلا أن الحكومـة البريطانية اجتمعت وأخذتها الـدهشة والرعب من التقـارير التى قالـت بأن الزعيم السوفيتى الجديـد عقد

مباحثات ومفاوضات سلام - بعد توليه الحكم بأيام معدودة - مع الألمان ، وهكذا صار واضحا أمام الحلفاء الغربيين أن هدنة على الجبهة الشرقية صارت الآن مما يحسب حساب وقوعه ، والنتيجة هى أن الجيوش الألمانية سوف تتركز فى الغرب من أجل شن الهجوم الجديد ، وأنه فى حالة انهيار الحكومة السوفيتية الجديدة ، فإن الألمان سوف يتجهون من أجل ملء الفراغ على حساب الاستثمارات البريطانية الضخمة هنالك .

وباءت جميع محاولات « لويد جورج » لإقناع البلاشفة بالاستمرار فى الحرب ، وفى ٣ مارس ١٩١٨ ، وقع البلاشفة السوفيت مع الألمان معاهدة سلام كان من بنودها ، أن يدين الحكام الروس الجدد ويتخلوا عن مزارعهم التاريخية فى فنلندا .

كما جاء فى بنود هذه المعاهدة أن يتنازل الروس عن مزارعهم فى كل من جمهوريات البحر البلطيقى الثلاث وبولندا وأوكرانيا ، وراح الجيش الألمانى والقوات الألمانية تدعم من احتلالها لسائر هذه المناطق .

إن المحاولات السوفيتية اللاحقة للتنصل من تعهدات لينين هى التى وضعت الأساس للكثير من مؤامرات « كار » التى قام بها على مدار الأعوام الأربعين التالية ، وفى ٦ مارس ١٩١٨ ، اتخذ الحلفاء أول إجراء وقائى لهم حيث تم إرسال مائة وثلاثين غواصة بريطانية إلى روسيا تحت إمرة الميجور جنرال « ماينارد» ، وهى بمثابة المقدمة الأولى لما صار يعرف فيما بعد باسم « القوة التأديبية لشمال روسيا » .

وكان من مهام هذه البنودحماية المخازن والمواقع العسكرية الضخمة التى وردها الحلفاء إلى الجيوش القيصرية وتشكيل سلك شائك ضد المحاولات الألمانية لغزو شمال روسيا ، وكان هناك بعض الشخصيات فى لندن ، وبخاصة منهم المستر « ونستون تشرشل » الذين صاروا يتحدثون عن استخدام القوات والجنود البريطانيين كنواة لقوة مستقبلية للإطاحة بالبلاشفة .

وكان تشرشل حينئذ يشكل أقلية بصوته ، وبخاصة منذ هبوط الجنود البريطانيين فى « ميرمانسك » طبقا لأحكام اتفاقية « تروتيسكى » ، إذ كان المسترتشرشل تراوده أحلام توسيع الأمبراطورية البريطانية ، وكانت روسيا هى العدو التقليدى لبريطانيا فى آسيا ، ومصدراً للصراع الدائم على طول الجبهة الهندية وفى الأراضى الغنية بالبترول فى الشرق الأوسط .

ولقد أدت تعهدات لينين بنشر الثورة الشيوعية عبر العالم الغربى إلى أصداء واسعة

التـذكير وبمخاوف « ديـزرائيلى » الكبرى التاريخيـة ، إذ كـان يرى فى روسيـا الدولـة العظمى الضخمة المتنامية ، وقال تشرشل : إن البـلاشفة سوف يتسببون فى المزيد من تفاقـم الأوضاع وسوئهـا عما كانت الأحـوال على عهد القيـاصرة ، فكانت إزالتهـم أمراً حيـويـاً لتأمين وحمايـة الاستثمارات البريطـانية الضخمـة وبخـاصـة الاستثمارات المتعاظمة داخل روسيا .

وتزامن مع وصول أول فرقة من القـوات البريطانـية إكمـال الميجـور جنرال « فريـدريك بوول » المشرف على إمـدادات جيوش الحلفاء ، إكمالـه بنجاح المفـاوضات السرية لشراء الأسهم الكبرى داخل البنوك الروسية الرئيسية .

واقترح مجلس الحرب البريطانى أن يكون هذا الشراء بمثابة الضربة لأن الاقتصاد الروسى سيكون مملوكا لبريطانيا مما سوف يساعد مساعدة فعالة فى تدعيم موقفها ، وكان الاعتقاد السـائد فى الحكومة البريطانية فى ذلك الحين أن انقلاب البـلاشفة سوف يكون بمثابة سحـابة الصيف التى سرعان ماسوف تنقشع ويحل محلهـا حكومة أكثر اقترابا مع الغرب .

أما بالنسبـة إلى البريطانيين ، فقد كانت الأولوية تتمثل فى إعـاقة التقدم الألمانى إلى داخل روسيا فى نفس الوقت الذى يشن فيه العملاء البريطـانيون داخل موسكو انقلابا مضاداً ناجحاً لإزالة الأنقاض الحمراء المثيرة للمتاعب والاضطرابات هناك .

وعلى مدار القـرون الخالية ، كانت البراعـة البريطانيـة فى خلق واحتلال الأراضى وضمها إلى الأمبراطورية البريطانية يعتمد أساساً على النشر الناجح للعملاء السياسيين الدواهى إلى المنـاطق الرئيسيـة لشراء المساندة من جـانب الجماعات المنـاوئة والمنشقة ولأجل الانضمام فى صفوف بريطانيا للحرب ضد العدو المشترك .

فكان بـذلك « العمل الخفى » بديـلا رخيصا وفعالا عن الاشتبـاك العسكرى ، وفى عام ١٩١٨ ، كـانت هناك أكثر من سبب للحكـومة البريطانية من أجل اللجـوء إلى هذه التكتيكات البارعة المتقنة والماكرة ، وبالتالى فقد سـاعد البريطانيون المقاومة السوفيتية المعادية لنظام حكم البلاشفة وأمدوهم بالمال والعتاد .

كـان الكابتن (نقيب) « فـرانسيس كـرومى » أحد مهنـدسى الانقلاب المضـاد ، ويعمل مساعـدا للملحق البحرى ، وجمع مليون جنيه نقـداً لتمويل أية مـؤامرات تفى بالغـرض المطلوب ، وفى أثنـاء العام الماضى ، كـان « كرومبى » الذى يعمـل مع ضباط

بريطانيين آخـرين وعملاء مختلفين مُذْكوّن شبكة من البحـارة والعمال الروس الذين سوف يغـرقون فى مقـابل الـرشاوى وتنفيذا لأوامـر البريطانيين ، يغـرقون المنـاجم ، وينسفون مواقع الـذخائر والمخازن ويغرقون الأساطيل الـروسية فى البحرين البلطى والأسود .

وكانت الخطة تستهدف رسميا حرمان الألمان من أية مميزات مثل القيام بشن غزو مفـاجىء ، كما كانت المخططـات التى رسمتهـا أجهزة المخـابرات السريـة البريطانيـة تستهدف حرمـان البلاشفة أيضا من أيـة ميزات تمكنهم من المقاومـة مستقبلا ، فكان عليهم كذلك استخدام نفس الاستراتيجية ونفس الشبكة للتضييق على البلاشفة .

ومثل حلفـاء الـدبلومـاسيين فى شتى البقـاع ائتـلافـا صلداً مكـونـا من مختلف الجماعات القـومية التواقين لاستغـلال تفكك الحكم المركزى الـروسى من أجل فرض استقلالهم الخاص بهم وكـذلك استقلال القياصرة ، وكـانوا يعرفون لأسبـاب مختلفة باسم الروس البيض .

وتدعمـت أنشطة « كرومبـى » حيث تم تزويـده بسلسلة متـوالية ومتعاقبـة من العملاء المرسلين من لندن ، وكان مرسلهم هو السير « مانسفيلد كامينج » رئيس جهاز المخابرات البريطانية السرية ، وكان الغرض الكبير هو استغلال أية فرصة لإبعاد الثوار عن الحكم .

ولقـد أقنعت أنشطـة ثـلاثة عمـلاء على وجـه الخصـوص هم « سيـدنى ريلى »، والكابتـن « جورج هيل » ، و « بول ديـوكس » ، بالتعـاون مع وجود الممثل البريطـانى الأول المستر « روبرت بروس لوكهارت » فى مـوسكو ، أقنعت البلاشفة عام ١٩١٩ بأن جهاز المخـابرات البريطـانية السريـة كان هـو عدوهم الأول والأقـوى ، ولقد ظـل هذا الانطباع سائدا على مدار أربعين عاما تقريبا .

أما « ريلى » الذى كان يطلق عليه أساسا اسم « سيجموند روزينبوج » ، فقد كان مغامرا ومستثمرا ورجل أعمال اكتسب ثروة لابأس بها كتاجر سلاح قبل وأثناء اندلاع الحرب العالميـة الأولى ، ومن خـلال ذلك استطاع أن يكـون صداقة نـاجحة مـع جهاز المخابـرات البريطانية السرية ، وفى ذلك الـوقت فى زمن البلاشفة وانقـلابهم الذى تم فى عام ١٩١٧ ، كان « ريلى » يقوم بزيـارة إلى سانت بترسبرج كعميل وسرعان ماستطاع استغلال الفوضى الضاربة هناك .

وكان ذلك الرجل قد حباه الله بالمقدرة والموهبة على التنكر والتخفى فى وجوه عديدة بطرق متقنة لاتكشف حيث كان يستطيع أن يقدم نفسه للناس ببراعة كتاجر تركى أو تاجر يونانى أو كوميسار روسى .. الخ ، مما هيأ له الاطلاع على والوصول إلى مكتب « بتروتسكى » فى وزارة الخارجية .

والأشياء التى رآها أكدت بغضه ومقته لما وضعه « السرطان الخفى » للشيوعية ، وسرعان ماقبل فى شوق عرض الجهاز السرى للمخابرات البريطانية بالقيام بأية مؤامرات من شأنها أن تطيح بالشيوعيين عن السلطة فى البلاد ، وكان له اسم كودى هو « س . ت . ١ » .

وحيث كانت الإمبراطورية الروسية غارقة فى الحروب الأهلية ، فقد كان أمرا واقعيا أن يتدبر ويتأمل فى كيفية تنفيذ انقلاب ناجح ومضاد ومناهض للبلاشفة ، واستطاع المسئول البريطانى والممثل الأنجليزى فى روسيا ، وهو « ريللى » استطاع أن يقابل مجموعة من الضباط فى جمهورية لاتفيا السوفيتية ، وهم أعضاء فى العرس الخاص للزعيم « لينين » وكانوا مستعدين لخيانته .

وسرعان ما شرع « ريللى » فى التآمر مع « كرومبى » بناء على أوامر من لندن لتدمير الأسطول الروسى فى البحر البلطيقى ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاع عملاء وجواسيس الـ « تشيكا » الجهاز الاستخبارى الروسى أن يكشفوا تفاصيل المؤامرة البريطانية ، ناهيك عن خيانات الجواسيس والعملاء المزدوجين ، وكان الـ « تشيكا » هو جهاز المخابرات السرية السوفيتية الذى أعقب المخابرات القديمة المعروفة باسم « أوخرانا » وكانت روسيا القيصرية قد وسعت من أنشطته على مدار ثلاثة عقود كاملة من الزمان قبل الحكم الشيوعى للبلاد ، لكشف الروس المتآمرين والثوريين فى المنفى .

اخترق عملاء مخابرات « أخرانا » تنظيمات العديد من الشيوعيين ومجتمعاتهم وحيدتهم وبخاصة المنظمات التى اتخذت من أوروبا الغربية منفى لها (كما قيل : إنها زرعت أحد العملاء فى داخل بيت لينين على الرغم من أن ذلك لم يؤد إلى نفع ملموس) ، وفى أثناء العهد الذهبى وأيامه السعيدة التى أعقبت نشوب الثورة ، أمر لينين بتسريح وتفكيك جهاز الـ « أخرانا » كرمز لاحتقاره لنظام القياصرة ، إلا أنه سرعان مااستبدل به جهاز الاستخبارات السوفيتى الشهير المعروف باسم الـ « تشيكا » .

كان الرفيق « فيلكس دزرزنيسكى » مؤسس جهاز الاستخبارات السرية

السوفيتي الجديد الذى عرف باسم « اللجنة غير العادية لعموم روسيا الخاصة بمكافحة الثورة المضادة والتخريب » ، ينتمى إلى أصول بولندية وتشبع رجال دزرزنيسكى بإرشاده وتوجيهاته العنيفة : « إننا هنا من أجل القضاء على الإرهاب المنظم ... يتعين على جهاز الـ « تشيكا » أن يدافع عن الثورة ويقهر الأعداء حتى لو كان سيفه فى النهاية سوف يبتر رؤوس الأبرياء » ، مما جعلهم يؤمنون بأن جهاز التشيكا ليس من اختصاصه إصدار الأحكام بل الضرب بشدة وعنف .

ولما مات القيصر فى ٢٥ يوليو وإعلان السوفييت موته رسميا شهدت « ايكاتينبرج » مقتل كافة أفراد العائلة الامبراطورية ، وفى نفس اليوم استولى الروس البيض على المدينة المسماة « ايكايتنبرج » .

وفى ٣١ اغسطس تم استكمال مؤامرة اشترك فيها المستر « ريللى » وكان من جرائها أن أطلقت « دورا كابلان » وهى امرأة اشتراكية رصاصتين على الزعيم لينين فأصابته فى الرئة والعنق ، وكاد لينين أن يشرف على الموت وبعد ساعات من العملية اقتحم عملاء جهاز استخبارات الـ « تشيكا » السفارة البريطانية وأطلقوا الرصاص على « كرومبى » فأردوه قتيلا ،وشرعوا فى العربدة والقتل ، وأسروا وسجنوا الضباط القياصرة والمتعاطفين معهم .

هرب « ريللى » إلى بريطانيا غير أنه تم إلقاء القبض على « بروس لوكهارت » ثم تم إطلاق سراحه فيما بعد بالمقايضة والمبادلة مع أحد الممثلين السوفييت وهو « ماكسيم ليتفينوف » الذى ألقوا القبض عليه فى لندن كإجراء وقائى ، ومن هنا بدأت العلاقة المستقبلية والتاريخية بين جهاز التشيكا وجهاز الاستخبارات السرية البريطانية .

وعلى الرغم من أن مؤامرة « ريللى » جاءت بنتيجة عكسية ، نجد أن الحكومة البريطانية بالاشتراك مع معظم المراقبين الغربيين ظلوا على قناعة بأن نظام « لينين » سرعان ماسوف ينهار ، ضحية للفوضى والعوز والفقر والمجاعة والطاعون ونتيجة أيضاً لزحف الجيوش الروسية البيضاء التى جعلت تحتشد وتتلاقى فى فنلندا وسيبيريا وجنوب روسيا استعداداً للسير صوب موسكو وبيترومراد .

وفى يونيه هبط ستمائة جندى بريطانيين جدد فى « ميرمانسك » اعتبرت موسكو ـ تلك المدينة التى اتخذها الزعماء السوفيت عاصمة جديدة لدولتهم لتجنب مخاطر احتمال السقوط فى أيدى الألمان أو الحلفاء ـ إن وصول القوات الإرسالية التأديبية يخلو

من أية مصداقية تبرر الأدعاءات التى ساقها ومنها الاطلاع بمهام الحماية والحراسة .

أما لينين فقد استشفى وتعافى من محاولة الاغتيال ، فقد نظر بعين الشك والريبة إلى الجيش الجرار المعادى الذى اتخذ معسكرا لـه فى الشمال ، مما حدا به إلى الشك من أن القوات البريطانية سرعان ما سوف تزحف على الكريملن .

وأما « لويد جورج » فقد كان يعتبر هذه القوات غير ذات قيمة فى روسيا إلا أنها تم إرسالها من أجل أسباب سياسية وليس من أجل أسباب عسكرية ، على أية حال كان البلاشفة يؤمنون بأن الساسة فى لندن لن يوافقوا على احتواء الثورة أو تدميرها ، غير أنه لم يكن هناك ثمة وزير يمانع في إيقاف الانـزلاق صوب تأييد الـروس البيض ضد الروس الحمر ، ولقد كان التمويل أكبر عقبة وكان أسهل الحلول تجنيد الحلفاء .

وفى الواقع كانت هناك فرقتان تنتميان إلى الجنود التشيك هما الحليفتان وقوامهما ٧٠٠٠٠ رجل ، الذين كانوا حتى عام ١٩١٧ ، يقاتلون فى صفوف الجيوش القيصرية ضد الألمان ، وعلى الرغم من أنهم كانوا يرتحلون ويسافرون إلى بلادهم عبر مدينة « فيلاديفوستك » إلا أن لويد جورج كان يأمل فى التحول معهم والعودة صوب مدينة « ميرمانسك » حتى يتسنى للقيادة البريطانية السيطرة عليهم .

وبذلك صارت ضمانة سلامة التشيك الحجة والذريعة من أجل كافة أعمال الهبوط والإبراز اللاحقة التى قامت بها قوات الحلفاء .

وكان المصدر الثانى للقوات الضاربة هى الولايات المتحدة الأمريكية ، وشرع اللورد « ريدنج » السفير البريطانى فى واشنطن ، فى حث الرئيس الأمريكى ويلسون للالتزام باحتواء الثورة البلشفية ، أما العقبة فهى المبادىء الأربعة عشر التى نادى بها الرئيس ويلسون التى طالبت بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للأمم الأخرى .

واقتنع ويلسون أن يرسل ١٥٠ فرداً من مشاة البحرية الأمريكية إلى مدينة « ميرمانسك » على الرغم من أن الهدف كان أساسا الحراسة والقيام بواجبات الحماية ، ولدى وصول هذه القوات وبدون الرجوع إلى واشنطن تجاهل الضباط المحليون الأوامر ووضعوا أنفسهم تحت إمرة الجنرال « ماينارد » ثم تم دفعهم صوب الجبهة والهدف حسبما قيل آنذاك : هو استطلاع التقدم الألمانى ، إلا أن الخطط البريطانية كانت تتغير بصورة رئيسية .

وفى أول اغسطس اقترب أسطول صغير تابع للحلفاء يقوده الجنرال « بوول » ، اقترب من « شانجيل » ثم احتجزه البلاشفة حينذاك ، وسرعان ماتبادل الجنود البريطانيون النار مع المدافعين الشيوعيين الذين هربوا فى وقت لاحق ، ورحب الروس البيض بالقائد « بوول » الذى استوثق من خلال التقارير بأن الجيش الأحمر كان يتقهقر فى كل من سيبيريا فى الشمال وفى الجنوب ، وصارت موسكو عارية من الدفاع أمام الجيوش المعادية للثورة .

وبينما كان « تروتسكى » يطلب المزيد من القوات ، لم يرسل الرئيس ولسون سوى تعزيزات قدرها : ٤٥٠٠ من رجال المشاه الأمريكان ، والمهندسين والأطباء ، هم الذين ابحروا إلى « ميرمانسك » ، أما القوات الأمريكية الأخرى فقد أرسلت إلى سيبيريا للمساعدة فى تدعيم صفوف الـ ٧٢٠٠٠ جندى يابانى وكتيبة من المشاة البريطانين الذين هبطوا فى « فيلادفيستوك » من أجل حماية الفرقتين التشيك حسبما قيل آنذاك .

وفى خضم هذه التعزيزات ونشر القوات ، شن الحلفاء فى ٨ أغسطس هجوماً مضاداً كاسحاً وناجحاً على الجبهة الغربية ، التى صنعت نهاية لطموحات القيصر والعذر الأصلى لإرسال القوات المتحالفة إلى روسيا ، وبدأت قوات الجنرال «ماينارد » بناء على مبادرة ذاتية منهم بتجاهل الموقف الجديد ، وشرعوا فى تجنيد القوات الروسية غير النظامية لمحاربة البلاشفة .

أما فى لندن ، حيثما اقتربت الحرب من وضع أوزارها ، شرع مجلس الوزراء فى التركيز على روسيا السوفيتية ، أما الإجماع الذى تصور لينين أن يجمع ويوحد الوزراء ومستشاريهم العسكريين لإصدار هجوم مباشر على موسكو فلم يكتب له أن يتم على أرض الواقع .

وبعد مناقشة حاسمة فى ١٢ نوفمبر ، وبعد يومين من الهدنة استهدفت تقرير عما إذا كانت بريطانيا تعتزم سحق الثورة ، احتشدت مجموعة صغيرة من الوزراء فى قاعة العميد بحرى « بلينيكرز » فى وزارة الخارجية البريطانية لدراسة الاختبارات المقدمة من جانب الجنرال السير هنرى ويلسون ، رئيس أركان الحرب العامة الامبراطورية .

وكان ويلسون صريحا إذ طالب إما أن ترسل بريطانيا فرقاً عديدة إلى روسيا وهو أمر ربما يكون صعبا فى نفس الأسبوع ، حيث أن أعظم حمام دم فى تاريخ العالم كان

قد انتهى وولى ، وإما أن تبذل بريطانيا كل ماتستطيع فعله على أرض الواقع لمساعدة أصدقائنا عن القيام ببداية جديدة ثم الانسحاب .

ولقد تزعم ونستون تشرشل ، عشية تعيينه وزير دولة لشئون الحرب الصقور المناهضين لما أسماه « الهلاك » ويرفع رايته قبل أسبوعين من ذلك اللورد روبرت سيسيل ، وكيل الوزارة لشئون البرلمان (وكيل وزارة الخارجية البريطانية لشئون البرلمان) الذى اقترح أن تتخذ الفرقة من روسيا مقراً وأن تكون بمثابة رأس الحربة للحرب الصليبية الغربية ضد البلشفية .

وكان المستر تشرشل يقول : إن روسيا سرعان ماصارت حيوانا بربريا على أيدى البلاشفة ، فهم قوم أسسوا بنيانهم على المجازر والدماء والاغتيالات وهكذا فإن الحضارة تتعرض للفناء تدريجياً فى مناطق كثيرة حول العالم .

وحث مجلس الوزراء على كسر شوكتهم باستخدام جيش جرار مروع من قوات التدخل متعددة الجنسيات لأنه مالم يتم ذلك ، فإن الحلفاء سوف ينتهى بهم المطاف فى مؤتمر السلام إلى الابتهاج بانتصار ليس له أساس ، وليس بانتصار فى شىء .

وعلى الرغم من أنه بحلول نهاية عام ١٨١٩ ، كان هناك ١٨٠٠٠٠ جندى أجنبى على أراضى روسيا والمناطق التى يسيطر عليها البلاشفة التى كانت لاتزال صغيرة ، غير أنه يؤيد المستر ونستون تشرشل أصدق الوزراء فى المجلس واعتبروا أن اقتراحاته عدوانية .

ولقد تزعم لويد جورج الإدانة لما أسماه « المشروع المجنون » الذى سوف يتسبب على حد قوله فى نشوب « ثورة فى بريطانيا » غير أن تشرشل كان صلفا عنيداً فى موقفه ، ولما سمع بأن رئيس الوزراء ينظر فى عقد مفاوضات مع النظام الجديد ، هرع مسرعا إلى مقر رئاسة الوزراء البريطانية فى ١٠ داوننج ستريت وأخبر زعيمه بأنه « ليس من الحكمة إضفاء المشروعية على اللواط حيث ذلك يكافىء الاعتراف بالبلاشفة ، وأدان فظائع لينين إدانة عنيفة وكذلك المذابح التى نصبها للأبرياء .. وجعل يصب جام غضبه على النظام الروسى الجديد ويصفه بأقذع الوصائف .

ولما كان الساسة قد افترقت كلمتهم حينما اصطدموا بهذا المأزق ، فإنهم جعلوا يتبادلون كلمات الهراء والجدل ، وتقرر أن يتم إرسال بعض القوات البريطانية إلى « أرشانجيل » وإرسال جنود ومستشارين وإمدادات إلى الجنرال أنتون دينكين الذى

كان يقود الجيوش المناهضة للبلاشفة فى الجنوب ، كما تقرر أن يتم تنصيب تجريدة عسكرية من الجنود لحراسة خط السكك الحديدية الذى يربط بين البحر الأسود وبحر قزوين .

وفى الأسابيع التالية تم إرسال ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) جندى بريطانى إلى أرشانجيل ، فصار العدد الاجمالى ٦٣٠٠ (فى مقابل ٥٢٠٠ جندى أمريكى) ، فضلا عن زيادة أعدادها إلى ١٨٤٠٠ جندى ، وكان هذا الحل الوسط عرضة لتفسيرات عديدة مختلفة ، وفى الوقت الذى كانت فيه وزارة الخارجية تؤمن بأن بريطانيا يجب ألا تتدخل فى الشئون الداخلية لروسيا إلا أنها مع ذلك كانت تخشى من أن انسحاب القوات البريطانية سوف يؤدى إلى سوء الفهم ، وأما الآخرون فقد كانوا يعتقدون بأن هذا القرار ماهو إلا عبارة عنا التزام لتدمير البلاشفة .

وكان من بين الذين وصلوا إلى « ميرمانسك » فى ١٩١٩ شاب اسمه « هارى كار » ويبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ، والذى استطاع أن يشق طريق عودته إلى روسيا وإن وجد فرصة فى الخدمة من صفوف الجيش ، وجندته وزارة الحربية كمترجم ، وتم إلحاقه على هيئة العاملين التابعة للجنرال « مارينارد » وفى غضون أيام سرعان ماتم تقديمه إلى قدس أقداس المؤتمرات والمكائد البريطانية .

وبعد ستة أسابيع من وصوله ، تعرف والده على القائد الجديد للبعثة التأديبية وهو الجنرال « إدموند إيرونسايد » واستطاع أن يضمن لابنه النقل إلى المقر الكائن فى « أرشانجيلة » والعودة إلى أفراد عائلته .

كان التراجمة أعضاء فى قسم المخابرات الحربية واعتمدت أركان « ايرونساند » عليهم اعتماداً كبيراً أكثر من المعتاد وكذلك على الجواسيس ومتعهدى توريد وتقديم المعلومات لقسم العمليات الخاصة التنفيذية ، واستطاع المستر « كار » عن طريق سفرياته مع « ايرونساند » أن يتبوأ مكانته داخل مهنة المخابرات السرية .

وكانت روسيا حينذاك لاتزال تبدوا على شفا حفرة التفكك ، وتم الإحاطة بالجيش الأحمر من ثلاث جبهات وأعلنت أغلبية الأجناس غير الروسية من سيبيريا حتى البحر البلطى استقلالها .

وصدرت المزاعم من أكرانيا وكريميا وسكانهما من القوازقة وأهل جورجيا ، والأرمن ، والأذربيجانيين التى تطالب بالحق فى إنشاء دولة خاصة بهم ، فى حين أن

سكان ليتوانيا ولاتفيا وأستونيا قد أفادوا من معاهدة « بريست ليتومنسك » ومناشدة الغـرب بالاعتراف بقـومياتهم ، وهى المطلب التـى سرعان مـا أشبعتها لهم بـريطانيـا وأمريكا .

وتناثرت التقارير عن الفظائع والأهوال التى يرتكبها الشيوعيون وأوخم التهديدات باسوأ العواقب التى ينتظر حدوثها من الزعماء الثوريين ، وشهد « كار » كيف أن نسيج وطنـه الـذى اختـاره لنفسه يتفكـك ، وآمن بتحذيـرات المستر تشرشل ضـد التهـديـد الشيوعى ، ومن هنا ارتبط مصيره بمصير المستر ونستون تشرشل .

وفى لندن ، تجاهل وزيـر الحربية الجديـد مراوغـات رئيس الوزراء وشن حـروبه الصليبية لتدمير البلاشفة ، أما الميجور جنـرال هـ . ح . هولمان ، قائد البعثة البريطانية إلى جيش « دينيكين » فقد تلقـى توجيهات محددة من تشرشـل بأن غرض التدخـل هو تدمير الثورة ، وأصدر تشرشـــل أوامره بإرسال تعزيزات عسكرية فـورية بحـراً إلــى « كريميا » لمساندة قوات « دينكين » .

وبمجرد وصـولهم ، أبحر سرب بحرى من البـوارج والسفن تحت إمرة الأدميرال السير « والتر كوان » إلى البحر البلطى ، وفى مجلس الوزراء قـال وزير الخارجية « أرثر بلفورد » على نحـو حازم بأن الالتـزام الأخلاقى لبريطـانيا يمنع البـلاد من التخلى عن الروس الموالين لقضية الحلفاء وهم يقومون أيضاً حالياً بالقتال دفاعاً عن أرواحهم .

وقال آرثر بلفـورد : لقد كنت أزاول الضغط على البحرية وقتـاً من الزمن من أجل القيام باستعـراض للقوة فى البحر البلطى من أجل تقوية وتعزيـز سكان هذا الجزء من العالم ضد البلشفية .

وكانت أوامر الأدميرال « كـوان » التى وضعت بريطانيا بالفعل فى حـالة حرب مع روسيـا ، استهدفت حصـار الأسطول الـروسى فى « كـرونستاد » وفى أثنـاء مارستـه لأعماله اعترض كوان « هجوما بحريا سـوفيتيا » فى ميناء « تالينين » الواقع فى أستونيا والقوات الفنلندية أثناء تسللهم خلف خطوط البلاشفة ، وهبطت القوات البريطانيـة فى « لاتفيا » لتأمين استقلال الأمة .

كما قامت هذه القوات بحماية الجنرال السير « هيربرت جوف » وبعثته العسكرية التى تنتمى إلى جيوش الحلفاء فى فنلندا ، وكـانت تستهدف تنظيم الروس البيض تحت

قيادة الجنرال « نيكولاى يو دينتش » الـذين كانوا يخططون من أجل عبور الخليج إلى فنلندا أو أسر القديس بطرس .

وتلقى « جوف تعليمات قبيل مغـادرته لندن بعـدم التدخل فى الشئون الـروسية ، غير أن هذه التعليمات تناقضت مع أوامر ونستون تشرشـل وزير الحربية الذى طالب وهو أمام الخريطـة الضخمة التى تبين جيوش الروس المتجهة صوب مـوسكو ، طالب الجنود بالاسراع فى تحقيق انتصارهم ، فكان أن اتبع « جوف » تعليمات وأوامر تشرشل غير أنــه لـدى وصــولـه واجهتـه صعـاب جمة ، حيث رفضت الحكـومـات الجديـدة لجمهوريات البحر البلطى أن تساعـد الحرب الصليبية للحلفاء ضد البلشفية ، خشيت ان تعرض للمخـاطرة اعتراف لينين باستقـلالهم وهو الأمـر الذى اكتسبوه بعـد عناء ، ولقد كان الجنرال هذا شأنه شأن معظم القيـاصرة كان رجعياً وأكثر استعداداً للتعاون مع الجيوش الألمانية التى يقـودها النازيون المتـزمتون الذين كانوا لايـزالون يحتلون الدول الواقعة على البحر البلطى .

وفى شتاء عام ١٩١٩ ، تعرضت معركة روسيا إلى الوصول إلى طريق مسدود ، غير ان الاتجاهات السياسية كانت متشـددة ، إذ كان أولئك القوم فى الكريملن على يقين من أن الحكومة البريطانية وجهاز المخابرات السرية البريطانى مصممين على إزالتهم بالقوة وكانت نظـرة واقعية إذا مـاتـدبرنا الخطـاب الذى أفضى به الأميرال « هـول » إلى كبار المعاونين العسكريين عشية تقاعده كمدير للمخابرات البحرية حيث قال :

وأريد أن أحـذركم ، لقد كانت المعـركة صعبة ومـريرة ويتعين علينا الآن مـواجهة الخوف ، وعـدواً لامثيل له فى الصرامـة والشدة ، عـدواً متـوحشـاً سـوف تنتشر قوتـه الشريرة حول العالم أجمع ، إن هذا العدو هو روسيا السوفيتية .

أما تشرشل وخـوفه المرضى من روسيـا وقناعته بأن العمليـات الخاصة إنما هى أسلوب من أساليب الحرب العسكرية والسياسية الملائمة لبريطانيا خاصة ، فقد شجع السير « مانسفيلد كامينيجز » على الخوض فى المخاطر من أجل احداث وفاة لينين .

وفى عام ١٩١٩ ، كان « بول ديوكس » أحـد الذين حلوا محل « ريللى » فى روسيا ، وتسللوا إلى روسيا البلشفيـة عن طريق « ميرمانسك » فى عام ١٩١٨كان تـواقاً للهرب والفرار .

واستطاع « ديوكس » تهريب معلومـات إلى لندن عبر هيلسنكى ، وكان متخفياً على

طوال العشرة أشهر الماضين علي ذلك ، فى زى جندى بالجيش الأحمر أو حتى عميل للـ « تشيكا » ، غير أن تخفي المستر « ديوكس » تعرض للهتك وصار هدفا للقناصة من جهاز مخابرات الـ « تشيكا » الذين حاولوا اصطياده .

وفى أثناء الأشهر التى كان فيها « كامينجز » يرسو فى أحد الموانى الفنلندية قبالة قاعدة « كونستاد » البحرية اتصل الكابتن « اوجست اجار » على توربيد من سرب « كوان » وأغرق بنجاح الطراد الروسى « اوليغ » ، ابتهاجاً بشجاعته وإتقانه تنفيذ العملية شن « كوان » عملية مركبة من القاذفات البريطانية ، وأسطول صغير من الزوارق البحرية الساحلية ضد الأسطول الروسى فى الميناء .

أما الخسائر الروسية فقد انحصرت فى سفينتين حربيتين غرقتا ، وتدمير وتحطيم الغواصات واستمرار القوات الروسية على القيام بتمرد مسلح ضد البلاشفة ، مما أدى إلى حدوث المخاوف المتجددة فى موسكو واكتساب امتداح تشرشل وإشادته بالانتصارات .

ولدى عودتهم المنفصلة إلى بريطانيا ، تم استقبال كل من « اجار » و « ديوكس » استقبال الأبطال ، واستقبل الملك جورج الخامس كلاً منهما ، وتناول « ديوكس » الغداء مع تشرشل وأنعم عليه فيما بعد برتبة فارس ، فى حين أن « آجار » حصل على نيشان « صليب فيكتوريا » وهو وسام بريطانى لأبطال الحرب ، إلا أن انتصارهم لم يدم طويلاً حيث أن الثورة المضادة بدأت فى صيف عام ١٩١٩ فى الزوال .

وعانى « يودينتش » من سوء الإدارة المتفشى ونقصان العون البريطانى وانتهى هجومه القادم من فنلندا عن طريق التسلل خلال أحراش « بتروجراد » انتهى نهاية دموية وهزيمة نكراء ، وفى سيبيريا انتهى التقدم الزاحف للروس البيض جنوب موسكو ، على الرغم من المساندة الأمريكية واليابانية والتشيكية نهاية مأسوية ، كتب اللورد هاردينيج فى مضبطة وزارة الخارجية يصف هذه الهزيمة بأنها « مشروع غير ذى مصداقية على الإطلاق » وتواكب ذلك مع الانسحاب البريطانى والأمريكى لآخر قواتهم هناك ، وفى الجنوب فشل كذلك زحف جيش الجنرال « دينيكين » وتوقف فجأة ، وخارت قوى جيشه بسبب الفساد الضارب فى صفوف قواته وتفشى الخلافات والمشكلات الداخلية ، وسرعان ما تراجع جيشه إلى الوراء .

وفى الشمال تمردت قوات جيش « إيرونسايد » وانضم الكثير من الروس إلى

البـلاشفة ، وتم تكليف المستر « كـار » للقيام بـالترجمة للجنة التى تـولت التحقيق فى اغتيال الضباط البريطانيين ، وصدر أمـر الجنرال بالانسحاب يوم ٢٧ سبتمبر وانتهت جميع خطط الحلفاء للإطاحة بنظام البلاشفة نهايـة مشينة ، وأنفقت بريطانيا مايزيد عن الـلازم فى حروبها الصليبيـة ضـد البلاشفـة وبأكثـر ممـا فعل سـائر الحلفـاء مجتمعين .

وهكذا فإن الفضل فى ضمانة استقلال دول البحر البلطى وفنلندا إلى لويد جورج ، فضلا عن فضله فى إيجاد الفرصة المناسبة لاستقلال القوميات الروسية . أما ونستون تشرشل فقد كانت فلسفته هى أن الدول الكبرى فى أوروبا سوف تندم بسبب فشلها فى سحق الهلاك البلشفى فى مركزه وقبيل نموه نمواً ضخماً .

وكان كل من ضباط وزارة الخارجية البريطانية والجنرالات الذين عادوا من روسيا متفقين على أن الـوحشية والاستبـداد والشمـولية التى اتصـف بها ملامح الجنـرالات الروس البيض الذين حاربوهم « لم تكن تختلف عن البلاشفة فى شىء » .

وفى خـريف عـام ١٩٢٠ ، سـقط ١٥٠,٠٠٠ روسـى أبيـض ، هـم بقايا جيش « دينيكين » سقطوا فريسة للأمراض والفـوضى ، وتم إجلاؤهم بمساعدة البريطانيين إلى شبه جزيرة « غاليبولى » .

وسرعـان ماتفـرقوا فى شتى البـلاد وأنحاء الأرض ، حيث صـاروا مطلباً لأجهـزة المخـابرات الغـربية ليصبحـوا عمـلاء فى المعركـة المستمـرة من أجل تقويض النظـام الشيوعى الحاكم .

وكان من بين هؤلاء البريطانيين الذين تم إجلاؤهم مع جيش « ايرونسايد » المستر « كار » وعـائلته . وكان المستر « كار » يشترك مع آلاف المعجبين بـالشعب الروسى ، فى أنه تعرض للتجريح والأذى النفسى بسبب الفوضى الضاربة التى تسببت فيها الثورة الحمراء ، إذ كانت شخصيته تتصف بالمحافظة وشدة الحساسية .

وبمرور الوقت ، دمر جيش « إيرونسايد » عتاده ومعداته وألغى مهمته وتخلى عن أهدافه ، أمـا المستر « كار » فقد كان قـد استقر على خوفه البالـغ ومقته واشمئزازه من حمامات الدم والفوضى التى تسببها البلاشفة .

وكان « كار » يضمر فضلاً عن ذلك الشعور بالظلم الفادح فى داخليات نفسه ، ذلك

أن جميع مدخرات عائلته المودعة فى أحد البنوك الروسية تعرضت للضياع ، أما أبوه فقد تعرض للبطالة والفقر .

وكان طبيعيا أن ينجذب « كار » إلى السير فى مسار من شأنه أن يوفر له فرصة تسوية الحسابات والهروب من البطالة . وجعل يتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة والاختزال ، وهى أمور تدل على ذكائه وقدراته . وبدت الفرص أمام طموحاته محدودة حتى تقابل والده مصادفة فى أحد النوادى مع « جورج ويسكيمان » نائب القنصل البريطانى السابق فى « أرشانجبل » . وتساءل « ويسكيمان » عن عمل الشاب « كار » واقترح أن يصبح مترجماً فى القنصلية البريطانية فى « هلسنكى » .

وتم استدعاء « كار » لمقابلة فى « تشارنج كروس » أحد الحوانيت وتقابل هناك مع « ريلى لى ماى » الذى قدمه إلى القائد إرنست بوليس . وتركزت محادثتهم فى مؤخرة الحانوت حول الخلفية التى يتمتع بها واللغات التى يتقنها . وغادر « كار » المكان بدون أية فكرة أو ظن فى أن « بوليس » كان ممثلاً لجهاز المخابرات البريطانية السرية فى روسيا أثناء الحرب .

وظل على جهله حتى عند مقابلته مع « مانسفيلد كامينج » فى شقة المستر «سى » فى حى « وايت هول كورت » بالقرب من وزارة الحربية . ولم يثنِ العرض المالى البخس « كار » عن رغبته فى العمل ، إذ عرض عليه رئيس جهازالمخابرات البريطانية السرية دخلاً محدوداً قوامه ٥٠٠ جنيه استرلينى سنوياً ترتفع إلى ٧٥٠ جنيهاً فيما بعد .. ويقول « كار » بعد السابعة والستين إنه بعد بضعة أيام من عمله فى ترجمة تقارير العملاء خلف غرفة الرقابة على جوازات السفر فى هلسنكى ، تعرف على الطبيعة الحقيقية لواجبات عمله .

وكان « كار » شأنه شأن معظم ضباط المخابرات السرية البريطانية يعتبر أن المكاسب المادية غير ضرورية . وكان يستحثهم الدافع والشعور بواجب الخدمة التى قد تجعل منهم أسطورة فى حياتهم المعاشة .

وبعد أشهر قلائل من تعيينه ، تكشف عدم استقرار حالته العملية حينما شهد المستر « كامينج » يتصرف تصرفات شديدة القسوة ضد المستر « ڤيرنون كيل » ، رئيس جهاز الـ « ام اى ه » أو (جهاز المخابرات العسكرية للأمن القومى البريطانى) . فكان

ذلك رمزاً لكفاح جهاز المخابرات السرية البريطانية للبقاء فى ظل ميزانية تم تخفيضها إلى النصف ضغطاً للإنفاق .

ولما أصبح « ريلى » ، و « بروس لوكهارت » و « ديوكس » خارج روسيا ، يجمعون المعلومات الاستخبارية حول البلاشفة ، تحولت المهام التجسسية إلى أمر بالغ الخطورة والهلاك .

فقد كان الأجانب تحت الرقابة المستديمة وحتى فرص الدبلوماسيين فى العمل الاستخبارى صارت مقيدة فى أعقاب إغلاق القنصليات فى « لينينجراد » و « أوديسا » من جانب الحكومة السوفيتية .ولهذا السبب ، سعى « كامينج » إلى الحصول على حلفاء مدينة « أوديسا » المطلة على البحر الأسود ، لإقامة القواعد للعملاء .

وكان وضع هؤلاء الموظفين يعتمد على الاتفاق مع وزارة الخارجية التى كان كبار مسئوليها معادين أشد العداء لسوء استخدام الغطاء الدبلوماسى . وذهبوا إلى أن الجواسيس سوف يؤثرون على سلامة العمل الذى يقوم به الدبلوماسيون وسوف يضر بهم أشد الضرر .

فكان الحل هو إقامة مكتب رقابة على جوازات السفر داخل وزارة الخارجية يتمتع موظفوه ليس بالحالة أو الوضع الدبلوماسى ولا المنافع التى تدفعها الحكومة للدبلوماسين من رواتب عالية أو معاشات . ويتم إلحاق أعضاء جهاز المخابرات السرية البريطانية إلى هيئة خاصة نظام نظم مختلفة ، كما تقرر أن يتم الدفع لهم نقداً لتجنب أية تحريات حول طبيعة عملهم ، كما تقرر أن يتسامح معهم السفير طالما أنهم قصروا أنشطتهم على نحو خاص على الحوادث الجارية فى الدول المجاورة .

وعلى الرغم من أن منافسات « وايت هول » لم تؤثر على المستر « كار » إلا أنه كانت ضمن الضباط المجندين فى عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ دفعة من الشباب المتفتحين الذين شبوا عن الطوق فى روسيا وامتلكوا ناحية الفهم لتلك الدولة وشعبها الذين وثقوا فى مدى تقدمى المهنى . وصاروا معتنقين وجهة نظر تشرشل فى أن الامبراطورية البريطانية صارت عرضة للهلاك مالم يتم هزيمة الشيوعية . وكان حلفاؤهم الوحيدون هم الروس البيض ضد البلاشفة .

وكان مدين أكثر هؤلاء المهاجرين أهمية أولئك الذين وافق كاننح عن تمويلهم ، بناء على نصيحة « ريلى » وصار المستر « بوريس سافينكوف » يقودهم ، وهو سفاح

معادى للشيوعية متشدد بطبيعته ومتآمر محترف ، ولقد وصفه تشرشل بكلمات مؤثرة عقب اجتماع به رتبه المستر « ريلى » فى عام ١٩٢٢ .

ووصفه قائلاً : (وفى هذه الحالة ، ليس ثمة شىء أو إنسان يخشاه أو يخافه ..) . أما المستر « ريلى » فيقول : « إن سافينكوف كان رجلاً ضمن اثنين أو ثلاثة لم يستطع البلاشفة النوم ملء جفونهم طوال حياته . وأرسل سافينكوف بالعملاء عبر الحدود الفنلندية والبولندية إلى داخل روسيا من أجل تنظيم الخلايا الاستخبارية ثم العودة مزودين بالمعلومات .

أما القائد « بوليس » فقد كان ضابط اتصالات المخابرات السرية البريطانية وعمل مع « سافينكوف » وكان « بوليس » هذا هو الذى قام بتجنيد « كار » أول مرة وفى أعقاب كارثة ١٩٢٠ ، قسم « بوليس » هذا هو الذى قام بتجنيد « كار » أول مرة . وفى أعقاب كارثة ١٩٢٠ ، قسم « بوليس » وقته بين « تالين » و « باريس » من أجل الحفاظ على الصلات مع الروس البيض ، ولكن فى عام ١٩٢١ ، تم نقله إلى هلسنكى حيث إن أهمية فنلندا أمة مستقلة منذ عام ١٩١٧ ، حينما استفادت الميزة من ثورة أكتوبر ووضعت الخاتمة لقرن من الاحتلال الروسى . وتسبب إعلان الاستقلال الفنلندى فى إحداث حرب أهلية قصيرة ولكنها قاسية وانتهت بالهزيمة لأنصار البلاشففة على أيدى المارشال « كارفون ماينوهايم » الذى سرعان ما دفع بأعداء البلاشفة إلى استخدام الدولة من أجل شن غارات ضد الثوار .

وبرغم التخفيض الحادث فى ميزانية المخابرات السرية البريطانية ، إلا أن محطة هلسنكى قد حظيت بمخصصات قدرها ٢٠,٠٠٠ جنيه استرلينى سنوياً من أجل العمليات، فضلاً عن تعيين مساعد لضابط مراقبةجوازات السفر وهو المستر هارى كار .

وفى مارس ١٩٢١ ، كان المستر كار فى صميم وقلب المحاولات البريطانية للإطاحة بالبلاشفة وأوشك على تبوء أعلى المراكز التى يهفو إليها قلب كل ضابط مخابرات .

وتزامن تعيين المستر كار مع توقيع اتفاقية تجارة بين الحكومتين البريطانية والسوفيتية ، وكانت بذلك أول اعتراف بريطانى رسمى بدولة البلاشفة . وعلى الرغم من أن الاتفاقية احتوت على تعهد من جانب الحكومتين بالتوقف عن ممارسة أنشطة الاستخبارات المعادية ، إلا أن هذا النص وذلك البند تم تجاهله .

ونجد أن كلاً من وزارة الحربية والادميرالية (البحرية) قد وصفتا الهجوم الروسي بأنه أكثر التهديدات خطورة ضد بريطانيا ، وبأنه ربما كان أكثر الأسباب وجاهة فى اندلاع الحرب فى المستقبل القريب حيث سوف تتورط الإمبراطورية البريطانية .

وفى هذه الظروف كانت المخابرات البريطانية السرية غير مستعدة للتقيد بالاتفاق إلا أن الجهاز الاستخبارى تعرض للشلل والتعويق بسبب نقصان المعلومات والافتضاح الشديد لعمليتين قامت بهما المخابرات البريطانية ضد السوفيت .

وبعد فترة وجيزة من توقيع الدول المطلة على البحر البلطى على معاهدات السلام مع ممثلى لينين عام ١٩٢٠ والتى تم الاعتراف بمقتضاها بسيادتها على أراضيها ، حصلت المخابرات السرية البريطانية على تسهيلات فى « ريجا » غير بعيد من السفارة الضخمة الواقعة فى « رينيس بوليفارد » .

وفى جو قوامه الأمن النسبى استطاع عدد كبير وأجيال كثيرة من ضباط المراقبة على جوازات السفر والملحقون العسكريون ، استطاع كل هؤلاء مع لاجئى الروس البيض ، وعاونهم فى ذلك خير العون البوليس والعسكرية التابعة لجمهورية لاتفيا ، ضد الشيوعيين عبر الحدود .

وأضحت السفارة البريطانية مقراً معروفاً لجمع المعلومات وقاعدة للضباط البريطانيين لتعلم اللغة الروسية . ويقول « لينسى نيكولون » :إن المدينة كانت بمثابة المرتع الخصب للتآمر والجريمة ... وملاذ عشرات العملاء منعدمى الضمير الذين ينتمون إلى كافة القوميات والذين بمقدورهم بيع خدماتهم ومعلوماتهم الاستخبارية لمن يدفع المال الأكثر بدون أدنى ندم أو وخز ضمير ، ثم إعادة بيعها إلى الطرف المعادى وبسعر أعلى .

وتم تأسيس شبكة مماثلة فى « تالين » وقام بذلك الكولونيل روبرت ميكليجون ، وهو ضابط سابق فى الفيلق الملكى البريطانى ، وكان قد خدم فى جيش التدخل وفى عام ١٩٢١ ، جند ميكليجون رجلاً ألمانيا كعميل وكان يدعى « جريجورى » زعم أنه يستطيع الاطلاع على الأكواد السرية فى السفارة السوفيتية ، وكانت آنذاك تحت سيطرة وإمرة ـ كيم ليتفينوف .

أرسل ميكليجون حوالى ٢٠٠ برقية من أكواد ليتفينوف إلى لندن اتضح منها أنه

على النقيض من نصوص وبنود اتفاقية التجارة ، كان السوفيت يمولون « سين فين » فى أيرلنـدا ومثيرى الشغب المعادين لـلإمبرياليـة فى الهند . وسرعان مـا تأكدت الحكـومة البريطانية من صحة المعلومات عن طـريق مشاهدتها للقلاقل التى وقعت هناك وأرادت الحكومـة البريطانية التثبت قبل أن تـرسل الحكومة باحتجـاج ، فوجدت أن المعلـومات والبرقيات التى قدمها ميكليجون مزورة .

وأدى هـذا الاكتشاف إلى تكثيف الضغط على المستر « كـامينج » لإنتاج المزيـد من المعلومات الاستخبارية مقتنعة أنها لاتزال موجودة لإثبات أن السوفيت كانوا فى حقيقة الأمـر ينظمـون ويملون عـدداً متـزايـداً من المشـاغبين ومثيرى القلاقل المعـــادين للبريطانيين ، وبخاصة فى الهند .

وتلقى كامينج من عميل المخـابرات السرية البريطـانية فى برلين نسخـة من وثيقة سرقت من مكتب الممثل السوفيتى أكدت على وجـود مؤامرة سوفيتية لزعـزعة استقرار الحكم البريطانى فى شبه القـارة الهندية . وعلى الفور ، بنـاء على أوامر وزارة الخارجية البريطانية قدم الممثل البريطانى فى موسكو الـدليل المدين ووثيقة الإدانة وقدم احتجاجاً شديداً للمسئولين السوفيت .

وقدم السوفيت الرد بسرعة مساوية وبصورة مؤثرة . وأثبت الروس أن الوثيقة ما هى إلا أوراق الدعايـة الروسية البيضاء الموزعة فى ألمانيـا . وفى تلك اللحظة ذاتها ، قدم مصدر قـوى جديـد نفسه وأعرب عن استعـداده لتقديم المعلومـات لجهاز المخـابرات السرية البريطانية . ووصـــل « الكسندر ياكوشيف » ، وهو مهنـــدس رى وصـــل إلى « تالين » قـادماً من موسكـو . وكان معروفـا للروس البيض كعنصر تنفيذى لمجمـوعة سرية تعمل من تحت الأرض وتنادى بعودة الحكم القيصرى إلى البلاد .

وسافر من « تالين » إلى « برلين » و « بـاريس » واقترب بحذر من زعماء مهاجرى الـروس البيض وشرح لهم كيف أن الاســاس قـد أقيم عبر الحدود فى روسيـا من أجل إنشاء منظمة مناهضة للشيوعية لتدمير « قوى الظلم » .

وأوضـح أن « هيئـة الائتمان المحلى فى موسكـو » مـاهى إلا بنك جـديد ثم أسســه الشيوعيـون للأعمال الدولية ، والأمـر غير معروف للبلاشفة هـو أن الملكين من أنصار القياصرة الذين كانـوا يستخدمون الاسم المستعار « ترست » كانـوا بالفعل قد اخترقوا

البنك . وبرغم أن بعض الزعماء المهاجرين كانوا شكاكين وارتابوا ف « ياكوشنب » إلا أن الاخرين شجعتهم تقاريره الخاصة بالمقاومة .

وتزايد إعجابهم بالعميل الجديد حيثما شاهدوا السر الذى يستطيع به السفر عبر الحدود جالباً المعلومات والرسائل بأن البلشفية تكافح من أجل البقاء . ولما تواصل التدفق المعلوماتى ، تحقق المهاجرون أيضا من قضية استغلال هذا الرجل الجديد من أجل إنشاء وإقامة مركز سياسى أقوى .

وتم تقديم إنتاج الشبكة إلى جهاز المخابرات البريطانية السرية ووكالات المخابرات الغربية الأخرى . لقد كانت لحظة حظ وسعادة .

أما وقد تعرضت المصادر الخاصة بجهاز المخابرات السرية البريطانية ، فقد صار « كامينج » منجذباً صوب الفرص المغرية التى عرضها « ياكوشيف » . وكان فريق يطالب بتوخى الحذر ، وكانوا على يقين من أن أجهزة الاستخبارات البولندية والفرنسية والفنلندية جميعها قبلت مصداقية « ترست » وصارت « ترست » هذه المصدر الخصوصى للغرب لتزويده بالمعلومات الاستخبارية الموثوق فيها حول الأحوال داخل روسيا ، وهو أمر طرحه الروس البيض وأكده « بويس » .

على أية حال فإن « باكوشيف » الذى كان مجهولاً لدى أهل المنفى ، تم إلقاء القبض عليه ، قبل أشهر من وصوله إلى « تالينين » وزجوا به فى السجن فى « لوبيانكا » ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد أن يقنع « دزرزنيسكى » بمهارة أن يقنع المهندس ليصبح عميلاً من البلاشفة . وكان « دزرزنيسكى » يسعى إلى اختراق المنظمات الروسية البيضاء التى كانت تتآمر للقيام بثورة مضادة فى الغرب .

وبالنسبة إلى المكتب السياسى السوفيتى ، بدا مليون روسى فى المنفى ، وبخاصة البقايا المنظمة التابعة لجيش « دينيكين » تمثل تهديداً محتملاً . وكانت أسباب وجيهة تثير مخاوف القيصر من أن هؤلاء القوم الذين يعيشون فيما وراء الحدود يدبرون عمليات التخريب وإثارة الفوضى داخل روسيا .كتب « ف . تريياندافيلوف » ، أحد كبار مسئولى جهاز مخابرات الـ « تشيكا » عام ١٩٢٢ يقول : « إننا بصدد مراقبة روسيا الثانية هذه » . وكانت تكتيكات الـ « تشيكا » مماثلة لتلك التكتيكات الخاصة بجهاز مخابرات « أخرانا » الذى كان يعمل فى عهد القيصر . والشخص الذى أسس البنك ومؤسسة « ترست » هو « فيليكى دزرزنيسكى » من أجل اختراق جماعات المنفى .

كان الهدف الرئيسي للمستر « ياكوشيف » هـو « بوريس سافينكوف » الذى كان قد دعم « البارون بيوتر رانجيـل » ، وانضوى تحت لوائها ١٥,٠٠٠ ـ ٢٠,٠٠٠ رجل ، وقادها الجنرال « اليكسندر كوتيبيوف » . وأخـذ « لويتبيوف » يدرب المهاجرين صغار السن للعمل العسكـرى ضـــد الشيوعين والأنشطـة السريـة داخل روسيا . وفى أثنـاء ١٩٢٣ ، تقابل « ياكوشيف » بصورة دورية مــع « كويتيبوف » ، وأقنع المهاجر بأهمية مصادر « تـرست » وطور تدريجيـاً علاقات جيـدة ووطيدة مع بوريس ســافينكوف . وبحلول عام ١٩٢٤ ، حينما أصبح الــ « ترست » المصدر الرئيسى لجهــاز المخابرات السرية البريطـانية لاستقصاء المعلـومات ، تلقى « ســافينكوف » سلسلة من الـرسائل نتيجة لاتصالاته داخل روسيا قالت بأن الأحوال صارت مثالية للانقلاب المضــاد ، وأن الـ « ترست » استطاع حشد شبكة مسلحة وذات نفوذ ضد البلاشفة .

وقبل « سافينكوف » الدعوة بعد اجتماعه مع « بويس » وارتحل مـع « ياكوشيف » إلى الحدود السوفيتيـة . وبعد العبـور ، سرعان مـا تم إلقاء القبض عليــه . كما وصلت أخبـار القبض عليه واعترافـاته بـالتجسس أمام محكمــة صوريــة إلى الغرب سريعـاً . ونظمت السلطات المقابلات الصحفية معه للصحفين القادمين من أوروبا الغربية إلا أن ظـروف القبض عليـه لم يتم الكشف عنهـا . وبعـد ستـة أشهـر من محاكمتـه ، أعلن السوفيت عن انتحاره فى سجن « لوبيانكا » .

عصفت الأخبار السيئة بـ « سيدنى ريللى » إذ كان قد باع بنجاح لجهاز المخابرات البريطـانية فى العــام الماضى رســالة كتبهـا على مــاقيل « جريجورى زينـوفيف » ، إلى أعضـاء الحزب للإعداد من أجل الثورة ضد الحكـومة البريطانية . وتأكد المستر كامينج من صدق وحقيقــة الرسالــة ، وكذلك وزارة الخارجية ورئيس الـوزراء الذى ينتمى إلى حزب العمــل البريطانى ، ثم تم نشر الـرسالــة فى صحيفة الـ « ديلى ميـل » مما أدى إلى اكتساح حزب المحافظين الانتخابات وصلوا إلى الحكم اعتماداً على العداء المستحكم ضد الشيوعين .

وفى حقيقة الأمـر ، كان الخطـاب مزوراً وأكد القنــاعة السـوفيتية بأن المخــابرات السرية البريطانية وراء هذه الخيانة . وسحقت نشاطات « ريللى » حينما عرف بالقبض على سافينكوف واعترافاته . وشن بعـد ذلك كبير رجال الجاسوسية « ريللى » على مدار

سبعة أعوام ، شن حرباً ضارية وخطيرة ويبدو أنها كانت غير ذات جدوى ضد الشيوعيين ، مما أدى إلى استنفاد واستنزاف الثروة استنزافاً مخزيا .

وفى أوائل عام ١٩٢٥ كتب « بوليس » يقترح أن يضطلع بعملية أخرى داخل روسيا ، فكان « ريلى » آنذاك متردداً على نحو غيرمحدد فلم يرد . وأخيراً سافر إلى فرنسا فى أعقاب العديد من التوسلات والتضرعات لمقابلة « بوليس » .

وكشف رجال المخابرات السرية البريطانية بعضاً من المعلومات التى شكلت مصدراً للتعذيب ، وكانت تستحق مع ذلك التحرى بشأنها ومصداقيتها وكانت تتعلق بوجود عداء دموى فى الكريملين عشية وفاة « لينين » .

وعلى الرغم من أسر « سافينكوف » إلا أن « بوليس » أخبر « ريلى » بقناعته أن « ترست » بمثابة « الحركة ذات القوة والنفوذ الهائل داخل روسيا » وكان يريد التيقن إذا كانت المنظمة لاتزال موضع اعتماد ام لا . وحث « بوليس » المستر « ريلى » للقيام باتصالاته المبدئية مع ممثلى « ترست » فى هيلسنكى مستخدما المساعدات والجهود الطيبة التى قام بها مساعده الجديد ، السيد « هارى كار » .

وفى ٢١ سبتمبر ١٩٢٥ ، وصل « ريلى » إلى هلسنكى واجتمع مع « احد الشباب الأذكياء جداً الغيورين على مصلحة العمل » ، وهو الذى قدمه إلى « نيكولاى بوناكوف » ممثلاً عن « الترست » .

وبعد ذلك بأيام ، تبددت أية شكوك كان من المحتمل أن تساور المستر « ريلى » . وكتب ذلك الجاسوس رسالة إلى زوجته قال فيها : « ثمة شىء جديد للغاية وفى منتهى القوة ويستحق التنبه إليه يحدث الآن فى روسيا ، واختتم الرسالة قائلاً : إننى بصدد المغادرة اليوم ، إذ ليس هناك أدنى خطر على الإطلاق .

وبعد توديعه المستر « كار » سافر إلى الحدود السوفيتية لمقابلة مجموعة قدموا أنفسهم على أنهم روس بيض . ووصفت الجماعة التى كان يتزعمها « ياكوشيف » مدى القوة والنجاح الذى وصلت إليه « ترست » واقترحت سفر المستر « ريلى » لمدة ثلاثة أيام إلى موسكو لمناقشة الخطط مع زعماء « ترست » .

واختفى « ريلى » الذى كان يصاحبه بعض المرشدين ، عبر نهر « سيستوى » إلى داخل روسيا . وبعد ذلك بأسبوع ، كتبت صحيفة « إزفيستيا » تقاريراً صحفية عن اعتراض وموت ثلاثة عملاء على الحدود الروسية الفنلندية . وبعد ذلك بثلاثة أشهر ،

أعلنت صحيفة « التايمز » عن وفاة المستر « ريلى » .

ولقد كانت وفاة « ريلى » بالنسبة إلى المستر « سى » ، وجهاز المخابرات السرية البريطانية بمثابة المفجعة للعصر الذهبى للاستخبارات ، والأسوأ من ذلك أنه أفضى إلى تشويه سمعتهم وضياع مصداقيتهم فى كل من وزارتى الخارجية والحربية .

وبناء على الافتراض بأن الـ « تشيكا » أو « او جى بى يو » (وهو الاسم الجديد للمخابرات الروسية الذى حل محل جهاز استخبارات « تشيكا »)عرفت من « ريلى » معلومات كافية من شأنها إفساد جميع عمليات المخابرات البريطانية فى روسيا ، ثم نقل المستر « بوليس » بسرعة إلى « تالينين » ثم تقاعد بدون توجيه الشكر له . أما خليفتـــــه فى « هيلسنكى » فقد عينه مستر « سى » الجديد .

وكان نجم المستر « كار » قد ارتفع فى عالم الجاسوسية عن طريق عمليات الغش التى كان يقوم بها ضد السوفيت . واستطاع السوفيت عن طريق جهاز مخابراتهم الجديد « أو ـ جى ــ بى ـ يو » أن يخترقوا عمليات جهاز المخابرات السرية البريطانية ليس فحسب داخل روسيا ولكن أيضاً فى جمهوريات البحر البلطى وفنلندا وفرنسا .

أما ثواب « دزرزنسكى » فقد تمثل فى المزيد من الاستخبارات ، ليس هذا فحسب ، بل وأيضاً المال . ذلك أن كثيراً من المال المدفوع الذى قدمته أجهزة المخابرات الغربية إلى « ترست » تم استخدامه فى تمويل الكثير من عمليات جهاز « أو ـ جى ــ بى ـ يو » الأخرى وكان الدرس القاسى الذى تعلمه « كار » هو أنه لم يضع ثقته فى أى مخلوق .

واستثار السوفيت الخوف ، وكانت أجهزة مخابراتهم فى حاجة إلى اكتساب الاحترام . وبالنسبة إلى « كار » كان الأمر يتطلب السرية ، كما أن ولعه بالسرية أدى إلى التسبب فى سلسلة من أعمال السخرية منه ، ذلك أن رفاقه وزملاءه جعلوا يسخرون من هذا التصرف . لكن « كار » ظل منيعاً حصيناً ضد بذاءاتهم .

كان الاعتماد على المهاجرين يكلف الكثير ، وأصبح المهاجرون ومن بعدهم جهاز المخابرات السرية البريطانية مهتمين وشغوفين إلى الاستماع إلى معلومات تؤكد رغباتهم ونزعاتهم ، ولكنهم جميعا سقطوا ضحايا حمقى لخداع الذات . وضاع الأمر وكذلك الدروس النافعة التى كان يتعين أن يفيدوا منها .

ولحقت السمعة السيئة جهاز المخابرات السرية البريطانية وقيل : إنه الهواة متفكك

ومشوش ، يفتقد إلى المقـدرة على تحليل المعلومات الاستخباريـة التى يتلقاها أو تحليل صدقها أو عدم تلاعب وخداع مصـادرهـا . وهكذا فقد وقع على الجيل الجديد مهمة بناء الشبكات الجديـدة بناءً كاملاً ليكـون خاليا من أيـة صلات بالمصادر المطعـون فيها . وبذلك لم يكن يساور المسـتر « كار » الشك شأنه فى ذلك شأن ضباط المخابرات السرية البريطانية حول أهميتهم وخطورة شأنهم .

وكان بين أفراد خلية ضباط جهاز المخابرات البريطانية السرية المجندين مع المسـتر « كار » ، المسـتر « هارولد » والمستر « ارش جيبسـون » وكلاهما صارا صديقين حميمين له . وأصبح « هارولد » رئيساً لمحطة فى بخاريست وبراغ وعهد له بتشغيل وإدارة أكثر الجواسيس نجاحاً داخل الاتحاد السوفيتى إبان زمن الحرب .

وعمل المسـتر « أرشى » فى المقر الـرئيسى لجهاز الاستخبـارات البريطانيـة السرية أولاً فى « وايتهـول كـورت » ثم بعد ذلك حينما تـم تحويله إلى « بـرودواى » فى سـانت جيمس . أما المجمـوعة الثـانية فهم الأخوة « سيليم » الـذين امتلكوا مصنعـاً للجعة فى استونيا ، على الحدود مع روسيا وفنلندا ، كما عمل فى « ريجا » .

والثالث هـو القائد « ويلفريـد دندرديل » المولود عـام ١٨٩٩، الذى اتخذ أولاً من القسطنطينية مقراً لـه ثم باريس واستطاع بـالتعاون مع أجهزة المخابـرات الغربية أن يقوم بأعمال كثيرة . وغذى من هذه المجموعة « كويكس سينكلير » الذى عرف عبر لندن بأنه رجل « معادى للبلاد عداء هائلاً » .

وفى كلمة ألقيت فى ٦ مايو ١٩٢٥ ، حدد ستالين بصراحـة بريطانيا على أنها الدولة المثيرة والمتسببـة فى التـدخل ، وأن امبراطـوريتهـا لاتـزال تحيط بـربع أراضى الكـرة الأرضية ، وأنها العدو الرئيسى والأول لروسيـا . غير أن « سنكلير » عانى من الإعاقة . وعلى الـرغم من أن رجـاله الـذين جنـدهم كـانـوا مخلصين ، إلا أن جهاز المخـابـرات البريطانية ، لم يستطع التفوق على أجهزة الاستخبارات الروسية العملاقة .

وفى عام ١٩٢٧ ، انفجرت ازمة جـديدة فى العلاقات الانجليزية السـوفيتية وكانت القضيـة هى تجديـد معاهـدة التجـارة ، وهى المعـاهدة التـى طالب معظم السـاسـة المحافظين بإلغائها . وكشفت المناقشات البرلمانية عـن تركة ثقيلة من الشكوك والريبة . وحدث عشية العثور على خطاب « زينوفيفا » الذى كانت مصداقيته لم تفقد بعد ، طالب السـاسـة البريطانيون بإيقاف العلاقات الثنائية عقاباً على التخريب الشيوعى .

وفى الكـريملن اقتنع ستـالين ومستشاروه من أن التـوتـر النـاشب من الممكن أن يصبح مقدمـة فحسب للتدخل الجديد أو حتى الحرب . وتضـاعفت مصـادر القلق كما حـدث فى الأشهر الأولى من ذلـك العام ، حيث شـهـد زيـادة مفاجئـة فى الأنشطـة التى خططتها أجهزة الاستخبارات البريطانية .

وفى مايو ١٩٢٧ ، شنت « سكوتلاند يـارد » غارة ضد « اركوس هاوس » فى لندن ، وهو مقـر الوفد التجارى السـوفيتى الذى حامت حولـه الشكوك بأنه مركـز التخريب الذى تنفذه أجهـزة « او - جى - بى - يو » للاستخبـارات السوفيتية . وفى وقت لاحق ، زعم المسئولـون الروس أنهم رعايـا لأعمال البحث والتحرى والاستقصـاء الشخصية المهنية .

وردت الحكومة البريطانية بأن عمليات الاستخبـارات الروسية كشفت عن الدولة المدينـة وكيف أن الـ « كـومنيتيرن » يتـآمـر لإحـداث تشـويـه مستـديم عبر أرجـاء الامبراطوريـة . وبعد ذلك بتسعـة عشر يوما ، قطعت الحكـومة البريطانيـة رسـمياً العلاقـات ، وهو أمر شجع المخابـرات السرية البريطانيـة على العودة إلى شن هجماتها وتنفيذ عملياتها .

وحدث فى نفس ذلك الأسبوع أن عبرت مجموعة من ستة رجال ونساء ، هم أعضاء فريق المكافحـة التابع للمستر « كويتوف » عبرت بمسـاعدة المستر « كار » الحدود من فنلندا إلى روسيا . وانقسم الفريق الذى كـان مسلحاً ومزوداً بالمتفجرات إلى مجموعتين شقتا طريقهما صوب موسكو ولينينجـراد . وكانت نواياهم هى قتل المسئولين العاملين فى جهاز المخابرات الروسية المعروفة باسم « او - جى - بى - يو » بنفس روح التفاؤل التى كانت محركـاً للعمليات السابقـة التى قامت بها أجهزة المخـابرات السرية للـدولة البريطانية .

وفى أعقـاب زرع القنـابل التى راح ضحيتهـا الكثير مـن أرواح العـاملين فى الاستخبارات السـوفيتية فضـلاً عن المدنيين الأبريـاء ، لقى ثلاثـة عملاء مصرعهم فى كمائن غير أن البقية عادت .

وبعد ذلك بفترة وجيزة ، تم اغتيـال السفير السوفيتى فى بولندا « بـافل فويكوف » وهو أحد البلاشفة الذين تردد تورطهم فى اغتيال القيصر وعائلته ، وذلك أثناء تجوله فى أحد شوارع وارسو . واقتنعت مخابرات « او - جى - بى - يو » بأن البريطانين هم الذين

كانـوا يدبرون مـؤامرة أخرى معـادية للسوفيت وشنـوا مكيدة لأسر ما أسمـوه أفراد الطابور الخامس .

وقالت الصحف السـوفيتية أن حوالى مـائتى عميل بريطاني وبـولندى تم القبض عليهم وأن فريق أجهـزة المخابرات البريطـانية كـان يتفقد المنشآت العسكـرية فى دول البحر البلطى تـوقعاً لحدوث انفجار مـا . وفى الأسابيع الأولى من يونيـة ١٩٢٧ ، بدت شكوك الكريملن لها مايبررها للمرة الثانية .

وأرسل « كمويبـوف » أربعة فـرق أخرى من رجال حـروب العصابـات ، تشجعاً بـالنجـاحـات الأولى المتحققة ، أرسـل بهم عبر الحدود الفنلنديـة لاغتيـال المسئـولين الشيوعين . وبحلول شهـر أغسطس ، كان معظم المغيرين (أفراد الغارة) قـد تعرضوا إمـا للقتل أو الأسر . وأكدت السلطـات السـوفيتية فى مـوسكـو ــ التى تولت سلسلـة المحاكمات ــ أن هؤلاء الـرجال تلقوا المسـاعدات من أجهـزة الاستخبارات البريطـانية والبولندية .

وقال نائب رئيس مخابرات الـ « او ـ جى ـ بى ـ يو » ، فى أحد المؤتمرات الصحفية غير المعتـادة . إن هذه المؤامـرة وواضح أن ليس لها جـذور داخل اتحاد الجمهوريـات السوفيتيـة الاشتراكية ، وأضـاف الرفيق « يوجـودا » : « وإنما هى بمثابـة تنفيذ لتلك المهمـة التى تم تكليف المخـابرات البريطانيـة بها وكـذلك أنصـار القياصرة فى خـارج روسيا » .

وكان صوت « يوجودا » بمثابة التقييم المعقول لتصرفات أعداء الشيوعية ولم يكن صوتـاً يعبر عن جنون العظمة غير المتعقلـة . وأقنع الكريملن الحكـومة الفنلنديـة ـ فى محاولة منـه لإزالة التهديد ــ بطرد ممثلى القوات الأجنبيـة من هلسنكى ، وشن عملية اختراق ثانية اتخذت من « الـ : ترست » كنموذج لها .

وتم اختطاف الجنرال « كويتبوف » بعد ذلك بعـامين فى باريس واختفى للأبد . أما خليفتـه الجنرال « يفجينى ميلـر » فقـد لقى نفس المصير بعد ذلك بعشرة أعـوام ، إن اختطاف « كويتبوف » عرض جهاز المخابرات السرية البريطانية للمرة الثانية للفشل فى الحصـول على معلـومات ذات جـودة وقيمـة داخل الكـريملن والجيش الأحمر ، وهى المعلومات التى كانت الحكومة البريطانية تتوقع الحصول عليها .

ولقـد حـرضت السفـارة البريطـانيـة فى « ريجا » جهـاز الاستخبـارات السريـة

لجمهورية لاتفيا ، أن تقدم خدماتها على نحو فعال لأجهزة الاستخبارات البريطانية السرية .

وتلقى « جون لوراتن » السكرتير الأول تقارير دورية من كبار المسئولين والقادة العسكريين ، إلا أن هذه التقارير فى جملتها التى قدمت إلى الساسة الشغوفين فى لندن فشلت فى شرح نوايا ستالين . أما سبب الفشل فهو الفكرة البائسة القائلة بأن جمع الاستخبارات والمعلومات يعتمد ببساطة على الاقتراب من الهدف أو يعتمد فى زمن الحرب على إرسال العملاء والزج بهم عبر الحدود .

ولما كان ليسلى نيكسون قد أرسل بمصادر مخابراتية بريطانية إلى « ريجا » بالقرب من روسيا ، فقد كان هذا أمر يبعث عن انتظار النتائج ، غير أن هذه المصادر لم تقدم سوى القليل عما يحدث من وقائع داخل الكريملن . وفى حقيقة الأمر ، على الرغم من أن نيكلسون قد سخر فيما بعد من هؤلاء العملاء ، إلا أنه ظل زبوناً مواظباً فى تلقى عروضهم .

ولم يتغير سوى القليل أثناء السنوات العشر التالية . ففى عام ١٩٣٧ ، عبر السفير البريطانى فى موسكو الذى كان قد منع المخابرات البريطانية السرية من تعيين ممثلا لها فى السفارة لأن هذا سيؤدى إلى الإضرار بمهمته ، عبر عن إحباطه لوزارة الخارجية البريطانية ، وقال حيث أن الروس لايجرءون على زيارة السفارة ، فإنه لم يتلق « أية معلومات وصارت أحوال البلاد أمراً غامضاً للغاية » .

وفى أكتوبر ١٩٣٨ أبلغ السفير مرة ثانية أنه من المستحيل الحصول على أية بادرة مما يتم مناقشته داخل أسوار (الكريملن) . أما محطة المخابرات البريطانية السرية فى « ريجا » فقد نجحت نجاحاً ضئيلاً فى ذلك . وفى عام ١٩٣٨ ، انضم إلى نيكلسون مساعد جديد لضباط مراقبة جوازات السفر وهو « كينيث بينتون » الذى نجا بأعجوبة من القبض عليه من جانب الجستابون الألمانى أو (البوليس السرى النازى) بسبب تجسسه فى فيينا .

وقال بينتون : إن تقارير رؤسائه إلى لندن التى جاء فيها أنه وزوجته قد انكشف أمرهما ، ماهى إلا تكرارات غير ذات قيمة عن القيل والقال والشائعات والمقالات الصحفية . وكان بينتون مدرساً سابقاً ، وكان يلقى باللائمة على نقص التدريب .

وكان كل من بينتون و « كار » قد تلقيا شأنهم فى ذلك شأن المجندين الاخرين

تعليمات روتينيـة وتعليماً غير كامل فى الاتصـالات ، والاكـواد والشفرة وغيرهـا إلا أن الاغلبية تعترف وتقـر بأنهم تولوا أعمالهم ومنـاصبهم وهم لايزالون جهلـة بحرفتهم والمهنة الخطـرة التى يعملون فيها . وكتـب نيكلسون يقول : « إن أحـداً لم يعلمه كيف يصبح جاسوساً ، وعقد الاتصالات مع الخبراء والحصول على المعلومات منهم بدون أن يشعروا » وذلك بعد عودته من « ريجا » .

والحقيقة هى أن أولئك الـذين ينتظرون تعلم هذه المهنـة التى هى بمثابة الغـريزة غالبا ما يكون مآلهم الإخفاق ، ويصبحون غير مناسبين للعمل فيها . بل فضلاً عن ذلك هى مهنة المخـاطر حيث أن الاحتيـاطات الأساسيـة ربما يتم تجاهلها عنـد حد معين . وعندما تم إخلاء السفارة البريطـانية عام ١٩٤٠ ، كشف الوكيل المسئول ذو الجنسية « اللاتفيه » المعروف باسم « تونى » كشف عن أن رؤساءه الحقيقين إنما هم كبار رجال الاستخبارات الألمانية .

وكانت هلسنكى قـاعدة استثنائيـة لأجهزة المخابـرات السرية البريطانيـة ووفرت للمستر « كار » الفرصة لبناء مجده وشهرتـه وسمعته . ذلك أن علاقاتها التاريخية مع روسيا واتساع رقعة حدودها المشتركـة البالغة ألف ميل سمحت لأجهزة الاستخبارات التى تتخـذ من فنلندا قاعـــــدة لها أن تتمتع بـالفرصـة الفريـدة فى اختراق جارتها السوفيتية .

وكان المصدر الرئيسى للسيـد « كار » هو أجهزة المخابرات العسكـرية الفنلندية ، التى كان ضباطها يتلقون التدريبات على مدار مـايزيد على القرن من الزمان على أيدى الـروس ، وهو أمـر وفر البصيرة الضروريـة وحسن النظر والتـدبر فى الاستـراتيجيـة الروسية . وكـان من طبيعة المخابرات البريطانية وعمليـاتها التى اعتمدت على استعارة وشراء المعلومـات من الدول المستضيفـة والمجاورة وبخاصـة الدول ذات الاهتمام بما يجرى فى روسيا ، وتكون لها المقدرة على قراءة الأحـداث، الأمر الذى يجعل من مصـادر معلوماتها الثقة والدقة والحدة اللازمة .

وبـذل « كار » قصـارى جهـده لتطـوير وتنميـة التفـاهم مع كل مصـدر ممكن للاستخبـارات فى هلسنكى عن طريق توطيـد صلاته والفـوز بالحظوة عنـد الفنلنديين العاملين فى أجهزة الاستخبـارات العسكرية والعامـة الفنلندية ، وبخاصـة أولئك الذين كانت لديهم الاستعدادات الكـافية للمساعدة والعون . ولقد أهله لـذلك تحدثه الروسية

والسويدية بطلاقة وإتقان لعبة التنس وبخاصة استعراض التقاليد البريطانية العتيدة . ولقد كان الفنلنديون أعداء للسوفيت ومتعاطفين مع الألمان .

أما مساعد المستر « كار » واسمه « ريكس بوسلى » فقد كان يتحدث اللغة الفنلندية بطلاقة ، وهى إحدى أصعب لغات العالم قاطبة ، وصار صديقاً لمعظم الوزراء الحكوميين وعضواً فى الجماعات « الماسونية » الدولية مثل كبار قادة أركان الجيش والعسكرية الفنلندية .

كان « بوسلى » نقيضاً للمستر « كار » حيث كان « بوسلى » عياساً يحب الانطلاق وبهجة الحياة ويعشق الانغماس فى ملذات العيش .

وكان من بين العملاء السريين سلسلة متعاقبة من القوميات الأكرانية يتزعمهم « ستيفان ناتديرا » الذى أسس معه المستر « كار » علاقة قوية صارت زاداً له بعد ذلك فى أعقاب عام ١٩٤٥ .

وعلى خلاف « كار » لم يكن « بوسلى » يستطيع إخفاء نواياه . وكان عند تقديمه نفسه فى الحفلات ، يرفع من ياقته ، ويرشق الناس بنظراته ، ويخفض من صوته ، ويقول لمحدثيه : « لاتخبرن أحداً .. بأننى جاسوس خطير » . وكانت تلك تمثيلية محببة ، فصار يكررها وأضحى امتناعه عنها عسيراً عليه ، حتى أنه فى عام ١٩٦٤ ، حينما زار « خورشوف » النرويج قدم نفسه للزعيم السوفيتى على مائدة العشاء قائلاً : « يسعدنى تقديم نفسى إليكم .. أنا عضو فى أجهزة المخابرات السرية البريطانية » .

وجعل ثلاثتهم : المستر « كار » والمستر « بوسلى » وسكرتيرهما « إيلين داجيت » يفاخرون بأنهم كانوا المصدر الأكثر كفاءة لاستيفاء المخابرات البريطانية المعلومات منهم وبخاصة حول الاتحاد السوفيتى . وكانت هلسنكى أكثر محطات المخابرات البريطانية نجاحاً أثناء السنوات المفضية إلى اندلاع ونشوب الحرب العالمية الثانية ، وكانت بذلك تغنيهم عن إرسال سلسلة متعاقبة من العملاء غير المعتمد عليهم عبر الحدود لجمع معلومات قديمة من الفنلنديين .

وفى عام ١٩٣٩ ، فشل جهاز المخابرات البريطانى فى التنبوء بالكثير من الأزمات ، ليس أقلها توقيع « حلف مولتوف ــ ريبينتوف » فى موسكو فى ٢٣ أغسطس ، غير أنه بينما كان إخفاق مخابرات بريطانيا فى روسيا لايرجع إلى عدم المحاولة ، نجد أن الفشل فى ألمانيا نسب إلى النقاد الذين هاجموا الخوف المرضى من روسيا لدى أجهزة المخابرات

السرية البريطانية ، والخلافات الناشبة بين رؤساء أقسامها .

ولقد برهن توقيع المعاهدة الانجليزيــة الفرنسية مع هتلر فى ميونخ فى سبتمبر عام ١٩٣٨ بشأن استسلام تشيكوسلوفـاكيا ، برهن للكثيرين على أن « تشمبرلين » سوف ينظر عند ظروف معينة فى تحالف غير مكتوب مع هتلر ضد البلاشفة .

وفى الأسابيــع التاليــة لعودة رئيس الـوزراء البريطانى إلى لنـدن مادحــاً ومشيداً بجهـوده الخاصة فى تأمين « السـلام فى هذا الـزمـان » اقترحت الحكومـة السوفيتيـة للبريطانيين والفـرنسيين احتمال القيام بعقد اتفـاقية مسـاندة وتدعيم مشتركـة ضد الألمان . ولما كان هناك كم كبير من عدم الثقة فى النوايـا الروسية ، نجد أن الإجابة كانت غير مشجعة .

واعتقد « تشمبرلين » بوضوح أن الاتفاق مـع هتلر مقدم ومفضل على أى اتفاق مع ستالين . أكثـر من هذا ، كانت الضغـوط الممارسة من جانب مـوسكو لعقد منـاقشات مفضية إلى اتفاق ، تتطلب استجابــة رداً ، وأرسل تشمبرلين إلى روسيا بناء على المطالب السوفيتية الملحة ، بطريق عسكرى لعقد المفاوضات .

واقتنع تشمبرلين بأن ستـالين كان يأمل فى نشـوب حـرب بين بريطـانيا وألمانيـا يخرج منهـا السـوفيت سالمين ويبرزون كقـوة ، فأرسل وفـداً على مستـوى منخفض التمثيل غير ذى تأثير ، سافر عن طـريق البحر فى رحلة بحرية من أكثر الـرحلات بطئاً وبدون أية سلطات تخولهم الاضطلاع بمناقشات جديدة .

ولما تدبر فى سياسات العلاقات الانجليزية السوفيتية على مدار السنوات العشرين الماضية ، استنتج ستالين أن البريطانيين لم يسلوا بعد اشتياقهـم للإطاحة بالبلاشفة . ووردت تقارير دقيقة من أوروبا تصف زيـارة دوق وندسور المبهجة السارة إلى هتلر وعقد المباحثـات على مستوى عال بين « جويـرنج » والشخصيات البريطانيـة لصياغة اتفاقية مضادة للـ « كومينترن » .

وبالنسبــة إلى ضباط المخابـرات البريطانية ، الـذين كانوا فى معظمهم يشـاركون وجهة النظـر التى قالت بها الحكومــة من أن أكثر أعداء بـريطانيا إنما هم الشيـوعيون وليس النازيين ، وهكذا كان الحكم الذى توصل إليه ستالين صائباً . غير أن البريطانيين وأجهزة استخباراتهم أخطأوا حينما تجاهلوا مقدرة ستالين على أن يبرز ويفوق أعداءه ويبرم سياسة تأمين مع هتلر .

وفى أثناء عقد المفاوضات الروسية الألمانية فى الكريملن ، افترض وزير الخارجية الألمانى « فون ريبينروب » أن اعزاء ستالين بعقد وإبرام تحالف مع أعدائه الآخرين الألمان ، كان بمثابة الفرصة غير المتوقعة للاستيلاء على تلك الأراضى الواقعة بطول الحدود الروسية الغربية ، وهى التى تخلى عنها « لينين » فى معاهدة السلام الشهيرة المعروفة باسم « بريست ــ ليتوفسك » عام ١٩١٨ ، وتشمل تلك الاراضى كلاً من البلدان الآتية روسيا البيضاء « بيلوروسيا » وأكرانيا ودول البحر البلطى .

واقترح « فون روبينتوب » أن تعيد روسيا ضم معظم هذه الأراضى حالة اندلاع الحرب الألمانية مع بولندا .

أما المفاوضون البريطانيون الذين أخذوا نصب أعينهم التعهدات البريطانية على مدار العشرين عاما السابقة على حماية الاستقلال الجديد للدولة الواقعة على البحر البلطى ، فقد عرضوا فحسب إمكانية النفوذ السوفيتى وليس فرض السيادة الكاملة .

واستمسك ستالين بالعرض الألمانى ، وشرب الشمبانيا نخب تحالفه مع الألمان وودع الألمان أحر الوداع لدى رحيلهم ومغادرتهم إلى برلين عائدين لبلادهم . وبعد ذلك بعشرة أيام ، غزا هتلر بولندا وبعد شن الهجوم الخاطف الألمانى « بليتز كريج » غير المسبوق ، أصبحت روسيا وألمانيا مشتركتين فى الحدود المشتركة . أما بريطانيا وفرنسا فقد أعلنتا فى نفس الوقت الحرب ضد ألمانيا .

واكتسبت محطة المخابرات البريطانية فى هلسنكى أهمية جديدة فى سبتمبر ١٩٣٩ ، وكان ستالين لايثق فى حلفائه الألمان الجدد ، وشرع سراً فى عقد المفاوضات فى هلسنكى لإيقاف الزحف الألمانى عبر فنلندا وحماية البحر البلطى الذى سوف يؤدى تلغيمه إلى شل الأسطول الروسى فى « كرونستاد » غير أن الفنلنديين رفضوا العرض الروسى الخاص بتقديم المساعدات العسكرية وتحصين الجزر الكبرى الواقعة على البحر البلطى ومداخله ، وزعموا أن أى اتفاق من هذا القبيل سوف يضر بحياد دولتهم . غير أن ستالين لم يأبه لذلك ، حيث أفضى لهم بأنه عندما تنشأ الضرورة ، فإن هتلر لن يحترم أى حياد لفنلندا .

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٩ ، وفى أعقاب انتهاء المفاوضات ووصولها إلى طريق مسدود ، أصدر ستالين أوامره بشن قصف مدفعى ودك صاروخى محدود للمناطق الساحلية الفنلندية ، وشن غارة جوية على العاصمة وإرسال الجيش السابع للاستيلاء على

لسنكى . وتـوقع الزعيـم السوفيتى تحقيق النصر فى غضـون أسبـوع واحد . وكـان شاركه تفـاؤله الليفتنانت كولونيل « فـالى » الملحق العسكرى البريطانى فى هلسنكى ، ذى كان يقدم معلومـات ضئيلة عن الجيش الأحمر ، واستبعد احتمال بقاء الفنلنديين مام الغزو لما يزيد على الأيام القليلة .

أما « كار » فقد كانت له وجهة نظر أخـرى ، حيث تأثرت عواطفه مما كان يكنه من ب وتقدير للفنلنديين ، ولم يكن يأبه كثيراً لاعتبارات التكتيكات العسكرية التى لم يكن فهم منها كثيراً . وكتب يقول : إن « فالى » قد أساء الحكم على الحقائق الخاصة بالقتال ى بقاع درجـة الحرارة فيها تبلغ الأربعين تحت الصفر ، وفى تلك الظروف تكـون الميزة التفوق للجودة النوعية وليس للضخامة العددية أو الكم الجرار .

وأمضى « كـار » يقول : إنـه لن يكون ثمـة انتصار كـاسح والحالة هكـذا وجعل راقب حركـة القتال وأرسل المعلـومات العظيمـة حول تكتيكـات الجيش الأحمـــر ، تسلحه ، وقيـادته ، وقـدراته ، ذلك أن الحرب المعلنـة ليست أقل من استعـراض عام لتفصيلات العسكريـة التى تصبح فى زمن السلم أسراراً مطبقة التكتم .وبلغت خسائر لجيش الأحمر حوالى ٢٠٠,٠٠٠ مابين قتيل وجـريح وفقا لتقارير رجـال العسكرية ، ضلاً عن استخبارات المستر « كار » التى اتفقت كلها حول هذا الرقم .

ولما انهار التقدم السوفيتى ، بدأت حكومة تشمبرلين فى تغيير توجهاتها . ومن هنا كتب السير « أورمى سـارجنت » نائب وكيل وزارة الخارجيـة البريطـانية ، يقـول : إن ريطانيا لم تعلق أى أهمية حقيقية على الوجود المستمر لفنلندا ، غير أن هذا التقييم تغير أن بريطانيا الآن تريد استغلال الفرص الخاصة بقتال فنلندا ضد روسيا .

وهذه بمثابة اللحظة المهمة بالنسبة إلى « كار » وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت فى حالـة حرب مع ألمانيـا ، إلا أنه كـان يعمل فى دولة تحارب وتقاتل مـن أجل الحفاظ على جـودها ضـد روسيـا . ولم يكن وحيداً فى الشعـور بإحيـاء الحروب الصليبية ضـد لشيوعيـة . إن السير « بول ديـوكس » وصل إلى هلسنكى نيابـة عن جهاز المخـابرات لسرية البريطانية من أجـل قياس فرص الدعاية المناهضـة ضد روسيا وحتى من أجل ستكشـاف إمكـانية أن يقـوم الفنلنـديـون بإلحاق الهزيمة المنكـرة بـالجيش الأحمر احتلال « لينينجراد » .

واعتقد الضباط العسكريون والاستخباريون الفنلنديون الذين كانوا ينصتون إلى

« ديوكس » و « كار » أن المخابرات السرية البريطانيـة وحتى الحكومة البريطانية كانوا حلفاء أشـداء وأقويـاء حيث أن كلا الضـابطين وصفـا ، بمبالغـة كبرى ، المادة الحربية الحيوية التى أرسلتها بريطانيا .

وبـالنسبة إلى العمل المهنى للمستر « كـار » كانت الحرب الشتـوية نعمـة وبركـة فالعلاقـات الحميمة التى تمت بين ضـابط مخابـرات الدولة البريطانيـة السرية وأجهزة المخابرات الفنلندية ، كانت بمثابة المفتاح لترقيته .

وتعرضت شبكـة استخبارات فنلنـدا للعزلـة على الصعيد الجغـراف والسياسى ، خصوصاً وكالاتها وأجهزتها المتخصصة التى كان يـديرها « رينو هالاّما » التى كانت تعد مفخـرة بين سائر الأجهزة الأخـرى . وفى أوائل الثلاثينات ، اشترى « هــالاما » من اليابـان المفتاح الخاص بفك الشفرة الســوفيتية خماسية الأرقام المستخـدمة فى الشرق الأقصى .

وفى عام ١٩٣٧ ، بدأ السوفيت فى استخدام نفـس الكود فى الحرب ، وبالتالى ، أثناء الحرب ، مما أهل الفنلنديون آنذاك كنتيجة طبيعية من قراءة الرسـائل الروسـية الخاصة بسلاحى البحـرية والمشاه . واعتبر هذا أمـراً ذا أهمية واهتمام قصوى لدى المخـابرات البريطانيـة لأنها فى عام ١٩٢٧ ، وفى أعقاب تقـديم حكومــة « بولدوين » إلى الحكـومة السوفيتية - رمـوز فك الأكواد الخاصة بالرسـائل الســوفيتية ... وذلك بغرض الإثبات أمام الشيوعين أنهم متورطون فى الأنشطة المعاديـة لبريطانيا ، كذريعة لقطع العلاقات الدبلوماسية ، مما حدا بالسوفيت إلى تغيير شفراتهم .

فكان حتماً أن يتغير رجـال الشفرة البريطانيـون ويعجزوا عن قراءة أى بـرقيات روسية إضـافية . وفى عام ١٩٤٠ انكشـف سر « هــالاّما » أمام المستر « كار » الذى شرع فى توريد نـهر دافق من المعلومات عن السوفيت إلى لندن .

ولم يكن « كار » يعلم بـأن الفنلنديين يبيعون منتجـاتهم بصفة دوريـة ومنتظمة ليس فحسب لمن يدفع السعـر الأكبر ، وإنما لأى زبون يصــادفهم ، كما أن رجال كسر وفك الشفـرة الذين يعملـون لحسـاب « هالاّمــا » استطاعـوا أيضــا فك أكواد أجهـزة المخابـرات البريطانيـة السرية . إن رسـائل المستر « كـار » إلى لندن تم فكهـا وبيعها إلى الألمان .

وكان فخراً أيما الفخر للمستر « كار » نفســه أن يعجب بتدفق المعلومات التى كان

يرسل بها إلى « برودواى » . فساورت الشكوك الكولونيل « ساموسى ماكجيل » الملحق العسكرى البريطانى الجديد الذى وصل إلى هلسنكى فى عام ١٩٤٠ ، حول الثقة الكبرى التى تبديها المخابرات البريطانية فى طول وقوة المقاومة الفنلندية ضد الروس .

وأرسل « كـار » بتقاريـره التى جاءفيهـا أنه صـار عرضـة للاعتقـاد اعتقاداً غير مسبب بأن المعلومات الاستخباريـة البريطانية حول روسيا لم تكن غالبـاً صائبة . ثمة أسباب ضئيلة للشك فى تقييم « ماكجيل » .

وفى شهـر فبراير وعلى الـرغم من القتـال الشـديـد إلا أن فنلندا هـزمت من جـراء القصف والـدك السـوفيتى العنيف والمتراكـم . وصـدر التحليل الـلاحق للمعلـومـات الاستخبارية التى جمعها الملحقون العسكريون والبحريون فى أوروبا قبل عام ١٩٣٩ يقول بأنه على الرغم من أخطائهم الخطيرة ، إلا أنهم كانوا أكثر دقة من تقديرات أجهزة المخابرات البريطانية السرية .

وافقت كل من فنلنـدا وروسيا على وقف رطـلاق النار فى ١٢ مـارس عام ١٩٤٠ . وعلى مدار العـام التالى ، صار المستر « كار » والمستر « بـوسلى » بؤرة الاهتمام الكثيف من جانب مجموعـة من المسئولين الفنلنديين المعادين للسوفيت . حيث كـانت معلومات الفنلنديين حول النوايا السوفيتية تتصف عمـوماً بعدم جدواها أو بقلة قيمتها . غير أن الذى حدث بعد ذلك هـو أن قام أحد الضباط بالجيش الفنلندى بتقديم معلـومات هامة للغاية إلى المستر « كار » فى ديسمبر ١٩٤٠ ضمنت له مكانـاً مرموقاً فى تاريخ مخابرات الدولة السرية البريطانية .

إذ سمع أن ألمانيا ، سوف تقوم بشن هجوم على روسيا فى ربيع عام ١٩٤١ . وقدم المستر « كار » تلك المعلومات وأرفق بها التقـارير الواردة من العملاء الألمان العاملين فى مدينة « ريجا » المطلة على البحر البلطى .

وقدم المستر « كـار » التقرير إلى « برودوى » واستطـاع أن يزعم فيما تلى ذلك من سنوات بأنـه حقق كسبا للمخابرات السريـة البريطانية ، وشيئاً من الاحترام والتقـدير الذى كانت تلك الوكالة فى حاجة ماسة إليه ، ولنفسه فضمن بذلك حق الترقى .

وفى يـونيو ١٩٤١ ، حينما ثبتت صحـة نبؤة المستر « كـار » وغزا الألمان روسيـا ، تحالفت فنلندا مع المعتـدى ضد الشيـوعيين . وأغلقت السفارة البريطـانية وتم تحويل هيئة العاملين إلى دولة السويد المحايدة .

الفصل الثانى

شبكات الاستخبارات فى زمن الحرب

وصل كل من « كار » و « إيلين داجيت » و « بوسلى » إلى ستوكهولم فى يونيه ١٩٤١ إلى حالة من الارتباك والتشوش . واستعرض « كار » ثقته العريضة فى النفس باعتباره ضابطاً لجهاز مخابرات الدولة البريطانية لمدة عشرين عاما من الخبرة الواسعة ، فى البلاد الاسكندنافية ، وصار يتصرف على النحو الذى يجبر أنداده وزملاءه على الاحترام .

غير أن الرئيس الأقليمى المقيم للمخابرات البريطانية فى محطة ستوكهولم . وهو المستر « جون بنشر مارتين » كان مراوغاً فى معاملاته مع الأقران كانت هيئة الرجال العاملين مع مارتين والذين يتخذون من ستوكهولم مقراً لهم ، وبخاصة فى مدينة « برجر جارلجاتان » يبلغون الخمسة من الرجال الأشداء وصار عددهم الآن زائداً ثلاثة ضباط جدد .

وأضحت العاصمة السويدية إحدى المواقع الاستراتيجية لأجهزة المخابرات البريطانية السرية لرصد ومراقبة الأنشطة الألمانية الدبلوماسية والجاسوسية ، وجمع الاستخبارات واختراق وترشيح وتمشيط العملاء المتحالفين (التابعين للدول المتخلفة) سواء الداخلين والخارجين من أوروبا المحتلة .

لم يرحب مارتن بأى تطفل أو تدخل فى سلطاته ، وبخاصة من أولئك الذين هم على شاكلة المستر « كار » الذين كانت سمعتهم داخل المخابرات البريطانية سمعة طيبة كخبير فى روسيا السوفيتية وكرجل معادى للغاية للشيوعية . وذهب « مارتين » إلى أن خبرته لم تتناسب مع الواقع الجديد حيث أن الهدف الأساسى والخاص للمخابرات البريطانية أضحى ألمانيا .

وأعرب عن شكوكه من أن « كار » سوف يعتبر قبول روسيا السوفيتية كحليف لبريطانيا أمراً شاقاً وعسير الاحتمال . وفى هذه الحالة ، تقرر أن ينتقل « كار » إلى السفارة البريطانية ليتولى منصب السكرتير الأول ، وهو ستار يستطيع تحته أن يواصل العمل كرئيس لمحطة فنلندا ويجمع المعلومات عن عدو بريطانيا الجديد .

وكان السفير البريطانى واسمه فيكتور ماليت ينتمى إلى مدرسة الدبلوماسيين الذين يعتبرون الجاسوسية خطراً ينبغى التعامل معه بكل حذر واحتراس كما كان ينظر إلى مارتين على وجه الخصوص نظرة الاحتقار والازدراء .

ومنذ عام ١٩٤٠ ، كان « ماليت » يتألم من قصر جميع عمليات الاستخبارات البريطانية فى السويد وبخاصة تلك التى ينفذها الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة ، وهو جهاز كان قد تم إنشاؤه حديثاً . وكان حماس تشرشل لهذا الجهاز يعكس عواطفه القديمة لشن عمليات وأنشطة خفية فى روسيا البلشفية إلا أن « ماليت » بكراهيته عكس العداء الكبير فى داخل « وايتهول » بين الجهاز الجديد والمخابرات البريطانية السرية .

ولقد كانت الجرائم وعدم الحرص والتخبط والارتباك قد أدت إلى القبض على عملاء الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة فى السويد ، وهو الأمر الذى حث « ماليت » على إعاقة كافة المحاولات المبذولة لإعادة بناء المنظمة . وقالت السفارة : إن السفير لم يكن ليوافق على استخدامها قاعدة للأنشطة التخريبية . وأصر على إخطاره وإبلاغه بكل اتصال بين الوكالة البريطانية وأى سويدى على استعداد للمساعدة والعمل معهم لصالح المجهود الحربى للحلفاء .

وأبدى السفير تسامحه إزاء المستر « كار » ليس لأنه كان لاعباً ماهراً فى التنس ، ولكن أيضاً كان قريب النظرة من التصرف تصرف الساسة ، كما أن له علاقاته الدبلوماسية والسياسية الجيدة مع كبار الساسة السويديين ورئيس المخابرات السويدية . كما كان « ماليت » لغزاً محيراً وأحجبة بالنسبة إلى البعثة الأمريكية فى السويد .

وتسامح البريطانيون إزاء التعاون العسكرى الشامل بين السويد وألمانيا إلى درجة أن البعض صار مدفوعاً للاعتقاد بأن « ماليت » أصبح مؤيداً ومناصراً للسويد عن السويديين أنفسهم وتواصلت للسويد التقارير السنوية عن مائة مليون طن من الصلب وملايين الرولمان ، بل والعتاد التى جمعها الألمان من أجل صيانة ودعم عجلة

وماكينة الحرب الالمانيـة . أما الامريكان منذ كانـوا ينظرون إلى ذلك على أنه تحالف بين القوى الأوروبية من أجل القضـاء على الشيوعيين . إلا أن « كار » لم ير في ذلك أى شيء غريب بل اعتبر هذا أمراً طبيعياً .

كانت الحيـاة لسائر ضباط المخـابرات البريطانية فى ستكهـولم على ذمة الحرب ، حياة رغـد ورفاهيـة بالمقارنـة بما كان يحدث فى لنـدن ،إلا أن السيد « كـار » على وجه الخصوص تحقق من المنافع والفوائد التى يجنيها أقرانه . وكانت المخاطر الوحيدة التى يتعرض هى الرحلة السنوية إلى بريطانيا لرؤية أهله وأسرته هناك، حينما طار عبر بحر الشمال على ظهر طائرة قاذفة من طراز « موسكيتو » .

وفى ستوكهـولم ، صار قلق « كار » بشأن الأمن والسلامـة ، ،هى التى كانت فيما سلف أمراً معـروفاً فقط لأولئك القلة ضباط المخـابرات السرية السرية الـذين عملوا فى هلسنى ، مروا بها أثنـاء فترة خدمتهم بالعمـل الاستخبارى ، صـار هـذا القلق موضـع الحديث بين الدوائر الواسعة للبريطانين هناك .

وكان يـوصى المجندين الجدد فى العمل الجاسوسى إبان أزمـة الحرب قائلاً : « إذا كنت تحمل أوراقاً سرية فيتعين عليك أن تثبتهـا بدبوس فى جيوبك السريـة الداخلية » . وكانت هذه التعليمات والنصـائح تتم أحياننآ على موائد الشراب والطعـام فى نهاية يوم من العمل الصباحى وبخاصة لضباط مراقبة جوازات السفر .

كما كانت حكاياتهم تخالطها وتشوبها فى الغالب الروايات الملونة المحببة من كيفية تجنيد العمـلاء ، إذ كان يقـول مثلاً « ولقد أخبرت « هـارى » وأوصيته بأن يصـنع كماما « شىء يوضع فى الفم لمنعه من الكـلام » فى فمه حينما يتوجه إلى الفراش ، ليمنع نفسه من كشف الأسرار أثناء نومه » وهكذا يتصايح السامعون بالضحك والقهقهة .

ولقد تم تجنيد المستر « بيتر فولـك » ، وهو أحد نظـار مدرسـة سابق فى منطقة « رجبى » عام ١٩٤٣فى شهر مارس منه للعمل فى فـرع المخابرات المضادة ، ووقع عمله فى « القسم ف » وكـان منصبه الـرسمى هو مسـاعد ضـابط مراقبـة جوازات سفـر فى ستوكهولم . وكان المستـر « فولك» على وجه الخصوص تجتـذبه للغاية الحكايات المرحة ويستهويه سماعها حتى أنه صار مولعاً بها .

لم يكن « فولك » يتمتع بالطموح كضابط مخابرات ، بل كان قلبه خالياً من الاحقاد وبدأ فى فحص مصادر المستر « كـار » باستقلالية ، اعتقاداً منـه بانهم معصومون من

الخطأ . غير أنه سرعـان ما أصابـه التحرر من الوهم فصـار وجهاً لوجـه مع الحقيقة . واكتشف أن « كار » يعتمد على زمرة من الصحفِّين البريطانيِّن والفنـدلنديِّن الذين كانوا يقدمون للمستر « كار » المعلومات فيعيد كتابتها ثم يرسل بها إلى لندن مكودة ومرموزة بالشفرة .

فكان المستر « أوسيان جولنـدنج » المراسل المقيم لصحيفة « ديلى تليغراف » يزود المستر « كار » بالمعلومـات على البحارة السويديين الذين كان يقـابلهم بصفة دورية فى البارات وميناء « جوتنبرج » ، كما استفاد من خبراته كمراسل حربى فى الحرب الألمانية الروسيـة . وذلك فى وقت لم تستطع فيه البعثـات الأمريكية ولا البريطـانية فى مـوسكو الحصول على معلومات موثوقة من الحكومة السوفيتية بشأن مسار الحرب .

وسرعـان ماصـار « فولك » حيران العقل مفعماً بالشكوك فى صـحة مصـادر « جـولـدنج » . إذ اكتشف أن ذلك الصحفى كـان يستمع بصفـة دوريـة إلى هيئـة الإذاعةالبريطانيـة وإذاعاتها ونشراتها الدولية ، ثم بعد ذلك ينظـر فى خريطة كبرى عن روسيا معلقـة على حائط غرفة نـومه ، ومكتب التقارير حـول تحركات الجيش الأحمر مرصعة بأسماء قادة الجيوش الروسيـة مكتوبة قبل نشوب الحرب . كان ذلك أمراً غير ضار إلا أنه أثار التساؤلات حول دقة المستر « كار » .

كما اكتشف المستر كـار أثناء منـاقشاتهم الأسبـوعيـةللمستر « فولك » أن أحـد المصادر المهمة للمعلومات هو المدير السابق للمخـابرات العسكرية وكان ينتمى بالمولد إلى جمهورية أستـونيا المطلة على البحر البلطى ، واسمه الكـولونيل « فيلم سارسين » ، وأحد مساعـديه واسمه « ريتشارد مـاسينج » . وكان كلاهما يخدم فى الجيش الألمانى لاصطياد الفلاحين الشيوعين وإرسال الرسـائل من أستونيا إلى ستوكهولم عن الموقف فى روسيا المحتلة أو بخاصة الجزء الواقع تحت الاحتلال الألمانى .

ويقول « كار »: إن أهل أستونيـا كانو يقدمون المعلومـات إلى أهل السويد ثم يتم إرسالها إلى أجهـزة الاستخبارات البريطـانية . وكـانت هذه التقـارير لسببين اثنين يتم تكويدها وإرسالها إلى لندن ، لتلقى الاحترام بعد ذلك وعظيم التقدير . ففى عام ١٩٤٣ ، حصل « فولك » على معلـومات من الملحق الجوى الألمانى فى ستـوكهولم وهـو « كارل هاينيزكريمر » بعد تجنيده عميلاً لدى المخابرات البريطانية .

والذى أدهش « فولك » أنـه وجد أن نفس المعلومات يقدمها المسـتر « سارسين » إلى « كريمير » وأنها كانت فى أحسن الأحـوال غير جديرة بالاعتماد عليهـا . وامتنـع « فولك » عن الإفضاء بما يعتمل فى صدره من أسرار عن المستر « كار » ورؤسائه .

تلك كانت الأحـوال والظروف السائدة فى عام ١٩٤٤ حينما شرع « كـار » فى إقامة ما كان يأمل فى أن يصبح انقلاباً عظيماً وأكبر أعماله قاطبة ، ألا وهوالاختراق الفعال من جانب العملاء البريطـانين للاتحاد السوفيتي وبخاصة روسيا عن طـريق بلدان البحر البلطى .. وانطلق يحاول تنفيذ المهمة بكل نشاط وإخلاص ودقة ، واحتراساً منه وعملاً بتوجهاته فى التكتم الشديد ، لم يفض بالأسرار إلى المستر « فولك » .

كما كان يعتمد على عمـلاء ينتمون بجنسياتهم إلى القوميات التابعـة لبلدان البحر البلطى الذين كانوا قبل الحرب مصادر هامة لأجهـزة الاسـتخبارات البريطـانية فى « ريجا » و « تالبين » ، وهم الذيـن كانوا يأملون فى عام ١٩٤٤ إعـادة تأسيس بلادهم واستعادة استقلالها فى أعقاب الصراع .

على أية حـال ، عندما تـدبر المستر « كـار » السيارات البريطانيـة إزاء دول البحر البلطى منـذ عام ١٩٣٩ ، اقترح التعـاون القائم على مبـادىء تخلى عنها سراً رؤسـاؤه وسادته فى لندن .

وعلى مدار التـاريخ ، كانت جمهـوريات البحر البلطى الثـلاث ـ وكلهـا عبارة عن مجتمعات ريفية لا تزيـد مساحتها بحال من الأحوال عن هولندا أو سـويسرا ـ ضحايا للغزوات المتكررة والاستعمار من جانب الجيوش البروسيـه ، والدانماركية والسويدية والروسية . وبرغم كل الخطوب والمصائب التى توالت على هذه الدويلات الثلاث إلا أنها لم تفقد أبـداً قومياتها أو لغـاتها أو دياناتها أو هويـاتها الثقافية المختلفـة عن بعضها البعض ، غير أنها عجزت بمفردها أن تحل مشكلة مصيرها التاريخى المشترك .

وقع أول احتلال لهذه البلدان فى القرن الثانى عـشر من جانب فرسـان التيتونيك « أو الجرمان القدماء » . وفى عام ١٤١٠ استطاعت « ليتوانيا » التحرير بمساعدة بولندا ، وحدث فى المائة عـام التاليـة على ذلك أنها تعرضـت تدريجياً إلى التحـول إلى الصبغة البولندية ، وتقاوم الروس ، فى حين أن السـويد احتلت جمهورية «أسـتوينا » و « لاتفيا » .

وفى عام ١٧٢١ ، هزمت روسيا بنجاح السيد فى الحرب واحتلت على نحو تدريجى وتقدمى الجمهوريات أو الدويلات الثلاث . إلا أن تكاملهم مع روسيا من جانب القياصرة والأباطرة الروس أسرع وعجل بتحررهم ، وشعورهم بقومياتهم المتميزة . ولقد كانت مساندة بريطانيا لاستقلالهم عام ١٩١٨ يرجع لسبب المصلحة المباشرة أصلاً : بهدف تشييد كوردون صحى ضد الشيوعيين وحماية الاستثمارات الضخمة المتراكمة إبان العصر القيصرى عن طريق البنوك البريطانية والتجار الانجليز .

وبعد ذلك بعشرين عاماً ، حينما ضاعت الاستثمارات إلى الأبد وصارت بريطانيا أكثر اهتماماً بالتصدى للنازية وليس الشيوعية ، ترددت وزارة الخارجية البريطانية أثناء نظرها المطالب الروسية عام ١٩٣٩ بإعادة ضم الجمهوريات أو الدويلات الثلاث .

وجاءت تقارير دقيقة من شهود العيان فى « كييف » عن مقتل ٣٠,٠٠٠ فرد فى « بابى بار » فى غضون يومين اثنين فى شهر سبتمبر ١٩٤١ . ولقد وضعها فيكتور كافينديش بينتزك بأنها « نواتج الخيال السلافى » . ولقد حكم مبدأ المصلحة الذاتية الذى اتبعته وزارة الخارجية البريطانية ، اعتبارات النظر فى مصير التعهدات التى قطعتها على نفسها للدول المطلة على البحر البلطى .

وفى أبيل ١٩٤١ ، حينما كانت بريطانيا تقاتل النازيين بمفردها ، فإن الفشل البريطانى فى التضحية بالدول البلطية من أجل التبادل بعقد معاهدة مع روسيا ، بدا كما لو كان فرصة مضيعة . ولقد كتب « سار جنت » فى أعقاب حلف « مولوتوف ـ ريبينتروب » وقبل الغزو الألمانى لروسيا ، إلى زملائه نادماً على أن هذا التنازل لم يتم إبرامه فى عام ١٩٣٩ .

وقال : « لقد أخفقنا فى جعل هذه التضحية بالمبادىء أمراً واقعياً ، ولذلك فقد دفعنا الثمن عقاباً على هذا » . وقال إنه لو قدر أن تعود الفرصة مرة ثانية ، فإنه سيتم لا محالة التضحية بالمبادىء . وبعد ذلك بأربعة أشهر ، حينما تقابل تشرشل ، ورزفلت ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ظهر سفينة « برنيس أوف ويلز » الراسية فى خليج « بلاسينتيا » ، فى (نيوفوندلاند) ، ثم تجاهل براحمانية « سار جنيت » .

وعلى الرغم من أن الحكومة كانت لا تزال محايدة من الناحية الرسمية إلا أن الرئيس أصر على أنه لن يتسامح مع أى تبادلات خاصة بالأراضى السيادية . ومنذ ذلك

الحين أى منذ الضم السوفيتى » أدانت الحكومة الامريكية « الأنشطة النهبية والسلبية ، التى جردت دويلات البحر البلطيقى من استقلالها .

وفى اكتوبر عام ١٩٤٠ ، أكد الرئيس استعراضياً للمجلس الأمريكى الليتوانى الذى مثل مليون ليتوانى يعيشون فى أمريكا ، بأن استقلال دولتهم لم تضع أو تفقد ، بل « إنها وضعت جانباً بصفة مؤقتة » . ولسوف يأتى الوقت الذى تستطيع فيه ليتوانيا التحرر مرة ثانية . ولسوف يحدث هذا بأسرع مما تتوقعون .

ولما كان الرئيسان قد انشغلا بالحرب الضروس ، فإن القليل من الاهتمام هو الذى كرس للأحداث التى أعقبت الضم السوفيتى لهذه الأراضى ، والذى حدث هو أن ابتلاع الدويلات الثلاث فى بطن روسيا بدأ فوراً فى أعقاب إبرام معاهدة « مولوتوف ـ ريبينتروف » .

ولم يشعر الكريملن سوى ناقل القليل من العطف والرحمة لأولئك قطعاً استمرارية مائتى عام من الحكم القيصرى . إذ تم دعوة وزراء الدويلات الثلاث لتوقيع « اتفاقية دفاع مشترك ومساعدات مشتركة » مع ستالين من شانها أن تبيح للسوفيت أن يقيموا القواعد العسكرية على أراضيهم من أجل ضمان استقلالها . وحيث أن البديل كان الحرب ، فإن الثلاثة جميعهم وافقوا على مضض على أمل أن يجدوا مخرجاً فيما بعد .

وصانوا علاقاتهم الواهية مع موسكو حتى تسنى للألمان شن الغزو ضد فرنسا فى مايو ١٩٤٠ . وفى نفس الأسبوع ، تم استدعاء الزعماء الثلاثة مرة ثانية إلى موسكو حيث اتهمهم « مولوتوف » بانتهاك « اتفاقيات الدفاع المشترك » انتهاكاً غادراً للغاية ، وأنهم صدرت إليهم الأوامر بتشكيل حكومات متعاطفة مع الشيوعية .

وبحلول ١٨ يونيه ، صار الجيش الأحمر والأحزاب الشيوعية المحلية مسيطرة سيطرة تامة على المنطقة . وتم تحويل المنطقة إلى الزى السوفيتى وطبعها بالطابع السوفيتى على نحو سريع للغاية طالما أنه قد تقرر أن تنضم الدويلات الصغيرة إلى « الأسر المجيدة للاتحاد السوفيتى » . واختفت برلماناتها ، وتحولت عملاتها إلى الروبل الروسى ، وتم حظر الكتب التى اعتبروها غير مناسبة أو لائقة ، وتم تحويل ولاءات الصحف ، وتم أسر والاستحواذ على المصانع والمطاعم والأعمال التجارية والمشروعات ،

ونقل ملكيتها إلى الدولة . والأسوأ من كل شىء أنه تم تحويل المزارع إلى مزارع جماعية .

كان ذلك بمثابة التحول السريع نحو المبادىء الشيوعية والستالينية وهو ماتم عبر المنطقة كلها أثناء ليلة ١١ ـ ١٢ يوليه من عام ١٩٤٠ . وشرعت السلطات فى مداهمة البيوت ليلاً وأسر أفرادها إلى حيث لم يرهم أهلهم بعد ذلك أبداً . وكان الضحايا هم أولئك الذين تحدوا القضية الوطنية ، وسرعان ماتبعهم المنفيون من الروس البيض وأولئك الذين يعملون بالجيش والكنيسة والطبقات المتوسطة الذين كانوا خصوماً مشكوكاً فى ولائهم للسوفيت .

وبعد ذلك بإحدى عشر شهراً ، فى ليلة ١٢ ـ ١٣ يونيه من عام ١٩٤١ ، ضرب ستالين ضربته القاصمة ، حيث تم إلقاء القبض على مائة ألف رجل وامرأة وطفل وحشدوا فى عربات السكك الحديدية وتم شحنهم إلى سيبيريا . وفى مناخ الرعب الذى أمسك بالمنطقة فى الأسبوع التالى ، جلست آلاف العائلات خائفة ذليلة فى بيوتها ، وقد حزمت حقائبها بجوار الأبواب فى انتظار وصول فرق القبض والموجة الثانية من الترحيلات .

وتم إعداد القوائم وانتظرت القطارات للمرة الثانية فى أماكنها حينما ـ زحفت ثلاثة ملايين من الجنود الألمانية فى ٢٢ يونيه تتقدم الغزو الألمانى لروسيا . وفى غضون أيام كان الـ « فيرماخت » قد قطع مسافة كبرى فى المنطقة الواقعة فى نطاق أراضى البحر البلطى وعندها تقهقر وفر الجيش الأحمر ناحية الشرق .

وقد أدى التحرر غير المتوقع والمفاجىء من الإرهاب الستالينى إلى موجة عارمة من العرفان بالجميل صوب الغزاة بسبب تخلصهم من الشر الفظيع وسوء المصير . وفى ليتوانيا ، ثار الجيش القومى ضد الشيوعيين المتقهقرين وأعلنوا إقامة حكومة وطنية مؤقتة ، أما المتمردون فى « كوناس » فقد سيطروا على المدينة من الروس قبل وصول الوحدات الألمانية الأولى .

وفى لاتفيا واستونيا لم يكن ثمة قتال إلا أن زعماءهما كانوا يتعشمون فى استعادة الألمان للاستقلال . ولهذا السبب فقد وجد الألمان ترحيباً بهم كغزاة بسبب تخليصهم أهل البلاد من ربقة الحكم الشيوعى الدكتاتورى الدموى . إلا أنه لسوء حظ الشعوب

المطلة على البحر البلطى التى تنتمى لدويلات البحر البلطى ، فإن هتلر كان يعتبرهم أقل وأدنى من الناحية العرقية ، وأن الاحتلال الألمانى سيكون شبيهاً بالسوفيتى .

وبذلك سوف تتعرض دولهم للدمار ، وبعد وقوع الترحيلات الجماعية ، سوف يصبح السكان الجدد من الألمان . وبدا الطغيان الجديد لفترة مؤقتة نعيماً بالمقارنة بسلفه ، وهكذا فإن الذى استحث السير « اورمى سارجينت » هو الصورة الذهبية للترحيب البلطى بالنازيين ، ليعرب عن ندمه أكثر فأكثر بسبب الفشل البريطانى فى التضحية بالمبادىء .

ووافق « روزفيلت وتشرشل » فى ١٢ أغسطس ١٩٤١ على إصدار إعلان هو الذى أصبح معروفاً فيما بعد باسم « ميثاق الأطلنطى » وكان التبرير بالتضحيات القادمة مستقبلاً ــ حسبما زعموا ــ هو استعادة الحرية والاستقلال ، ونكران أية تغييرات تتعلق بالسيادة على الأراضى تكون مناهضة لأمانى الشعوب المعينة ، واحترام الدولتين العظميين للحقوق السياسية للشعوب فى أن تختار حكوماتها الخاصة بها .

وصار مسئولوا وزارة الخارجية البريطانية يحتقرون أهل الدويلات البلطية ـ كما جاء فى نشرات هيئة الإذاعة البريطانية ــ بسبب ولائهم الواضح للنازيين ضد الروس ، ومن هنا جاء إهمال وتجاهل ماورد بنصوص « ميثاق الأطلنطى » .

وكانت أولى الفرص هى التى سنحت فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٤١ ، حينما اجتمع وزير الخارجية البريطانى مع ستالين فى موسكو لمناقشة بنود ونصوص التحالف . وأثناء الأشهر السابقة ، وبينما كانوا يعدون العدة لعلاقة جديدة مع موسكو ، أقنع التعاون الواضح من جانب الدويلات البلطية مع النازيين أقنع « ايدين » وكبار مسؤليه بأن تقديم عرض بالاعتراف بضم روسيا الدويلات الثلاث سوف يغرى ستالين بعقد تحالفٍ أو حلف معهم .

وفى الواقع ، متى ما أصبح « ايدين » فى موسكو ، طالب الديكتاتور السوفيتى بالاعتراف البريطانى بالضم السوفيتى وإثبات النوايا البريطانية . أما ايدين الذى كان غير مدرك بالترحيلات الجماعية للشعوب البلطية إلى سيبيريا أبلغ تشرشل أنه اعتبر الاقتراح غير معقول إذا صاحبه استغناء يكون الروس بمقتضاه قادرين على التنظيم بطريقتهم الخاصة .

وساند المسئولون وجهات نظره حيث أن الاستقلال الخاص بالدويلات البلطية

كان على أية حال « عرضاً غير دائم » ولم يكن يساوى مقارنته بالتحالف . والذى أدهش ايدين ، أن تشرشل تحرك بوحى من ضميره الخاص وانتظاراً لمعارضة روزفيلت ، أصدر الفيتو ضد الفكرة .

أما وزير الخارجية الأمريكى « كوردل هال » فقد كتب إلى ايدين يقول : إن قبول المطالب السوفيتية من شأنها أن تدمر معنى إحدى القضايا الأكثر أهمية الخاصة بميثاق الأطلنطى وسوف تفضى إلى تقويض قوة الوثيقة من أساسها .

ولقد تبينت الأمور على نحو جلى بعد ذلك بعام واحد . حيث أنه فى أبريل من عام ١٩٤٢ ، الذى كان متوقعا وصول « مولوتوف » فيه إلى لندن للتفاوض بشأن البنود النهائية الخاصة بمعاهدة رسمية مدتها عشرون عاماً ، أعد مجلس الوزراء نفسه لتجاهل تحذير « هال » وتقديم التنازل للسوفيت . غير أن اللحظة لم تتحول إلى الواقع .

فلم يذكر « مولوتوف » الذى كان يخشى من أن يؤدى المطلب إلى إعاقة إبرام المعاهدة ، أى شىء من الضم . وبذلك أنقذ القدر وزارة الخارجية من مهانة عرض تقديم هذه التضحية .

وفى الأشهر التالية ، وافق « سومنر ويليس » بوزارة الخارجية الأمريكية على أنه ليس هناك أية مصلحة حيوية فى معارضة اتحادهم مع روسيا ، وأصبح روزفيلت رجلاً برجماتيا على نحو يشعر بالبرودة .

وقال الرئيس الأمريكى روزفيلت لرئيس وزراء بريطانيا أنتونى ايدين إن الجيوش الروسية سوف تتمركز فى الدويلات البلطية فى زمن السقوط فى ألمانيا ، ولن يستطيع أحد منا أن يستخدم القوة فى إخراجها . ولهذا السبب ، حصل ايدين على موافقة مجلس الوزراء فى أن أية تسوية سلمية أوروبية يجب أن تقوم على كل من مبادىء ميثاق الأطلنطى بشأن الاعتراف بحدود روسيا فى ٢٢ يونية ١٩٤١ .

وكان الجيش الأحمر ، قد كسب المعركة الخاصة « بستالينجراد » وذلك بعد تضحية عظيمة وصارت النتيجة النهائية للحرب معلومة ومعروفة بل ومحدودة . وذهب روزفيلت — معترفاً بقوة السوفيت ـ إلا أن ثمة غرض ضئيل فى الصدام مع ستالين بشأن مصير الدويلات البلطية . وسادت الروح العاطفية حينما اجتمع الرئيس الأمريكى مع نظيره الروسى فى طهران فى ١ ديسمبر ١٩٤٣ على انفراد .

واندهش ستالين مـن جراء الصراحة الأمريكية . وقـال روزفيلت : « إن ما أرغب فى شرحه لك يتعلق بـالسياسات الأمريكيـة الداخلية . اذ أنـه وفقا لدستورنـا يجب علينا خوض الانتخـابات فى عام ١٩٤٤ . ولا رغبـة لى فى خوضها غير أن استمـرارية الحرب تحتم على البقاء ، إذ لاخيار لى فى ذلك .

وأومأ الديكتـاتور السوفيتى برأسه معـرباً عن تفهمه للمازق ، الأمـر الذى أسعد المسئولين الأمريكين الحاضرين . ومضى روزفيلت قائلا : « ثمة عدد هائل يتراوح مابين ستة إلى سبعة ملايين أمريكى من أصل بولندى » وإنى كرجل عملى وواقعى ، لاأريد أن أفقد أصواتهم . كما أننى أتفهم موقفكم بشأن تحريك حـدود بولندا صوب الغرب ، إلا أننى بسبب الانتخابات ، لاأستطيع الخوض فى أية مناقشات علنية حول الموضوع المثار حالياً . فجاء رد ستـالين قصيراً ولكنه مهدىء ومسكن : « الآن شرحت كل شىء وإننى لأتفهم موقفكم تماماً » .

واستطرد الرئيس الأمريكى يقـول : « كما أن هناك الكثيرين من الناخبين اللتوانين واللاتينيين والاستـونيين فى داخل الولايات المتحـدة . وإننى أتفهم جيداً أن الـدويلات الثلاث كانت من الناحية التاريخية جزءٌ من روسيا .. وان ... » .

وهكذا استطاع روزفيلت حل أية مشكلـة من الممكن أن ترد على ذهن ستالين وهو بـاسم الثغر هـادىء الجدال رزين العقل . ثم قـال مازحـاً : « وحينما تعاود الجيـوش السوفيتية احتلال تلك المناطق ، فإننى لاأنوى خوض الحرب بشأن مستقبلها »

وهنا ضحك ستالين بينما استطرد روزفيلت قائلاً : « إلا أن القضية الكبرى داخل الـولايات المتحـدة الأمريكيـة هى التى تتعلق بمسالـة تنظيم استفتـاء حول حق هـذه الشعوب فى تقـرير مصيرها . ذلك أن الرأى العـام العالمى سوف يطالب بإيضـاح حول إرادة هذه الشعوب . وربما لايتم ذلك فور الاحتلال السوفيتى ولكن فى مرحلة اخرى » .

غير أن وجه ستالين الذى ظل ساكنا لحظة وبـرهة من الزمان بدون أن يكشف أية عواطف ، سرعان ما تهلل مبتهجـاً حينما أضاف روزفيلت قائلاً : « على الرغم من أننى واثق من أن الشعب هناك سوف يصوت للانضمام للاتحاد السوفيتى » .

وكشف رد ستـالين مدى دقـة روزفلت فى التعامل مع شريكـه ، وقال ستـالين إن الجمهوريـات الثلاث لم تتمتع بالحكم الـذاتى تحت إمرة وسيادة الأباطـرة القياصرة ، وكانت روسيا كذلك حليفة لكل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة . ولم يذكر أحد

على مدار المائتى عام مسألة الرأى العام ، وأفصح قائلاً : « إننى لاأرى سببا وجيهاً الآن فى إثارة هذه المسألة » .

فقال روزفيلت يوافقه فيما ذهب إليه : « الحق فى هذه المسألة هو أن العامة لم يعرفوا ولم يفهموا ، غير أن الأمر سيكون باعثاً على المساعدة والعون لى شخصياً إذا أصدر المارشال (ستالين) إعلاناً عاماً حول تنظيم أربعة انتخابات ، ذلك الإعلان الذى سبق أن أشرتم إليه » .

فابتسم ستالين وصرح قائلاً : « سيكون هناك الكثير من الفرص من أجل التعبير عن إرادة الشعوب » وحل بذلك مأزق الانتخابات الأمريكية التى أزعجت روزفيلت . ولما تم للزعيمين إغلاق ملف الدويلات البلطية ، انتقلا لمناقشة إنشاء منظمة أمم متحدة من شأنها أن تضمن مستقبل العالم فى الحرية والسلام .

وكانت النتيجة العملية الأولى هى أن سفراء الدويلات البلطية فى لندن كانوا تعرضوا للنزول بمرتبتهم إلى قاع القائمة الدبلوماسية . وهؤلاء الشعوب والمسئولون القادمون من دويلات البحر البلطى لم يتعرضوا أبداً للمقاساة والمكابدة من جراء المهانة فى واشنطن .

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلان البريطانية والأمريكية ـ التى داهنتها حكوماتهم قدمت صورة ذهنية إيجابية عن التحالف الثلاثى الكبير ، إلا أن الحقيقة هى الشكوك المتبادلة المواظبة التى لم يبددها من حين لآخر سوى النوايا الأصيلة .

وفى طهران ، كان تشرشل مشغولاً خصوصاً بالمعاملة الخاصة التى لقيها وأشعرته بأنه يأتى فى المرتبة الثانية بعد الفارسين الكبيرين روزفيلت وستالين إذ على الرغم من الابتسامات أمام المصورين ، إلا أن رئيس الوزراء شعر عمداً بأنه تعرض للازدراء من جانب الرئيس روزفيلت أمام ستالين .

وبدا روزفيلت مهتماً بإقناع الزعيم الروسي بأن الانجلوساكون لم يعودوا تقوم لهم قائمة ، بينما بذل الزعيم الروسى جهده للتعجيل بانقسامات بين الحلفاء . وهكذا ألفى ونستون تشرشل نفسه معصوراً بين العملاقين ، وكان يحاول جاهداً أن يعزز من التحالف مع موسكو ، غير أنه ظل مشكوكاً فى أمره فى عيون السوفيت .

فهو على أية حال كان يجاهر علانية بمساندته لمحاولات الإطاحة بالبلاشفة قبل

ذلك بعشرين عـاماً ، وتلك تـركة لايمكن نسيـانها أو التكتم عليها . وتشكك ستـالين فى صـدق وأصالـة حديث تشرشل على الـرغم من أوامـر رئيس الوزراء إلى رئيس جهـاز المخابـرات البريطانية السريـة وهو « ستيوارت مينـريس » عام ١٩٤١ ، بإيقاف كـافة الأنشطة المعادية للاتحاد السوفيتى أو حتى قصم الصلات مع العملاء والمبلغين .

كانـت شكوك ستـالين لها مايبررها تمامـاً . اذ كانت عـواطف وتـوجيهات المستر تشرشل قد انعكسـت رأساً على عقب وبعنف وشـدة . ففى بعض المناسبـات كان يلعن البلاشفـة ، ثم بعدها حينما أزعجته الانتصـارات الروسية ،جعل لعـواطفه تتغلب على قناعـاته القلبية واعتنـاقاته التى آمن بها مـدى الحياة بأن الشيوعيين لايمكن الـوثوق منهم .

وفى طهـران ، ثم بعد ذلك فى مـالطـا ، كان يسعى للصـداقـة لأنه أعجب بستـالين كعضـو فى نادى الـزعماء . إلا أن مخاوفـه من سياسـة التـوسع السوفيتى والعـدوان والانحراف استفزته ليقوم بشن الهجمات الطائشة ضـد البربرية التاريخية لروسيا أو الانخراط فى الصمت .

ولقد علم « مينـزيس » أن تشرشل يتعرض لتأثيرات العـواطف المختلطة واعتبر أن جهاز المخابـرات البريطانية السرية قـد أوقف فى عام ١٩٤٤ عملياتـه وأنشطته الخفية ضد الاتحاد السوفيتى . وكانت أسس المبادرة ترجع إلى سوء الثقة من جانب البلاشفة . وعبر عن ذلك ثـلاثة رؤسـاء أركان حـرب هم : السير « الآن بروك » والسير « تشـارلز بورتال » والسير « أندرو كابنجهام » .

وفى صيف عـام ١٩٤٣ ، وجه الـرؤساء العسكـريون الـدعوة إلى مسئـولى وزارة الخارجيـة البريطانيـة للشروع فى المنـاقشـات التى اقتصرت على كبـار القادة ، حـول السياسة البريطانية على زمن السلم . وكـان منبر اجتماعهم هو « لجنة التخطيط لما بعد العداوات » وفى أولى اجتماعاتهم ، استعرض الثلاثة السيناريوهات القائمة على افتراض أنه بعد هـزيمة النازى سوف تصبح روسيـا للمرة الثانية العـدو الأول لبريطانيا .ولم يتفق ممثلوا وزارة الخارجية البريطـانية بشأن حتمية العداء إلا أن المنـاقشات مع ذلك تواصلت . وبدأت تودداتهم تختفى فى أوائل عام ١٩٤٤ . واقتنع رؤسـاء الأركان بأنه فى أعقاب الحرب سيكون هناك مـوجهات عسكرية مع روسيا فى اليونـان ، وتركيا ووسط أوروبا .

واقترح مسئولو وزارة الخارجية الذين أخذتهم الدهشة أن أية خلافات سوف يتم

تسويتها عن طريق المفاوضات . إلا أن هذا الأمر قد ألقى جانباً من جانب التحليل العسكرى الإجماعى الذى قال بأن السوفيت أشرار ، ووصلت الخلافات ذروتها بعد سبعة أسابيع من الابرار الأرضى فى يوم شن الهجوم بنهاية يولية من عام ١٩٤٤ .

وقدم رؤساء الأركان فى اجتماعهم باللجنة المذكورة سيناريو لما بعد الحرب كان بمثابة ابتعاد راديكال عن سياسة وزارة الخارجية . وقالوا : إن الولايات المتحدة سوف تعود إلى سياسة العزلة وأن الخيار الوحيد لبريطانيا لتجنب « خسران السلام » هو دراسة التحالف الإضافى مع ألمانيا ضد روسيا .

وعلى الرغم من أن التقييم السائد كان لايزال يذهب إلى أن الحرب سوف تنتهى بحلول أعياد الكريسماس (أعياد الميلاد) ، فكان هذا الاقتراح اقتراحاً راديكالياً . ففى الماضى ، كان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يخضعون بصفة مؤقتة لوجهة النظر الكئيبة القائلة بأن الحرب مع روسيا ممكنة وواردة مالم تكن حتمية ، ولكن النتائج العسكرية لم تكن عرضة للنقاش .

ورفض السوفيت مساندة الجيش البولندى الداخلى وانتفاضته داخل وارسو ، وهى التى تسببت فى آلاف من القتلى واكتشاف المقابر الجماعية فى غابات « كاتين » التى حوت الضباط البولندين الذين قتلهم الروس . وكان هذا أمراً غير قابل للتبرير أمام أعين رؤساء الأركان ، وكان بمثابة المثير للعداء والخوف فى رأيهم .

وارتسمت خطوط المعارك بين الرؤساء الأركان ووزارة الخارجية بصفة رسمية عشية زيارة تشرشل إلى موسكو فى أكتوبر ١٩٤٤ حيث قسم رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل ، والزعيم السوفيتى ستالين بجرة قلم أوروبا وفقا لاتفاقية قائمة على النسبة المئوية .

وفى خضم أحد الاجتماعات المتوترة بين ايدين وسارجينت فى ٤ أكتوبر ، رفض رؤساء الأركان الثلاثة قبول أن ألمانيا هى العدو الممكن الوحيد لبريطانيا وكسب المناقشة بقوله بأن التخطيط للطوارىء فى الحرب مع روسيا يجب أن يستمر إلا أنه يقتصر على « دائرة ضيقة ومحدودة جداً » .

ووافق الرؤساء بناء على طلب « سارجنت » بأن مناقشاتهم وسجلاتهم سوف يتم إعطاؤها « معالجة أمنية خاصة » بسبب خوفه من أن شبح الدب » ربما يلقى بظلاله على الأوراق والوثائق . وكان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يتشككون أصلاً فى

وجـود الجواسيس السوفيت فى « وايتهـول » لأن الأجهـزة الحكوميـة على زمن الحرب تصبح أقل استعداداً إلى استبعاد الشيوعيين من العمل السرى .

وفى الـواقع ، كـانت أعـداد وأعضاء الحزب الشيـوعى معـروفـة بأنها وضعت فى المناصب التى تمكنهم من الاطلاع على المعلـومات والوصول إليها وبخاصـة المعلومات ذات السرية العظمى ، وطالما أن كلا من المسئولين العسكرين ومسئولى وزارة الخارجية البريطانيـــة صـاروا يقترحـــون للمرة الثـانية بأن روســـيا هى العـدو والتهديـد المستقبلى الكـامن ضــــد بريطـانيـا فكان من الطبيعى فى نـوفمبر ١٩٤٤ بالنســـبة للسيـــر « ستيوارت مينـزيس » أن يخطط لإعادة إقـامة القسم رقم ٩ ألا وهـو القسم المناهض للاتحاد السوفيتى .

وتوقع تعيين « فيليكس كـوجيل » رئيساً للقسم ، وقـد كان قـد أدار بنجاح القسم رقم ٥ ، وهو فـرع المخابرات المنـاهضة (المضــادة) . إلا أن مينزيس تعرض لـلإقناع بتعيين رئيس القسم « ايبيريـا » التابع للمخابـرات البريطانيـة وهو « هـارولد كيم » « فيلبى » ليترأس على هذا القسم .

وطلب مينزيس من فيلبى أن يعيد بناء القدرات المضادة للجاسوسية داخل أجهزة الاستخبارات البريطانيـة للبحث عن العملاء السوفيت الذيـن يعملون فى الخارج إلا أنه فى إطـار اجتماعاتهم الأولى ، كـان « فيلبى » يسعى إلى مـوافقـة « مينزيس » لتـوسيع القســـم رقم ٩ ومســـئولياته ليشـــمل على الجاســوسية البريطـانية داخل الاتحاد السوفيتى .

وفى ضوء مناقشات وزارة الخارجية مع رؤســاء الأركان ، شعر مينزيس بالبغض والمقت ضد اقتراح « فيلبى » . وقال : إن جهاز المخابـرات البريطانية السرية فى حاجة إلى بعث وإحيـاء مقدرتـه على جمع الاستخبارات والمعلـومات داخل الاتحاد الســوفيتى . وتلقى « فيلبى » موافقة رسمية فى فبراير عام ١٩٤٥ وشرع فى الاتصـال بأولئك الضباط الذين تؤهلهم خبراتهم السابقة لتولى العمل والمسئوليات الجديدة فى هذا القسم الجديد . وكان من بينهم المستر « هارى كار » رجل مخابرات ستوكهولم .

ومنذ بـداية العام ، قـال المستر « كار » لـــ « كولبى » : انه جمع هـو و « بوسلى » معلومـات استخبارية من دول البحر البلطـى وأقام صلات لاسلكية مع المقاومـــة فى

لاتفيا : وقــال « كار » فى تقاريـره : إن السويـد تطورت إلى موقع مثـالى لمراقبة الاتحاد السوفيتى بسبب التدفق المتزايد من اللاجئين القادمين من دول البحر البلطى .

وحتى عام ١٩٤٤ ، وصلت مجمـوعة هزيلة من هـؤلاء اللاجئين ولكنهم لم يجدوا ترحيباً بهم لدى الاستقبال فى ستوكهولم . وكانوا أصلا قد فروا من الروس ثم بعد ذلك من الألمان . وفى عــام ١٩٤٢ ، لم يعد أهل البلطيق مـرتبكين بشأن ماإذا كـان الألمان قد جاءوا محررين لهم أو فاتحين لبلادهم .

ولم تعـد إليهم ممتلكـاتهم التى صـادرهـا الـروس ، كما أن عملتهم الـروسميـة انخفضت قيمتهـا . فضلاً عن ذلك شرعـوا فى استئناف عمليـات القبض والترحيل . وفى الوقت الـذى تم فيه إرســال بعض قوميـات تنتمى إلى بلدان البحـر البلطيقى إلى ألمانيا للعمل فى المصـانع وكتائب العمل ، ثم حشد النازيون حوالى ربع مليون يهودى من الذين وقعوا فى شرك الخطوط النازية ليتم إبادتهم .

إلا أن هـذه المذابح لم تظهر فى المظـاهرات والاحتجـاجـات القوميـة بشأن مصير أوطانهم ، وبخاصة فى التقارير المرسلة إلى « كار » وسائر عملاء استخبارات الحلفاء فى ستوكهولم . إذ كان جل اهتمامهم عام ١٩٤٤ هو وشوك إعادة الروس احتلال بلادهم من بلدان البحر البلطى .

ولقد حولت الحكومـة السويدية ولاءها بعيداً عن الألمان وصارت تـدين بالوفاء إلى الحلفاء ، وهو أمر عكس اهتمامها أساسا بمصالحها حيث أن التفوق الألمانى الذى كان أمراً لايشق لـه غبار أو ينازعه أحد قـد عفى عليه الآن الدهر ، وذهبـت قوة ألمانيا أدراج الرياح .

ولم تكن دول أوروبا الغربيـة ومنها فرنسا وبـريطانيا تتوقع أن تتحـول السويد على هذا النحو المثير للدهشة ، وبخاصة لو علمنـا أن السويد كانت دولة مؤيدة للجنس الآرى ومعاديـة للشيوعية . وكـان هذا أمراً ظـاهراً ، وتبدى من خـلال الخلافات التى صارت بين السويديين المؤيدين والمتعاطفين مع الحلفاء وأولئك المؤيدين والمتحالفين مع النازيين .

ولعل هذا الانقسام كـان من الوضوح بحيث يمكن مـلاحظته ، إذ اكتشفت أجهزة المخابرات الأمـريكية والبريطانية أن ثمة انقســام بين أجهزة المخابرات الســويدية التى تنقسم إلى قسمين كبيرين : الأول هو المخابرات العسكريـة المعروفة باسم : « سفينسا

ميلتو جانست » والوكالة المدنية (المخابرات العامة) المسماة باسم « ألمانر ساكيرانست » .

ولم يختف هذا الانقسام فى عام ١٩٤٤ ، إلا أن الأولوية عند المخابرات السويدية أصبحت التقارب مع التوجهات والأهداف التى تعمل انطلاقا منها كلا من المخابرات البريطانية السرية ، والمخابرات الأمريكية التى كانت تعرف حتى ذلك الحين باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » قبيل تأسيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة . واستهدفت كل هذه الأجهزة الاستخبارية اكتشاف اتجاه حركة الحرب عبر منطقة البحر البلطى .

وكان السويديون يخشون أولا وقبل كل شىء من أن يكون الروس يزمعون تحرير الدانمارك والنرويج ثم غزو السويد كأمر محتمل . فاعتمدوا على العملاء كمصدر مثالى للمعلومات وهم الذين اخترقوا الدول البلطية . وفى عام ١٩٤٤ ، سمع « كار » أن كلا من أجهزة المخابرات السويدية (العسكرية والمدنية) كانت تعد العدة للاختراق فكان أمراً طبيعياً أن تتلقى المخابرات البريطانية بعض المنافع والفوائد .

كان وجود المخابرات البريطانية فى السويد يعتمد موافقة السويد حول مسألة أن أية عملية تقترحها الأجهزة الاستخبارية البريطانية لن تكون بمثابة الانتهاك لحياد الدولة المضيفة . ومن هنا كان لزاماً على المستر « كار » أن يفوز بالحظوة لدى المخابرات السويدية ، تماماً كما فعل من قبل فى فنلندا . فكان من بين أفضل اتصالاته تلك التى أجراها مع السيد « اكى إيك » من جهاز الاستخبارات العسكرية السويدية .

وكان السيد « إيك » قد خطط قبلا مؤامرة دقيقة للاختراقات . فاستطاع باستخدام أسطول صغير من الزوارق الصغرى وبموافقة الحكومة السويدية أن يبدأ فى عبور البحر البلطى فى مهمات انتحارية ، من أجل جمع واستعادة اللاجئين . وكان معظم حالات الوصول خاصة بالمدنيين الأبرياء الذين فروا للنجاة بأنفسهم وأرواحهم ، إلا أن البعض الآخر جاء إلى السويد سعياً إلى العون والمساعدة ، فضلاً عن أن هناك مجموعة عاشت فى الغابات خوفا من الترحيل .

كان معظم الأفراد يتشككون فى أن يكون المستر « اكى إيك » متعاطفاً مع الألمان ، فقد كان يحبذ على وجه الخصوص أن يكون الضباط الألمان والجنود النازيون ومصادر الرايخ الثالث الألمانى هى مصادره الاستخبارية . حيث كانت مميزاتهم والثقة

فيهم باعتبارهم أعداء للشيوعية وخبراتهم المكتسبة .. كلها ذات قيمة لاتقدر بمال .

وبرغم المعرفة بأن واجباتهم الأخيرة اشتملت على القيام بعمليات التعذيب والترحيل والإعدام ، إلا أن السلطات السويدية اعتبرت هؤلاء الضباط أبطالاً اضطلعوا بمهام وطنية ، وبأنهم تلقوا تفويضات لاغتيال وتصفية الخونة لأنهم ضحايا هم كانوا فى الغالب « شيوعيين » .

وتم تشغيل بعضهم لدى وصولهم إلى السويد كموظفى أرشيف حكوميين وذلك ليتسنى فيما بعد منحهم الجنسية أو المال للهجرة إلى جنوب أمريكا . ونظم المستر « إيك » فى صيف ١٩٤٤ أولى عملياته التى بلغت الستين ، ونقل العملاء التابعين له فى زوارق الإنقاذ للقيام بمهمات استكشافية وعمليات استطلاعية ذات مدى قصير .

وتم العهد بالمسئولية عن الاتصالات نيابة عن المخابرات البريطانية السرية مع المستر « إيك » إلى فريق المستر « كار » وبخاصة عضو هذا الفريق وهو الذى أطلق عليه اسم « إليكسندر ساندى ماكيبين » . وكان مولده فى موسكو عام ١٨٩١ ، لأب ثرى يمتلك أحد الأسواق التجارية وكانت عائلته تعيش على مدار جيلين من الأمان فى روسيا .

وكان « ماكيبين » شأنه فى ذلك شأن المستر « كار » يتمتع بالتحدث بطلاقة اللغة الروسية ، ويحب وطنه وكان يفزعه الثورة البلشفية . وفى السنوات التالية حينما انغمس فى إرسال العملاء إلى روسيا ، كان يقص ويحكى مازحاً القصة الخاصة بكيفية صناعته لقنبلة عام ١٩١٧ كان ينوى إلقاءها على مبنى الحزب الشيوعى ، ولكن لم يوقفه أحد سوى أبيه . الذى قال له حينذاك : « لاتنس أنك أصلاً سكوتلندى ، وأن مايفعله الروس لاشأن لك به » .

واستطاع « ماكيبين » أثناء سنوات الحرب أن يقيم لنفسه سمعة طيبة كتاجر شهير ومعروف فى « تالين » ، وعلى الرغم من أنه لم يكن عميلاً أساسياً (كل الوقت) داخل أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية ، إلا أنه كان جاسوساً موثوقاً فيه يتحدث اللغة الاستونية ، والروسية والألمانية ، واستطاع بمساعدة « هلمى » زوجته الفنلندية أن يشيد شبكة واسعة من الجاسوسية بين أجهزة المخابرات الاستونية والعسكرية والسياسية .

وفى عام ١٩٣٩ هرب « ماكيبين » إلى هلسنكى ، وتخلى عن أعماله وبيته وممتلكاته . ووصل وهو يمقت ويشمئز من البلاشفة أكثر من ذى قبل . ذلك أنه استمر

فترة من الـزمن يورد المعلـومات إلى « كـار » وهى التى كـان يحصل عليها من خـلال حلقات الصلة والشخصيات الاستونية وبخاصـة شبكة من البحارة أقامها دبلوماسى سابق وجاسوس بـالمخابرات البريطانية هو « الكسندر فـارما » إلا أنه فى عام ١٩٤٠ ، عـاد أخيراً إلى بـريطانيـا . وفى أواخـر ١٩٤٣ ، وصل إلى ستـوكهولم كضـابط كـامل المسئوليـات فى أجهزة الاستخبارات البريطـانية ، وقـد جاءت تكليفات لبنـاء شبكة من الجواسيس الـذين ينتمون إلى قـوميات بلطيـة ، وهى التى من المقرر لها أن تتـوسـع فى روسيا نفسها فيما بعد .

وكان المستر « وولتر زيلينكاس » البالغ من العمر ٣١ عاماً وهو دبلوماسى صغير سابـق ، كان حلقـة الصلة بين المستر « ماكيبين » فى استـوكهولم مع ليتـوانيا . تقـابل الرجلان لأول مرة قبل اندلاع الحرب فى السفارة الليتوانية فى تالين .

ولم يكن المستر « زيلينكـاس » ورئيسه « فيتـوتـاس جيليس » أية خط اتصـالات مباشر مع ليتوانيا إلا أنهما كانا يتلقيان جمهـرة من المعلومات من الكولونيل « كازيس سكيربا » ، الممثل الليتوانى فى برلين ، تلك المعلومات التى كـانوا يعيـدون تقديمها إلى « ماكيبين » .

ربما كانت مصداقيـة سكـيربا موضعاً للتساؤلات أمام المستر « ماكيبين » إلا أن « زيلينكاس » طمـأن الرجل البريطـانى أن « سكيربا » ليس مـواليا للنـازى ، وإنما هو فحسب رجل معادى للروس .

كان الليتوانيون يجدون فخـاراً ويتفاخرون بإلحاقهم الفشل بألمانيا حينما أرادت إنشاء كتيبة ضاربة ، إلا أنهم كانوا يحذفون ذكر حقيقة أن حوالى ٢٠,٠٠٠ ليتوانى قد انضموا إلى « الكتائب البوليسية » ، وكانت هذه الكتائب بالفعل عبارة عن فرق اغتيالات وجـريمـة تضطلع بتنفيـذ الحل النهـائى ، فى حين أن الآخـرين كـانـوا يحاربـون مع الجماعات النظامية التى أطلق عليها اسم « فيرماخت » ، ضد الفلاحين الشيوعيين .

بدلاً من ذلـك ، كانوا يمجـدون فضائل الجنـرال « بوفيـلاس بليخافـوس » الذى استطاع تجنيد ٣٠,٠٠٠ جندى للحرب ضـد السوفيت ، وذلك بالاتفاق مع الألمان ، ثم سرعان مـا أصدر أوامـره بهجر القضيـة حينما نكث الألمان بوعـودهم فان تلـك القوة ستبقى جيشاً ليتوانياً ، ولن يتم دمجه فى الجيش الألمانى .

وفى خـريف عام ١٩٤٤ ، علم المستر « مـاكيبين » أن هذه القـوة المدربة مـاهى إلا دعامة جيش متزايد من الفلاحين المعـادين للشيوعية سوف يجتذب مئات الليتوانيين ،

الذين سيفرون إلى الغابات استعداداً للقتال حتى الموت .

واقترح « زيلينكاس » أن أكثر حلفاء الغرب مصداقية فى المنطقـــة هى منظمة تدعى « فليك » أو « اللجنة العليا لتحرير لتوانيا » . وشرح الدبلوماسى السابق الحقائق القائلة بأنه على الرغم من أن « فليك » كانت تتعـاون مع الألمان ، إلا أن قيادتها وزعامتها كانت مناهضة للشيوعية .

ووجدت أجهزة الاستخبارات البريطانية أنه من الواجب إقامة حلقة اتصـــالات مع « فليك » هى التى ســوف تنسق وتتـزعم المقـاومـة حينما يصل الجيش الأحمر ، كـان مـرشح المسـتر « زيلينكـاس » للمهمـة هو « الجير داس فـوكيتيس » ، أحـد القـوميين المعادين للألمان .

كان المسـتر « ماكيبين » تواقاً إلى المساعدة إلا أنه كان يفتقد إلى المال . ومن هنا اتفق على أن يتودد « زيلينكاس » إلى ممثلى الاستخبـارات الأمريكية المعروفـة باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » ، أمـا السفير الأمريكى فى ستوكهولم « هيرشيـل جونسون » فقد كـان ينظر إلى الأنشطة الاستخبـارية على أنها « ممـارسة شيطانيـة » ،وأعاق مثل نظيره البريطانى ضباط مكتب الخدمات الاستيراتيجية كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

تألم عدد من الـرجال من بينهم « ايفر أولسين » الذى كـان يعمل رسمياً سكرتيراً مـالياً فى السفارة ، وهو الذى كان عـام ١٩٤٤ أيضاً قد تلقى إعارة للعمل ملحقاً خاصاً فى « هيئة لاجئى الحرب » .

أسس هذه الهيئة الرئيس روزفيلت لإنقاذ ضحايـا الاضطهاد النازى الذين كانوا لايزالون يعيشـون فى أوروبا . وكانت أسـاليب الهيئة هى إما بذل الضغوط الدبلوماسية أو اتخاذ العمل المباشر ، وكـانت ميزانيتها تبلغ ربع مليـون دولار ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الحين . واستأجر المسـتر « أولين » بالاتفـاق مع الحكومة السويـدية زوارق لعبور البحر البلطى من أجل إنقاذ المضطهين .

وكان من بين نجاحاته الشهيرة هى إرسـال « راوول والينبرج » إلى المجر حيث أنقذ السويـدى آلاف اليهود . وأنقذ جهود « أوسلين » ألف ومـائتى شخص إلا أن محـاولاته استخدام نفس الزوارق للتسلل وبث العملاء للاختراق ، فقد وقعت فى المحظور ، ذلك أن تعليمات الـرئيس الأمريكى حـرمت القيـام بأيـة أنشطة من شأنها أن تجعل ستـالين يعتبرها أنشطة معادية .

وفى عام ١٩٤٢ ، قال الرئيس روزفيلت للمستر « وليام دونوفان » مؤسس ومدير مكتب الخدمات الاستيراتيجية : إن الاتحاد السوفيتى لاينبغى أن يكون هدفاً للمخابرات من جانب الاستخبارات الأمريكية ، وبالتالى يجب إيقاف كافة العمليات . وفى العام التالى ، حاول « دونوفان » أن يقلب هذا الحظر ، إلا أنه على الرغم من تلقيه موافقة شفهية من أركان الحرب المشتركة كانت سياسة الرئيس هى القيام بإحداث التعاون الوثيق .

وبحلول ديسمبر ١٩٤٣ ، بلغت الأمور ذروتها بتوقيع اتفاقية على مستوى عال بين مكتب الخدمات الاستيراتيجية والبوليس السرى السوفيتى المعروف باسم « إن - كيه - فى - دى » لتبادل المعلومات والممثلين . وأوضحت مذكرة داخلية لمكتب الخدمات الاستيراتيجية موقعة بتاريخ ٤ فبراير عام ١٩٤٤ بعنوان « المعلومات الاستخبارية المقدمة إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية » ، أوضحت أن روسيا سوف تعطيها معلومات استخبارية ربما تكون ذات أصل منفرد بين معلومات مكتب الخدمات الاستيراتيجية وربما كان من شأنها أن تسدى النفع الكبير لتلك البلاد أثناء انخراطها فى الحرب ضد ألمانيا .

أما « ادجار هوفر » مدير مكتب الاستخبارات الفيدرالية فقد أعاق التبادل الخاص بهيئة العاملين ، فى حين أن « دونوفان » أطاع الرئيس وقدم حوالى ١٥٠٠ صفحة من الأكواد السوفيتية التى حصلت عليها محطة مكتب الخدمات الاستيراتيجية فى ستوكهولم من « رنيو هالالام » الرئيس السابق للمخابرات الفنلندية الذى كان فى المنفى بالسويد .

أما الهدية الأخرى التى قدمها روزفيلت إلى ستالين عام ١٩٤٤ ، فقد كانت عبارة عن دوسيه استخبارى ملء بالمعلومات عن المقاومة فى لاتفيا ، وكان مكتب الخدمات فى ستوكهولم صنعه من واقع المقابلات الشخصية مع اللاجئين . وعلى مدار عام ١٩٤٤ كان التدفق الاستخبارى يتم بصفة خاصة فى اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق .

ووافق « أوسلين » بناء على طلب اثنين من الدبلوماسيين اللتوانيين هما «زيلينكاس» و « جيليس » على تمويل تسلل « الجيرداس فوكيتس » إلى الاتحاد السوفيتى وبخاصة المنطقة التى تسيطر عليها ألمانيا .

وبعد تلقيه المعلومات فى ربيع عام ١٩٤٤ ، هبط « فوكيتس » على شاطىء قريب

من « بالانجا » مزوداً بأوامر للاتصال مع أحد مشغلى أجهزة اللاسلكى « الراديو » المدربين جيداً ، والذى كانت مهمته تقتصر على إجراء اتصالات الفلاحين الليتوانيين بالسويد ، وتعليمهم كيفية عمل ذلك .

بعد ذلك بأسبوع قبض على « فوكيتس » وأرسل إلى معسكرات التعذيب الألمانية المعروفة بمعسكرات التركيز فى « ستاتوف » . وحتى نهاية الحرب ، لم يتم إجراء أية عمليات إضافية فى ليتوانيا .

كانت فرص الاستخبارات البريطانية السرية فى « لاتفيا » أكثر تشجيعاً . وكان حلقة الصلة بين جهاز المخابرات البريطانى فى لاتفيا هو الدكتور « فالديمارس جينترس » الذى كان مصدراً هاماً من مصادر الاستخبارات السرية البريطانية فى منطقة البحر البلطى وبالذات فى مدينة « ريجا » الساحلية . وذلك فى فترة ماقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وحدث أن هرب عام ١٩٤٣ إلى السويد لينجو بحياته من الألمان .

وزعم « جينترس » أن إحدى التنظيمات السرية القومية الكبرى واسمها « المجلس المركزى فى لاتفيا » تم إنشاؤه فى لاتفيا بنهاية عام ١٩٤٢ وكان يقدم خدماته لجهاز المخابرات السرية البريطانية . واشتمل أعضاؤه على « فينتريس يتبفرس » و « برونو كالنين » وكلاهما كانا معروفين بعدائهما للنازية ، وكان ذلك بمثابة الاعتبار المهم طالما أن حوالى ٣٠,٠٠٠ رجل من « لاتفيا » قد تطوعوا للانضمام إلى فيلق « لاتفيا » المعروف باسم فيلق « إس ـ إس » .

وأكد الجواسيس الموثوق فيهم أن ضباط « هيميلر » قد قاموا بحشد أتباعهم للقيام بمذبحة ضد مجموعة كبيرة من متطوعى لاتفيا الذين كانوا على استعداد للحرب ، وذلك فى الغابات القومية من « ريجا » وبلغ عدد المذبوحين عشرات الآلاف . وأن فرقاً عديدة من فرق الإعدام فى لاتفيا كانت تتجول فى أوروبا الشرقية لقتل مالايعد ولايحصى من المدنيين الأبرياء يوميا . لم يكن « جنترس » متورطا فى هذه الفظائع .

بل كان يعرض تقديم حلقات الصلة القديمة التابعة للمخابرات السرية البريطانية ويزودها بالمسجلات وأجهزة اللاسلكى وحلقات الصلة بالراديو مع لاتفيا ، وكلاهما كانت ترسل بالتقارير عن الاحتلال الألمانى .

وقبل البريطانيون العرض الذى تقدم به وأرسلوا إليه ٥٠,٠٠٠ كرونه سويدية تم

دفعها بطريق غير مباشر توخياً للحذر من خلال ضابط بحرى سويدى ، هو الكابتن جوانسون . وكان هذا الضابط هو الصلة التى يتم عن طريقها تقديم التعليمات إليه واستقاء الاستخبارات والأسرار من الألمان ليتم بعد ذلك إرسالها إلى بريطانيا .

عبر « بيتر كليبتس » البحر البلطى إلى السويد فى قارب صيد ، وكان أصلاً عميلاً استخباريا ، وجلب معه معلومات حيوية : هى تكوين شبكة مقاومة جديدة قوامها ألف رجل فى غابات « كورلاند » تحت قيادة الجنرال « جانيس كوريليس » وكان « كار » لايفهم عن الجنرال كوريليس وعمله السياسى إلا أنه كان معادياً لكل من النازية والشيوعية : الألمان والسوفيت .

وعاد « كليبتس » بمساعدة البريطانين مستخدماً أحد الزوارق إلى لاتفيا . وكان مسافراً على نفس الزورق أحد الرجال الغرباء وهو « إروين هاسليمان » واستخدم اسماً مستعاراً هو « ليليا » . كان « ليليا » مكلفاً بتنظيم شبكة بريطانية فى لاتفيا تقوم بكتابة التقارير حول الأنشطة السوفيتية فى أعقاب الانسحاب الألمانى ، والقيام بقيادة وتزعم فريق مكون من عشرة رجال عبر الجبهة إلى داخل الأراضى التى يسيطر عليها السوفيت .

وابتهاجاً بنجاحه ، أرسل « سالنيس » بتفاصيل الاتفاق إلى « ريجا » وبدأ فى الاجتماعات الشهرية الدورية مع ممثلى الاستخبارات البريطانية ومكتب الخدمات الاستيراتيجية الأمريكى (المخابرات الأمريكية على عهد الحرب العالمية الثانية) ، وقدمت التقارير إلى لندن وواشنطن حيث كانت تدمج مع الملخصات التى توزع على القيادات ذات التسلسل القيادى على كافة المستويات فى كل من « داوننج ستريت » مقر رئاسة الوزراء البريطانية ، والمكتب البيضاوى ، مقر الرئاسة الفيدرالية الأمريكية.

كانت أجهزة الأمن الألمانية مهتمة اهتماماً خاصاً ومتزايداً بالمقاومة كوسيلة تقود إلى مراقبة النوايا البريطانية . وفى صيف ١٩٤٤ ، حينما تقدم الجيش الأحمر إلى بلدان ودويلات البحر البلطى الثلاث ، وتراجع الألمان آنذاك إلى بولنداً ، تزايدت حدة هذه الاهتمامات .

كانت منطقة « كورلاند » فى لاتفيا عبارة عن غابات كثيفة بطول الساحل المطل على البحر البلطى وتطورت إلى منطقة عسكرية كبرى لايمتلكها سوى من يقيم عليها .

وبالـرغم من أنها كانت تقع تحت السيطرة السـوفيتية إلا أنها كانت مرتعـاً للجماعات الكبرى من القوات والجنـود المعاقين والبائسين ومنهم جنـود تابعـون للفيلق اللاتيفى المسمى باسم (إس ـــ إس » وجنود « فيرماخت » ، وقوميات تنتمـى إلى دويلات البحر البلطى ، والطلاب وعمال المصانع والمزارعين ، وكل هؤلاء كانوا يخشون على حياتهم .

واشترت عائلات كثيرة تذاكر سفر بالقطارات إلى ألمانيا وهجروا بيوتهم إلى الأبد ، كما سافر الشباب باتجاه الغرب وهجروا مدارسهم وانضموا إلى الـ « فيرماخت » لحفر الخنـادق المضادة للـدبابـات لحماية الجيش المتراجع ثم العمل بـالسخرة فى المصـانع الألمانية .

أما هؤلاء ذوو القـوة الجسدية أو الصحة من الـرجال الذين مكثوا فى ديـارهم فقد كانـوا يلقون مصيراً محتـوماً ومعروفـاً أثناء الصيف : ألا وهـو الترحيل إلى سيبيريا كأعداء لـروسيا والتجنيد فى الجيش الأحمر لاستمرار الحرب . ولقـد أدى هذا التصرف من جانب الشيوعيين إلى طرد المزيد والمزيد من الناس إلى الغابات والريف .

وكان من بين أولئك الذين أصابهم التقهقـر الألمانى مجموعة « كوريليس » وصدر الحكم عليهم ونفذت فيهم أحكام بالإعدام « بسبب اتهامهم بالاتصالات مع فيلق إس ـ إس » فى لاتفيا . وهرب الآخرون إلى غابات « كورلاند » واختبأوا هناك بطول السواحل ، وكانـوا يتصلون بأجهزة المخـابرات السرية البريطانيـة عن طريق الراديـو واللاسلكى وزوارق الصيد .

وجاء فى رسائلهم أن حوالى عشرة آلاف من الفـلاحين يعيشون بطول النتوء الجبلى البارز من غـابات كـورلاند وذلك بجـوار آلاف من القوات الألمانية الـذين قطع الجيش الأحمر عليهم طرق العودة .

وبمضاهاة تقـارير « زيلينكاس » عن وجود ثلاثين ألف فـلاح على الأقل فى غابات ليتوانيا ، وحوالى ١٠,٠٠٠ فى استونيا ، بدت احتمالات وفرص الأنشطة أمام المخابرات السرية البريطانية .. بدت واعدة ومشجعـة . أما وصفهم بأنهم « فلاحون » أو « أعضاء فى المقاومة » ، ومعـادلتهم بالفرنسيين العاملين تحت الأرض كـان أمراً ملائماً لأنفسهم وللمتكفلين بهم ، إلا أن الوصف كان غير دقيق على الإطلاق .

على أية حـال ، كل هـؤلاء المشردين فى البرية طـالبوا بمسـاعدة وعـون بريطـانيا للحصول على استقلال بلادهم عام ١٩١٨ واعتقدوا أن إذاعات هيئة الإذاعة البريطانية

الماضية حول ميثاق الأطلنطى ماكانت إلا ضمانـات مؤكدة حول استقلالهم وإبعادهم عن قبضة الجيش الأحمر .

لم يصب الوهم أياً من عملاء أجهزة الاستخبارات العاملة فى ستوكهولم ، أو آمالهم بأن الحزب سوف يستخدم قصارى جهده لاستعادة استقلال بلادهم ، بل على العكس بدأت تلك الأجهزة الثلاث المناقشات حول زيادة مساندتهم للفلاحين ، يصاحبها وعود حول المستقبل الأفضل .

وكان من بين هـؤلاء القراء « برودواى » لتقارير المستر « كـار » ، هو المستر « كيم فيلبى » الذى اكتشف وجـود ثلاثة عـوامل ذات أهمية قصـوى : ألا وهى الحجم المقدر للجماعات الفـلاحية ، واليسر الظـاهر فى الاتصـالات مع السويـد ، ثم زرع العملاء فى داخل الأراضى السوفيتية .

وتذكر المسـتر « فيلبى » أن إحدى وأولى وكبرى حلقات اتصالاته فى روسيا كانت فى لاتفيا . وكان يعمل مراسلاً لصحيفة « التايمـز » فى أسبانيا عام ١٩٣٧ ، وكانت حلقات الصلة بينه وبين المخابرات السوفيتية المعـروفة باسم « كى ـ جى ـ بى » هو « جانيس بيرزينز » الذى كان يعمل مستشاراً عسكرياً للقوات المعادية للجنرال فرانكوا تحت اسم مستعار هو « الجنرال جويسيان » .

كـانت رسـائل « فيلبى » تمر إلى الـرجل القـادم من لاتفيـا عن طـريق وسيط فى البرتغال إلا أن الرجلين التقيا وصارا صديقين ، ولم يترنح التزام وولاء المستر « فيلبى » للشيوعية فى عام ١٩٣٩ حينما تم استدعاء « بيرزينز » إلى موسكو مـع ضابطين آخرين ينتميان إلى لاتفيا وكانوا جميعهم يعملون لحساب الـ « كى ـ جى ـ بى » ليتم إعدامهم هناك بتهمـة الخيانـة ، وذلك فى إطار حركـة التطهير الكبرى التى قام بها ستـالين ضد خصومه .

إلا أن قتل هؤلاء جـرد المخابـرات الروسية « كى ـــ جى ـ بى » من أكثـر الضباط كفاءة وأعاق من عمليات القبض الجماعية التى قامت بها تلك الأجهزة عام ١٩٣٩ وبعد ذلك بخمسة أعوام ، حينما شرع « فيلبى » فى كتابة التقـارير إلى موسكو حول العمليات الدائرة والمنفذة فى البحر البلطى تحت زعامة وتوجيهات المستر « كار » لم يستطع «كى ـ جى ـ بى » أن يستعيد أى شىء ولاحتى تواجداً اسمياً فى المنطقة .

وهكذا كـانت تقارير المستر « كـار » ذات اهتمام خاص لـدى القسم التاسـع داخل

أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية وتلقى التشجيع نظير هذا العمل ، وفى مارس ١٩٤٥ ، تبادل « كار » الاتجاه الإيجابى الذى تبنته لنديدا اخيراً وبوضوح تجاه مسألة جمع الاستخبارات والمعلومات المخابراتية داخل الاتحاد السوفيتى .

ولأجل ضمان الاتصالات الأكفأ والأكثر إتقاناً ، تم تدريب رجلين من مشغلى الراديو واللاسلكي وهما : « ارثر ارينتس » و « ريهاردز زاندى » ، على أيدى المستر « تيفيرز » على أجهزة ومعدات قدمتها المخابرات البريطانية السرية ، وتم إرسالها بصفة فردية إلى « لاتفيا » ، وكانت مجموعة « جينتوس » توفر الحماية لكل منهما ، وهى التى كانت تحتوى بين أفرادها على عدد من الجنسيات اللاتفية الذين قدموا خدماتهم تحت إمرة وقيادة الألمان .

وكان هناك شخص يسمى « روبرت سيبرس » أحد الضباط فى فرقة « جاجد كوماندو» الألمانية وكان فى السنوات الثلاث الماضية يقوم بتشويه وقتل أى لاتفى يعارض الاحتلال الألمانى لبلاده .

أما الآخرون العاملون فى جماعة « جينترس » والذين كانوا أعضاء فى فرقة كوماندو خاصة يتزعمها الميجور « فيكتور أراجاس » هم الذين قضوا العامين الماضين كفريق إعدام فى أوروبا الشرقية .

كانت هذه المجموعة فى مأمن بصفة مؤقتة من الجيش الأحمر والـ « كى - جى - بى » ، وكانوا ينتظرون حينما اندلعت معركة « برلين » على بعد ألف كيلومتر ، فقد كانوا على قناعة بأن حلفاءهم الحقيقين هى أجهزة المخابرات فى السويد .

وفى الجنوب وعلى بعد ثلاثمائة ميل ، فى ليتوانيا ، كانت معركة كاملة العناصر يدور رحاها بين الفلاحين والمحتلين الجدد للبلاد ، أما مسئولية استعادة ليتوانيا للرزوح تحت الحكم السوفيتى فقد عهد بها الزعيم ستالين شخصياً إلى «ميخائيل سوسلوف» ، الذى علا نجمه فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى الحاكم .

إلا أنه بحلول أواخر الصيف ، اعترف « سوسلوف » بأن الريف فى الليل يقع تحت سيطرة ١٠٦٧ من جماعات الفلاحين وحوالى ٨٣٩ من جماعات قطاع الطرق ، وأن هذه البيانات تمثل حقيقة واقعة لايمكن الجدال بشأنها .

وناشد « سوسلوف » موسكو ليرسل احد المتخصصين الذى يستطيع قمع الخسائر غير المقبولة التى كان الجيش الأحمر يتكبدها . أما رجل المهام الصعبة الذى

وصل في سبتمبر فهو الجنرال « سيرجي كروجلوف » نائب منطقة « بيريا » في كوميساريا الشئون الداخلية ، وكان قد حاز سمعة طيبة عكست الأعمال الشريرة التي نفذها إبان حملة التطهيرات الكبرى التي قام بها ستالين .

وانعشت عودة الجيش الأحمر ذكريات التجميعات القسرية ، والاستيلاء على الممتلكات والترحيلات الجماعية التي راح ضحيتها قبلا حوالي عشرين بالمائة من السكان . ووجد الكثيرون العزاء لأنفسهم في أن الاحتلال الروسي سوف يكون احتلالاً مؤقتاً للمرة الثانية . إن العسكرية الألمانية - حسبما تكهنوا بذلك - سوف تطيح بهتلر وسوف يتم دعوته لتشكيل ائتلاف مع أمريكا وبريطانيا من أجل شن حرب صليبية ضد الشيوعية ، وطرد الجيش الأحمر من برلين ورده على أعقابه إلى داخل روسيا .

وتحدث المعادون للشيوعية في عدد من الاجتماعات السرية عن احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة لفرض ميثاق الأطلنطي على الزعيم السوفيتي ستالين . وبدأت الدبلوماسية السرية على أيدي رئيس وزراء بريطانيا انتوني ايدين عام ١٩٤٠ ، وعزز منها عام ١٩٤٤ تدخلات الرئيس الأمريكي روزفيلت في طهران .

ولم تكن مسألة سوء تفسير تحالفات زمن الحرب بين الدول الكبرى الثلاث - وقد كان هذا أمراً محتوماً ومسألة قدر -- بالشيء الغريب أو غير المألوف ، بل كان متوقعاً . واقترح نفس السيناريو الكثيرون من كبار ضباط ألمانيا وساستها على ضباط استخبارات أجهزة مخابرات الحلفاء في السويد وسويسرا .

اما « آلان دالاس » ممثل مكتب الخدمات الاستيراتيجية الأمريكية في بيرن ، فقد نقل الفكرة إلى واشنطن ، إلا ان أولئك المتعاطفين مع الشيوعين تجاهلوا تصميم وعزم روزفيلت على البقاء على علاقات طيبة مع ستالين ، وأن يلتزم بالسياسة المتفق عليها والتي قضت بالاستسلام غير المشروط من جانب ألمانيا .

ثم قام المستر « كروجلوف » بالتحريض على إثارة أعمال العنف في ليتوانيا مما أدى إلى انقلاب عدة آلاف من الفلاحين وتخليهم عما كانوا محتشدين من أجله ، إلا أن الجمهرة الكبرى لم تتأثر وبلغت حوالي ٢٠,٠٠٠ التزموا بالقتال .

كما كان ثمة كثيرون يتعشمون في أن يفي الرئيس الأمريكي بتعهداته المعلنة . وتأججت نفس العواطف بين صفوف الشعوب اللاتفية التي كانت تتخذ من غابات

« كورلاند » مقـراً لها مؤقتا ، على الرغم من أن « جينترس » الـذى أصابه الضنى والألم وخشى من الأسر ، استقل زورقاً من زوارق الصيد وشد رحاله إلى السويد .

وسرعـان ما انضم إليه الرجلان اللـــذان كانـا يعملان مشـــغلين للراديـــو وهما « ارنيتس » و « زانـدى » كما لحق بهم أيضـــا المستر « سيبريس » . ولما وضعت الحرب أوزارها ، وتم تعـزيز السيطـرة والنفوذ الروســى ، بدت أجهزة المخـابرات البريطـانية السرية وقـد فقدت صلاتها وحلقات اتصـــالاتها داخل الاتحاد السوفيتى وذلك فى وقت كانت فيه الحاجة إلى هذه الصلات ماسة وضرورية للغاية .



الفصل الثالث

الخطأ القاتل

عاد المستر « كار » إلى لندن فى نهاية شهر يوليـو الأمر الذى كان يتنافى مع سياسة التقشف البريطـانى ، وكـان التغلب على مشكـلات ونقصـان الأسـاسيـات الخاصـة بتأسيس المسكن أمراً صعباً ، إلا أنه فى النهايـة استأجر بيتاً فى أحد الشوارع الخلفية فى « دى فيرى جاردنز » بمنطقة « لينسينجتون » .

وكـانت الحياة فى بـريطانيـا ذات مساوىء أخـرى ليس آخرهـا الغلاء الفـاحش وضعف الرواتب برغم التعويضات التى كانت تقدمها الحكومة .

وفى أعقاب الكـوارث الأولى المبكرة ، تمتـع جهاز الاستخبـارات السرية البريطـانية بفترة عمل جيـدة وإنجازات ملمـوسـة أثناء الحرب وذلـك بفضل التقنيات التى كـان يستخدمهـا وهكذا لم يعـد مستقبل الوكـالة الاستخبـارية مهـدداً بالفنـاء كما كان فى الماضى .

واستطاع « مينـزيس » أن يضمن لضبـاطه العفـو من مهانـة المرتبات الـوضيعة والمرتبة الـدنيا فى وظيفتهم كضبـاط مراقبة جـوازات سفر ، اللهم إلا إذا كـان ذلك أمراً متفقاً عليه للتمويه وكستار على عمليات استخبارية .

ولقـد تم تحويل الهواة فى العمل الجاسـوسى إلى محترفين فى نظـر الجهـاز المدنى الاستخباري . وكان « مينزيس » محافظاً وأوشك على التقـاعد الأمر الذى لم يمكنه من إعـادة تنظيم جهـازه المخـابراتى إلا أنـه مع ذلك استطـاع إنشـاء قسم خـاص بجمع المعلومات الاستخبارية من شطرين هما : المهمات والإنتاج .

وكـان هناك تسعـة أقسام أخـرى كل منها مسئـولة عن مـوضـوع خصـوصـى ـ السياسـة ، الاقتصـاد ، العلوم ، والخدمـات العسكرية ـــ وهى التى كانت تقرر نـوعية المعلومات المطلوبة من الأقسام الجغرافية الخمسة المسئولة عن عمليات المخابرات حول العالم .

وعلى الرغم من أنـه كانت هناك الفرصـة لإنتاج الدماء الجديـدة وضخها فى أجهزة

المخابـرات البريطانية السرية ، إلا أن مينـزيس كان ينظر إلى زملائه القـدامى والموثوق فيهم على أنهم سوف يصبحون المتحكمين والمديرين لأقسام الإنتاج .

وكان الثواب الـذى ناله نظير خدمـاته فى هلسنكى ونجاحاتـه إبان زمن الحرب فى ستـوكهولم هـو وسام « ســى ـ إم ــ جى » (رفيق ســانت ميشيل وسانت جـورج) والترقية إلى مرتبة المشرف والمتحكم فى منطقة الشمال التابعة للمخابرات البريطانية .

وشغل مكتبـــه الطـابق الســادس فى « بـــرودواى » . وكـان يعكس هـــذا القسم المسئوليات التى تعلقها وزارة الخارجيـة البريطانية على منطقة الشمـال والتى اشتملت على : النرويج والدانمارك ، والسويد وفنلندا والاتحاد السوفيتى .

وهكذا بـدأ تمكنه من هذا العمل الجديد إذ كـان قد أنفق خمسة وعشرين عـاماً من الخبرة العملية فى هــذه البلدان ، وكان طبيعياً أن لايـوجد منافس أو منازع لـه فى نطاق منصبه الجديد داخل المخابرات السرية البريطانية .

ووقعت تحت رعايته محطات المخابـرات البريطانية فى كل من العواصم الخمسة ، التى كانت مهمتهـا الأساسية ـ بعـد أن وضعت الحرب أوزارها ـ هى جمع المعلـومات مرة ثانية ، ولكن عن روسيا فى المقام الأول هذه المرة .

وكـــان من حقـــه الادعـــــاء بأن عمله تقدم تقدماً جوهريـاً ، ولـــدى عودتـــه من « ارشـــانجيل » جعل يعلم نفسه الاختـزال والكتـابة على الآلـة الكاتبـة من أجل أن يصبح مـوظفـاً مكتبياً . وبعـد ذلك بخمســة وعشرين عـامـاً ، أصبح قناة هـامـة من الاستخبـارات لرئيـس الوزراء ووزارة الخارجيـة رغم عـدم تلقيـه تعليماً إضافيـاً أو حصوله على مـؤهلات مهنية ، وذلك من خـلال تقديمه للمعلومات الهامـة عن الشئون الداخلية لروسيا أكثر أعداء بريطانيا صرامة .

وبدا الأمـر وكأنه فـرصة طيبـة للمستر « كار » إذ أنـه صار من خــلال السلسلة الجديدة للقيادة ، كان يتعين عليـه أن يكتب التقارير أولاً بأول للمستر « كينث كوهين » مديـر الإنتاج الذى كانت اهتمامـاته السائدة هى فرنســا والبلاد الواطئة (هــولندا) ، وكان من عادته طلب تقارير غير محددة عن الأنشطة الدائرة فى منطقة الشمال .

كان من بين عمــلاء وزبائن المستر « كـار » هو « فيلبى » وقسمــه الجديد المسمى باســم « ار ـ ٥ » للاستـــخبارات المضادة ، والتى حــلت محل القسم التاسع . وكان « فيلبى » لايزال مسئـولاً عن الأشراف على جمع المعلومات على النطاق الدولى عـن كافة

الأشياء والأشخاص والسياسات (أى المادة) المعادية والمناهضة للسوفيت والشيوعية .

وظل « كار » مسئولاً عن تأمين سرية عملياته ، طالما أن « مينزيس » لم يكوّن جماعة الاستخبارات المضادة الموازية من أجل مراقبة أنشطة المخابرات البريطانية السرية الخاصة وعملائها .

تناقضت خبرات المستر « كار » على زمن الحرب فى الجو الهادى للسويد المحايدة تناقضاً حاداً مع ذلك الجو الذى عمل فيه رفقاؤه الذى كان عبارة عن جو حرب ونيران فى بريطانيا ، وجزر البلقان ، وشمال أفريقيا وفرنسا وألمانيا .

وعلى مدار عمله المهنى ، وحتى ترقيته فى ١٩٤٥ ، انعزل المستر « كار » عن الضغوط الداخلية الممارسة فى « برودواى » ، وأصبح مدركاً إدراكاً غير كامل بطبيعة الكوارث التى وقعت على أجهزة المخابرات البريطانية أثناء الحرب . ولم يكن يعرف إلا القليل مما تكبدته أجهزة الاستخبارات البريطانية وأقسامها الداخلية المختلفة .

وكانت التجاوزات والأخطاء المنكرة التى وقعت فى سكندنافيا قد أكدت فى رأيه تلك السمعة السيئة التى لحقت بمنظمة « إس - أو - إى » التابعة للمخابرات البريطانية ، وكيف أنها لاتحظى بالاحترام ، وبخاصة عملياتها فى هولندا .

وفى الفترة بين ١٩٤٠ - ١٩٤٤ ، أثناء تدفق الرسائل اللاسلكية بالراديو عبر القنال الانجلزى ، كانت ترسل تلك المعلومات إحدى شبكات المقاومة ، وتم إبرار ١٤٠ عميلاً تابعاً لقسم « إس - أو - إى » بالبراشوط لمقاتلة القوات السرية الهولندية . وفى الواقع كان « إس - أو - إى » ضحية للـ « نوردبول » وهى عملية خداع ضخمة صعدها الـ « ابويهر » .

وكانت المفاجأة أن جميع عملاء منظمة « إس - أو - إى » التابعين للمخابرات البريطانية استقبلهم لدى نزولهم « الجستابو » الألمانى أو البوليس السرى للرايخ الثالث النازى ، وبعد أن ورد إلى لندن رسائل تقول بوصولهم سالمين ، سمعوا بعد ذلك أن جميعهم قد أعدموا .

وفى عام ١٩٢٥ ، كان « كار » قد جرب كخبرة أخبث نماذج الخداع تلك التى مارسها الـ « ترست » وكان ليس بحاجة إلى التحذيرات بشأن مهالك ضعف الأمن

واحتياجات التجزئة المطلقة لحماية العملاء الأفراد .

وكانت علاقة « كار » مع « مينزيس » علاقة حميمة ، ليست على المستوى الاجتماعى بل على المستوى المهنى . ذلك أن الظروف الاجتماعية التى تربى فيها كل منهما كانت مختلفة اختلافاً شديداً . ومع ذلك ، كان كلاهما يشترك فى بغضه واشمئزازه من الشيوعية والشكوك فى البلاشفة وعدم الثقة فى وجهة النظر الشعبية بأن روسيا الستالينية سوف تصبح حليفاً دائماً فى زمن السلم .

وجلب « مينزيس » أحد الشخصيات من الخارج وهو العميد طيار جيمسى « جاك ايستون » ، وكان قد حظى بالتقريظ والإشادة أثناء الحرب بصفته مساعداً لمدير سلاح الجو الملكى البريطانى لشئون المخابرات ، بسبب تقديمه التسهيلات لأجهزة المخابرات السرية البريطانية ومنظمة « إس ـ أو ـ إى » ، ولذلك فقد تم تعيينه نائباً للمستر « سى »

وعاد المستر « ايستون » الذى يتصف بالهدوء والحنكة والخبرة والممارسة إلا أنه لدى وصوله تعرض لموقف لايحسد عليه إذ تجنبه مجموعة من رجال المخابرات القدماء المحنكين ذوى الباع الطويل فى شئون روسيا ، واحتقروا وازدروا فكرة أن يتولى رئاستهم رجل بدون « تاريخ كبير » فى العمل الاستخبارى ، لايتصف بالحساسية لعالم الجاسوسية والعمل الجاسوسى والجواسيس والعملاء . وقالوا : كيف يمكن له أن يمارس ويزاول السلطة عليهم وهو يفتقد إلى هذه المؤهلات الضرورية ؟ .

وبعد قضائه أياما قليلة فى «برودواى» علق « ايستون » على مايلقاه فى «برودواى » لزوجته قائلاً : « إنه مناخ شديد الحساسية وسريع الغضب . وأثار حفيظة نقاده الاستئناف المتوقع للعمل ضد البلاشفة ، وكان من المتوقع أن يكتبوا بذلك إلى المستر « ايسون » ، وسرعان مايتقن النائب الجديد من أنهم يتحاشون ويتجنبون مكتبه المجاور لمكتب « مينزيس » فى الدور الرابع .

كانت دائرة روسيا القديمة تشمل « ويلفريد » بيفى » دنورديل » الذى أشرف باعتباره ضابطاً فى المخابرات البريطانية السرية فى باريس قبل الحرب ، على مجموعة كبرى من الروس البيض تعمل ضد السوفيت .

وفى عام ١٩٤٥ ، استأنف « دندرديل » صلاته مع « طاقم كبير » قوامه ثلاثون مهاجراً روسياً فى لندن لاعتراض الاتصالات السلكية واللاسلكية البريطانية . وقدم

« بيفى » الذى سكن فى منـزل منفصل ، قدم عمليته على أنها « عملية إذلال » للبـلاشفة وأصر على المثـول المبـاشر بين يدى المستر « سى » ، وتحاشى « ايستـون » من حمايـة عمليته .

ولم يتحقق أحد فى ١٩٣٩ من أن مجمـوعة باريس تم اختراقها اختراقـاً كاملاً كما أنه ـ بنفس القـدر ـ لم يتم السماح لأحد بأن يعرف عـام ١٩٤٥ أن فريقه أصبح تحت أضراس السوفيت وأنهم فقدوا كل شىء . ولم يتسنَّ لهم معـرفة كل هذه الأسرار إلا فى أثناء الخمسينات .

كان « هـارولد جيسون » رجـلاً آخر من أولئك الـذين يجيدون الحنكة والـدربة التعامل مع الأشياء واتصف بأنه داهية . ففى الفترة الواقعة قبيل انتهاء الحرب ، زعـم « جيبسون » تحقيقه لنجاحـــات باهـرة فى براغ وبخارست . أما الآن فقد تحقق المستر « ايستون » كيف أن الضـابط المنتظر ساعـات طويلة خـارج مكتب « سى » للاجتماع معه ، ولم يناقش معه العمليات بصفته الرئيس المباشر له .

فكانت كلما اضطرت الظـروف المستر « جيبسون » لشرح أنشطته إلى « ايستون » شعر الرجل القادم حديثاً بعدم الـرضى ، ولم يكن هناك ثمة تفاهم بينهما ، فكان الأمر يشبه الماضـغ للقطن على غير طائل .

وفى تلك الآونـة صارت القـوات الـروسية لأول مـرة فى التـاريخ متمركـزة فى قلب أوروبا وأصبحت جميع أجهـزة المخابرات الغربية تنشـد وتسعى إلى اختراق الضباب : ضباب الشكوك وعدم التيقن بشأن النوايا السوفيتية .

وبالنسبة إلى المخـابرات البريطانية والأمـريكية ، أصبح تقسيم ألمانيا إلى منطقتين يقدم ميزة وفرصة فريدة هى استطاعة مراقبة الجيش الأحمر والمخابرات السوفيتية الـ « كى ـ جى ـ بى » وهى تعمل . ذلك أنهم يستطيعـون بعيداً عن روسيا إخفاء أنفسهم عن الأعين ، أمـا فى داخل ألمانيا ، فتستطيع أجهـزة المخابـرات الغربيـة مراقبـة هيئات العاملين وتقنيَّاتهم وأهدافهم .

وأصبح لأول مرة ، لم تحتج أجهزة المخـابرات البريطانية السريـة أية رجال للعمل كما لم تعد تعانى من نقص الكوادر (كانت المخابـرات السرية للدولة البريطانية تسمى أصلاً « إم ـــ اى ـ ١ » ثم أعيـد تسميتها « إم ـ اى ـــ ٦ » عام ١٩٢٢ . أمـا الاسم الذى أطلق عليها قبل هذه الفترة من التاريخ فقد كان مجهولاً) .

وفى ذلك الموقع كانت المخابرات البريطانية تستطيع استغلال التوسع الضخم للعتاد والقوة العاملة فى زمن الحرب . وكان مجرد توقيع واحد كافياً لاكتساب أو مصادرة أى شيء مطلوب من الألمان .

إلا أن « مينزيس » حث على الحرص والحذر بين هيئات العاملين . وتوقع البعض أن تستمر الحكومة التى يتزعمها حزب العمال البريطانى فى علاقاتها الطيبة على زمن الحرب مع موسكو وإدانة أى ارتباك يسببه جهاز الاستخبارات البريطانية السرية . وفى نفس الوقت ، يتم الاتصال بالقوميات المناهضة للسوفيت كما كان الزج بالعملاء فى الدول والبلدان التابعة .

وقال « مينزيس » : إن هذا لم يستبعد إعادة تجديد المساندة للشعب الأكرانى وشعب جورجيا ، واتفق مدة على هذا الرأى المستر « كار » ، وكذلك أهالى دويلات البحر البلطى الذين بوسعهم التطوع بكل توق وشغف من أجل أى اشتباك من شأنه تحرير بلادهم .

وأوصى « كار » بإرسال مشغل لاسلكى من السويد إلى لاتفيا ، الذين كانوا بكل المقاييس لايزالون مشتبكين فى الحرب الضروس مع الروس . ووافق مينزيس ولكن للمرة الثانية حث على توخى الحذر والحرص . وهكذا فقد تقرر أن يتم إرسال وتوجيه جميع المساعدات والعون بكل حزم عبر الوسطاء .

كانت ثمة ضرورة توجب وجود صلة أو ارتباط مع رئيس « ار ـــ ٥ » وحدث أن حكم « كيم فيلبى » على مشروع « كار » بأنه بمثابة إعادة تجديد للعداوات .

وعهد « كار » بالمسئولية عن إدارة والاشراف على العمليات الجديدة إلى « ساندى ماكيبين » الذى ألحق للعمل فى مركز الاتصالات الخاص فى شارع « رجدير » بالقرب من بيكاديللى ، وعلى الرغم من عدم وجود ألفة بين الرجلين ، إلا أن « كار » اعتقد بأن « ماكيبين » امتلك المؤهلات الملائمة .

إذ كان يتحدث عدة لغات ويتمتع بخبرة طويلة فى المنطقة ، كما كان يستمتع بالإخلاص والولاء والاحتمال فضلاً عن الثقة ، وهيأ نفسه للبقاء فى إطار الخدمة ، فى حين كان عدد كبير من الأشخاص الآخرين بصدد الرحيل ، سعيا وراء إغراءات الفرص المربحة فى المدينة .

وعلى صعيد دول البحر البلطى ، أرسل سفراء الدويلات الثلاث برسائل دورية إلى وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الخارجية البريطانية يحتجون بأن الحكومات الجديدة اعترفت بحق بلادهم فى البقاء .

وعلى الرغم من أنهم فى واشنطن كانوا يعاملون هؤلاء بكل محبة سواء على الصعيد الرسمى أو غير الرسمى . وأدانت وزارة الخارجية البريطانية اتصالاتهم ووصفتها بأنها « مناشدات محزنة ومثيرة للشفقة » .

وكتب « باسيل سميدلى » المسئول بالحكومة البريطانية بعد أن قرأ وصفاً للموقف البائس فى دول البحر البلطى من السفير اللاتفى « تشارلز زارينو » يقول : « ليس هناك بوسعنا فعله لمساعدتهم ، كما أنه ليس هناك أية مقولات يمكن استمدادها من التاريخ الخاص بـ لاتفيا » أو استونيا أو ليتوانيا من شأنها أن تؤثر على المستقبل .

وساد نفس الاتجاه بعد السماح للمستر « شارمان » السكرتير الأول بالسفارة البريطانية فى موسكو ، له فى أكتوبر ١٩٤٥ بالسفر إلى ريجا لأول مرة وتأكيد ادعاءات « زارينز » بالرعب والترحيلات الجماعية إلى سيبيريا .

وقال « شارمان » فى تقاريره أنه ليست هناك حركات مقاومة ضد السوفيت وربما قرأ « كار » و « ماكيبين » تقرير شارمان إلا أنهما رفضاً ملاحظاته على نحو صائب واعتبراها وجهة نظر ضابط صغير الرتبة وعديم الخبرة كان يسافر تحت وطأة الإشراف المطبق والمحكم .

وفى ذلك الحين كان الـ « كى — جى - بى » يعانى من خسائر خطيرة فى عملائه الدموية لقمع الفلاحين .

وتحقق السفراء الثلاثة (سفراء دول البحر البلطى) من أن توازن القوى مال لصالح الأطلنطى وأن تحرير بلادهم يعتمد على واشنطن حيث أن كثيراً من شعوب بلاد أوروبا الشرقية تعيش فى أمريكا .

وفى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأولى ، لم يهاجر سوى أقل من ١٠٠,٠٠٠ روسى وأوروبى شرقى سنوياً إلى الولايات المتحدة ، وفى بعض السنوات ، وصل الإجمالى إلى حوالى ٣٠٠,٠٠٠ ، وبعد ذلك بثلاثين عاماً كانت الأغلبية لاتزال تعيش ونقلت إلى الجيل الجديد شعورها المتأجج بالوطنية والقومية وشكوكها فى الشيوعية .

وضغطت جماهير المهاجرين عبر الحرب العالمية الثانية على روزفيلت نيابة عن أبناء بلادهم ، وأرسلوا وابلاً من القنابل (فى شكل التماسات) إلى الكونجرس والبيت الأبيض يطالبون فيها بتنفيذ ميثاق الأطلنطى .

وفى فبراير ١٩٤٥ ، كتبت رابطة تحرير ليتوانيا إلى روزفيلت تشكو من أنه ليس هناك أى ذكر فى « يالطا » عن مسألة وقضية دويلات البحر البلطى .

وتدفقت المناشدات فى هيئة فيضان فى الأسابيع الواقعة قبل انعقاد مؤتمر « بوتسدام » تم تقديم معظمها شخصياً من جانب الوفود الآتية إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وكلها تحمل صفة وعلامة اللوبى المنظم من أجل الضغط على الإدارة الأمريكية .

وكلها ذكرت المتناقضات الصارخة الواردة فى « يالطا » وميثاق الأطلنطى . وبكل تأكيد ، حث الملتمسون على تحقيق أمانى دول البحر البلطى وكيف أن لها نفس حقوق الاستقلال والحكم الذاتى شأنها فى ذلك شأن سائر الأمم .

وكان رد فعل المسئولين الحكومين هو التصرف بإنكار أنفسهم والابتعاد بأنفسهم عن هذه القضية ، إذ لم يشأ أحد أن يكشف تعهدات روزفيلت إلى ستالين حينما تخلى عن الاحتلال السوفيتى لكل من دول البحر البلطى وبولندا ، وقال للزعيم السوفيتى : « لا أنوى خوض الحرب من أجل هذه القضية » .

أما ضغطهم على خليفة روزفيلت فقد أثبت جدواه . ففى خطبة ٢٧ أكتوبر ١٩٤٥ فى نيويورك « سينترال بارك » أعادة ترومان تأكيداته على مساندته للدول المحتلة والتزامه بميثاق الأطلنطى . وهو أمر جعل الجماهير المستمعة له تشعر بالامتنان والرضا .

إذ أن أمريكا الدولة الوحيدة التى تمتلك القنبلة الذرية كانت من القوة الكافية بحيث انها تستطيع استخراج وأخذ التنازلات اللازمة من الاتحاد السوفيتى . وحتى إذا كان ترومان غير مستعد لكسر الصداقة مع ستالين ، وهو مادعمه روزفليت ، إلا أن زعماء دول البحر البلطى فى أمريكا اعتقدوا أن الحكومة البريطانية سوف تساعدهم وتعين قضيتهم بكل تأكيد ، حيث أنهم سمعوا من السفراء بصورة غير رسمية أن جهاز المخابرات السرية البريطانية لم يتخل عن اهتماماته ومصالحه التقليدية .

وأصدر « كـار » تعليماته إلى مـرؤوسيه بإقـامة تواجـد عبر بلدان وجمهـوريات الاتحاد السوفيتى . وكانت الاستخبـارات البريطانية تحتاج إلى الـزعماء المهاجرين من كل من المنـاطق التى تستطيع تقديم تنظيمات قـومية لها مصـداقية لجمع المعلـومات وتجنيد العملاء . وأمـر المستر « كار » ضباطه بـاستئناف وإقامة العـلاقات مع أولئك الذين هم أصدقـاء للمخابرات البريطانية قبل أو أثنـاء الحرب ، وعادة بغض النظر عن تعاونهم إبان الحرب مع ألمانيـا ، وكان من بين هؤلاء « ستيفان بانديرا » رجـل الزعامة القومية الأكرانية الذى عمل معه « كار » أثناء الثلاثينات فى فنلندا .

وفى عام ١٩٤٥ ، كان لاجئاً فى ألمانيا الغربية . ورجل اخر هو الجنرال « لاديسلاف انـدرز » زعيم الجيش البولنـدى المحلى ، الـذى دفعته المخـابرات البريطـانيـة لإقامـة العلاقات مع ضباطه فى بولندا التى يحتلها السوفيت . وكانت العمليات فى كل من هاتين المنطقتين بمثـابة المسئولية الكـاملـة الواقعـة على « كار » أمـا إعـادة إقامـة علاقـات الاستخبارات البريطـانية مع رجال الجاسوسيـة فى دويلات البحر البلطى ، فقـد كانت مسئولية مباشرة للمستر « ماكيبين » .

وفى بواكر يولية ١٩٤٥ ، عاد «ماكيبين» إلى ستوكهولم لمقابلة «ولتر زيلينسكاس» ، وهو أحد الدبلوماسين السابقين . وكـان الرجل الليتوانى يكافح من أجل البقاء والبقاء . والآن فى أعقاب انتهاء الحرب مبـاشرة ، أعطت الحكومة السويديـة ـ التى كانت تخشى من تعنيفات وتوبيخـات موسكو ـ إخطـاراً بمهلة يومين إلى السفارة الليتـوانية لإغلاق مقر السفارة وأمراً آخر بنقل كافة ملفاتها إلى السفارة السوفيتية .

ولما انتهت المهلـة ، تعرضت الملفـات كلها إمـا إلى التدمير أو النقل فى أحـد الزوارق الصـغرى إلى إحـدى الشقق الصغرى فى « أودينجـاردين » . على الرغم مـن أن عمليات المخابرات البريطانية فى زمن الحرب فى ليتوانيـا كانت ناجحة ، إلا أن « ماكيبين » تحدث بتفاؤل عن المستقبل ، وأخبر « زيلينسكـاس » بأنه سوف يعطى المعونـات المالية مهما كانت ضخـامتها والتى يحتاجهـا من أجل جمع المعلومات المخـابراتية لصـالح أجهزة المخابرات السرية البريطانية .

ثم عـاد آنـذاك « الجيرداس فوكيتيتـس » العميل المشترك بين المخابـرات السريـة البريطانية ومكتب الخدمـات الاستيراتيجية (المخابرات الأمريكية) ، ليتم إرسـاله مرة ثانية إلى ليتوانيـا عام ١٩٤٣ ، وبعدها عاد إلى السويد ، وقد نجـا بحياته من الحجز فى داخل معسكرات الاعتقال الألمانية .

وعقد اجتماع على عجل ، قال فيه للمستر « ماكيبين » : إن زعماء الـ « فليك » وهى اللجنة العليا لتحرير ليتوانيا ، قد نجوا كذلك من السجون الألمانية إذ كانوا مفخرة الاستخبارات البريطانية السرية لأنهم ، حسبما قال « فليك » يمثلون كولبة وتنظيماً ناضجاً سياسياً وعسكرياً ، وكان لهم صلاتهم مع آلاف المعادين والمناهضين المسلحين للشيوعية والذين كانوا يقاتلون فى الغابات .

فى نفس اللحظة بعينها ، كان ضباط المخابرات الأمريكية أيضاً يبحثون عن زعماء « فليك » .

ولم تكن الحرب قد وضعت أوزارها ، إلا وقد أخذ الليفتنانت « أنتونى فيفيدل » ، وهو أحد ضباط الاستخبارات الصغار الذى يعمل فى مقر الجيش الثالث التابع للجنرال « باتون » فى ميونخ ، أخذ يتدبر ويفكر كيف يقوض من القبضة السوفيتية على أوروبا الشرقية ، وبخاصة ليتوانيا .

كان فيفيدا بلغ من العمر ٣٤ عاماً ، ونشأه والداه (وهما من ليتوانيا) على بغض وكراهية الروس . وعلى الرغم من أنه ولد فى « فيلادليفيا » .. على الساحل الشرقى للولايات المتحدة ، إلا أن فيفيدا وعائلته شأنهم شأن الكثيرين الذين وجدوا الحصن والملاذ فى أمريكا من الشمولية والديكتاتورية الروسية لم يتخلوا أبداً عن جذورهم .

وفى عام ١٩٢٠ ، عادوا إلى ليتوانيا وقد أثارهم استقلال دولتهم ، وماكادوا يطأون أرضها إلا وقد أضر بهم الفقر والعوز والأوهام . وبعد ذلك بسنوات ست ، عاودوا هجرتهم إلى أمريكا ليوقدوا من جديد مع مليون آخرين من المهاجرين الليتوانيين شموع التحررية الوحدوية لبلادهم من على البعد .

وفى داخل مقر المستر « باتون » بميونخ ، كان ثمة حديث طويل وكثير حول تهديد الشيوعية - وأخذهم العجب والتناقض كيف يكونون أعداء على هذا القدر من الحضارة ومع ذلك هم حلفاء للولايات المتحدة الأمريكية منذ أربعة أعوام كاملة . وكان بعض ضباط وأتباع فيفيدا أكثر قلقاً وانزعاجاً من الجيش الأحمر والشيوعيين ، وليس النازيين والرايخ الثالث الألمانى ، الذين كانت خنادقهم وقوتهم ونفوذهم لاتزال واثقة حول بافاريا .

وقد يقول الكثيرون : إن الظلم الواقع عليهم نبع عام ١٩٤٥ حينما واجه الجيش الثالث الأحمر فى تشيكوسلوفاكيا على ضفاف نهر « إيلبى » إذ اتصفت المواجهة هذه

المرة بأنها كثيفة وعدوانية ، أغرت الضباط الأمريكين بأن يغمضوا أعينهم حينما ساعد أتباعهم وحدات « فيرماخت » المحتجـزة والضباط الآبقين التابعين لمجموعة « إس إس » على الهرب إلى ناحية الغرب .

ولقد تمخضت مآسى الحرب والعداوات بين الشعوب الأوروبية وتطاحن جيوشها إلى إلحاق الخراب بالبلـدان والمدن والمصانع والمزارع وتشريد السكـان وترويع الآمنين ونشر الخراب والـدمـار ، وضيـاع الأمن وافتقـــاد السكينـة فضـلاً عن تشرد العمال ، وهيامهم على وجـوههم فى البلاد طلباً للـرزق والعمل وسعياً وراء حياة جديـدة والبقاء وهربا من الموت المحدق بهم من كل صوب وناحية .

وكان معظم الأغلبية من هؤلاء ضحايا بـلاشك . وكان هناك ضحايا لجماعة « إس إس » هم الذين تم اختطافهم من منازلهم فى أوروبا الشرقية للعمل فى ألمانيا ومصانعها العامرة والمناجم السـاحرة أو من أجل السجن فحسب فى واحد من الكثير من السجون الألمانية ومعسكرات الاعتقال (التركيز) المنتشرة فى أرجاء وربوع بلاد الرايخ الثالث .

وعلى الرغم من أن المجموعة الضخمة كـانوا من البولنديين ، إلا أن « فيفيدا » لاحظ أن الكثير من الضحـايـا الآخريـن كانـوا ينتمـون إلى الشعـوب الأكـرانية والقـوازقـة والأذربيجـانيين ، والبيلـوروسيين (أهالى روسيـا البيضـاء) أو الأرمن الـذين كـانت أوطانهم تنتمى إلى روسيا حسب اتفاقيات « يالطا » .

وكـان البعض الآخر ضحـايـا للنازيـة وبعضـهم حـارب الألمان ضد السـوفيت ، والآخرون كـانوا بمثـابة لاجئين هـجـروا أوطانهم وبـلادهم فى اتجاه الغرب خـوفاً من الشيوعيـة ، وكان من بين هؤلاء الفئة الأخيرة قـوميات ورعايا ينتمـون بجنسياتهم إلى جمهوريات البحر البلطى الثلاث : لاتفيا ، وليتوانيا ، واستونيا .

وفى الأيام المبكـرة من شهر مايو ، شرع فيفيـدا فى القيادة بالسيارة مئـات الأميال حول بـافاريـا باحثاً عن الـلاجئين الليتوانيين والتحـدث معهم بلغاتهم الأصليـة . لقد أخبروه بـالأهـوال والفظـائع التى ارتكبهـا الـــروس ، وكيف أنهم بسبب خشيتهم من الشيوعيـة تخلوا عن كـل شىء وخشية أن يقـوم الأمريكان بنقلهـم قسراً والعودة بهم للعيش تحت إمرة وسيطرة السوفيت كما فعلوا مع الكثير من الأوروبيين الشرقيين .

والأسـوأ من ذلك كله ، اعتقـادهم بأن الجيش الأحمر سرعـان مـا يزحف صـــوب الغـرب لاحتلال المزيـد من البلاد والبقـاع الأوروبيـة . ولقد أوقـدت حكايـاتهم نيران

الكـراهية والمقت ضـد السوفيت . فصـار « فيفيدا » يحترق حقـداً وبغضاً لهم والـذى أزعجه أن كثيراً من رفاقه الضباط الأمريكان كـانوا يخاطبون الليتوانين كما لو كانوا ـ مثل اللاجئين الروس ـ قد تعاونوا مع النازيين .

وشرع « فيفيدا » بناءً على مبادرة منـه فى البحث عن زعماء « فليك » الذين لايزالون على قيد الحيـاة . وراح يعبر شوارع ومناطق بافـاريا بسيارته العسكـرية « الجيب » . واقتنع أن بحثه هذا يمثل إضـافة إنسانية إلى القضيـة الليتوانية ، وإضافـة إلى المعرفة والمعلومات الأمريكية حول الموقف فى روسيا .

ولقى طلبه المكافأة والثواب . إذ وجد بعـض زعماء الـ « فليك » وعثر عليهم وكانوا لايـزالـون محتجـزين فى سجن « كـوبـورج » ، فأصـدر أوامـره بإطـلاق سراحهم ، والآخرون الذين فروا مع الألمان فى أواخر عام ١٩٤٤ ، استقروا فى معسكرات المتشردين والأشخاص الذين تدمرت بيوتهم .

كـان جميع هؤلاء من السـاسـة السابقين وضبـاط الجيش وأسـاتذة الجامعـات والأكاديميين أو رجـال الدين . وتشـابهت رواياتهم حول المعـاناة التى تكبـدوها تحت سطـوة النازيين وكيف أنهم هـربوا المعلـومات حـول ظروف وأحـوال زمن الحرب إلى أجهزة المخابرات البريطانية فى استوكهولم . وشعر « فيفيدا » انه قد وصل إلى مبتغاه .

إلا أنه وقبل أى شىء آخـر قد تأثر أشد التأثير بخوفهم مـن الروس واشمئزازهم منهم . وتوجهوا بناء على توجيهاتـه إلى « ورزبيرج » لخلق وإنشاء خزان من المعلومات الجديدة حول الاتحاد السوفيتى ومركز يتم فيه وصول اللاجئين من ليتوانيا حيث يتم استقاء المعلومات منهم واستجوابهم بشأن أغراض الاستخبارات .

على الرغم من أنهم كانوا بمثابـة ائتلاف محير من الاراء المنفصلة والمتفاوتة جداً ، إلا أن الـذى كان يجمعهم هـو قناعتهم بـأن الحرب العالميـة الثالثـة صـارت وشيكـة النشوب . وأخبر المونسينيـور « ميكولاس كـروبافيس » رجل الـدين القوى الـذى كان زعيم الـ « فليك » ، أخبر المستر « فيفيـدا » بأنه ليس راضياً عن استعادة الامبراطـورية القديمة إلا أنه فى يوم من الأيام سوف يتحرك صوب الغرب .

وعلى الرغم مـن أن أكواما من الجثث كـانت لاتزال راكـدة بدون دفنهـا عبر القارة الأوروبية ، إلا أن تنبـؤات « كروبـافيس » لم تكن غير شائعـة أو غير متفقة مع رفـاقه وضحايا الحروب الأوروبية .

وفى الأيام الأولى من يونية عام ١٩٤٥ ، كتب « فيفيدا » مذكرة من ثلاث ورقات على الآلة الكاتبة مخاطباً فيها رئيسه وأسماه « تقرير حول الحكومة السرية فى ليتوانيا » . واستخدم فيه لغة مؤثرة ، وأوضح محنة ومأساة الـ « فليك » الذين لايرغبون سوى فى إعطائهم الفرصة لتقديم قضيتهم إلى الممثلين المعتمدين الأمريكان نيابة عن ٢٠٠,٠٠٠ ليتوانى مطرودين من أوطانهم السليبة .

وفى تعليق اضافى ، قال « فيفيدا » : إن جميعهم يعربون عن سخطهم بكل عنف ويبدون أسوأ المشاعر المناهضة والمعادية للسوفيت ، ويوضحون أنهم هم والليتوانين عموماً لن يعودوا إلى ليتوانيا . ذلك أن هذه العودة تعنى للبعض « الموت المحقق ، وتعنى للآخرين النفى مدى الحياة إلى سيبيريا » .

وأبدوا مشاعرهم المريرة بأن « الأمريكان وسلطات جوازات السفر » اتهمتهم بالموالاة والتأييد للنازية نظير اتجاهاتهم وتوجهاتهم المعادية لروسيا . وظهر الخوف من النظام السوفيتى ليصبح دافعاً مسيطراً فى تفكير المجموعة الكاملة كلها .

وحذف « فيفيدا» عمداً التنبؤات الوخيمة التى قال بها « كروبافيس » عن نشوب الحرب الثالثة برغم قناعاته الكاملة بنوايا السوفيت التى لم تكن تهدف إلى مواصلة الحروب .

وفى مقر قيادة الجنرال « باتون » ، تم قراءة التقرير الثانى لليفتنانت كما تم تسجيله . وبحلول شهر يوليو ، شق التقرير طريقه إلى أعلى عبر القنوات العسكرية إلى « روبرت ميرف » المستشار السياسى للجنرال « لوسيوس كلاى » ، قائد الحكومة العسكرية فى المنطقة الأمريكية .

وتعاطف القليل من الضباط فى مقر قيادة « كلاى » مع مخاوف وشكوك روسيا التى فرضها عليهم الألمان واللاجئون على نحو متواصل غير منقطع وعبروا عن مساندة الجنرال جورج مارشال وتأييده لكلمات أيزنهاور التى قال فيها : « إننى أمقت المخاطرة بحياة الأمريكين من أجل الأغراض السياسية البحتة » .

ولقد كان السوفيت لايزالون حلفاء للولايات المتحدة الأمريكية . ولهذا السبب ، لم يتم النظر بدراسة تقرير « فيفيدا » الذى كان يستحق متابعته وجديراً ببحثه ، على الرغم من أن الذى قدمه هو المستر « ميرف » إلى وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن ، حيث وصل فى شهر سبتمبر ، أى بعد شهر كامل من توقيع القوى الكبرى الأربع

لاتفاقيــة « بوتسـدام » التى حلوا فيهـا حكومة ألمانيـا وتعزيز ثبات الحدود القـومية فى أوروبا .

وفى ذلك الحين ، كان « فيفيدا » يبحر بالفعـل من أوروبا للعودة إلى الحياة المدنية ، وكان عمله بمثابة حل للألغاز . إذ أن الانقسـامات بين الشعوب الليتوانية فى المنفى كانت أكثر عمقاً عما كان يتفهمه . وقال المونسينيور « كروبافيس » القسيس العدوانى ، قال : بأن الــ « فليك » يتعين عليها إقــامة حكـومــة فى المنفى ذات مجلس عسكرى لـزعامــة الفلاحين .

وأصر « ستاسيس لـوزوزيتس » الدبلوماسى الليتـوانى الكبير فى الغرب أصر على أن يمثل بنفسه شخصياً الحكومة القومية وأنه لن يتسامح أبداً مع تجريده من سلطاته وانتزاعها منه .

وفى خضم هذا العداء المرير والمستحكم والذى لاطائل من ورائه ، وصل الجنـــرال « ريموند شميتلين » من المكتب الثانــى الفرنسى إلى « فيرزبـورج » فى شهر سبتمبر . اتخذ « شميتلين » مقــراً لــه وقــاعـدة فى ليتـوانيــا قبل اندلاع الحرب وعـرف جميع الشخصيــات المحتشــدة فى فيرزبـورج . وتم دعـوة الـــ « فليك » لنقل مقــارهـا إلى « تـوبينجين » فى المنطقة الفـرنسية حيث يتم تمويلهـا وتدريبهـا من أجل تعزيـز جيش المقاومة للعمليات فى المستقبل القريب جداً .

وتم قبول عرضــه فوراً إلا أن بعض المنشقين كانوا يجادلـون بأن الفلاحين الذين يقــاتلون فى ليتـوانيا لن يتلقـوا الأوامر من جماعــة فى المنفى ، وهى التى أنهت وقطعت تعاونها مع الألمان فقط حينما تبدت بوادر انتهاء الحرب ووضعها أوزارها .

وكــان من بين أقلية المنشقين « ستــاسيس زاكيفيس » المؤرخ الذى كــان يبلغ من العمــر الثالثــة والثــلاثين وكان قــد درس فى أكسفورد وكــان يتميــز بشعوره الـوطنى الجارف والقومية الطاغية .

وفى أثناء الحرب ، كان مستشاراً للحكومة الألمانية المحتلة . وهرب « زاكيفيس » مع الألمان فى خريف عام ١٩٤٤ إلا أنه فى شهر مايو ١٩٤٥ تدبر مسألة العودة إلى بـــلاده « ليتوانيا » من الدانمارك ليلتحق بالفلاحين .

وتم تحذيره قبل أن يستقل الزورق من أنه سوف يواجه الاعتقال فور وصوله على

أيدى رجال المخابرات السوفيتية المعروفة باسم لجنة أمن الدولة أو الـ « كى ـ جى ـ بى » .

ولم يكن معروفا لدى مجلس الـ « فليك » لدى عودته إلى ألمانيا فى يوليو من عام ١٩٤٥ ، واتصل بالمستر « ماكيبين » وممثل آخر لأجهزة المخابرات البريطانية الا وهو الميجور « جون لودزوس » الذى كان أبواه قد هاجرا من ليتوانيا إلى بريطانيا منذ سنوات عديدة وكانوا يتحدثان اللغات بطلاقة .

وحينما تفجرت الخلافات السياسية ، أغرى « ماكيبين » المستر زاكيفيس بالعمل لصالح المخابرات البريطانية السرية وليس المكتب الثانى الفرنسى ووصل زاكيفيس إلى « طونيجين » فى أواخر عام ١٩٤٥ مرتدياً ملابس جديدة وأنيقة ، ومستقلا سيارة ومزوداً بأموال نقدية ضخمة . كما كان يستعير أيضاً اسماً جديداً وهو « ستايس زيمانتس » .

كان زيمانتس نواة العملية الجديدة التى ستقوم بها المخابرات البريطانية السرية فى ليتوانيا . وانضم إليه الدبلوماسى الذى يدعى « ستاسيس لوزوريتس » وصحفى مشهور يبلغ من العمر الحادية والثلاثين كان قد هرب من الغرب فى أوائل عام ١٩٤٥ ، واسمه « جوناس ديكسنيس » .

وفى خريف عام ١٩٤٥ تطوع ديكسنيس للعودة إلى ليتوانيا ليقوم بتقييم موقف الـ « فليك » وهل كان فعلا ممثلا للفلاحين المحاربين المقاتلين أم لا وأيضاً لتقييم مدى ونطاق الانتفاضة الناشبة ضد السوفيت .

وعرض «روبرت أندرسون» احد كبار ضباط الاستخبارات فى السفارة الأمريكية ، تقديم المال وأجهزة الراديو واللاسلكى والأسلحة لأى طالب لها يكون جاداً ويستطيع أن يقيم شبكة معلومات تجسسية فى لاتفيا .

وقام بتشغيل اثنين من اللتوانيين للاتصالات مع أكثر المصادر أهمية وهو « هوجو جينترز » ممثل حزب « اولمانست » شبه الفاشى الذى كان يدين بالكثير من المبادىء الفاشية .

وفى اغسطس ١٩٤٥ ، طلب أحد ممثلى المخابرات البريطانية السرية من جينترز ان يختبر ويتحسس من « أرثر ارنيتس » إمكانية عودته إلى روسيا وإعادة فتح الاتصالات اللاسلكية بالراديو . وبعد ذلك بيومين ، أرسل جينترز تقاريره أن « ارنيتس » بحاجة إلى القليل من الإقناع .

ورحب بفرصة الخدمة من أجل القضية الوطنية . وكانت مهمة « أرنيتس » هى العودة إلى « لاتفيا » ، واسترجاع جهاز الراديو الخاص به وكتب الكود والشفرة التى كان قد أخفاها إخفاء تاماً وبعناية قصوى هناك منذ ثلاثة أشهر وإقامة الصلات مع السويد . وتتابعت المزيد من التعليمات إلا أنه طمأن بأن البريطانين سوف يرسلون زورقاً لرحلة العودة .

وبعد ذلك بأسبوعين ، تم تجنيد عملاء ثلاثة آخرين هم : جانيس شميت وهو ضابط سابق فى الجيش الألمانى برتبة الليفتنانت وكان قد تم تجنيده لحراسة مشغل الراديو ، و « ليمونيس بيترسون » و « إدواردس أندرسون » وهما اللذان تقرر أن يشكلا فريقاً ثانياً .

وفى ليلة ١٥ أكتوبر ، اقترب الرجال الأربعة من ساحل وغابات « كورلاند » فى زورق سريع غالى التكاليف مزوداً بالأجهزة ، إلا أن عواصف الرياح الهوجاء قلبت الزورق على بعد حوالى مائة ياردة من الشاطىء . وجعل الرجال الأربعة يكافحون الأمواج والرياح ويسبحون من أجل بلوغ الشاطىء وتركوا وراءهم الأسلحة والعتاد والأجهزة وإمدادات الطعام والمال ، متوجهين صوب الغابة .

وعند بزوغ النهار ، عثرت دورية حدود على الحطام والبقايا التى تدينهم وتجرمهم ، وكانت الأمواج قد قذفت بها إلى الشاطىء على الرمال ، وتسبب عن ذلك نصب مصيدة واسعة النطاق للقبض عليهم .

وبعد ذلك بيومين تم اكتشاف أمر كل من بيترسون وأندرسون . وانهارت مقاومتهما تحت وطأة التعذيب وكشف وجود « أرنيتس » وتم إلقاء القبض على العميل وفعل ذلك المخابرات الروسية الـ « كى - جى — بى » بعد ثلاثة أسابيع من وصوله إلى ميناء « فيننسبيل » وحينذاك أرشد عن الراديو المختبىء واعترف بتفاصيل العملية .

وعلى الرغم من أن رجال المنفى فى السويد زعموا بأنه تم استخدام التعذيب لاستخراج الاعترافات من أرنيتس إلا أن « لوكاسيفيك » كان دائما يذهب إلى أن التهديد الخفى والكامل لايزال كافياً لتوخى الحذر . ولم تبد أجهزة مخابرات الـ « كى - جى - بى » السوفيتية أية شفقة أو رحمة .

وأرسل « لوكا سيفيك » باستنتاجاته الأولية إلى رؤسائه . وقال : إن البريطانين استأنفوا أنشطتهم المعادية للسوفيت التى كانوا يقومون بها قبل الحرب . وكان الدليل دامغاً لاسبيل إلى تفنيده على الرغم من أن الرجال الأربعة المزودين بأجهزة الراديو لم

يقترحوا القيام بعملية أخرى . وعلى أية حال ، كان العمل الإضافي مطلوباً .

وشق التقرير طريقه عبر القنوات الرسمية إذ وصل أولا إلى « البيرت بونديوليس » ، من الاستخبارات المضادة ، وأخيراً إلى « فيكتور كوزينس » أحد النواب الأربعة لرؤساء الـ « كي - جي — بي » في لاتفيا الذي أرسل تقاريره إلى « الفونس نوفيكس » وزير الداخلية .

وتم اتخاذ أربعة قرارات هامة اتخذها الوزير بدون استشارة كبار هيئة العاملين معه ، ولهذا السبب ، استدعى « نوفيكس » ، المستر « كوزينس » ، وآمز من النواب الأربعة ، والجنرال « جانيس فيفرز » لمناقشة تقرير « لوكاسيفيك » .

واطلع « فيفرز » على تفاصيل عملية الخداع الخاصة بالـ « ترست » واقترح على الوزير أن تتم الموافقة من موسكو على شن عملية مضادة كلاسيكية . الا وهي التظاهر أمام البريطانين بأنهم في الواقع ليس لهم مشغل راديو موالي في الموقع وبعد ذلك ينتظرون تداعيات الأحداث .

وتم تقديم توصيات « فيفرز » وتقرير « لوكا سيفيكس » إلى الجنرال « سيرجي كروجلوف » ، نائب منطقة « بيريا » الذي كان يشرف على قمع الفلاحين الليتوانين . كان « كروجلوف » في الاحتمال الأعظم أحد ضباط الـ « كي - جي — بي » القلائل الذين لم يدهشهم وصول العملاء البريطانين.

وجاءت تقارير تقول بأن الاستخبارات السرية البريطانية استأنفت جهودها لاختراق الاتحاد السوفيتي .

وعلى مدار سنوات الحرب ، استخدمت « لجنة أمن الدولة » السوفيتية أو الـ « كي - جي - بي » بالاشتراك مع المخابرات الحربية البريطانية المعروفة باسم « أم - أي - ٥ » والمخابرات السرية البريطانية ، العملاء الألمان المأسورين لنقل رسائل الراديو اللاسلكية إلى مقار استخباراتهم الرئيسية ، وأعطوا الانطباع بأنهم إنما كانوا يعملون لصالحهم ويرسلون بالاستخبارات الحقيقية .

وتماماً كما انخدع هتلر وظن أن الإبرار الأرضي للحفاء على القارة الأوروبية في يونيه ١٩٤٤ سيكون في منطقة « كاليه » وليس في نورماندى ارتبك وشوش الجيش الأحمر السوفيتي ، جهاز « فيرماخت » أثناء تقدمه صوب الغرب .

على أية حال، فقد « لوكا سيفيكس » إمكانية استخدام « أرنيتس » أو الآخرين من أجل عملية خداع مماثلة. أحد النواحي الاقل احتراماً للجنرال « جانيس فيفرز» فيما يتعلق بتاريخه الماضي كانت سمعته بأنه « سادى » أو يعانى من السادية : « وهو انحراف جنسي يتلذذ فيه المرأ بإنزال صنوف العذاب لمحبوبه » - وذلك فى سجن « لوبيانكا » فى موسكو أثناء حملة التطهيرات الكبرى التى قام بها ستالين ضد خصومه وأعدائه.

إذ أصبح التعذيب آنذاك عمله الروتيني والمعتاد والدورى المنتظم حينما عاد إلى « ريجا » المطلة على البحر البلطي. وفى حالة « أرنيتس » والعملاء الثلاثة، أصدر « فيفرز » أوامره بعدم الرحمة أو إبداء أية شفقة، وأطاعته زبانيته.

وكان المطلب الأساسى حينذاك هو إيجاد والقبض على مشغل راديو كان يعمل الاتصالات مع السويد إبان الحرب.. وطلب « لوكا سيفيكس » الاجتماع مع « اوجستوس برجمانيس »، فى احد أقفاص أسرى الحرب فى منتصف شهر مايو. كان برجمانيس قد خدم فى الجيش الألمانى وعمل مشغلا للراديو لصالح جماعة « كوريليس ».

وكانت العقبة الكؤود الأولى هى كيفية إقناع « برجمانيس » ليخدم مع أعدائه السابقين. وفى أواخر ١٩٤٥، تم نقل برجمانيس من أحد معسكرات أسرى الحرب إلى زنزانة فى مقر للمخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » فى أحد أركان شارعى « لينين » و « أنجلز » بمنطقة « ريجا » على البحر البلطى.

وثارت ثائرة « برجمانيس » وأخذه الرعب فأعرض عن محاولات تجنيده. إلا أن توتره زال عنه حينما تحدث « لوكا سيفيكس » عن اهتمام الـ « كى - جى - بى » بعقاب أولئك الذين هم أعداء حقيقيون للشعب السوفيتى، وليس أولئك الذين هم على شاكلته والذين تم تعبئتهم.

أومأ « برجمانيس » برأسه موافقاً على أن مستقبله هو فى روسيا. والذى أدهشه أن رجل المخابرات السوفيتية رد عليه آنذاك جواز سفره وسائر أوراقه، وإذناً بمغادرة الـ « كى - جى - بى ». أما الشرط الوحيد الذى أطلق سراحه بعد تعهده بالوفاء به فهو أن يبقى ويمكث فى بيت توفره له استخبارات الـ « كى - جى - بى ».

وفى الأسابيع التالية، نمى « لوكا سيفيكس » أواصر الصداقة معه. وعقد معه

محادثات وأحاديث طويلة عن حروبهم المتوالية ، وشبابهم ، وعائلاتهم ، والمستقبل . وبنهاية الأشهر الثلاثة ، ذكر « لوكا سيفيكس » لهذا الصديق الصدوق بأنه فى حاجة إلى شخص ليقوم بعمل الاتصالات اللاسلكية بالراديو على بريطانيين فى السويد .

وفى مارس ١٩٤٦ ، شرع برجمانس وكان « لوكا سيفيكس » جالساً بجواره فى استقبال إشارات ونداء « أرنيتس » التى جاءت تماماً فى الوقت المضبوط الذى اتفق مع الجدول الزمنى المحدد والذى ساير تعليمات « أرنيتس » .

وبث الرجلال ثلاثة اتصالات كل أسبوع على مدار الأشهر الثلاثة التالية ، بإشارة موجه قصيرة وبدون أن يلقوا أية استجابة . وفى النهاية وبحلول منتصف شهر يونيه ، جاء الرد على رسالة « برجمانس » وعندها فصل ضابط استخبارات الـ « كى - جى - بى » الراديو ، بدون الاعتراف بإرساله هذه الرسائل ، وقال : « دعهم يتعجبون لماذا افتقدنا فجأة اتصالاتنا المجدولة . وسوف تتحول دهشتهم إلى قلق والقلق سوف يتحول فى النهاية إلى راحة والراحة إلى تصديق .

وبناء على أوامر « موسكو » ، احتفظ « لوكا سيفيكس » على مدار ثلاثة أسابيع بصمته حينما كان يشغل الراديو فى ستوكهولم يرسل ويبث بصفة دورية إشاراته حسب الجدول الزمنى .

وعلى مدار الأسابيع التالية ، استطاع مشغل الراديو فى السويد أن يلتقط سلسلة من الأسئلة كانت لندن تأمل من ورائها أن تقدم دلائل قاطعة حول هوية « بيرجمانيس ومصداقيته » . فأجاب « بيرجمانيس » بالرفض قائلا : كلا ، إننى لم أتقابل مع ارنيتس إلا أننى استطعت العثور على جهاز الراديو الخاص به . واكتشفت حيثياته من رسالة وصلتنى من آخريين فى تنظيم « كوريليس » .

فحدث أن تلاشت شكوك رجال الاستخبارات فى برودواى قليلاً . إلا أنهم بقوا شكاكين ومرتابين حول امتناعهم عن ذكر أى شىء حول المهمة الجديدة للمستر « بيرجمانيس » .

وتغير المزاج السياسى فى وزارة الخارجية تغييراً جوهرياً منذ شرع «أرينتز بالخروج برحلته البحرية المشئومة . وفى صيف ١٩٤٥ ، أزعج دفء المعاملة بين الإدارة الأمريكية والزعيم السوفيتى ستالين ، أزعج « ارنيتس بيفين » ، وزير الخارجية البريطانى .

كان « بيفين » وهو أحد زعماء نقابات العمال المشاهير الذى كانت أراؤه وسياساته من شأنها تشكيل الكثير من عمليات المخابرات البريطانية السرية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية داخل روسيا على مدار السنوات المتبقية من ذلك العقد من الزمان ، عانى من المؤامرات وازدواجية العملاء والجواسيس وهم الذين اخترقهم الشيوعيون أثناء,سنوات ماقبل الحرب .

ولذلك أصدر نصائحه قائلاً : « ليس بوسعك أبداً أن تتعامل مع الروس إذا كنت تكذب عليهم ، أو إذا رقدت على الأرض وسمحت لهم بأن يطأوك بأقدامهم .

واستمرت تحفظات وضبط النفس عند « بيفين « إزاء « مولوتوف » و « ستالين » ، الذى كان يتهمه « بيفين » بأنه ـ أى الزعيم الروسى ـ مسئول مسئولية شخصية عن مصرع مالا يعد ولا يحصى من الفلاحين السوفيت ، استمرت حوالى الشهرين من الزمان .

وعندما تقابل وزراء خارجية الدول الأربعة المتحالفة لأول مرة فى لندن فى سبتمبر ١٩٤٥ ، صارت عدوانية « بيفين » واضحة جلية لأول وهلة . إذ انتقدعلانية توريدات البترول التى كان يقدمها الروس لهتلر ليقصف لندن بالطائرات .

وكلما زادت الخلافات ، ارتفعت حدة التوتر . وزمجر بيفين معنفاً المسئول الروسى قائلاً : « إنك إنما تتصرف كما لو كنت نازياً » . وبعد أن تمت الترجمة خرج « مولوتوف » من المؤتمر غاضباً بسرعة . وفى اليوم التالى ، اعتذر بيفين إلا أن مخاوفه بشأن السوفيت واحتمال انتهاكهم للمصالح التقليدية لبريطانيا تأكدت بسبب مطالب « مولوتوف » لإقامة قواعد سوفيتية فى ليبيا وأماكن أخرى فى دول البحر المتوسط .

وتزامنت هذه المطالب مع انتهاكات الاتفاقيات والقلاقل فى أوروبا الشرقية واليونان ، والاضطرابات الجديدة فى الهند وهى التى بدت كما لو كان مثيروها هم السوفيت وأصر بيفين على عدم تسريب أخبار تشدده إلى الصحافة على الإطلاق ، واعترف لمساعديه قائلاً : « إن الأمر الذى يبعث على الاكتئاب هو المدخل الواقعى والأمانى للروس والغياب الكامل لأية اعتبارات خاصة بأهمية السلام لصالح ونفع الجميع .

وفى الشهر التالى « شهر أكتوبر » اتفق « بيفين » مع المستر « أتلى » على أن الوقت قد حان حيث يجب ان يكون هناك مكاشفة وحسم مع الامبرياليين الأيديولوجيين . غير

أن البريطانين كانوا يتفاوضـون من موقف الضعف كما أن عواطفهم لم يكن يشاركهم فيها البيت الأبيض الأمريكي .

ولقد تأرجح ترومان منذ أن أصبح رئيساً لأمريكا شأنه فى ذلك شأن تشرشل ، بين الإشادة بستالين وأمانته ، وبين تحذير الروس من أنهم بصدد التخطيط لفتح بلدان العالم كلها . وكان ترومان يعتقد مثل وزير خارجيته جيمس بيرنيس الذى كان يعانى من الخوف المرضى من الانجليز ، يعتقد أن التفاوض مع ستالين وترومان مماثل للمؤتمرات التى كان يحكيها أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى المتمردون فى الكونجرس .

إلا أن الرئيس شعر فى خريف عام ١٩٤٥ بأنه قد خدع ، والذى خدعه هو الكريملين . وبعد انقضاء احتفالات الكريسماس ، اشتكى ترومان فى خطاب أرسله إلى وزير خارجيته بشأن الاستيلاء الروسى على أراضى فى بولندا وفارس (إيران حالياً) ، والتعقيدات الجديدة ضد تركيا .

وسرعان ما اجتمع الرجلان علي اليخت الرئاسى « ويليا مزبيرج » الراسى فى نهر « بوتاماك » . واستبد الغضب بالرئيس ترومان فصاح : « مالم تجابه روسيا بالقبضة الحديدية والخطاب شديد اللهجة فإن حرباً أخرى سوف تندلع ... واستطرد قائلاً : « ليس هناك إلا لغة واحدة يفهمونها ، وتلك هى لغة الجيوش والأرقام : كم عدد الفرق العسكرية التى تمتلكها ؟ وأعتقد أننا لايجب أن نركن إلى الحلول الوسط بعد الآن . لقد ضجرت من تدليل السوفيت » .

وانعكست إحباطات وشكوك ترومان علي الدبلوماسين الأمريكين والبريطانيين فى موسكو الذين علموا الكثير عن مخاوف « بيفين » ، على الرغم من أنه كان لايزال محالاً من الناحية السياسية إعلان أية شكوك حول حليفهم الروسى فى زمن الحرب .

أرسل « فرنك روبرتس » الوزير الصغير (السفير) من السفارة البريطانية فى موسكو بالأدلة على تعاظم هجمات الصحافة الروسية على بريطانيا وبخاصة سياساتها إيزاء المانيا . وأرسل بتقاريره التى جاء فيها أن ماكينة الدعاية السوفيتية قالت بأن نوايا الكريملين هى استغلال ضعف بريطانيا لتدمير الإمبراطورية .

وكتب يقول : « كان هناك إحياء هائل للأيديولوجية الماركسية المنشودة الأمر الذى ترك الانطباع بأن الشعب السوفيتى هم الشعب المختار وأنهم محاطون بعالم

معـادى » . وكـان تفسيره للأمور تفسيراً مـزعجاً إذ قـال : إن روسيا صارت فى حـالة مزاجية تدعوها إلى الحرب باستمرار وهو أمر من شأنه أن يفضى إلى القيام بمغامرات عسكرية فى فصل الربيع .

وثمة حـادثة واحـدة استقرت على وجـه خاص إزعـاج ومخاوف روبرت ألا وهى اتهام « مولـوتوف » فى حـالة تعبئـة ، وأنها كانت تتعـاون مع الجنرالات البـولنديين ، والروس البيض المعادين والمناهضين للشيوعية ، فى ألمانيا والنمسا وإيطاليا .

وزعم « مولوتوف » أنهم إنما كانوا يعدون العدة لخوض الحرب فى المستقبل . وثمة اتهام مشـابه نطق بـه « انـدريه فيسينسكى » فى نفس الـوقت ، وكـان يشغل منصب النائب العام إبان المحاكمات التى وقعـت على عهد حركة التطهيرات الكبرى التى قام بها ستالين ضد خصومه .

حيث قـال: إن الروس البيض تم حشـدهم فى الموانىء البريطـانية وأن الاستنتـاج الـوحيد الـذى يستطيع استخلاصـه هو أن بـريطانيـا كانت تعـد العدة لتكـرار نفس التكتيكات التى كانوا يستخدمونها فى أعقاب اندلاع الثورة البلشفية .

وكـان بين هؤلاء السـاسة فى وزارة الخارجيـة الـذين قرأوا تقـارير « روبـرتس » وتحذيراته ، أحـد الدبلوماسيين صغار السن وهـو « توماس بريميلـو » الذى سبق له الخدمة فى القنصلية البريطانية فى « ريجا » عام ١٩٣٩ .

ولقد تصـاعد عـداء « برايمالـو » ضد الـروس فى أعقاب الحرب لـدى سماعه عن اختفاء الكثير من أصـدقائه من دويلة « لاتفيـا » أثناء الاحتلال الـروسى الأول . وبعد قـراءة التقاريـر عن أن الزعماء السـوفيت أصبحـوا « مدمنين بـدراسة التـاريخ » وأن الصراع الناشب فى القـرن التاسع عشر مع بـريطانيـا عاد يطل برأسـه من جديـد وأنه سوف يتكرر مرة أخرى .

وتنبأ « برايمالو » أن ألمانيا الغربية سـوف تتحول إلى الشيوعية ، ويتبعها اليونان وإيطاليـا وفرنسـا ، بغض النظر عن أوروبـا الشرقية التى سـوف تتحول للشيـوعية لامحالة .

وتم تـوصيل رأى « برايمالـو » إلى « كـريستـوفر وارنـر » رئيس القسم الشمالى بوزارة الخارجية البريطـانية . وكتب وارنر ـ عندما علم أن وزارة الحربيـة البريطانية .

بصـــدد تشكيل خطط طــوارىء لملاقـاة الصراع المتــوقع مــع روسيـا وأن أجهـــزة الاستخبارات البريطانية السرية كانت تساند الجماعـات المعادية للشيوعية ـ يقول لابد من مواجهة سياسات فرض القوة الشريرة التي ينتهجها السوفيت .

وجعل يقول : إنه « لايجب علينا أن نكون من الحماقـة بحيث لاناخذ كلام الروس على محمل الجد ، ولقد تعلمـون أن سائر أنشطة روسيـا فى الأشهر الماضية تؤكـد هذه الصورة ... ففى شرق أوروبـا حيث توجـد دول البلقان ، وفى بـلاد فارس ومنشـوريا وكوريـا وفى المنطقة المشتركة بين روسيـا وألمانيا ، وكذلك فى مجلس الأمن التـابع للأمم المتحدة ، مسـاندة روسيـا للأحزاب الشيـوعية والجهـود الشيوعيـة لاختراق الأحزاب الشيوعية وتأليف الأحزاب اليسارية تحت الزعامة الشيوعية ، فى السياسة الاقتصادية الخارجيـة للاتحاد السـوفيتى .. فى كل حـالة من صـور الشئـون الخارجية تظهـر فى الصحافة السوفيتية وإذاعاتها .... الخ

وقال وارنر محذراً سيكون ثمة مخاطر إذا فسر ستالين استجابة بريطانيا على أنها ضعف واسترضاء .

أوصى وارنـر بأنه فى أى مكـان يوجـد فيه حلفـاء طبيعيون لبريطـانيا يقـاتلون الشيـوعيين ، ينبغى على بريطـانيا أن تقـدم « كـافة أشكـال العون الأخـلاقى والأدبى والمادى كلما استطاعت إلى ذلك سبيلاً » إلى القوات المناهضة والمكافحة للشيوعية .

ولقد ضخم من أهمية آرائه المحللـون الاستخباريون فى أجهزة المخـابرات السرية البريطانيـة ، وكان بعضهم قـد أطال فى التأكيد والجدال بأن الكـريملن لايزال ملتـزماً بسياسته التى تستهدف السيطرة على العالم .

وفى عام ١٩١٨ فى أعقاب الثـورة الروسية ، أنشـأت بريطانيا لجنـة تيقظ ومراقبة لرصد تحركات البلشفية ، وفى الظروف الجديدة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كررت بريطـانيا المحاولة وأنشأت لجنـة جديدة خـاصة بالشئون الـروسية من أجل تنسيق استجابات بريطانيا وردها على أية هجوم روسى طويل المدى ضد الغرب .

واجتمعت اللجنـة الروسيـة فى أولى لقاءاتها فى ٢ أبـريل عام ١٩٤٦ وتـزامن ذلك الاجتماع مع أول تغيير فى السيـاسـة فى واشنطن . إذ وافقت هيئـة الأركـان المشتركـة السوفيتية رسمياً على الاعتراف بأن روسيا صارت « أعظم تهديد ضد الولايات المتحدة فى المستقبل المتطور » .

و اتخذت قـرارات بإنشاء قـواعـد عسكـرية تحيط بـالاتحاد السـوفيتى من كل الجهات بدءًا من جزيرة جرينلاند وايسلندا عبر القطب الشمالى وحتى « أوكيناوا » .

وفى اليوم التـالى أرسل « جـورج كينان » المسئـول الأول فى السفارة الأمـريكية فى موسكـو برقية من حـوالى ٨٠٠٠ كلمة إلى مسئـولى وزارة الخارجية الأمريكيـة طالبت استيضـاحاً وشرحا للعداء السوفيتى فى مواجهة رغبة واشنطن بإقامة علاقات صداقة . وأصبح كينان أيضاً فى حالة وهم وارتباك بشأن تصرفات الزعيم السوفيتى ، ونجا منه فى أعقاب كلمة ألقـاها ستالين يوم ٦ فبرايـر فى مسرح البولشوى ، اتضح منهـا نزوعه للحرب والقتال .

وقال : إن الزعيم السـوفيتى يعتقد بأن بلاده محاطة بعـواصم معادية يتعين على روسيا مقـاتلتها ومحاربتهـا فى القريب العـاجل . وأكد على محاولـة السوفيت زعـزعة استقرار الغرب اعتقـاداً منهم بأن الانسجام الداخلى للمجتمعات الغـربية لابد وأن يتم تمزيقه وبث الفوضى والخراب كشرط أساسى لضمان الأمن للسوفيت .

وكتب « كينـان » فى تقـريـره يقـول : « إن مـواجهـة السـوفيت تحتـاج إلى نفس الاستيراتيجية المتكـاملة كما لـو كنا فى حالـة قتال فى حرب شـاملة طـالما أن السوفيت يمثلون تلك المخاطر الجمة لوجودنا ومصـالحنا » .

تم طباعـة وتوزيع تقريـر « كينان » بين مئات كبـار المسئولين والساسـة وصناع القرار الأمـريكى ، وعلى الرغم مـن أن البيت الأبيض كان لايـزال مصراً على الحفاظ على مواقفه الودية إزاء ستالين ، إلا أن الكثيرين يؤرخون بالانقلاب الأمريكى على الستالينية بوصول برقية المستر « كينان » . إلا إنه كانت هناك بعض الحدود والقيود .

إذ رفض ترومان ومسئولوه أراء « بيفين » بأن « مـولوتوف » بلغ درجات الجنون بهجماته بل إنه تجاوز الجنون بالفعل ، وتجاهله أمر برقيات وتقارير المستر « كينان » الاستخباريـة التى جاء فيهـا أن السوفيت يتوقعـون من كل من فرنسـا وكل ألمانيا أن تتحولا إلى الشيوعية .

وصارت الـدلائل على الجاسوسية السـوفيتية من الكثـرة بحيث لايمكن تجاهلها . وفى فبراير أخبر المسئولون الرئيس الأمريكى ترومان بأن « هارى وايت » مساعد وزير الخزانة مـاهو إلا جـاسوس سوفيتى وأن « الجيرهيس » بـوزارة الخارجية الأمـريكية تحوم حوله الشكوك والظنون .

وقالت تحقيقات أجريت فى كندا أن إحدى حلقات الجاسوسية السوفيتية كانت تعمل هناك منذ عام ١٩٢٤ . وفى ١٥ فبراير ، ألقى البوليس الكندى القبض على ستة عشر شخصاً ووجه إليهم تهمة السعى لكشف وفض أسرار القنبلة الذرية الأمريكية . وبعد ذلك بأربعة أيام ، تم إلقاء القبض على عالم الذرة البريطانى الدكتور « آلان نان » ووجهت إليه تهمة تمرير عينات من اليورانيوم المشع (٢٣٥) إلى أحد عملاء السوفيت . وكانت الأدلة ثابتة عليه بحيث أنه لم يملك إلا الاعتراف .

وظلت الحكومتان البريطانية والأمريكية فى لندن وواشنطن صامتتين على الصعيد العلنى وكبح الساسة انتقاداتهم على مضض وتمالكوا انفلاتة أعصابهم المتوترة إلا أن « كريستوفر وارنر » وكبار المسئولين الآخرين خشوا من أن الحركة الشيوعية العالمية مثل « الطابور الخامس » الألمانى كانت تمد السوفيت بشبكة تجسس هائلة هدفها تعويض التعوذ البريطانى والأمريكى فى جميع بقاع العالم .

إلا أن ونستون تشرشل حذر قائلاً : إن العداء الروسى يجب أن يتم إيقافه من أجل تفادى الانزلاق إلى « ظلام جديد » . وزعم بعد ذلك أنه كان قد أصدر أوامره إلى « مونتجمرى » إبان جمع وحشد السلاح الألماني لدى هزيمتهم الرايخ الثالث من أجل تكديسه حتى يمكن إخراجه بسهولة مرة أخرى إلى الجنود الألمان الذين يتعين علينا أن نعمل معهم إذا استمر التقدم السوفيتى .

واكد مونتجمرى على أنه أطاع الأوامر وفسرت موسكو مذهب تشرشل على أنه مقدمة هجوم سرى جديد . ولقد كانت العقبة أمام المخابرات البريطانية السرية لشن هجوم مضاد خطير هو إفلاس بريطانيا وحذر وحرص « بيفين » إلا أنه كانت هناك درجة كبرى من الشكوك السياسية الكافية التى سمحت لضباط الاستخبارات البريطانية بأن يتبعوا فطرتهم .

وبالنسبة إلى مخابرات أمن الدولة السوفيتية المعروفة باسم الـ « كى - جى - بى » فإن الدلائل الواردة من أوروبا الغربية تقول بأن البريطانيين أصبحوا للمرة الثانية وفى أعقاب الثورة البلشفية ، يحشدون ويجمعون ويجندون الشيوعيين المنشقين من أجل القيام بعمليات مستقبلية .

وفى أثناء الأسابيع الأخيرة من الحرب ، تقابلت الجيوش البريطانية والأمريكية فى ألمانيا والنمسا مع آلاف الجنود الذين كانوا يتحدثون اللغة الروسية ولكنهم كانوا

يرتـدون الزى الألمانى . ولقـد جند الألمان القوازقـة والعناصر من جـورجيا وأوكـرانيا والقوقاز وبلدان البحر البلطى للقتال ضد عدوهم التاريخى الا وهم الروس .

وفى آخر أيام الحرب ، هرب آلاف الأحياء من تلك الفـرق العسكرية صوب الغرب ، فيما وراء قبضة الجيش الأحمر ، للاستسلام إلى الأمريكان والبريطانيين . وكانوا فريقا من الرعايا الروس البالغ عددهم حوالى المليونين الذين أنهوا الحرب فى الغرب ، واختلطوا مع سجناء الحرب المحررين . وفقا للمعاهدات السوفيتية تقدر الجميع هؤلاء أن يعودوا بمقتضى اتفاقيات « يالطا » .

ولقد كانت الاتفاقية بين الزعماء المتحالفين الثـلاثة فى يالطا عام ١٩٤٥ معلماً هاماً من حيث نواحٍ كثيرة فى العـلاقات القـائمة على زمن الحرب .وكـان تشرشل قد وافق فى أعقاب استسـلام الألمان فى نهاية الحرب العالميـة الثانيـة على اعتبار أن أى شخص من الرعـايا السوفيت عشية انـدلاع الحرب عام ١٩٣٩ سوف يتم تصفيتـه على أنه روسى بغض النظـر عن رغباتـه أو أمنياته ، وبـذلك سيتم تسليمه إلى ضبـاط الجيش الأحمر السوفيتى .

ومن الناحيـة النظريـة ، بدا أن هـذه العملية ستكـون بمثابـة المهمة العسيرة غير الإنسانيـة . ذلك أن الجنود البريطـانيون والأمريكين لن يتعـاطفوا مع الـروس الذين ـ لأسباب لايفهمونها ـ تطوعوا أو وافقوا على القتال إلى جانب صفوف النازيين .

ومن الطبيعى أن يكون لهؤلاء الـروس مخاوف وأسباب تدعوهم إلى خشيـة سوء المعاملـة لدى العودة طالما أنهم سـوف يعتبرون فى أنظار الكريملن خونـة . غير أن هذه المشاعر أو الاعتبارات لم يكـن لها أية تقدير لدى الحلفاء الذيـن صاروا فى مايو ١٩٤٥ مثقلين بأعباء تـوفير الكم الكافى من الطعام والتسهيـلات ، فكانوا يسرعـون من ترحيل أسرى الحرب المحررين فى منطقة روسيا ، وأرادوا أن يـرسلوا أية أسباب من شأنها أن تضرم ميزان الحقد لدى ستالين . وتم بالفعل شحنهم على عربات وقطارات إلى روسيا ، مما أثـر على نفسية « بيل كويتن » الـذى روى الواقعـة وكان أحد الضبـاط الأمريكين الشبان آنذاك ، وكان يرفض ترحيلهم لسوء المال والضياع فى الاتحاد السوفيتى .

وبحلول منتصف شهـر مايو ، احتشـد الكثير من الضباط البريطـانين الذين بلغ منهم اليأس منتهـاه فى تنفيذ المهمـة الموكلة إليهم ، وبخاصـة فى النمسا وبلغ عـددهم ٣٥,٠٠٠ تقريباً أغلبهم من القواقزة .

ومن الـدروس التى علمتنـا إياهـا التـاريخ أنه فى الأيـام الأولى من السـلام ، شرح الزعماء القوازقـة للجنود البريطانين الذين انتـابتهم الحيرة والارتباك كيف أنهم ليسوا ولم يكونوا من الرعـايا الروس ولكنهم كانوا ضحايا للإمبريـالية السوفيتية ، ومع ذلك ساقتهم الأقـدار إلى الأعداء الـروس . وقد كـانوا يبغضـون الأباطـرة والقياصرة ويثير غثيانهم البلاشفة .

وليس هذا فحسب بل كانت الجنود القـادمة من بلدان البحر البلطى يحاربون إلى جانب صفوف النازيين الألمان نكاية فى الروس الذين احتلوا بلادهم وشردوا أهاليهم .

إلا أن الكثير من الجماعات الروسية الذين قـاتلوا إلى جانب صفوف الألمان ، كانوا على صلة بوحدات « إس ـ إس » التى ارتكبت أنكى الفظائع والأعمال الوحشية فى تاريخ الإنسانيـة . واكتشف المحققون فى جرائم الحرب كيف أن أقليـة من المجموعـات كانت تخشـاهـا أوروبـا الشرقية أكثـر من خشيتهـا وحـدات « إس ــ إس » التى تنتمى إلى القـوميات الخاصـة بدولـة « لاتفيـا » على البحر البلطى . وكـذلك « كتائب بوليـس » ليتوانيا ، وفرقة « جاليزين إس ـ إس » الأكرانية أو القوازقة .

ويقـول « نيكـولاى كـرانسنـوف » الحفيـد الأكبر لأحـد الجنـرالات القـوازقـة المشهــورين :« إنهم قاموا بالتجريد والسرقـة كما لو كانوا من قطاع الطرق . وانتهكوا النساء وأحرموا النار فى المستوطنات ، وإن سلوكهم المشين المهين ألقى بلطخة من العار سوف تجلل هؤلاء الذين قدموا القتال ضد الشيـوعية ونفذوا المهام والواجبات بطريقة مشرقة وجريئة وجسورة .

أما الجنود البريطـانيون فى جنوبى استراليا فقـد كانوا إما جهلة ممـا يدور فى هذه الحروب من جرائم أو كـانوا يعلمـونها وأن ضحايـا القوازقة على الأقـل ليسوا من بين البريطـانين . وعلى وجه اليقين تأثـروا من حكايـات السجنـاء ومآسيهم والمشـاق التى تكبدوها حينما ترجمت إلى اللغة الإنجليزية .

وبلغت القضية ذروتها ومنتهاها بنهاية شهـر مايو حينما تلقى الليفتنانت جنرال تشارلز نـايتلى ، قائد الفيلق الخامس طلباً من القائد السـوفيتى عبر الخط الفاصل بين المناطق المتنازعة ، بعودة القوازقة .

وأعد الجنرال نايتلى العدة ليـذعن ويطيع الأمر حتى أعلن الميجور جنرال « روبرت أربوثنوت » قائد الفـرقة الثامنة والسبعين أنه رفض تنفيذ الأمر ؛ لأن القـوازقة كانوا «

من المهاجرين القدامى » الذين حاربـوا مع البريطانيين حوالى خمسة وعشرين عاماً من قبل وأصبحوا غير خاضعين لمقتضيات معاهدة « يالطا » .

ولما اقتنع ، وافق نايتلى على الضغط على الفيلـدمارشال هارولـد اليكسندر ، القائد العام للقـوات . وكان أن صار الكسندر بطـلاً محلياً بصفته قائد المتطـوعين البريطانين للحرب ضـد الروس فى منطقة دويـلات البحر البلطى ، ومن أجل حمايـة استقلال تلك الدويلات ضد الروس .

رفض « الكسندر » مجادلات « كيتلى » الإنسـانية . وأصر الكسنـدر الذى نقل عن تشرشل وإيدن تعليماتهما الشخصية ، على إطاعـة الأوامر . وتم تسليم ٢,٠٠٠ ضابط قوزاقى إلى الروس حيث سيلقون الموت المحتوم ، وصاحب ذلك مشاهد من التأثر البالغ والأحزان لدرجة أن بعضهم انتحر فى مايو ٢٩ ، بمدينة « جودينبرج » .

وفى أول يونيه ، أصدر الجنود البريطانيون أوامرهم لأولى الدفعات الباقية وقدرها ٣٢,٠٠٠ جندى وزوجـاتهم وأطفالهم بـركوب القطـارات بدءاً بـالشروع فى الرحلـة . فتفجرت المخاوف والذعر وجعل الكثير من القوازقة الذين كرهوا العودة ، جعلوا يلقون أطفالهم وأنفسهم فى نهر « درو » الملىء بالدوامات والأمواج .

وبحلول منتصف شهر يونيه ، حينما بدا أن العملية اكتملت مراحلها ، هرب حوالي ٤,٠٠٠ من الترحيل الإجبارى . غير أن عواقب ذلك كانت وخيمة إلى أبعد الحدود وانتقل ١٠,٠٠٠ أكرانى هـم أعضاء الفرقـة الأكرانيـة الأولى وكانـوا قد حـاربوا مع الألمان فى بولنـدا واشتركوا فى المذابح المروعة ، انتقلـوا بهدوء عبر جبال الألب إلى أحـد المعسكرات البريطانية فى « ريمينى » .

وبعـد وصـولهم فـوراً ، دمـر معظمهم وثـائق هـويتهم الحربيـة وزعمـوا أنهم بولنديون ، وليسوا من الـروس أو الأكرانيِّن من أجل إحباط ترحيلهم . وكان يتعين على بريطـانيا أن تعتمد مـزاعمهم الزائفـة ، واضطرت العسكريـة البريطانية والمسئـولون الحكوميون إلى تأييد مطالبهم .

ومكث البعض الآخر فى ألمانيا . وأرسل الدكتور « ألفريد فالدمانيس » نيابة عنهم ـ وكان وزيراً سابقـاً للمالية فى دولة لاتفيا ـ أرسل نيابة عنهم المارشـال الكسندر مذكراً إياه ببطولته المجيدة منذ خمس وعشرين عاماً سلفت . ومنذ ذلك الوقت ، كتب يقول : إن الكسندر كان رجلاً مثالياً نظر القوم إليه كصديق للشعب فى دولة لاتفيا .

وبعد ذكر أسماء الجنرالات اللاتفيين الذين تقابل معهم الكسندر أثناء الخدمة ، وكانوا جميعهم قد هلكوا سواء فى السجون السوفيتية أو فى سيبيريا . واشتكى « فالدمانيس » من أن ضباط فيلق لاتفيا فى ألمانيا قد زجوا بهم عن طريق الخطأ فى السجون الخاصة بمعسكرات المساجين .

وزعم أن ضباط لاتفيا وضعوا ثقتهم فى الماريشال البريطانى العظيم « سيك » باعتباره أملهم الأخير فى الخلاص من الظلم طالما أنهم لم يكونوا من المتطوعين بل من المجندين . وشعر الكسندر بالتعاطف معهم ، وقال « لقد كنت قائدهم وكانوا هم جنودى ، ولذلك فإننى أرغب فى فعل كل ما أستطيع من أجلهم » وكتب بذلك رسالة أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية .

ووافق « برايمالو » على أن « اللاتفيين » لم يستحقوا المصير الواقع عليهم وحشدهم مع ضباط وجنود فريق « إس ـ إس » المغضوب عليهم . وصمم الرجل الدبلوماسى على عدم فصلهم عن أسرى الحرب الألمان طالما أنه « من المستحيل التمييز بين أولئك الذين تم تجنيدهم من أولئك الذين تطوعوا بمحض إرادتهم . واقتنعت العسكرية البريطانية بأنهم جميعاً كانوا قد تطوعوا للحاق والانضمام إلى فرقة « إس ـ إس » .

وأرسلت رسالة أخرى نيابة عن ١٠,٠٠٠ عضو من المساجين الذين ينتمون إلى فريق « إس ـ إس » التابع لجمهورية استونيا ، إحدى دويلات البحر البلطى ، إلى المستر « بيفين » عن طريق السفير « أوجست نورما » قال فيها : « إن الأغلبية اضطرت قسراً إلى الانضمام إلى الفيلق الألمانى ، وأنهم اضطروا للحاق بذلك الفيلق الذى كان الألمان يسيطرون عليه من أجل الانتقام من « الإرهاب الوحشى » الذى كانت تمارسه روسيا .

وتزامنت هاتان الرسالتان مع توسط المارشال جريجورى زوكوف للقائد مونتجمرى فى برلين . جاء فيها أن آلاف من الرعاياالذين ينتمون إلى قوميات البحر البلطى والذين أسرهم فى ألمانيا وألبسهم الأردية الألمانية والزى الألمانى ، يجب أن يتم إعادة ترحيلهم بمقتضى اتفاقيات يالطا .

ووافق الحلفاء بمقتضى إعلان موسكو الصادر عام ١٩٤٣ على أن مجرمى الحرب يجب أن يتم إعادتهم للمحاكمة فى المكان الذى ارتكبوا فيه جرائمهم . وحيث أن معظم جرائم الحرب النازية تم ارتكابها واقترافها فى أوروبا الشرقية ، كان أمراً محتوماً

أن يكون هناك خلل فى ميزان التبادل بين الرجال المطلوبين .

وفى ٢٨ نوفمبر ١٩٤٥، وصل أحد ضباط الجيش الأحمر فى معسكر « زيديلفيم » لأسرى الحرب فى بلجيكا ، وهو مركز تجميع وحشد لجميع رعايا لاتفيا ، الذين هم مطلوبون للترحيل إلى روسيا من جانب الكولونيل « أرفيدس كريبيتر » لمحاكمتهم كمجرمى حرب .

أما المستر « كريبينز » فقد كان رئيساً سابقاً للأركان وقائداً عسكرياً لفرقة « إس ـ إس » اللاتفية ، وكان قد حارب متطوعاً مع الألمان على مدار مراحل الحرب . أما الميجور « تومسون » ، وهو محام بالجيش البريطانى الذى كان قد قدم الدلائل والبراهين الروسية ، وافق على أن هناك قضية واضحة منذ الوهلة الأولى وبالتالى أصدر التفويض اللازم بالانتقال .

ولقد اعتبر « برايمالو » أن قيادة « إس ـ إس » التى يتزعمها « كريبينز » فقد جعلت أنشطة الجندى تبدو « سوداء بعض الشىء » إلا أن تشارلز زارينز ، سفير لاتفيا أصر فى رسالة إلى وزارة الخارجية البريطانية على أن « كريبينز » كان رجلاً أميناً وطيباً .

وتم تجاهل انحياز « زارينز » فى تلك المناسبة إلا أن كريبينز من أجل إحباط عملية الانتقال حاول وارتكب محاولة انتحار فاشلة وأعلن أنه مريض جداً لدرجة أنه لايحتمل السفر وأنه لايصلح للسفر .

وفى نفس الوقت ، الذى تم فيه حماية المجرمين والقتلة ، تم تجنيد ٧٠,٠٠٠ ألمانى شرقى ، وفعل ذلك الجيش البريطانى ليصبحوا أعضاء بالجيوش البريطانية للخدمات الحربية . وزعم البريطانيون أن الأوربيين الشرقيين كانوا من العمالة الرخيصة وأنهم تم تجنيدهم من أجل رفع حطام وأنقاض الحرب ، والاضطلاع بالمهام الشاقة ، إلا أن السوفيت أصروا على أنهم قوات شبه عسكرية للاستخدام فى الحرب فى المستقبل ضد روسيا .

ولقد كانت هناك أسباب قوية تدعو السوفيت للشك حيث أن الكولونيل « أرفيدس كريبينز » لدى شفائه كان قد تقرر أن يتم استخدامه فى الجيش البريطانى .

وفى شهر مارس ، تم الدعوة لعقد مؤتمر « ليبيك »لدراسة التقارير التى عاد بها « جوناس ديكسينس » .. الذى هرب بنفسه إلى خارج أراضى ليتوانيا . وأخذ يشرح

« ديكسنيس » كيف أن شركاءه فى عملية الهروب ثم إلقـاء القبض عليهم . وحدث أنه لم يقم أى أحد بتحرى الظروف أو الاستقصاء عنها بالتفصيل .

وكان كل من « مـاكيبين » و « زيمانتاس » أكثر قلقاً واهتمامـاً حينما سمعا أن الـ ٣٠,٠٠٠ فلاح التشطين الذين كانوا يسببـون للسوفيت أخطر مصادر القلق والعناء ، صاروا لايثقون فى تنظيم « فليك » لأن زعماءه تعاونوا مع الألمان .

وقبل « مـاكيبين » و « زيمانتس » حكم « ديسكسنيـس » وابتهجـا من أن الـرجل الليتوانى وافق على العودة مرة ثانية مزوداً بأجهزة الاتصالات اللاسلكية والمال لإقامة الصلات المبـاشرة بين جهاز المخابـرات البريطانية السريـة والفلاحين . وسافـر للمرة الثانية بمصاحبة « فيتوناس ستـانينيس » بطريق البر مستخدماً جوازات سفر مزورة والرشـاوى .

ولـمـا وصلت الأنباء بأن الاستخبارات البريطانيــة السريــة قـــد قبلت إرداتـــه « ديكسينس » ، وعـرف بها مجلس تنظيم « فليك » المجتمع فى ألمانيا ، أصبح الانقســام بين صفوف حركة المقاومة هذه أمراً لاسبيل إلى رأبه أو إصـلاحه .

واتهــم تنظـــيم « فليك » المستر « ديكسينس » بالتعاون مع النـازيين وتجاهــل « زيمانتـاس » الذى كـان أيضــاً يستحق اللـوم بنفس الدرجـة ، تجاهل تلك التـدابير الانتقاميـة كان ضباط المخـابرات البريطـانية مهتمين بدس العمـلاء الموثوق فيهم إلى داخل المنطقة . أما أنشطتهم على زمن الحرب فكانت بمثابة التاريخ الذى لاصلة له الآن بالحوادث الجارية .

وفى ليلة ٦ اغسطس ١٩٤٦ ، أبحـر زورق صيد مزود بكافـة الأجهزة والمعدات فى هدوء عبر مـوانىء « لاتفيا » ولما وصل إلى مبتغـاه ، قفز رجلان يحمــلان حقائب كبرى على الشاطىء واختفيـا فى الظلام الدامس . وكـانا عميلين للمخابرات البريطـانية للعمل داخل خطوط روسيا .

لم تكن تلك العملية جـديدة على المستر « تـومسون » ذلك أنه كـان قد قـام بعبور البحر أحد عشر مـرة من قبل إبان الحرب وأغراه ذلك للاضطلاع بهذه الرحلـة البحرية الأخيرة ، على أمل الوفـاء بالوعـود التى قطعتها المخابـرات البريطانية لـه بإعطائه المال النقدى والمزايا المالية لدى عودته .

وكانت جماعة « كوريليس » وعلى رأسها « زاندى » الذى عمل أيضاً مع « فالديمارس جينترس » حتى مايو ١٩٤٥ ، كانت مشهورة وكذلك المستر « زاندى » الذى عرف بأنه أحد دعاة القومية والمحاربين عن استقلال بلادهم . ولقد أوضحت متعلقاته الشخصية فيما بعد كيف أن أجهزة المخابرات البريطانية السرية لم تكن تهدف فحسب إلى بث أجهزة الراديو وأجهزة الاتصالات اللاسلكية داخل لاتفيا ، وإنما كانت تهدف كذلك إلى تكوين شبكة كبرى من الجاسوسية الدولية .

كانت استعدادات العملية تستهدف أساساً التعتيم على الصلة التى تربط بين منفذيها وبين أجهزة المخابرات البريطانية السرية . وكان المستر « جانيس لوكينز » أحد دعاة القومية الشباب الذى نظم الرحلة الفعلية ، غير عالم بهذه الصلة . كما كان « لوكينز » على اتصال بـ « هوجو جينترس » الرجل الذى يعتنق كثيراً من المبادىء الفاشية إلا أنه لم يكن فاشياً تماماً ، وكان قد جمعت بينه وبين « روبرت أندرسون » العلاقات الطيبة فى السفارة الأمريكية .

وبرزت الفكرة أساساً من خلال حديث بين « جينزس » و « لوكينز » بأن يتم جمع التبرعات من الرعايا اللاتفيين فى المنفى وأحد القساوسة السويديين من أجل الحصول على زورق سريع والأجهزة والعتاد اللازم . وكان هذا القسيس يعمل نيابة عن وكالات الاستخبارات الانجليزية فى الخفاء .

وبعد أن هبطا على أرض الميناء ، شق الرجلان طريقهما إلى خارج قرية الصيد المشرفة على البحر متوجهين إلى بيت والد « زاندى » فلما دخلاه توجه زاندى إلى الغرفة العليا حيث شرع فى بث المعلومات باللاسلكى لتأكيد وصولهما الآمن فى حين قام « تومسون » بفك تحميلات البنادق الآلية والمسدسات والزخائر ليفحص أن كل شىء على مايرام وأنه جاف لم تصبه الماء .

وحدث بعد ذلك أن أصابت بعض التلفيات جهاز الإرسال الخاص بالمستر زاندى ، بعد أن كان قد قطع شوطاً فى العملية ، وسار سيراً حسنا على مسار تنفيذ كل الخطوات المتفق عليها . إذ جاءته الرسائل اللاسلكية تقول : بأن الجهاز يعانى من التشويش وأن رسائله لاتصل واضحة ، واقترح عليه الاتصال بمشغل راديو من رجال المخابرات البريطانية اسمه « برمجانيس » لإصلاح تلك العلة .

وواصلت أجهزة المخابرات البريطانية اتصالاتها مع المستر « برجمانيس » على

الرغم من الشكوك الخطيرة . وبرغم أن توضيحاته وشروحه بدت معقولة ، إلا أن رسائله على مدار الأشهر الماضية كانت غريبة بل الأكثر من ذلك أنها كانت هيستيرية . ومع ذلك ، حيث أن موقف « زاندى » صار موقفاً يائساً وعصبياً ، كانت المخاطرة تستحق العناء والمغامرة الواجبة .

وفى أوائل نوفمبر ١٩٤٦ ، تلقى بيرجما نيس رسالة من السويد تم أيضاً إرسالها إلى « زاندى » تنصح المستقبلين بأن يتوجها إلى اجتماع فى منزل إحدى النساء العجائز فى « جالجافا » بالقرب من الميناء الكبير على البحر البلطى الذى يطلق علية اسم « ريجا » .

تلقى « بيرجما نيس » تدريباً جيداً ونصائح هامة ، عندما وصل إلى مكان الاجتماع . حيث أجاب بسهولة على كافة تساؤلات المستر « زاندى » وبدا وجود راديو يعمل أمراًمهدئاً لمخاوف المستر « بيرجمانيس » . ووافق « زاندى » على أن رسائله يجب أن يتم نقلها وبثها عن طريق « بيرجمانيس » وأصدر أيضا أوامره إليه لجمع الاستخبارات والمعلومات من أجل لندن .

ولدى عودته ، قال زاندى للمستر « تومسون » : إن الاجتماع كان ناجحا وإننى لأشعر بالرضا لأن المستر بيرجمانيس لايعمل لصالح أجهزة المخابرات السوفيتية المعروفة باسم « لجنة أمن الدولة » (كى - جى - بى) .

وعلى مدار الأسابيع التالية أصبح نجاحات المستر « زاندى » تلقى المخاوف لدى رجال المخابرات البريطانية خشية افتضاح أمره وانكشاف عملياته .

وفى ستوكهولم ، جمع « جانيس لوكينز » المال اللازم لشراء وتدبير زورق أكبر لعبور البحر البلطى . واختار رجلا محنكاً من لاتفيا واسمه « ايلمارس سكوبى » من أجل قيادة هذه المهمة الأخيرة .

ولقد كان « سكوبى » على مابدا رجلا مثالياً واختياراً ناجحاً فهو ضابط فى الطليعة الرائدة لفيلق إبان الحرب ، ولقد ترك السيرة الحسنة التى مؤداها أنه مناهض مثالى ضد الشيوعية ، وكيف أنه استطاع أن يقتل فى الأيام الأخيرة من عام ١٩٤٤ الكثير من الروس كهدف من أهدافه التى آلى على نفسه أن يحققها .

وعلى مدار معظم عام ١٩٤٥ ، عاش هو وزوجته وأتباعه الثلاثون فى غابات كورلاند ، مسلحاً بالأسلحة الألمانية ، وقام بعمليات اضطهاد وإزعاج للفلاحين من أجل

الحصول على الطعام الكافى لإعاشتهم . وبحلـول أواخر شهر الصيف ، أصبحت فرقة المقابلين التابعة له فى حالة من العوز والفقر ، وصارت تحيط بها المخاطر من كل صوب وناحية بدرجة متزايدة .

وفى ذات ليلة ، فوجئوا بإحدى دوريات الجيش الأحمر ونجا « سكوبى » من الموت بأعجوبـة عندما أطلق النـار على أحد الضباط الـروس الذى كان قـد تمكن منه فأرداه قتيلاً . وعندها أمر أتباعه بالرحيل إلى السويد قائلاً إننا لا يمكن أن نجلس هنا فى انتظار نشوب الحرب ، واقترح أن يستقلوا زورقاً للإبحار إلى السويد .

وفى خضم تخطيطهم لعملية الهروب ، فى ٤ اكتوبر ، أسر ال « كى جى بى » زوجـة « سكـوبى » . وعلى مدار الأيـام التاليـة ، تعـرضت المرأة التى جردوهـا من ملابسهـا وقيدوها فى أحد الكراسى للتعذيب من أجل استخراج معلومات منها واعترافات بأماكن المجموعة التى تنتمى إليها .

ولكنها استطاعت تحت وطأة الألم والعذاب أن تتآمر على ضباط ال « كى جى بى » وخـداعهم إذ قـالت لهم: إنها سـوف تـرشدهـم إلى ما يـريـدون ولكنهـا تطلب عـدم مصاحبتها إلا عـن بعد حتى لا ينكشف الأمر وتهرب أفراد المجمـوعة . ولما وجدت أنها ابتعدت عنهم فى الظلام مسافة كافيـة ، أطلقت ساقيها للرياح واختفت وسط الأحراش واستطاعت العـودة الى مكان زوجها ، ولكنها ظلت سنـوات طويلة بعـد ذلك تعانى من الآلام .

وتخفى المستر « سكوبى » فى زى رجل المخابرات « كـى جى بى » السوفيتيه الذى سبق أن قتله ، وجعل يبحث عن زورق يمكنه هو وزوجتـه وأتباعة من الرحيل من تلك البقعة ، وفى ٢٢ أكتوبر أصدر أوامـره بصفته رجل مخابرات روسى الى أحد الصيادين الذين يعيشون فى قرية « جوركـالين » بأن يقدم زورقه من أجل مهمة البحث عن قطاع الطرق وأشخاص مشبوه فيهم .

وتم إلقاء القبض على صياد السمك سيىء الطالع خارج الميناء ، فى حين أن الزورق شق طريقـه فى البحر وهو يقل بقية فريـق المستر « سكوبى » متوجها الى « جـوتلاند » لطلب حق اللجوء السياسى .

وقال « سكوبى » لـزوجته : « إن السويديين لا يعـرفون بالذى سـوف يفعلـونه معنـا » وذلك مع حلـول أعيـاد الكـريسماس عـام ١٩٤٥ ، حينما كانـوا لا يـزالـون

محتجزين فى معسكر اللاجئين . وحدث أن زار مع « لوتجاس » مقر السفارة البريطانية ليعرض خدماته إلا أن المسئولين بالسفارة رفضوا خدماته واعتذروا له فى أدب ودماثة خلق .

وأخبر « سكوبى » المسئول البريطانى أن طموحه هو الحصول علي زورق ليعود به ويستأنف الكفاح فى لاتفيا . وصار الاحتياج إلى زورق هاجساً يؤرق الرجل ، وهو الهاجس الذى تفاقم حينما أرسله السويديون للعمل فى غابات الشمال ، فصار على بعد ٢٦ ساعة بالسيارة من زوجتة . وفى صيف ١٩٤٦، انكشفت عنه الغمة وزالت عنه المحنة . إذ كتب « جانيس لوكينز » بأنه يحتاج المساعدة لإعداد زورق من أجل رحلة خاصة .

كان « لوكينز » غير مدرك لمشكلات الراديو التى يعانى منها « زاندى » وبنهاية شهر أكتوبر من عام ١٩٤٦ ، جند « لوكينز » أربعة رجال آخرين من لاتفيا كطاقم له أما الشخص الخامس الذى عينه « جنترس » فقد تقرر أن يقيم فى لاتفيا كمشغل لراديو الاتصالات اللاسلكية الخاصة بأجهزة المخابرات البريطانية السرية .

وفى ١٧ ديسمبر ، فى الوقت الذى كان فيه « سكوبى » ينهى ترتيباته ويضع لها اللمسات النهائية ، وصل وسيط غير معروف هو الذى وصفهم « سكوبى » فيما بعد بأنه « الكولونيل - وصل إلى الرصيف البحرى وأفرغ حمولة حقيبتين بنيتين . كانت المحتويات تتحدث عن نفسها : وهى جهازان من أجهزة الاستقبال والإرسال ، وراديو جديد وجهاز إرسال وبندقيتان أمريكيتان من عيار ٩ مم ، وثلاثة مسدسات ، وذخائر ، وصندوق علاج وأدوية .

أخفى « سكوبى » والطاقم الذى معه بكل عناية الأشياء فى أماكن سابقة الإعداد . أما المصدر لكل هذه الأشياء فهو أحد الرجال من استونيا ، هكذا قال سكوبى للطاقم الذى معه . وعلى الرغم من طلبه لاختبار صلاحية الزورق ، أصر « لوكينز » أنه ليس هناك الوقت من أجل ذلك ، حيث إن رجالنا فى لاتفيا صاروا قلقين للغاية .

وأعطى الكولونيل للمستر « سكوبى » حافظتين آخريين الأولى تحتوى على ١١,٥٠٠ روبيل (وحدة النقد فى الاتحاد السوفيتى) والأخرى تحتوى على أكواد جهاز راديو ومواقيت وجداول البث اللاسلكى . وقال له : لاتدع لأى أحد أبداً مهما كان أن

يضع يديه على هذه الأشياء .

فدس « سكوبى » المظروف إلى إحدى الحقائب وأضاف ۳،۰۰۰ روبيل أخرى كان قداعطاهـا إياه باليد إلى جيبه . ولم يكن سكـوبى قد رأى مثل هذا المبلغ من المال قط فى الماضى وطوال حياته . وقال له الكولونيل وهو يسلم له طردين آخرين صغيرين « إليك شىء آخر إضـافى ، ثمانية غطاءات زجاجيـة كغيارات لجهاز الراديـو أعطها إلى مشغل الراديو حينما تصل » .

وكانت تلك الأشياء بمثابة قطع غيار لجهاز إرســال المستر « زاندى » المهم أخفى « سكوبى » الحقائب داخل أجهزة الملاحة . وكلفه بالمزيد من التعليمات إذ قال له : مهما يحدث من أمور ، يجب الا تدع الزورق والأجهزة تقع فى أيدى الروس . وإذا أمسكوا بك فى البحـر ، يتعين عليك أن تضرب النار فى خـزانـات الوقـود وتهلك مع الـزورق . وإذا وجدت لظـروف قهرية وجوب مكـوثك فى لاتفيا ، وأمسكوا بك هناك ، فـلا يجب أبداً أن تقول إلا أنك تسللت عن طريق ألمانيا . ولايجب أن تكشف تحت أية ضغوط أنك قد جئت بالمساعدة الأمريكية من السويد .

وشرعت سفينـة « هاجبـارد » فى الإبحار بعد يـومين وعلى ظهرهـا ضابـط بحرى سويدى هو الذى أبحر بها عبر أرخبيل ستوكهولم الملىء بالصخور صوب « جوتلاند » وذلك قبل الانتقال إلى زورق آخر كان ينتظر فى الخـارج عند البحار العالية . وأبحـر « سكوبى » إلا أنه سرعان مارصـدته إحدى الدوريات البحريـة السويدية . غيرأن الـزورق سبق الدوريـة ، ولكـن عند الـوصول فى مينـاء جـوتلانـد تعرض الـزورق للاحتجاز .

وبعد ساعتين ، وعلى الـرغم من اكتشاف أجهزة الراديـو والأسلحة ، وردت مكالمة هاتفية إلى « بيرتيل بوند » ، مقـر الاستخبارات المضادة فى الجزيرة ، كان من شأنها أن تـؤمن إطلاق سـراح السـفينة . بل أكـثر من هـذا ، فى ١٩ ديسمبر ، كـانت سـفينة « هاجبارد » فى الطريق وكـان قصدها الوصول إلى خليج « سكالت » فى أعمق أعماق المياه الإقليميـة الروسية حيث لاتتـوقع الدوريـات السوفيتية أن تغـامر السفن الأجنبية بالوصول إلى هناك .

كـان المستر « زانـدى » وحـوالى عشرين لاتفياً ينتظـرون صـامتين بـالقـرب من

الشـاطىء من أجل خلاصهم ، غير مـدركين أن « لـوكاسيفيتش » وتجريـدة كبرى من المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » مختبأة بالقرب من مكان تواجدهم .

كانت سفينة « هاجبارد » متواجدة فى أعماق المياه السوفيتية ، وتتجه صوب موقع الموعد المحدد حينما فقد « سكوبى » أعصابه فجأة . وعلى الرغم من أنه فيما بعد زعم أن البـوصلة كـانت تتارجح بشـدة ، إلا أنـه فى حقيقة الأمـور كـان يخشى من أن يضيع الزورق ويتعرض للانكشاف وافتضاح أمره فيما بعد فى ضوء النهار .

فأصدر أوامره بالالتفاف نحو الخلف بزاوية درجتها ١٨٠ وبسرعة بالغة فى البحر ليخرج من الموقع المحاصر . وفى الظهـيرة ، كانت السفينة تقترب للمـرة الثانية مـن « جوتلاند » حيث تم التقاطها من جـانب البوليس المحلى . لم يكن أمام « بيرتيل بوند » أية سلطات تخوله التأثير على قوات ذلك البوليس .

ولدى مثولـه التحقيقات قال سكوبى : إنـه يجمع التبرعات والأموال من أجل شراء هذه المعدات والهدف إطلاق سراح وإنقاذ الأهل والأقـارب من براثن الأعداء فتم تحويله إلى ستوكهولم حيث عهد به إلى وكالة الاستخبارات المدنية .

وهناك مارست الزبانية أشد أنواع التعذيب والتنكيل بالمستر سكوبى فانهار تحت وطأة الشدة واعترف ، وأخـذ يملى اعترافاته أمـام الضابط الـذى أصر على أنه لن يطلق سراحه إلا بعد الاعتراف تفصيلياً بكل شىء وبأسرار العملية التى ضبط متلبسا بالقيام بها .

وفعلاً أخبره بأنـه يعمل لصالح الاستخبـارات الأمريكية وجهـازها الجديـد الذى أصبح اسمه « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية » وذلك فى أعقاب وضـع الحرب العالمية الثانية أوزارها ، حيث كان اسمها أصلاً : مكتب الخدمات الاستيراتيجية .

وقـال : إن الضابط الأمـريكى حدد مطـالبـه بالاتصـال مع جماعات الفـلاحين وإعطائهم أجهـزة الراديو والـلاسلكى التى من شأنها أن تزودنا بحلقـات الاتصالات الضرورية معنا وبخاصة للحصول على المعلـومات عن اختبارات الصواريخ الروسية ، حيث أنهم كانـوا يرغبون فى معـرفة قواعـد الروس العسكريـة ومواقعها وإمكـانياتها ومسـارات اختبـارات الإطلاق والإقـلاع والتفصـيلات الفنيـة الـلازمة حـول هـذه الصواريخ .

كما اعترف سكوبى أن المخابرات الأمريكية أرادت معلومات عن الجيش الأحمر الروسى وكل مايحدث على الصعيد الاقتصادى والسياسى فى المنطقة . واعترف بأن هذا الضابط هو الذى أمده بالعتاد والأجهزة وسوى الترتيبات الكاملة مع البحرية السويدية وأجهزة المخابرات المضادة فى جوتلاند . ولم يكن أمام الضابط المحقق إلا الأخذ بأقواله واعتبارها صحيحة طالما أن الأجهزة التى أمامه لم تكن سوى أجهزة أمريكية الصنع .

وفى اليوم التالى من يناير عام ١٩٤٧ ، عرض على المستر سكوبى مجموعة مختارة من الصور الفوتوغرافية . وكان من بينها صور للمستر « روبرت أندرسون » رئيس محطة المخابرات البريطانية فى ستوكهولم ، والكولونيل « ليونارد جونسون» الملحق العسكرى الأمريكى ، ومسئولون آخرون بالسفارة كان الضابط المحقق يتشكك فيهم وفى تورطهم فى أنشطة تجسسية وتخريبية .

ولقد كشفت التحقيقات أن هناك شخصا اسمه « ماكلاشلان سيلفروود كوبى » ملحقاً رسمياً بصفته سكرتير ثالث فى السفارة البريطانية فى ستوكهولم منذ صيف عام ١٩٤٥ ، وكان قد غادر السويد على غير توقع وطار إلى انجلترا . إن هذا الدبلوماسى العجوز البالغ من العمر ٣١ عاما كان معروفا لكبير ضباط استخبارات أجهزة المخابرات البريطانية السرية فى السفارة ، وهو الذى طور أثناء الحرب صلاته الوثيقة مع المخابرات الفنلندية والنورويجية .

وعلى الرغم من أن إنكار « سكوبى » أنه يعرف « سيلفروود كوبى » ، إلا أن الضابط المحقق توصل إلى نتيجة مؤداها أنه من الواضح أن مهمة سكوبى هى مجرد البدء فى شن خطة بريطانية لتجنيد العملاء فى روسيا وتزويدهم بالضروريات ثم نقلهم بالمظلات ، وإنهم تركوا عمداً علامات « جيش الولايات المتحدة » على أجهزة الراديو ، حتى يمكن لفت الانتباه وإبعاده إلى الأمريكيين فى حالة قبض الأعداء عليهم والاستيلاء على مامعهم من أجهزة ومعدات . أنكر سكوبى أية صلات تربط بينهم وبين أجهزة المخابرات البريطانية قائلا : إن كل هذه المعلومات غير صحيحة .

وفى الأسابيع التالية لسفر المستر « سيلفر وودكوبى » بالطائرة إلى لندن ، أصبح « لوكا سيفتش » قلقاً بشأن عملية الخداع التى قام بها . ولم تكن أجهزة المخابرات السوفيتية الـ « كى ـ جى ـ بى » مدركة أو عالمة بأسباب عدم وصول سكوبى كما أنهم

تلقوا رسالة أخرى من السويد بأن الزورق تعرض لعاصفة هوجاء هى التى تسببت فى تأخيره ، وإنه سوف يصـل فى تمـام يوم ٥ يناير - بعد يوميـن من فشل وإخفاق « سكوبى » فى تحديد هوية الكولونيل المطلوب لضابط التحقيق .

أما المستر « ماكيبين » فقد كـان يتعشـم فى ترتيب سفينة بديلـة إلا أنه أخفـق . أما « زاندى » وجماعته الكبرى ، فـلا تزال تحت رقابة المخابرات السـوفيتية الـ « كى - جى - بى » ، ومع ذلك فقد استطاعوا العودة إلى بيوتهم .

لم يكن « زانـدى » و « تومسون » يستطيعـان صبراً وانتابهم الجزع وأخـذ منهم الهلع كل مأخذ ، وكان « تومسون » قد وجد زورقاً صغيراً بحاجة إلى تصليحات طفيفة وأصبح على استعداد للإبحار . وفى ليلة الإبحـار فشلت المحركات فى الشروع والتحرك بالدوران . واكتشف فيما بعد أن الميكانيكى التابع لأجهزة الـ « كى - جى - بى » كان قد أزال جزءاً صغيراً ولكنه حيوى من المحرك .

بلغ اليأس بالمستر « تومسون » مبلغه واشتـد به القلق ، وسرعان ماأخذ يبحث عن زورق آخر فى حين أن « زاندى » استمر بكل قوة ونشاط فى جمع الاستخبارات لكى يتم بثها عن طـريق المستر « برجمانيس » . إلا أنه بحلـول شهر مارس عـام ١٩٤٧ ، صار رؤسـاء « لوكـاسيفيتش » قلقين تستبد بهم الظنـون والشك بشأن جـودة المعلومـات الاستخبارية التى كان يرسل بها المستر « زاندى » . وبمرور الوقت صار زورق المستر « تومسـون » جاهزاً للإبحـار ، ولكن فجأة ، صدرت أوامر من أحد رجال الاستخبارات المعادية . « اقبضوا عليهم فوراً .. لقد أصبحوا فى منتهى الخطورة » .

وأرسل « كارليس أريـنـز » مشغل الراديـو فى السويد الـذى استطاع التقـاط آخر رسائل « برجمانيس » فى السويد ، بتحذيراته إلى المقر الرئيس للاستخبارات قائلاً : لقد حدثت كارثة عظمى .. ألقى الأعداء القبض على المستر زاندى ، والمستر تومسون . أما أنا فقـد نجـوت بأعجـوبـة . وأخشى أن يعترف المستر زانـدى تحت وطأة التعـذيب . كما توقفت جمييع الأنشطة . سـاعاود الاتصال بكم حينما يصير الوقت اكثر أمنا وسلامة .

وعلى صعيد العمليات الاستخبـارية فى المقر الرئيسـى لمخابرات الدولـة البريطانية السرية ، أدت هـذه المعلومـات الخطيرة إلى إرباك المستر « كـار » والمستر « ماكيبين » إذ كانت مفـاجأة لهم وتطوراً غير متوقع بـالمرة . ففى الماضى القريب ، لم تكن هنـاك أية إشـارة أو مجرد تلميح بوجـود أدنى خطر ، والآن انقلب كل شىء رأسـاً على عقب . إذ

أطبق الصمت الرهيب ولم يعد أحد يعرف بما جرى لهم .

وسرعان مــاتخذت أجهزة وأقسام المخـابرات البريطانيـة السرية كافـة الإجراءات الكفيلة بامتصاص الصدمة ، حيث شرعـوا فى تغيير كافة الخطط المستقبلية القائمة على عمليات الفريق المضبـوط ، كما حاولوا حماية سائر العملاء عن طـريق إبلاغهم بطرق وأساليب تكفل لهم السرية وعدم الوقوع فى بـراثن استخبارات الـ « كى - جى - بى » . إذ أن المخابـرات البريطانية كـانت قد تعلمت فى الماضى أن الـ « كى — جى - بى » إذ أن المخـابرات البريطـانية كـانت قد تعلمت فى الماضى أن الــ « كى - جى — بى » يستغل المعلـومـات المستمرة مـن سقوط العمــلاء . والجواسيس البريطـانيين فى شن عمليـات جديدة إجهاضية .

وشرعت المخابرات البريطانية فى البحث عن عملاء جدد وكان الذى رشحهم لها هو المستر « روبرت سيبريس » الذى هرب من لاتفيا فى مايو عام ١٩٤٥ .

واكتشف المستر « سيبريس » أن شخصاً عظيماً يصلح للعمل الجاسوسى الا وهو المستر « فيليكس رومينكس » .

ولـد « رومينكس » فى « ريجا » عام ١٩١٤ ، وعمـل فى الفيلق العسكرى المعـروف بـاسم « إس - إس » التـابع لدولـة لاتفيـا وذلك قبل أن يهجره فى ينـاير عـام ١٩٤٥ . وسرعان ما تم اعتقــاله فيما بعد ، وتقابل مع أحد معارفــه واسمه « روبرت أوسيس » ، أحد ضباط جيش لاتفيا الذى كان مصدراً من مصادر الاستخبارات فى منطقة « ريجا » قبل عام ١٩٣٩ .

وفى اثناء الاحتــلال الألمانى ، تمت ترقية « أوسيـنس » إلى رتبة الكولـونيل « عقيد » وعهد إليه أســاساً بتولى مهمة حـراسة حارة اليهود فى « ريجا » غير أنــه فيما بعد تولى قيادة فريق إعدام متجول فى كل من « لاتفيا » و « بولندا» . وقد تم مناقشة أنشطة زمن الحرب هذه بإيجاز فقط حينما تقابل « أوسيس » و « رومينكس » فى يناير عام ١٩٤٥ .

واقترح « أوسيس » وجـوب إبحــار « رومينكس » إلى السـويـد وإبــلاغ أجهـزة الاستخبارات البريطانية أن « أوسيس » ، وهو المصــدر الموثوق لديهم فى ريجا منذ عهد ماقبل الحرب ، أصــبح للمرة الثانيــة على استعداد لأن يقــدم خدمــاته . ووصــل

« رومينكس » بمساعدة الألمان إلى السويد ، وفى أعقاب مكالمته وحديثه مع أحد مسئولى السفارة البريطانية ، قام بالاتصال بالمستر « تيفيرز » التابع للمجلس المركزى اللاتيفى ، وكان قد عمل فترة وجيزة لدى الإنجليز .

لم يثمر اجتماعهما عن نتائج تذكر وتم إدخال المستر « رومينكس » فى أحد معسكرات اللاجئين ، فى حين أن « أوسيس » بمساعدة جهاز المخابرات البريطانية ، كان قد وصل أخيراً إلى بريطانيا سالماً .

ولما عثر « سيبرس » على « رومينكس » فى أوائل عام ١٩٤٦ ، علم أنه يعتزم العودة إلى بلاده ، سأله أن يتريث . وتم الاتفاق على أن يسافر « ارسيس » إلى السويد انطلاقاً من لندن ، ونيابة عن « ماكيبين » لمقابلة المستر « رومينكس » وإقناعه بالعودة إلى « لاتفيا » باعتباره عميلاً سرياً من عملاء المخابرات السرية البريطانية .

ووافق « رومينكس » على هذه الخطة ، ولما حققت معه المخابرات السوفيتية الـ « كى ـ جى ـ بى » ، اعترف على الفور بأن المخابرات البريطانية كانت قد جندته ، وأعطته اسماً رمزياً وحركياً وهو « ميلبارديس » وأن قناة اتصالاته مع لندن هو زيارته للبحارة من التجار الذين يعملون بالتجارة فى البحر .

ولما اعترف بتفاصيل كل شىء ، صار بوسعه إقامة علاقة طيبة مع الضباط المحليين الذين يعملون فى استخبارات لجنة أمن الدولة السوفيتية الـ « كى ـ جى ـ بى » وأن يفى بالغرض الحقيقى لمهمته ، الا وهو استكشاف المصير الذى آل إليه المستر « زاندى » و « تومسون » و « أرنيتش » . واعتزم أن يرسل بالمعلومات التى استقاها عن طريق البريد ، مستخدماً الحبر السرى ، وموجها رسائله إلى عناوين فى ألمانيا الغربية وبلجيكا .

وحدث أن جاءت عودة « رومينكس » حسبما كان مخططاً لها من قبل ، كما أن اقتناع ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » برواياته المختلقة ، وسمحوا له باستئناف حياته الطبيعية فى مدينة « ريجا » . أما أجهزة الاستخبارات البريطانية ، والمستر « ماكيبين » فقد كان يتعين عليهم الانتظار وترقب التطورات المستقبلية .

* * * *

الفصل الرابع

تحالفات غامضة

عادماكلاشلان سيلفر وود ـ كوب إلى ستوكهولم . بطريق غير فضولية . بعد قص أجنحة المخابرات السويدية « المنتفخة » وأصبحت السويد مؤقتاً مكاناً غير عملى .. كمركز لعمليات المخابرات .. ورغب الساسة السويديون فى تهدئة الروس . وألحوا مرة ثانية إلى المخابرات البريطانية بضرورة السيطرة على عملياتها .

وكان كار وماكبن بحاجة إلى إعادة تقييم لاستراتيجية المخابرات البريطانية فى البلطيق والتأكد بأن شبكاتهم لم تنكشف . وعلى قمة « سكوب فياسكو » عاد جوناس ديكسينس مرة أخرى إلى ليتوانيا عبر بولندا وكان معه « شريكه » فايتبوس ستانفشيوس الذى جاء بزوجته معه . وكان مستمتعاً بعودته الناجحة للمرة الثانية . وقدم ستايس زايمنيش خبير المخابرات البريطانية « الليتوانى تقارير شهادة عيان تفصيلية عن المعارك الشرسة بين الأنصار والجيش السوفيتى . وادعى أن الريف كانت منطقة محرمة على المحتلين ليلاً . وكانت الغابات مخيفة بكل الحسابات وتعرض الآلاف من المدنيين والعسكريين للقتل على يد المتعاطفين والمتعاونين ضد الروس . وبث الأنصار الرعب فى نفوس الروس الذين جاءوا إلى البلطيق ضمن موجات التهجير الجماعى وخصصت لهم مزارع الليتوانيين المهجرين قسراً أيضاً إلى سيبيريا .

وعاش رجال الـ « كى ـ جيـ بى » فى حالة إحباط وتبنوا أساليب مرعبة وارتدوا ملابس الأنصار للكشف عنهم . وعن مؤيديهم .

وكوم رجال الـ « كى ـ جى ـ بى » جثث الضحايا فى ساحات القرى وراقبوا الأهالى عن بعد حتى يتعرفوا على رد فعل المواطنين . وألقوا القبض على الذين يكشفون وبسلامة نية عن أنفسهم وأنهم أقارب أحد الضحايا . ثم يجرى استجوابهم وترحيلهم إلى سيبيريا ــ وكإجراء مضاد لهذا ـ لجأ الأنصار إلي تشويه وجوه الرفاق القتلى عن عمد .. حتى يجنبوا أسرهم مخاطر الترويع على يد الروس . بينما .. من يفضل الموت

على الأسر .. كان يفجر القنبلة اليدوية على رأسه حتى يحول بين نفسه وبين الاعتراف أمام الأعداء .

ومن أكثر الجوانب أهمية فى تقرير « ديكسانس » كما رأى ذلك ماكبن وزايمنتس ، هو لقائه مع الأنصار وعلى الخصوص مع « جيوزاس لوكاشا » وهو الابن الأكبر لعائلة فلاحية ويبلغ من العمر ٢٥ عاما .

وتعرضت عائلته للتهجير الإجبارى إلى سيبيريا ، وهو قائد معروف للأنصار وله قدرات فائقة فى تنظيم الجماعات المقاتلة فى الريف .. فى خلايا تعتمد على ذاتها ، حتى يعظم من قدرتها وكفاءتها القتالية فى مواجهة الأعداء .

وقد تركت قصص « ديكسنس » عن شجاعة الأنصار انطباعاً حسناً عن مستخلصى المعلومات فى المخابرات البريطانية . وفى ليتوانيا .. كما هو الحال فى لاتفيا وأوكرانيا .. هناك حرب ساخنة ضد الروس ويمكن مساندتهما بأقل تكلفة ، ومن الواضح أن عملاء المخابرات البريطانية على علاقة بقادتها .

ولايوجد من هو أكثر أهمية من الدكتور « جوياس ايناس ماركيلى » وهو فى رأى « ديكسنس » يقدم نفسه على أنه قومى ويحاول التعاون مع الأنصار . ولد « ماركيلى » فى بتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية وعاد سنة ١٩٣٠ إلى ليتوانيا ودرس فى سلك الرهبنة وفى النهاية رفض أن يتبرهن وتخرج سنة ١٩٤١ من الجامعة بعد دراسة الطب .

وتأثر ديكنسيس كثيراً بشخصية « ماركيلى » وقد أقام فى منزله وتعرف على حماسته ومصادره وقدرته فى استخراج جوازات السفر المزورة .. والتى أتاحت لديكسنس العودة إلى الغرب ، مقابل تسليم ديكسنس له شفرات اللاسلكى وجدول مواعيد الإرسال والاتصال بالمخابرات البريطانية فى السويد ، وقائمة بعناوين فى أوروبا الغربية لإرسال الخطابات الشفرية وقد أسماه ديكسنس باسم حركى ، نيابة عن المخابرات البريطانية « آريانز » .

وأثناء تلك الزيارة أيضاً ، أقنع ماركيلس ، « ديكسنس » بأن جماعة JLIK والقيادة الليتوانية المنفية وقاعدتها ومقر إقامتها فى ألمانيا لاتحظى بالثقة من جانب جماعته من الريفيين لأنهم متعاونون سابقاً مع النازى ولذا لا اتصال بهم الآن . وأوصى بضرورة إنشاء منظمة جديدة تربط بين الأنصار والغرب تسمى « VLAK » وكانت تلك

التوصية اقتراحاً محرجاً لماكين ولجهاز المخابرات البريطانية .. لأن المخابرات انهت فعلاً أى علاقة مع VLAK ويبحث ماكين عن منظمة بديلة ..

وكـان تقريـر مـاكبن عن وجـود جماعة مقـاومـة منظمة داخـل روسيا تنـاسب احتياجات المخابرات البريطانية يحتاج إلى مزيد من البحث والفحص .

وفى ينايـر سنة ١٩٤٧ ، مُنح زيلتاسكسل ، وديكسنس وزايمنتس وعـدد آخر من الليتوانيين تذاكر سفر من ممثل المخابرات البريطـانية فى استوكهولم للسفر فى مواعيد وبطرق مختلفة من السويد إلى هامبورج .

وعند الوصول .. توجهوا إلى خارج أوسنبروك ومكثوا بها لأسبوعين .

وكان المضيفان للمجموعة .. ضابطان انجليـزيان يتكلمان الروسية بطلاقة .. ولم يكشف الضابطـان عن هويتهما إلا فى مـرحلة متأخرة . أحـدهما يدعى « كـار » وعاش الليتوانيـون حياة مرفهـة واستمتعوا بها وهم ينـاقشون اسـتراتيجيتهم بينما الشعب الألمانى خلف أسـوار القلعـة يعيش على أقل مـن ألفى سعـر حـرارى يـوميـاً وعـانى البريطانيون من توزيع الخبز بالبطاقات لدعم الأعداء السابقين .. وكان مضيفوا جهاز المخابرات البريطانية يقدمون لليتوانين ولائم لاتنتهى .

وتركزت المناقشات على الاعتراف بمنظمة VLAK . وشرح ديسكنس أن ماركيلوس كـان يجمع كل قادة الأنصـار فى اجتماع لتنسيق القتال ويجب أن تكـون JLAK هى المنظمة المعترف بها من قبلهم . وأرسل ماكبن مساندته وتأييده .. ولم يكن حاضراً « إننا نريد أن نمنح الأنصار الدعم السياسى فى النضال وأن مجرد قتل الروس عمل وحشى . ولا أثق بجماعة JLIK .

وعلينا أن نساند VLAK لبناء زايمنس وفى نهاية المؤتمر وافق ضبـاط المخابرات على تكوين VLAK ووعدوا بـالدعم المالى للحـرب . وابتهج ديسكينس وزايمنس وإن خلت بهجتهم عندما عرفوا أن قمة أنصـار .. « ماكيليوس » عقدت منذ أسبوعين أيضاً . ولم تنتهج نفس الطريق الذى تخيله ديكسنس .

وقد دعا مارليكوس لمؤتمر ٨ يناير ، ولكن جويابس لوكاس ، « قائد الأنصار » شك فى قدرة الطبيـب الملحوظـة فى توفير الأمـوال وجوازات السفـر والمنازل الآمنـة . وحذر الأنصار بالابتعاد عن هذا المؤتمر .

وفى يوم الاجتماع راقب جواسيس لوكاس « لقاء باركيلوس » عن بعد ، ولاحظوا أن ضباط الـ « كى - جى - بى » قد أحاطوا بالمبنى .

وقد ألقى القبض على الأنصار الذين لم يأخذوا بتحذيرات لوكاس .

وكشفت مزيد من التحريات أن ماركيلوس أصبح شيوعيا سنة ١٩٤٤ وكان ضابطاً عاملاً فى الـ « كى - جى - بى » ومهمته اختراق حركة الأنصار .

وفى « أوسنبروك » أصبح ديسكتس » أداته يشق المقاومة الليتوانية إلى جماعة VLIK و VLAK ودفع المخابرات البريطانية لتقع فى شراك الـ « كى - جى - بى » ولم يكن لدى لوكاشا جهاز لاسلكى أو عناوين لإرسال التحذيرات إلى الغرب واستمرت المخابرات البريطانية تسير في طريقها الذى اختارته وهى تجهل ماحدث .

وكان كار المشبع بأسطورة الثقة ومؤسسة الأمن على وشك أن يقع فى شرك جديد .

وعشية رحيل الليتوانيين من أوزنبرك . اختصرت رحلة العودة لضيوف المخابرات البريطانية ، وامتلأت جوازات سفرهم بالتأشيرات المزورة بما يفيد أن غيابهم لأسبوعين عن السويد كان فى سفرهم لم توقف .

وعزز الوداع الحار استنتاج الليتوانيين بأنهم اكتسبوا دعم الحكومة البريطانية إلى صف قضية الاستقلال « لقد حصلنا على الجيش » كان ذلك ما أرسل به أحد ضباط المخابرات البريطانية إلى ماكبن ، وإننا ننتظر الواقعية السياسية للإفادة من ذلك . ولم تكن تلك المرة الأولى ولا الأخيرة التى يقتضى فيها المخابرات البريطانية رؤيتها للتاريخ وقد أخفى رجال المخابرات عمداً عن خوفهم « الواقعية السياسية » التى يدعمها زملاؤهم على الجانب الآخر ، ووزارة الخارجية البريطانية . ففى لندن ، وفى تلك اللحظة كان ارنست بيفن يستعد لمغادرة بلاده لاجتماع مع وزير الخارجية فى موسكو . وكان مستشاروه قد أعدوا موجزاً ينتهى بالاعتراف بشرعية الاحتلال السوفيتى لدول البلطيق.

وفى المذكرة المعدة إلى بيفن فى بداية مارس . أوضح توماس بريملو من القسم الشرقى الخلفية التاريخية ، وكانت بريطانيا على وشك الاعتراف بالاحتلال السوفيتى سنة ١٩٤٢ ، وفى ثانية فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، ولم يحدث شىء فى عام ١٩٤٧ يغير من تلك الشرعية . ولكن كان على السوفيت فى مقابل ذلك تسوية الديون المالية التى

اقترضتها دول البلطيق من بريطانيا والمتبوعات البريطانية أثناء سنوات الحرب . ولكن دهشة بيفن خلال إقامته فى موسكو . أن القضية ذكرت صراحة وأن قضية الضم بالنسبة للسوفيت كان حقيقة أن الاعتراف الغربى لاقيمة له ، ولم تؤثر تلك الأحداث على بيرميليو وعن عودة بيفن إلى بلاده ، واجه الدعاية يطلب ان تحتج الحكومة البريطانية على عمليات « الترحيل العسكرى » من دول البلطيق إلى سيبيريا ونصح بيرميليو وزير الخارجية بأن ذلك لن يكون له أدنى فائدة للمرحلينٌ . وأن الحكومة السوفيتية سوف تعتبر ذلك وبكل تأكيد تدخلاً غير مقبول فى الشئون الداخلية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، وتفهم بيفن ، بلاشك مجهودات القسم الشرقى لتوفير مخرج ملائم لمسألة دول البلطيق رغم عدائه الشديد للاتحاد السوفيتى .

وان قدر شعوب البلطيق ، شىء طفيف .. وجانبى إذا ماقورن بالقهر الشيوعى المخيف فى أوروبا الشرقية من الشيوعيين فى اليونان . وكان بيفن مقتنعاً أن روسيا تريد أن تحفظ أوروبا فى حالة من الاضطراب أطول وقت ممكن لتتمكن من إحراز الهيمنة الشيوعية فى أوروبا .

وحث بيفن واشنطن مراماً على أن تتحمل مسئولياتها لتوقف التقدم الشيوعى .

وقد استجابت واشنطن لتوسلاته أخيراً فى ١٢ مارس سنة ١٩٤٧ .

ففى رسالة وجهها الرئيس ترومان إلى الكونجرس ، أعلن الرئيس ترومان أن الولايات المتحدة سوف ترسل المعونات إلى اليونان لمواجهة الشيوعيين .

وهذا ماعرف فيما بعد باسم « مبدأ ترومان » .

وقد فسر قادة الأركان العسكريون هذا الأمر على أنه « مقدمة حرب صليبية ضد الشيوعية .. ودعا القادة العسكريون البريطانيون إلى رسم خطط مشتركة لمقاومة الشيوعية » .

وكانت إحدى المبتكرات السياسية التى ابتدعتها الإدارة الأمريكية ، توجيه الدعوة إلى سفراء دول البلطيق فى لقاءات رسمية واحتج السفير السوفيتى .. وهدد بعدم حضور أية لقاءات رسمية فى وجودهم وتم تجاهل السفير السوفيتى .

وكتب اللورد جبيلكو فى السفارة البريطانية إلى بيريملو من بعد غياب السفير السوفيتى الذى ارتاحت له واشنطن فإن وزارة الخارجية بدأت فى مراجعة سياساتها ..

وسربت الأخبار إلى الجانب الآخر .

وفي بـرودوى اعترف بنزيـس أن المناخ السيـاسـى فى لنـدن يفضـــل المزيـد من العمليات ..

ومع ذلك فشلت المخابرات البريطانيـة فى الحصول على معلومات لها قيمتها داخل روسيا ..

وبالمقارنة بـالمعلومات الوفيرة عن النشاط السوفيتي فى ألمانيـا والنمسا من خلال العملاء المتعاونين .. إلا أن هناك قحطاً فى نشاط المخابرات داخل روسيا ذاتها . وظل هذا الوضع على حاله حتى تعقّد برفض بليفس الفـورى الموافقة على القيام بعمليات عدائية داخل الاتحاد السـوفيتي . والتى يسهل البرهنـة على تـورط بريطـــانيا فيهـا حـال اكتشافها .

وان رفع القيد عـن تلك النشاطات . لكن مـع تخفيض حاد للتمويل . حيـث كانت بريطـانيا على وشك حافـة الإفلاس وتعتمد فى حمايـة السياسة الخارجيـة على سخاء واشنطن ، ونصح جورج كينان ، بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى موسكو الرئيس في يـوليو سنـة ١٩٤٧ بتبنى سياسـة حازمـة .. هى ،، الاحتواء .. للميـول التوسعيـة الروسية .

ولم يكن ضباط المخابرات الإنجليزيـة راغبين فى المشاركة بأى شىء مع أى جهاز مخابرات آخر ، وقد كان هناك عددا من العمليات تحتاج واشنطن المعاونة فيها لتنجح ، ولسوء حظ المخابـرات البريطانية .. فإن جهاز المخابرات الأمريكيـة .. الـ « سى ـ أى ـ أيه » كان لايـزال يكافح ليقيل من عثرة اضطرابات مابعـد الحرب . وعقدت تلك المسألة المفاوضات « بين الجهازين » .

ودون اعتبـار لــلأسطـورة المتــوهجـة ، فإن النحـويين فى « مكتـب الخدمـات الاستيراتيجية » .. والمعروف باسم « وايلد بيل » كـانوا مثل رئيسهم يخلقون الأعداء ، وتهدف تلك الزمـرة الطائشة والعـاجزة إلى أن يتســامح البيت الأبيض إزاء وجودهم فى زمن السلم .

وكان عرض دونوفا هو الإغراء الرئيسـى بأن يسمح لمكتب الخدمات الاستيراتيجية الاستمرار فى مواصلة عمله الفاشل ، على ثلاث محـاور ..

الأول : أن هدف المكتب أصبح محل شك بعد أن أصبحت روسيا وبريطانيا حليفتين .

الثانى : أن الجيش يعارض نشاط وكالة مدنية للاستخبارات .

الثالث : هناك اعتقاد بأن مكتب الخدمات الاستيراتيجية بات مكشوفا بالكامل من قبل بريطانيا .

وفى خريف عام ١٩٤٥ ، لم تظهر هناك حاجة عاجلة لإقرار موقف إزاء تغيير هذا المكتب ، وبينما يحاول « سماسرة السلطة » فى واشنطن حول مهمة التنسيق المشترك لتقديم المعلومات .. المخابراتية للرئيس وهل تكون تلك المهمة تحت الإشراف المدنى أو العسكرى ، جرى توزيع مهمات مكتب الخدمات الاستيراتيجية على عدد من الوكالات الأخرى .

وارتبك العاملون بالخارج .. والداخل .. وسط المنافسة نظراً للتنوع وغالباً تناقض الأهداف .

ولم يكن هناك من هو أكثر إحباطاً « هارى روسترك » رئيس القسم السوفيتى فى مجموعة المخابرات المركزية والتى تركت الوظيفة المدنية لمكتب المخابرات الاستيراتيجية فى واشنطن .

وكان روسترك أكاديميا سابقاً ، أطروحته العملية عن التاريخ الانجلو ـ ساكسونى . وبالأدق عن فترة ماقبل غزو تورفان لبريطانيا سنة ١٠٦٦ وحتى مايو سنة ١٩٤٥ ظل روسترك ضابطاً مقيماً فى لندن تابعاً لمكتب الخدمات الاستيراتيجية ، وفضل بعد ذلك أن يظل في مكان رآه مثيراًكمتخصص في الشئون السوفيتية فى المخابرات الأمريكية .

وكان « مصدره » الأساسى فى هذا .. كتاب أعدته المخابرات البريطانية سنة ١٩٤٤ عن جهاز المخابرات السوفيتية .

وحتى عام ١٩٤٧ ظلت معرفة وخبرة روسترك بالشئون السوفيتية أولية ومقصورة على الكتب المنشورة والمقالات وبحث مكثف عن الجاسوسية السوفيتية فى زمن الحرب .

وفى سياق قرارات روسترك ، أعجبه نجاح شخصين هما ، « ريتشارد دسورج »

« وليوبولد تريبر » من كبار العملاء السوفيت الذين نقلا بدقة النشاطات الألمانية إلى ستالين . وبعد أن قرأ .. ملخصات ، المخابرات المتدفقة من أوروبا ، قرر أن يضع عملاء تحت الإشراف الأمريكي .. داخل الاتحاد السوفيتي للقيام بنفس المهمة .

وقد نصحه جورج كينان بأن الروس دائما مراوغون .. ماكرون لايمكن التكهن بما يفعلون ، وغامضون .. وكان أول حاجز هو غياب القوانين التى تمكن من القيام بتلك المهمة .. واحتاجت المخابرات الأمريكية إلى « تصريح قانونى » .

وانتهت الفجوة جزئياً فى يوليو سنة ١٩٤٧ عندما وقع الرئيس على مشروع « الأمن القومى » وأصبح ١,٨٠٠ فرد مدنى يعملون فى مجموعة المخابرات المركزية .. من أوائل العاملين فى المخابرات المركزية .

وفى غضون الشهور التالية ، ساءت العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا ، وكان وزير الدفاع الأمريكى .. جيمس فورستال هو الذى يحدد جدول أعمال روستزك . وكان الوزير يتوقع الحرب الباردة قبل أن تبدأ . وفى خريف سنة ١٩٤٧ ، سأل فوريستال المدير المؤسس لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية « روسكو هيللنكوتر » .. وأجابه .. بأن ذلك ممكن الحدوث ، فور أن تحصل الوكالة على .. تصريح قانونى .. بذلك .

وأصدر مجلس الأمن القومى .. التوجيه رقم ٤ .. فى « ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ويطلب من وزارة الخارجية التنسيق فى الحملة الدعائية المضادة للشيوعية .

وفى الملحق السرى من توجيه الأمن القومى رقم ٤ فقرة أ ، صدر الأمر لمدير وكالة المخابرات الأمريكية بأن يعزز الدعاية بغطاء من الحرب النفسية . وأنشئت مجموعة عمل خاصة لتنفيذ هذا التوجيه فى أواخر سنة ١٩٤٧ داخل وكالة المخابرات الأمريكية وتحت إشراف مكتب العمليات الخاصة وأصبح روستزك رئيساً لقسم العمليات الخاصة « بالاتحاد السوفيتى » وبالتالى .. واحداً من أهم وأبرز موظفى الوكالة المسئولين عن « العمليات السرية » .

وأحس روستزك .. أن جزءاً من الحملة الصليبية الأمريكية ضد ستالين كانت موجهة أيضاً ضد هتلر . ورغم أن مكتب العمليات الخاصة لم يكن مخولاً قانونياً بشن حرب سرية .

الوكـالة التحذير وأن الحرب ستنشب فى غضـون ثلاثة شهـور على الأكثر .. ورغم أن الوكالة .. كانت صوت العقل .. عند قيامها بتكهنات وتقديرات أخرى .

وفى اليـوم التـالى دعى الرئيس تـرومـان فى رسـالة إلى جلسـة مشتركـة لمجلسى الكونجرس إلى عودة المجندين إلى الخدمة فوراً .

وعندمـا .. درس تحذير « كلاى » وأعيدت دراستـه داخل البنتاجون بـدا أنه يملك مصداقيتـه ، فإعداد الفـرق العسكرية الـروسية العاملـة فى أوروبا الشرقيـة .. وطبقا لتقديرات الخبرات ، تزيد إلى حد كبير عن القوات المطلوبة لمجرد مهمة الاحتلال .

وأن هدف السوفيت النهائى يكون بذلك « الغزو » ولم يتوقف أحد ليفكر فى تفسير بديـل .. ذلك أن الروس أقل كفـاءة .. أو يريدون مـن تلك القوات مهـاماً إضافيـة مثل الإدارة والتعمير ، ولم يتجـرأ شخص فى التفكير فى الـرأى الذى سـاد فى منتصف عـام ١٩٤٦ من فـرع المخابـرات العسكريـة ، والـذى كان يشرف على ألفى رجل من رجـال المخابرات المضـادة فى ألمانيا والذى أكد أن الجيش السـوفيتى دون المستوى التسليحى المطلوب .

ولم يفكـر أحـد فى واشنطن .. فى التقييم المخـابـراتى .. الـذى قـدر فيـه القـادة العسكريـون البريطانيون أن الاتحاد السـوفيتى لن يستطيع أن يبدأ حربـاً قبل نهاية سنـة ١٩٥٦ إلا إذا اعتقـد الـزعماء السـوفيت .. بأن الاتحاد السـوفيتى على وشك أن يتعرض لهجـوم ، أو قدروا وقوع رد فعل من الحلفـاء تجاه نفوذهم . وقد عـزز الفيلد مارشال مونتجمرى هذا الرأى بعد زيارته الرسمية لموسكو .

وأوشك هارى روستـزك بأن يقتنع بسهولـة بأن الحرب وشيكة ، رغم أن ملفـاته كـانت تعانى قحطـاً فى المعلـومات الأسـاسية عن خطـوط السكك الحديـدية والطـرق والكبارى فى الاتحاد السوفيتى .

وكانت التقديرات الصادرة عن البنتـاجون والبيت الأبيض .. بأن الروس قادمون مقنعة إلى حـد كبير ، وقد ظهرت مصـداقية تلك الاستنتاجـات وتعززت عندمـا فرض الروس « حـائط برلين » بعد خمسـة وعشرين يوما من بـرقية « كلاى » وفى هـذا المناخ المثير ، لم يتوقف شخص فى واشنطن فى فهم هذا وأن ذلك كان بداية الحرب . ثم لماذا لم تقرر المخابرات المركزية الامريكية فى برلين غياب أى تعبئة أو تخزين للأسلحة والمهمات فى المنطقة السوفيتية . ولماذا لم يُجلِ عملاء أمريكا الالمان ؟

وتعززت قناعة روستزك الشخصية وفى سرية تامة ودُعى إلى اجتماعات مع قادة الجيش الكبار فى البنتاجون لعرض موجزٍ عن المتطلبات المتغيرة والمطردة الجديدة ، ولم يكن هناك اجتماع أو توجيه له أهمية عند روستـزك إلا ذلك الأمر الذى صدر له فى سنة ١٩٤٨ من « قائد الجيش » الذى كـان يشرح على خريطة ضخمة تتـدلى فى غرفة العمل وطلب .. أريد عميـلاً فى كل مجال جوى بين الستار الحديدى والإمـرار . أريد أن أعرف متى تقلع القاذفات ،، ولم يكن ذلك الاجتماع يعنى بأى معنى أن نيـة البنتاجون إعلان الحرب ولكن يعكس الاجتماع الخوف الشائع لدى الأمريكيين وأنهم عميان تجاه النوايا السوفيتيـة ، وعاد روستزك إلى مكتبه ويـرن فى أذنيه بصوت عال .. التـوجيه .. عمل .. عمل .. عمل .

وأخيراً وافقت السلطة الجديدة السماح للمخابرات الامريكية الـ « سى ـ أى ـ أيه » تنفيذ عمليات سرية . وصدر التـوجيه « مجلس الأمن القومى » ١٠ / ٢ ووقعه الرئيس فى ١٨ يونيو . و« نشئت » مجموعة خـاصة .. داخل مجلس الأمن القومى للإشراف على تنفيذ العمليات بموجب التوجيه ١٠ / ٢ . وفى ضوء المبدأ القائل بأن « العمليات الأجنبية التى تقوم بها حكومة الولايات المتحـدة الأمريكية يجب أن تدعمها العمليات السرية بما يسمح لحكومة الولايات المتحدة أن تتقى أى مسئولية تجاه تلك العمليات .

وكـان مدى غير محدود ، وستشمل العمليـات أى نشاط سرى يتعلـق بالـدعايـة لانتظار الحرب ، والعمل الوقائى المباشر .. وإثارة القلاقل والتخريب المضاد وإجراءات التخريب والإجلاء ، والإطـاحة بالحكومات المعـادية وتقديم المعاونة لحركـات المقاومة السرية وجماعات التحرير والميلشيات ومسانـدة العناصر المعادية للشيوعية فى البلدان التى يتهددها الخطر الشيوعى فى بلاد العالم الحر .وكـان التوجيه بالنسبة لروستزك ، ورجال الـ « سى ـ أى ـ أيه » بمثابة توقيع على بياض والعودة إلى الأعمال الحربية التى تمت خلال الحرب العالمية الثانية حينما أسقط عملاء « مكتب الخدمات الاستيراتيجية » بالمظلات فى أراضـى الأعداء .

ولايوجد شـىء أكثر وضوحاً عن أهداف الوكالة .. سوى الوثيقة السياسية السرية للغاية التى أعدت تحت إشراف جورج كينان والتى تبنـاها الرئيس ترومان فى أغسطس سنة ١٩٤٨ . وقـد وصف التوجيـه رقم ٢٠ لمجلس الأمن القومى « الهدف الأمـريكى » وهو الإطـاحة بـالسلطة السوفيتيـة . ورغم أن كينان لم ينصـح أو يحبـذ شن أعـمال

عدائية ، أو عنى بأى معنى « الحرب الفعليـة » وأوصى فقط بسياسات يمكن أن تحقق النتيجة دون الـوصول إلى أقصى درجات الصراع ، واقترح أن تـدعم حكومة الـولايات المتحدة الجماعـات المضاره المعاديـة للبلشفية ، والذيـن ، حسب رأيه ، يعدون طعـاماً أفضل لروسيـا ، واقترح كينان .. بـدلاً من تعمد الولايـات المتحدة إلى اختيـار جماعات معينة كمرشحين مثالين لتلك المهمة . يجب أن يعـامل جميع المعادين للبلشفية على قدم المسـاواة ويسمح لهم .. بوضع تصوراتهم ومقترحـاتهم عن السلطة ، فى أعقاب سقوط البلشفية فى روسيا .

ويجب أن تعامل جميع الجماعات ، وفق ماتقدمه من أوراق اعتماد أكيدة فى عدائها للشيوعية .. دون الأخذ فى الاعتبار سلوك أى منهـا إبان حقيقة النازى ، وأطلق على هذا البرنامج البالغ السرية « حجر الدم » وقد عـرفت اللجنة الفرعية التى أدارت « برنامج ، حجــر الــدم » بين المشـاركين القــلائل المختــارين بعنــايـــة فى واشنطن بـــاسم « SANACCZGS » .

وقد عهدت لجنة « حجـر الدم » للـ « سى ـ أى ـ أيـه » بمساندة أى جماعة بما فى ذلك الاشـتراكيين ، والنقابيين والمفكرين ، والذين يمكنهم إنتاج دعاية معادية للشيوعية ، وقد ناقشت اللجنة فى مارس سنــة ١٩٤٨ الاستفادة من اللاجئين القادمين من الاتحاد السوفيتى وذلك بتقويم أوجه القصور التى تعانى منها تلك النخبة القادمة من المعسكر الســوفيتى وتفكيك صــورة العـدوالأمـريكى لـديهم . وقـد جىء بخمسين من أفضل اللاجئين إلى الولايات المتحدة الأمريكيـة لتشكل « نواة فاعلة للجان التحرر » ، وتشجع حركات المقاومة فى العالم السوفيتى والقيام بالاتصالات مع الجماعات السرية .

وكان الشخص المسئـول عن تنظيم وترتيب النشـاطات المخابـراتية هـو « فرانك ويزنـر » والذى يتمتع بطـاقات حيـوية وعين لإدارة مكتب التنسيق السيـاسى ، الذى اتسن فى قرارات الخارجيـة وإن كان رسميـاً جزءاً من الـ « سى ـــ أى ـ أيـه » وأثارت استقلالية ويزنر صراعاً داخليـاً ، وبسبب اختيارات للمجندين العاملين معه واستهدف ويزنر على وجـه خاص اللاجئين السوفيت باعتبارهم ، العنـاصر المثلى لتنفيذ الأهداف القومية للمصالح الأمريكية . وفى كتابه وبـث الدعاية ، وقد حثت « لجنة ٣٩٥ » ويزنر أن يجنـد الأجـانب « من مجرمى الحرب والمتعـاونين مع سلطات الاحتـلال الخونـة » والذين ساعدوا طوعاً قوات الأعداء عند اطلاع الحرب العالمية الثانية .

وقدتناقض هذا « التفويض المفتوح » مع رفع الحكومة الأمريكية للدعوى العمومية

ضد تلك العناصر ، مما أعطى على الفور .. نشاطات لجنة .. حجر الدم .. بعدم الشرعية والقانونية .

وكان من بين الذين أتت بهم لجنة .. حجر الدم .. جوستاف هيلجر الموظف السابق بوزارة الخارجية الألمانية وكانت مهمته تشمل على الاتصال باللجنة .. الألمانية .. المسئولة عن ممارسة القتل اليومي لليهود فى أوروبا .

والجنرال أندريه فلاسوف .. القائد السوفيتى البارز الذى كان موالياً للألمان ، والذى قاد حوالى ٣٠٠ ألف جندى ضد ستالين .

وبعد الحرب استقدم هيلجر إلى أمريكا للمساءلة . ثم أصبح مؤخراً يقدم المشورة إلى وزارة الخارجية الأمريكية .

وخشية توقع احتجاج من الرأى العام إزاء تلك الأنشطة .. قدمت وزارة الخارجية ملخصاً بالموقف إلى قادة الكونجرس فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ وأحاطتهم علماً بهذا البرنامج لكسب تأييد قادة الكونجرس وحتى تضمن سكوتهم .

ولكن .. كان برنامج الدعاية .. نشاطاً ثانوياً من « أنشطة » العمليات الخاصة وقد عُرّف هذا البرنامج بأنه .. نشاطات ضد الأعداء تقوم به القوى الحليفة والصديقة خلف خطوط الأعداء .. وكانت العقبة البارزة فى أثناء سنة ١٩٤٨ هى إيجاد عملاء ينفذون تلك العمليات الخاصة داخل روسيا .

وقد عكست الأهداف والوسائل المختارة .. اختيارات .. لجنة العمليات الخاصة ، وكتب كينان إلى فورستال فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، مقترحاً ضرورة أن يعيد الجيش تكوين مدرسة لحرب العصابات وبعد عشرة شهور أوصت اللجنة العسكرية المشتركة للتخطيط الاستيراتيجى بضرورة إنشاء مدرسة لحرب العصابات كوسيلة .. لدعم حركات المقاومة الأجنبية .. وفى ضوء ذلك وضعت الدراسات اللازمة من قبل المخابرات الأمريكية العاملة فى أوروبا والقوة ١٠١ العاملة فى بورما حيث أحرز رجال حرب العصابات هناك .. نجاحاً خاصاً .

ومن أجل تغطية تلك الاقتراحات ببعض المقولات التى تلقى الاحترام ، ذكر أن .. فى أثناء أحداث الحرب ، يحتاج الجيش إلى خطوط .. هروب لأسراب القوات الجوية الحليفة ، وتدمير رؤوس السكك الحديدية والمعدات ولكن تجاهل هذا الاقتراح .. فارقاً

أساسياً فى الحرب بين دولة ودولة حيث أن حرب العصابات فى الحرب العالمية الثانية جرت ضد محتل أجنبى بينما العمليات تحت التقييم سنة ١٩٤٨ . ستنفذ داخل روسيا نفسها .

ورفض القادة العسكريون الأمريكان هذا الاقتراح وشرحوا رفضهم بأن العمليات الخاصة أصبحت من مسئولية الـ « سى ـ أى ـ أيه » والجيش سيقدم التدريب للعملاء ولكن يجب أن يتورط الجنود فى حرب غير مشروعة حيث يشتمل تعريف « العمليات الخاصة » على ممارسة « حرب سرية » وتخريب واغتيالات .

وقد أوضح قرار الجيش .. تفهمه الكامل لنوايا الحكومة ، وحسب رأيهم يجب أن تترك الأعمال القذرة لعناصر غير أمريكية .

وقرر موظفو وسياسيو البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية والـ « سى ـ أى ـ أيه » وهم يفضلون « العمليات السرية » أن يعهد بتنفيذ تلك المهام الخاصة إلى عناصر أجنبية ، من الذين يقاومون نشاط الاتحاد السوفيتى .

وكان نموذج .. حركات المقاومة السرية .. ، وحرب العصابات وجماعات التحرر من اللاجئين هو الجنرال أندريه فولسوف ، الذى اعتقد الأمريكان أنه قد جند بإشراف الألمان حوالى مليون روسى للقتال بجانب النازى ضد ستالين ، وكان من بين البلدان التى رأت فيها .. لجنة .. العمليات الخاصة آفاقاً لشن الحرب السرية .. على نحو ممتاز ، ليتوانيا ، وطبقا لتقارير مختلفة .. فإن هناك مالايقل عن ٣٠٠ ألف من الأنصار ينشطون فى قتال الجيش الأحمر هناك . ولم تذكر لاتفيا واستونيا ، لأن المخابرات الأمريكية لم تكن لها مصادر معلومات عنها .. مثلما كان متاحاً للمخابرات البريطانية .

وفى إعلان سياسى حديث لمجلس الأمن القومى الأمريكى . ورد وصف للأهداف الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتى ، وقد حددت دراسة جورج كينان دول البلطيق .. بأن لها وصفاً خاصاً من وجهة نظرنا . . ويجب أن تحرر من السوفيت بيد القوات الأمريكية .

ولايمكن أن نعترف حقاً بمزيد من القدر السىء لشعوب البلطيق ..

ويجب أن تعتبر تلك المنطقة ، منطقياً من أهداف الولايات المتحدة حتى نرى تلك البلدان تحقق شيئاً ما وعلى الأقل اقتراباً معيناً من حالة الحرية والاستقلال .

وركز كينان على التكلفة   أنه من العبث تخيل أن ذلك يمكن أن يحدث عبر حرب قصيرة واستبعد كينان على نحو واضح جداً « أوكرانيا » من فرصة تحرير انفسهم أساساً من السيطرة الروسية . وذهبت مسئولية العمليات الخاصة إلى روستزك .. وكان الهدف الأساسي فعل شيء ضد السوفيت .

وكان مركز تدريب العملاء في .. القسم الأمريكي .. في المانيا الغربية .. وقد تحدد الموقع المثالي فهذا المركز بالقرب من ميونخ .

وباشر روستزك العمليات ببث مصادر للمعلومات في الاتحاد السوفيتي (القفاز الأحمر) وسافر العملاء عبر روسيا بجوازات سفر شرعية وتأشيرات دخول قانونية ، وعرفت العملية باسم حركي .. الجلد الاحمر ..

بينما أطلق على الضباط الروس المجندين في الغرب « عملية » الكاب الأحمر . وأصبح شارلي كاتيك ، العميل المحنك للمخابرات البريطانية ، وبعد طرده من تشيكوسلفاكيا يعمل تحت غطاء محقق « جرائم الحرب » وعين رئيساً لقاعدة التدريب في « كافيوريين » وهي قرية صغيرة محاطة بالأشجار وتبعد خمسين ميلاً عن ميونيخ .. وطلب رسمياً ثلاثة منازل للإقامة المعيشية في ضواحي القرية ، وتؤمن بإحكام من خلال سور عال ، رغم المخاطر المثيرة التي يمكن ان تتعرض لها المنازل من المواطنين العاديين الذين افتقرت « إدارة العمليات » خداعهم .

وقد خنق الإحساس بالخطر وتوقع حدوث أمر طارىء بين الجواسيس الجدد أي شعور بالمخاطر .

ورأس مجموعة العمليات السوفيتية في جورج بيلك الذي كان على علاقة مع هاري كار والكسندو ماكين .

وولد بيلك في روسيا سنة ١٩١١ ، وكان والده كولونيل في جيش الجنرال دنكن الذي حارب البلاشفة جميعها عدة بريطانيا .

وفي نهاية سنة ١٩٢٠ هجر بيلك مع والدته من الاوديا إلى القسطنطينيةواختفى والده إلى مالانهاية في فوضى « الروس البيض » ، الموقع الأخير لحشود تروتسكي . وبعد ثلاث سنوات .. نزل بيلك في الولايات المتحدة الأمريكية . وتخرج في ١٩٣٦ من مدرسة جورج تاون « للخدمات الخارجية » .

وفى عـام ١٩٤٢ التحق بـــالأسطـول الأمـريكى وأصبح متخصصـــاً فى شئـون المخابرات وفى سنة ١٩٤٥ وفد فى مهمـة للجيش الأمريكى فى بوخارست المحتلة من قبل السوفيت فى رومانيا .

وكانت البعثـة الأمريكية الصغيرة فى بـوخارست تضم الطيـار فرانك ويزنـر وقد وصل إلى بـوخـارست فى ظل توقع أن يفـى ستالين بتأكيـداتـه إلى روزفيلت وتشرشل ويسمح بانتخابات حرة ، ولكن شهد بيلك مـؤامرة الـ « كى ـ جى ـ بى » وهى تفرض على الحكومة الشيوعيين الرومان القادمين من موسكو .

وبحثت المخابـرات السوفيتية المدربة جيـداً ، من أعداء للشعب .. وأدركتهم ضمن قوائم الاعتقال الفورى .

وقد عـززت تلك الخبرة مأساة طفولتـه . واعترف بيلك بأن الشيوعية الســوفيتية أصبحت عدوا لى منذ أن كنت فى الثانية من عمرى ، ويجب أن يمنع انتشارها السرطانى وقد شاركت فى قتالها بكل مافى نفسى من غبطة .

وجُنِّـد بيلك سنــة ١٩٤٧ على يـد ريتشـارد هيلمـــز ليلتحق بـوحـدة الخدمـات الاستراتيجية ، الجهاز السابق على الـ « سى أى ـ أيه » فى المانيا الغربية .

وكان رئيس بيلك فى هيلدبرج ، هو جـوردون ستيوارت . الضـابط السابق بمكتب الخدمات الاستراتيجيـة وكان على غير « رجال مخابـرات الجيش » ، يرى أن الأولـوية ليست فى اصطياد مجرمى حرب النازى ولكن فى التصــدى للتهديد الشيوعى للمصالح الأمريكية . وكـان الضابط الجديد مشتاقاً لمهمتـه التى أصبحت عمل حياته ، وبحث فى معسكرات اعتقال المنشقين المستعدين للانخراط فى حرب سرية ضد الشيوعية .

وراقب بيلك كتلميـذ مبتدىء .. زمـلاءه الآخـرين لمدة ثـلاثة شهـور قبل أن يقع اختياره على سبعـة عشر مصدراً للمعلـومات فى معسكرات الاعتقـال ، الذين يـوفرون تدفقاً مستمراً للمعلومات عن المؤامرات وإمكانية الثورة فى أوطانهم السابقة .. ورغم أن التأكيد لايزال على عملية جمع المعلومات والقيـام بالاتصالات .. إلا أن بيلك كان متأثراً بأن مايقدر من مليـون مواطن سوفيتى حاربوا إلى جانب الألمان ضـد ستالين ولاتوجد جماعة أكبر من جيش التحريـر الروسى الذى يقوده الجنرال أندريـه فولسوف ، ورغم

أن فولسـوف سلمه الجيش الأمريكي إلى الـروس فى مايو سنـة ١٩٤٥ ، إلا أن خلفاءه كانوا يضغطون على ممثل المخابرات الأمريكية بما لديهم من معرفة وبشبكاتهم المعادية للشيوعية التى لاتزال داخل روسيا .

وأحس بيلك الشاب بالمصلحة المتقاربـة مع أولئك المعادين بقوة للشيوعية ، وأدرك مؤخـراً فيما بعد أن مصدر معرفتهم كـان مجرد شائعات كاذبـة والتى وجهها مجتمع المخابرات على أنها معلومات حقيقية وصـادقة ، ولم يكن مستهلكو تلك الشائعات قوى الاحتلال الأربع ولكن أجهزة المخابرات المنافسة .

وقد أكمل أناتولى جرانوفسكى ، الضابط الكبير بالـ « كى ـ جى ـ بى » تعليم بيلك على طبيعـة أعداء والـده ، وقد نـاقش جرانـوفسكى فى أوجه مقصـورة فى ستوكهـولم وتسلمـه بيلك فى أوائل سنة ١٩٤٧ ومـرت ستة شهـور قبل أن يدرك بيلك أنـه أصبح يعرف عن نـوايا وأهداف ووسـائل السوفيت أكثر ممـا يعرف الآخرون فى المخـابرات وطلب بيلك نقله فى ربيع سنة ١٩٤٧ إلى برلين ، بعد إحساسـه بالتفوق . ليدير سلسلة من مصـادر المعلومـات العاملـة داخل « المنطقة السـوفيتية » فى ألمانيـا وكان المصـدر الرئيسى لمعلومات بيلك .. هو ضابط سوفيتى كان مسئولاً عن أرشيف إدارة الـ « كى ـ جى ـ بى » فى كارلشورست . . من خلال صديقة ألمانية للضابط الروسى .

وقد تفـاوض بيلك للحصول على المعلـومات مقابـل وعد بإقامـة آمنة فى الـولايات المتحدة الأمـريكية ، عنـد تنفيذ العملية . وكـانت تلك العملية جوهـرة أصيلة فى مـدينة تمتلىء بالمعلومات المضللة عن المؤتمرات والمؤامرات المضادة بواسطة السوفيت أنفسهم والقادة العسكريين المعادين للسوفيت أيضاً .

وعنـدما عـاد سيلك إلى ميونخ سنـة ١٩٤٨ ليديـر شبكة العمـلاء داخل الاتحاد السوفيتى ذاته ، رؤى أنه ضابط له خبرة مخابراتية متميزة ويمكن أن يُعهد إليه بتنفيذ العمليات السرية والتى نوقش إطارها العام خلال الشهور السابقة فى واشنطن .

وكان دافعـه مثاليا .. اننى متعـاطف مع أى شخص معادى للشيوعيـة .. كما قال بذلك إلى كاتيك ، وكانت مضـخة العملاء فى ألمانيا الغربية كبيرة العدد .

وكانت منطقـة مسئوليـة بيلك الجديدة .. هى دول البلطيق الثـلاث ، المنطقة التى

لايعرف عنها شيئاً . وكان ممتناً جداً عندما اقترح أمريكي من أصل يوناني يدعى .. أنتوني فايفادا ، أين يبحث عن اتصالات له ، وانتهت إقامة فايفادا في شياغوا ، مشكوراً في سنة ١٩٤٦ مع عرض بوظيفة ذات أجر حسن نسبياً كمحلل في وحدة الخدمات الاستيراتيجية للشئون السوفيتية ، وفى أول اتصال له مع بيلك بعد أن تولى عمله الجديد فى الـ « سى ـ أى ـ أيه » اقترح فايفادا الاتصال بضابط ميدان ضمن جماعة VLIK وتحديداً مع الجنرال بوفيلاس بلشافيكيوس ، القائد السابق للجيش الليتوانى .

وبينما كان الانجليز يفضلون زايمنتس وديلسكنس قبلت جماعة VLIK عرضا بالمساعدة من المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) والتى فضلت إدارتها إلى بوفليتين فى المنطقة الفرنسية واكتشف بيلك أن بلشافيكيوس كان يعيش فى القسم البريطانى والتحق بشبكة جماعة VLAK التابعة للمخابرات البريطانية . ورغم أنه لاقيمة له فى أن يخدم الـ « سى ـ أى ـ أيه » والآن بلشافيكيوس أقنع بيلك أثناء الحديث أن شبكة المقاومة داخل ليتوانيا لم تصب بأذى ، ولاتزال تحارب الروس وأنها متلهفة للتعاون مع الأمريكيين .

وكانت تلك الأخبار التى أراد بيلك الاستماع إليها . وسأل الأمريكى .. عن أى اتصال يمكن أن يتم مع المقاومة . وأجاب الليتوانى .. مطلقاً .. وألمح فى حديثه أن العمليات التى تقوم بها الجماعة تشرف عليها المخابرات البريطانية لاتزال مستمرة .

وكان بيلك يرى أن المخابرات البريطانية . . وكالة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار وتحترم ، رغم أن الجانبين يعرفان أنهما أبناء عمومة وكل أمريكى يعرف أن العلاقة بين أمريكا وبريطانيا مثل الأسرة والطفل ، وأثناء الحرب ، كان العملاء الأمريكان يدربون على يد البريطانيين . وقد كافح مكتب الخدمات الاستراتيجية حتى يتغلب على وضعه كشريك أصغر .

وكما اقترح بلوشافيكبوس . فإن المخابرات البريطانية لاتزال ترسل العملاء إلى روسيا ودول البلطيق وتحتاج الـ « سى ـ أى ـ أيه » إلى تعويض النقص فى الأرض المهملة . ولم يعط بلوشافيكيوس أى تفاصيل عن العمليات البريطانية .

ولم يكن فى ذلك محتاطاً أو جاهلاً ، ولكن لاحظ بيلك أن الجنرال بدا فخوراً بما يملك من معرفة .

وقد انتهى بيلك إلى استنتاجين مهمين بعد سلسلة من اللقاءات مع العناصر المنفية التى يود تجنيدها .. الأول : أن المنفيين يستمتعون بالقوة التى تحوزها فجأة عندما تطلب المخابرات الغربية معاونتها .

وأن تعبيرهم عن هذا النفوذ يتجاهل التوفيق بين مايعرفون ومقتضيات الأمن .

وفى نهاية سنة ١٩٤٨ كان بيلك تحت ضغط الحاجة إلى إيجاد مصادر جديدة للعملاء وتدريبهم ، وقد وقع بيلك فى سوء التقدير للعناصر المنفية ورغباتهم .. ولم يكن دقيقاً فى ذلك .

وكانت اهتمامات المنفيين بالسياسة لابالأمن ، وقد تعرض كار وماكبن لسوء فهم مشابه لذلك ..

وكانت الدعوات التالية لبيلك موجهة إلى موسينجور كار بقشيوس القائد السياسى لحركة VLIK والكولونيل انتاناس سوفا القائد العسكرى للحركة .. وكانا كليهما لايزال يعيش فى المنطقة الغربية .

واستكملت الاستعدادات التمهيدية ، وناقش الرجال الثلاثة .. وعلى نحو متفائل آفاق انهيار حكم ستالين نتيجة الثورة القومية ضد الروس .

وأكد الرجلان الليتوانيان للأمريكى أن VLIK لها اتصال مباشر مع أربعة جماعات من الأنصار ، التى تحارب بفاعلية السوفيت ، وكانت المبالغة والمشاعر المتوهجة هى الأوكسجين الذى يحتاج إليه القائدين المنفيين .

ولكن سرعان مااستعاد بيلك وأيضاً ماكبن الماضى الخاص بالرجلين وعطب هاتين الشخصيتين .

وفى نفس الوقت ، تدّعمت ادعاءات المنفيين بأخبار حملها رسل من السفارة الأمريكية فى موسكو يحددون مقالات الصحف المحلية التى تصف .. قوة النشاط المعادى للحكومة فى ليتوانيا ، وعصابات السرقة .. ملمحاً مرتبطاً بالحياة المعاصرة .. والتخريب والسطو والقتل .. وانتهى تقرير السفارة الأمريكية .. باعتراف صريح بقوة النشاط المعادى للسوفيت وأن لها دلالة كتأكيد لايقبل الإنكار عن السخط والمقاومة المسلحة .

وكان هناك مزيد من التأكيد على التمرد المعادى للروس فى مطلع عام سنة ١٩٤٨ ووصل .. جوياس لوكاشا .. قائد الأنصار فى ليتوانيا ، إلى ألمانيا .. كبطل .. بعد عشرة شهور من مغادرته بلاده ، ومعه خمسة عشر حارساً خاصاً . وقد قتل ثلاثة من حراسة على يد الجيش الأحمر ولأول مرة ، يرى الغرب برهاناً حياً أن هناك من يصارع الصخرة المسماة ستالين وقدم لوكاشا وصفاً دقيقاً لخيانة ماركيلوس فى الاجتماع المخطط لقادة الانصار فى يناير سنة ١٩٤٧ . وأصر على أن هذا الضيف ضابط فى الـ « كى - جى - بى » وعلى النقيض من تقرير ديسكنس كان الانصار يثقون فى VLIK ولم يسمع أى شخص عن VLAK .. تلك المنظمة الخاضعة لإغراء المخابرات البريطانية . وكان دفاع ديسكيس عرف ماركيلوس . وكما افترض لوكاشا دليلاً على أن ديكستس هذا أيضا عميل للـ « كى — جى - بى » . وعندما سُربت الأخبار إلى لندن ، اتسع الخلاف بين الليتوانيين واستدعت الأمور أن يطير ماكبن إلى ستوكهولم فى صيف سنة ١٩٤٨ لمواجهة ديكستس .

وقال ماكبن « نريد إقامة القتال بالراديو مع الأنصار » .

ورد ديكستس بجفاء : « إنك دائم الحديث عن الراديو » .

وقال ماكبن : إننا نساند ذلك الامر .. رغم أنه عرف أن كبار موظفى الخارجية البريطانية شكوا فى قوة المقاومة ؛ لأن الصحافة الروسية بدأت تتحدث عن المقاومة .

وقال ديكستس : « من الممكن أن تساند ذلك ، وهو شخصية تشرب مايزيد على زجاجة ويسكى يوميا ، وأضاف . ولكن ماذا ستفعل أكثر من ذلك ؟ كيف يمكن أن نحرر بلادنا بالراديو .

وأجاب ماكبن : إنها مجرد بداية .

وكانت محاولات ديكستس للاتصال بماركيلوس عبر الراديو غير ناجحة لبعض الوقت .. وتقول تقارير المخابرات أن اتصال عميل المخابرات البريطانية الليتوانى ، والتر زايلتسكاس ، كان يتم عبر تسلم مظروف بنى اللون بانتظام من منزل « سيلفروود كوب » يحتوى على الشائعات والتخمينات والحقيقة الصعبة التى أغفلت هى مصير ماركيلوس .. وهو ماظل مجهولا بالنسبة لـ « زيلنكساس و ديكستس » .. وقد كان

الدكتـور ماركيلوس هـدفا لمحاولات اغتيـال على يد أربعة من الأنصـار .. وحتى تؤمن حياته الـ « كى ـ جى ـ بي » قامت بحركة خاطفة ووضعته فى مكان آمن فى ليننجراد .

ولم يصدق زيلنكساس وديكستس أن منظمتهم محترفة من الـ « كى ـ جى ـ بى » وكان مـاكبن .. غالبـا ما يتـورط فى نوبات شراب طـويلة وثقيلـة وإن كانت مـرحة مع ديكسنس .. والتى قللت من احتراس ديكسنـس .. ولكن حتى فى أشـد حـالات السكـر وفقدان السيطرة على النفس .. لم تبدر منه إشارة تفيد أنه شخص غير غيور على وطنه ، وفى المقابل .. كشفت محـادثاتهما عن كراهية مشـتركة للشيوعيين .. اللذين سنطردهم .. وفى أثناء زيارة ماكبن إلى ستوكهولم وقعت أحداث أثرت فى موقف الساسة البريطانيين تجاه تبنى خيارات أكثر عدائية والتى عرضتها المخابرات البريطانية

وقد أخبر ارنست بيفن « لجنة الدفاع » بمجلس الوزراء » برأى فى غضـون ستة إلى تسعة أشهر سيحدث صراع حاسم على السلطة وكان ذلك قبل خمسة أشهر من حدوث معركة برلين .

وتوقع تشرشل وقوع حرب مؤكـدة مع الشيوعيين ، وعبر الوزراء الفرنسيون عن مخاوفهم من أن الروس سيصلون فى شهر أغسطس .

واستدعى هـذا التحذير نشاطـاً محموماً ووافق بيفن على إحياء « لجنـة روسيا » لتقدم مقترحاتها لتنظيم حملة عبر أوروبا ضـد الشيوعيين ، وقد دفعت نفس المخاوف الكابتن أور ليلجنبرج ، ضـابط المخابرات السويـدية أن يقترب من ماكبن عشيـة عودة الرجل الاسكتلندى إلى لندن .

وسـأل السويـدى عما إذا كانت المخابـرات البريطانية تفكر فى دعم عمليـة لإرسال مجموعة كبيرة من مواطنى دول البلطيق بالزوارق إلى الاتحاد السوفيتى لمعرفة عما إذا كـان الاتحاد السوفيتى يخطط للغـزو . وستكـون تلك عملية المخـابـرات البريطانيـة ويغطيهـا السويـديون . وأجـاب ماكبن على نحـو إيجابى ومؤكـد .. وتلاشى إيصـال المخابرات البريطـانية بليتوانيا عبر اللاسلكى ، وظل مصير الثلاثـة رجال العاملين على جهاز « الراديو » فى لاتفيا سراً .

ولم يعرف المزيـد عن ذلك من فيلكس رومينكس الـذى عاد تحت غطـاء العائد إلى

وطنه . وقد وصفت رسائله محاولاته فى الاشتبـاك مع ضابط الـ « كى - جى - بى » فى أحاديث لاكتشاف مصير عملاء المخابرات البريطانية الثلاثة .

ولكن صمته فى عام ١٩٤٨ كان نذير شؤم ، وفى الواقع ان المخابرات السوفيتية الـ « كى - جى - بى » بنهاية ١٩٤٧ ، قد ثـارت شكوكها حول اقترابه المتكرر من رجالها ، ووضعته تحت المراقبة واكتشفت بعض خطاباته والتى وضعت تحت الفحص العلمى ، والقى القبض عليه بعد اعتراف سريع منه ..

وكان اكتشاف نشاط المخابرات البريطانية الحالى ، والأزمة فى برلين .. أسباباً وراء فضيحـة مـوسكـو لإدارات الـ « كـى - جى -- بى » فى كـل الجمهوريـات بمـراجعـة استراتيجيتها فى ضوء توقع تزايد نشاط الجاسوسية الغربى .

وعُهد بمسئـوليات مشابهة .. لأعضاء الحزب الشيـوعى من البلطيق ، حتى البحر الأسود أولئك الذين يرتدون شارة « الحرس » وعادوا إلى مخطط مؤسس حزبهم لمراقبة نشـاط المخابـرات المعاديـة . التى توظـف المنشقين من المهاجـرين الروس وقـد أرسل الجنـرال جانيس فيفـرس إلى معاونيـه فى ريجا وإلى الجمهـوريات السـوفيتية يقـول لضباطه التابعين له .. إن المخابرات البريطانية تنوى بوضوح مواصلة نشاطها ، ونريد أن نكتشف مدى نـواياهم . ونريـد أن نرسل رجلنا إلى عشهم . ومسئـولية نسج خيط العش للإيقـاع بسيلفروود كاب ، وكـار ، وماكبن وقـد عهدت إلى الميجور لـوكاسفيس والطائر الذى اختير لغواية المخابرات البريطانية حتى تدخل عش الـ « كى - جى - بى » هو فيدقوس سفيكس .

واختيار سفيكس .. كـان اختياراً ثـاقب البصيرة ، فقبل الحرب كان يقـود الحياة الاجتماعيـة فى جامعـة ريجا وفى الجيش ومدى اتصـالاته وأصـدقائه مـؤثر وفعـال ، ويعتقد كل شخص أنـه قومى ومعادى للشيـوعية ، ويشك البعض وعلى حق .. أنـه قد تعـاون مع الألمان .. ولكن لايدرك أى من أصـدقائه أن تعـاونه مع النـازى ومشاركـة اللاتفيين فى جرائم الحرب الألمانية قد أبعدته عن القوميين .

وبعد أن تسلمت الـــ « كى - جى - بى » سفيكس سنـة ١٩٤٧ ، أقنع أن يذهب إلى الغابات للتعرف على الأنصار ويغدربهم عندما كانوا يحاربون السوفيت .

وفى ١١ أكتوبـر سنة ١٩٤٨ ، هبط سفيكس على شـاطىء جوتلانـد ، وعلى الفور حاصره البـوليس المحلى . وكان بحـوزته خطاب من أوزوالـدبيلسكانس وهـو مصدر معلومات بريطانى قبل عام ١٩٣٩ والتحق بالمجلس المركزى فى لاتفيا أثناء الحرب .

وحصل سفيكس على خطاب بيلسكانس بعـدما أظهر عداءه للشيوعيـة وأنه ينوى الهروب إلى الأبد ويحتاج إلى شهادة حسن سير وسلوك فى حياته الجديدة .

وأرسل إلى فيرنرز تيبفرس منظم المخابـرات البريطانية فى لاتفيا ، والذى يعيش فى ستوكهولم .

وتأخر الاستعلام بينما سيفكس يستجوب بهمة على يد بيرتل بوند ، رئيس قسـم « المخابـرات المضادة » فى جوتلانـد . وكانت الأسباب التى ذكرهـا سفيكس « لهروبه » لاتقبل الشك . وكما شرح بنفسه ، لقد دفعت مبلغاً لصياد ليعبر بى ، وعاد فوراً . ووافق بوند على إطلاق سراحه ، ووصل سيفكس إلى منزل « تيفيرس » .. وغير وجوده فى خطط المخابرات البريطانية بالكامل .

وكان مقـرراً أن يسافر أربعة مـواطنين من لاتفيا ، جندوا حديثـاً ، على متن قارب ليلينبرج ، لكن وصول سيفكس إلى منـزل تيليفرس .. قـد زاد من الحماس والثقة بتلك الخطة . وكـان سيفكس يمتلك المعلومات التفصيليـة عن الحياة داخل روسيـا . وكانت معلومات حيوية . واعتقد تيليفرس بضرورة تجنيد سيفكس للعملية . وفى الأيام الأولى ، الح تيليفرس بكل ثقة إلى ضيفه على الترتيبات مع البريطانيين والسويديين ، ومع نهاية نوفمبر ، عـرف سيفكس ، أن تيلفيرس وبناء على طلب من المخـابرات البريطانيـة ، كان يدير مدرسة للعملاء ، وكانت تعدهم لمهمات داخل روسيا .

ودون جهد يذكـر ، زرع ، عميل لوكا سيفكس نفسه وسط عمليـة ماكبن . وراقب الترتيبات الجارية لإقامته الدائمـة فى مخبأ ، بقرية صغيرة تبعد ٤٠٠ كيلو متراً جنوب العاصمـة ، وليقيم مع فريد لانجـس ، أفضل أصدقائه فى فترة مـاقبل حرب « ريجا » . وكما يقول فـريد :فـإن سيفكس كان واحـداً من ألمع التلاميـذ فى فصلى ،، وكان فـريد مسروراً جداً لرؤية صديقه القديم .

وصل لانجس إلى السـويـد فى نوفمبر ١٩٤٥ ، على نفس القـارب الـذى كان عليـه اليمارز سكوب والذى انتقاه فى غابات كـورزيم . وكانت معركته الشخصية مع الروس شديدة ومريرة . وأطلق شخصيا النار على واحد على الأقل من ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » . ولم يكن نادماً على ذلك . ومنذ وصوله إلى السـويد وهو يبحث عن دعم للأنصار الذين تركهم خلفه . وقفز على الفرصة التى قدمها له تيفلرس سنة ١٩٤٨ وأن يعود إلى لاتفيا على ظهر قارب سويدى .

وبدا سيفكس مجنـداً مثالياً « للعمليـة » وكان صديقـه القديم لانجس أفضل من يتحقق من مصداقية سيفكس .

وفى بداية سنة ١٩٤٩ ، وبعدما أكد لانجس الثقة فى سيفكس . عرض تيفرس خطته وهى إسقاط مجمـوعة من العملاء من لاتفيا وليتـوانيا وإستونيا .. دربتهـا المخابرات السويدية ، على ساحل لاتفيا . ولتنشىء هذه المجمـوعة شبكة جديدة ، وقال تيلفرس : أحب أن تنضموا إلى تلك الشبكة .

ورد سيفكس .. لا .. إنـه خطر تمامـاً العـودة وأود أن أعيش هنا لأننى حـر الآن . وخابت محـاولات تيفلرس فى حث عمل الـــ « كى ـ جى ـ بى » ورفض سيفكس بمنتهى الإصرار . وقـال تيفلـرس : أستطيع أن أعدك بـذلك عنـدمـا تعود فى نهايـة « المهمـة » وستحصل على مكـافأة شخصية ، وقـد أدلى بذلك القول عنـدما لمح تـراجع سيفكس . ووافق سيفكس بعد يومين من ذلك .

وفى منتصف ينـايـر .. أرسل سيفكـس ولانجس إلى منـزل فى ليـدينجـو ، شرقى ستوكهـولم ، ووجدوا هنـاك ستة آخرين مجتمعين يتـدربون على أعمال الجاسـوسية تحت إشراف الكابتن أندريـه من المخابرات السويدية . وكان الستـة : واحداً من لاتفيا ، واثنين من استونيـا ، وثلاثة من ليتوانيـا . والثلاثة الليتوانيين هم : كـازمارس بيليس الذى وصل إلى الغـرب مع لوكـاشا وكـان مشتـاقاً إلى العـودة إلى المعركـة بأسرع ممـا يمكـن . وجوستاس بروس ، وجوناس ديكسنس .

وفى خلال الشهور الثلاثة التالية ، تعلمت المجموعة فن جمع المعلومات ، والرسـائل الشفريـة وتشغيل اللاسلكى (الراديـو) والحياة فى الغـابات وقال لامجس لـزوجته : وأخيراً يمكن أن نفعل شيئـاً من أجل بلادنـا .. وقد أضـافت الأحداث الجاريـة فى دول البلطيق عنصر .. العجلة .. على العملية .. حيث بـدأ فى وحدات الجيش الأحمر وبإشراف

الـ « كى ــ جى ـ بى » الجولـة السادسة فى الحرب ، وبـدأت ترحيل عشرات الآلاف من الفلاحين والمهنيين من الطبقة الوسطى ، وأولئك المتعاونين مع الألمان إلى سيبريا .

وفى مشهد يذكر بمـذبحة .. الهولوكوست .. لليهود ، وقدر وجـود حوالى مائة ألف من الرجـال والأطفال والنسـاء الخائفين والدمـوع فى عيونهم وهم يحملـون حقائبهم الصغيرة ويضعونها فى قطـارات متجهة إلى مستقبل مجهول . وكان السـوفيت .. بذلك يقتلون آخر أمارات المعارضة .

وأذاعت الدعايـة السوفيتية « أن المعارضة البرجـوازية القومية الليتوانيـة العاملة تحت الأرض ، صفيت لتخلص البلاد من عصـابات الشر ، ومثل تلك الأقـوال .. ترددت عند القيام بعمليات التهجير الجماعى القسرى من لاتفيا وإستونيا .

وقرأ محللـو وكالة المخابـرات البريطانية والـ « أى ـ سى ـ ايه » تلك التقـاريرفى مذكرة محددة كتبت فى منتصف عام ١٩٤٧ تحت اسم « المعارضة السرية فى ليتوانيا .. والتى وصفت .. الجيـوش الضخمـة والمنظمـة والمسلحـة جيـداً ، ورغم أنها تعيش فى الغابـات إلا أنها ترتـدى أزياء أعـدها لهم الفـلاحون والمدنيون وتسبـب تلك الجيوش الخراب للسوفيت .

وقرأ روستزك ، وكار ، وماكبن وآخرين من ضبـاط المخابرات التقارير السوفيتية الأخيرة .. عن سيـاسة الأرض المحـروقة .. وأن تلـك التقاريـر تأكيد على أن جماعـات الأنصار لاتزال موجودة .

ولم يقدر ضباط المخابـرات البريطانية والـ «سى ـ أى ـ ايـه » نتائج تلك التقارير وأن عمليات الترحيل القسرى التى يقوم بها الـ « كى ـ جى ـ بى » قد نجحت فى القضاء على مساندة الأنصار فى الريف والغابات وأنها تعانى تراجعاً .

ودون اهتمام بتلك النتائج ، واصل العملاء الثمانية للمخابرات البريطانية تدريبهم فى ليدنجو ، وقيل لهم : إن عمليات الترحيل الجماعى ، قدمت للغرب فرصة نادرة .

وشرح الكابتـن أندريه قـائلا : « يجب أن نخرب تلك العمليـات ، وأن نقلب الشعب ضد الروس » ويمكن تفجير خطوط السكك الحديدية واغتيال كبار الضباط السوفيت ، ولكن الأهم من ذلك كله ، هو حشد الأنصار لكسب تأييد ومساندة جماهير الريف التى تعانى من العمل الجماعى القسرى .

وكان لانجس وآخرين مأخوذين بهذا الشرح ، وواصل أندريه القول : « إن هدف العملاء البعيد المدى والهام جداً هو الحصول على معلومات مخابراتية عن القواعد العسكرية السوفيتية » .

وتفاصيل فنية عن الأسلحة الحديثة ، وعن الصواريخ السوفيتية وبرامج محطات الطاقة الذرية .

وفى بداية أبريل سنة ١٩٤٩ ، أعلن لانجس فجأة ، رفضه الاستمرار رغم استكمال الاستعدادات تقريباً لتغادر المجموعة السويد فى أول مرحلة ، متجهة إلى روسيا .

وقال لها : إن زوجتى حامل وعلاقاتنا تأثرت إلى حد كبير بنشاطى ، ولايمكن أن نواصل تلك العملية . وحتى يؤمن العملية من الانكشاف والفساد ، انفصل المنشق عن بقية المجموعة ، ولكن ليس قبل أن يتفق مع سفيكس على شفرة سرية للاتصال الشخصى بينهما بالخطابات بناء على شفرة من كتاب ليتوانى .. وخلال عنوان سرى للمراسلات فى ستوكهولم يخدمهما كقناة اتصال خاصة بهما بعيداً عن معرفة المخابرات البريطانية ولم يكن اللاتفى الثالث مستعداً للمهمة ، وبذلك عُهد بنجاح المهمة إلى سيفكس بمفرده وأعطى كافة المعلومات السرية الهامة عن العملية وأطلعه يتلفرس على قائمة الاتصالات مع المتعاطفين التى تستخدمها المخابرات الانجليزية والسويدية فى لاتفيا ، وقد ضمت القائمة أوجستس بيرجمانس ، مُشغل اللاسلكى الوحيد ، والأب فاليدس أمولس وهوتس ، كان قومياً أثناء الحرب ، ثم ساعد فى المقاومة ضد الشيوعية .. ومنزله يبعد مسافة .. السير على الأقدام .. من الشاطىء فى لاتفيا .

وبدا هذا المنزل ، ملجأ مثالياً عندما يصل قادم جديد .. أو هكذا رأى لانجس .

وكما شرح لانجس فيما بعد ، أن هذا كان ملجأ للمنفيين وضباط المخابرات البريطانية وبدأ يحس بشكوك غامضة حول سيفكس وقال : « بعض قصصه بدت خيالية ، ولكنهم لم يكن لديهم بديل آخر للوثوق به » .

وفى ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٩ ، أبحر سيفكس مع خمسة آخرين على متن قارب سويدى لعبور المياه . وبعد ست ساعات ، ألغيت العملية وادعى ليلنبرج أن الزورق بطىء جداً ، مما يزيد من مخاطر الأسر .

وبعد مشاورات عاجلة مع المخابرات البريطانية ، وافقت على إسقاط الادعاء بأن العملية سويدية وأن بريطانيا ستتولى إنزال العملاء .

وطار العملاء الستة إلى قاعدة بريطانية فى جوتيرشلون فى ألمانيا الغربية ، ونقلوا إلى هامبورج فى شاحنة عسكرية بريطانية وجرى التأكد من سلامة الإجراءات والترتيبات النهائية .. وأقام العملاء فى فيلا مريحة تطل على نهر الألب .. جهزتها الحكومة العسكرية .

وكان مضيفهم خليط من الضباط الإنجليز المقيمين فى هامبورج ومجموعة وصلت مبكراً من لندن .

وكان ضمن المجموعة الأخيرة رجل قدم نفسه على أنه « العم ساندى ماكبن » .

وهذا الضابط التابع للمخابرات البريطانية .. القادم شارع رايدر قد تولى الإشراف على تدريب المجموعة ، وإن ظل دائماً فى الخلفية ، وعشية الرحيل طلب فحص شبكة المخابرات البريطانية شخصياً والتى ستكون طليعة نشاط المخابرات فى البلطيق .

وقضى الأيام التالية مع الاستونيين بينما انشغل زايمتيس مع الليتوانيين حتى يعطيهم الثقة والإيمان فيما يفعلون .. كما قال ذلك بنفسه .

وأنكر الرجال الستة أنهم أطالوا التفكير فى أى لحظة فى مصيرهم .

وكانوا يخرجون فى ظل حراسة إلى المركز التجارى لشراء الكاميرات ، وفى المساء ، يتناولون الشراب فى بارات هامبورج .

وفى ذات الوقت كان القارب الذى سيستقله العملاء إلى الساحل الروسى يخضع لتفتيش وفحص دقيق وأخير . وكان هذا القارب ألمانياً وقع فى الأسر وقد ذهب إلى ترسانة صغيرة للسفن فى بورت سموث وأعيد بناؤه . وزود بالأسلحة والطوربيدات ومحركة من ماركة مرسيدس بنز ٨/ ٥ وقد فحص الموتور فحصاً شاملاً من قبل مهندس الأسطول الملكى . وأدخلت على الموتور تعديلات حتى يكون هادئاً لأقصى درجة حتى يمكن من الاقتراب من شاطىء الأعداء وبأقل ضوضاء ممكنة . وزود باللاسلكى والرادار فى هيئة الرادار والإشارة البحرية والتى تعمل بضابط واحد يخدم على ظهر الزورق لهذه المهمة .

وبعد إتمام هذه التعديلات ، قام القائد أنتونى كورتنى وهو ضابط تابع لمخابرات الأسطول البريطانى ، بتفتيش مفاجىء على قائد الزورق الألمانى .. السابق .. هانز هيلموت كلاوس .

وفى مايو سنة ١٩٤٩ دعى كورتنى الألمانى لزيارة مقر قيادته فى ميندن فى ألمانيا

الغربية ، ورغم أن كورتنى عمل خبيراً سابقاً فى كسح الالغام إلا أنه فى تلك المناسبة بدأ مباشراً ودخل فى الموضوع رأساً وقدم نفسه على أنه .. تونى .. وكشف كورتنى أن نشاطات طلاوس فى زمن الحرب .. اكتشفتها مخابرات البحرية البريطانية عند فحصها لليوميات الحربية للأسطول الألمانى وقد ظهر أن طلاوس منذ عام ١٩٤٤ وحتى نهاية الحرب ، تولى قيادة الزوارق فى البلطيق وأسقط العملاء الألمان خلف الخطوط الروسية . للقيام بعمليات تجريبية .

وطلب كورتنى من كلاوس معرفة عما إذا كان الأخير مهتماً باستئناف نشاطه وعمله الحربى كقائد للزورق الألمانى ، وتلك المرة فى خدمة المخابرات البريطانية .

ولد كلاوس فى ماكلينبرج سنة ١٩١٦ لعائلة تنتمى إلى القوميين الألمان .. وكان طموحه أن يخدم الوطن ، وفى أثناء الرايخ الثالث كان لدى الأسطول الألمانى ، القليل من الذين نذروا أنفسهم للوطن ومنهم كلاوس ، رغم أنه لم يكن نازيا ولم يكن متعاطفاً مع سياسات نظام الحكم المتطرفة . وأثناء قيادته للزوارق الألمانية حول ساحل البلطيق ، شاهد بنفسه القتل الجماعى لليهود ، ولكنه احترم قوانين حالة الحرب .

وقد حكى كلارس بكل فخر ، إلى اللورد مونتابتن ، عند لقائه به فى مطلع الخمسينات ، وكنوع من إشارة الامتنان إلى المخابرات البريطانية قائلاً : « كنت أعانى دائما عندما أشاهد البحارة الانجليز يغرقون وفكرت فى أمهاتهم المسكينات » لقد وحدت العواطف المشتركة بين البحارة وامتدت لتشمل كراهيتهم للبلشفية .

ولم يحس كلاوس بأدنى شك عندما عرض عليه البريطانيون العودة إلى البحر . وإنها لفرصة مثيرة حقاً لضابط بحرى طموح والذى لم ير أى افاق لمستقبله العملى سنة ١٩٤٩ .

وألحق الزورق الأبيض « س ٢٠٨ » بهيئة حماية مصايد الأسماك والتى شكلتها الحكومة العسكرية البريطانية فى هامبورج لمساعدة مراكب الصيد الألمانية الغربية فى البلطيق ، وقد عُهد لكلاوس بتجنيد طاقمه من العاملين معه أثناء الحرب .

وفى إجراء .. للحفاظ على سرية المهمة ، كان الزورق « س ٢٠٨ » سيبحر من كيل أو من إكينفورد رافعاً الراية البيضاء فى الجزء الأول من الرحلة البالغ ٥٠٠ ميل وحتى خليج صغير فى جزيرة الدنمارك . يسمى « بورنهولم » ويرفع العلم السويدى ، وهناك ، كان على كلاوس أن ينتظر مع العملاء أسفل سطح الزورق حتى تصل رسالة صغيرة

وغير سفرية من هامبورج تعطيه أمراً بالتقدم فى المهمة حسب تقديره وعلى مسئوليته .

وإذا كان الطقس ملائماً والرياح شرقية بما يقلل من ضوضاء الزورق « س ٢٠٨ » .. فعلى الزورق أن ينطلق بسرعة ويعود فى أقصى سرعة ممكنة . وكان هناك سؤال يطرح نفسه على كلاوس دائما وهو ، ماذا لو أمسكوا بنا ؟

وكانت إجابته .. التأكد من أننا أسرع من أى شخص آخر .. ويقول : ثق بى ،، فإن الانجليز لم يتمكنوا من الإمساك بزورقى أثناء الحرب .

وكان موعد الرحيل .. قد ثبت فى ليلة ٢٩ / ٣٠إبريل ، وكانت الجهة التى يقصدها الزورق هى شاطىء بالانجا فى ليتوانيا ، وكان مأمولاً أن يتم الإنزال فى الأول من مايو وعن يوم إجازة عند الشيوعيين .

وهناك اعتقاد أن حرس الحدود سيكونون فى حالة حذر ضعيفة . وعند حلول غسق يوم ٢٩ إبريل .. انطلقت ثلاث سيارات وشاحنة صوب أحد جوانب رصيف ميناء كيل .. بالقرب من الزورق .

وراقب كلاوس ذلك المشهد بصمت ، من كابينة القيادة .. والرجال الستة يحملون حقائبهم على ظهورهم ويلوحون بالبنادق التى يحملونها بتحيات الوداع . ويندفعون نحو الطريق المؤدى إلى الزورق . وبدت المناسبة شيئاً عادياً .. وعندما فكت حبال الزورق وبدت اللحظة درامية .

عندما حان الرحيل وقدم الضابط الانجليزى (أقراص ـ ل) وهى من السيانيد الخالص ووضع كل رجل حبوب الانتحار فى جيبه ، دون تعليق . وتميز حديثهم عن الأيام السابقة بأنه حديث ثار .. واضطر سيمكس أن يبتسم موافقاً عندما تحدث رفاقه عن كيفية أنهم سيصنعون ثغرة وسط الشيوعيين ، المحتلين لأوطانهم .

وذكر رجل الـ « كى ـ جى ـ بى » أن ذلك لم يكن تظاهراً بالشجاعة ، ولكن كان نية أصيلة . وفى رأيه أن تلك المجموعة على رأس الزورق (س ٢٠٨) كانت مجموعة خطيرة حقاً .. وعندما بدأ الزورق يبحر إلى بورنهولم ، بدأ يمعن التفكير فيما يفعله .

ورسا .. الزورق (س ٢٠٨) فى خليج صغير فى بورنهولم .. وهذا الخليج استخدمته قوات الأسطول الدنماركى ، بينما انتظر كلاوس التقرير النهائى عن حالة الطقس .

ووصلت الرسالة من هامبورج ، ولم تكن ذات قيمة لمن يسترق السمع حيث

تنبأت .. بهبـوب عواصف ، ولم يكن هنـاك خيـار آخر سـوى انتظار تحسن الأحـوال الجوية .. وظل العملاء أسفل سطح القارب ، بعيداً عن البصر وظل كلاوس يتظاهر أمام مضيفيه الدنماركيين أن مهمته بريئة تماماً وفى الخامس من مايو ، تحسن الجو واتخذ الزورق طريه بأقصى سرعة متجهاً إلى « بالانجا » مباشرة .

وعلى بعد ٢ كيلو متر من الشـاطىء . أصبحت شاشة الرادار واضحـة تماماً وأمر كلاوس بإيقاف المحركات .

وفى الثانية صباحـاً ، وضع الرجال الستة أنفسهم فى قوارب مطـاطية وتوجهوا إلى الشاطىء .

وكان إنزالهم متقناً تماماً ولم يلحظه أحد .

وما حدث بعد ذلك كان غامضاً . رغم أنـه من الواضح أن الستة رجال قد هربوا فى الغـابات . وسرعـان ماانفصل عنهم سيفكس وبحـث عن الميلشيا المحليـة ليدفع إليهـا تحذيـره . وحـدث إطـلاق للنـار .. ولقى الـرجـلان الاستـونيـان مصرعهما . وتحرك ديكسنس وبيبلس المنطقة قبل أن تصل الميليشيا ومات بيبلس بعد ستة أشهر فيما بعد وهو يقاتل الروس .

وفى أول رسالة تلقاها تيبفرس « مكتـوبة » باستخدام الحبر السرى ذكر سيفكس أن المجموعـة فوجئت على الشـاطىء ، ورفض الآخرون فى المجمـوعة الاستسـلام وبدأ إطـلاق النار ، وهنـاك عدد منهم قـد لقى حتفه على وجـه اليقين . ولا يعرف شيئـاً عن الأحيـاء ، لأنـه ولحسن الحظ هرب ووصل إلى ريجا . وحيـث جهاز الـلاسلكى الـذى بحوزته فى حالة طيبة .

وقد خفف من وطأة الكارثة ، رسـالة أخرى تلقاها تيبفرس .. وأنـه فور وصوله ، زار سيفكس ، أوزوالد بيلسكانس .. وقد أحضر معه بعض الهدايـا من السويد وخطاباً مغلقاً ومختومـاً من تيبفرس .. وأجابه بيلسكانس بأنـه سيضمن عودة آمنه لسيفكس إلى ريجا ورغبته المستمرة لخدمة مصالح العالم الحر .

وفى نفس الـوقت .. وتحت توجيـه لـوكاسيفكـس .. أجرى اتصـالاً مع فاليـدس أمولس ، القس الذى يعيش بالقرب من الساحل .

وكتب إلى تيبفرس .. بأن كل المنازل الآمنة لاتزال لم تصب بأذى .

وتبع اتصال سيفكس ، خطاب ديكسنس ، والذى ذكر فيه لزايمنش أنه بعد الرحلة

المرعبة ، وصل إلى ليتوانيا وأنه فقد اتصاله من الضابط المسئول عن تشغيل جهاز اللاسلكي .

واقترح ديكستس ترتيب إرسال مشغل على وجه السرعة وبينما هو يبحث عن قادة منظمة VLAK « الليتوانية » .

وقد أحس كار فى لندن ، بالارتياح . ذلك أن الهيكل الخاص بشبكة ليتوانيا ولاتفيا لايزال امنا .

وهناك حاجة الآن لمزيد من الإنزال وضرورة التفكير فى ذلك على نحو طارىء . حيث تكثفت الضغوط لزرع المزيد من العملاء .

وقد ترافق وصول هذين الخطابين مع سلسلة اجتماعات فى واشنطن بين فريق وزارة الخارجية البريطانية برئاسة وليم هاتير وكبار أعضاء جهاز المخابرات المركزية الأمريكية الـ « سى ـ أى ـ ايه » وموظفى الخارجية الأمريكية المسئولين عن الجاسوسية فى المعسكر السوفيتى .

وكان هاتير عضوا « بلجنة روسيا » التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ، وفى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ناقشت تلك اللجنة اقتراحاً بالبدء فى « عمليات هجومية » ضد الدول الدائرة فى الفلك السوفيتى على وجه خاص فى ألبانيا .

وكان الهدف من ذلك تخفيف القبضة السوفيتية على البلدان الدائرة فى فلكه بما يمكنها فى النهاية من استفادة استقلالها . وكانت التكيفات هى .. إثارة السخط المدنى .. والاضطرابات الداخلية قدر الإمكان الشقاق والخلاف .

ورغم أن بعض أعضاء اللجنة كان فى شكٍ من المهمة . إلا أن صوت مارشال الجو اللوردتيدر كان مقنعاً ، حيث قال « إننا نهدف إلى كسب الحرب الباردة ، وأعنى بذلك إسقاط النظام السوفيتى فى غضون خمسة سنوات .

وعكس جدول أعماله .. القناعة الأمريكية البريطانية المشتركة بأن روسيا ستبنى القنبلة الذرية بحلول عام ١٩٥٧ . وبعد ذلك سيصبح صعب احتواء الاتحاد السوفيتى لأن القادة العسكريين البريطانيين حذروا أن مواردهم « للحرب الساخنة تتضائل بسرعة » .

وقد اختلطت تلك المخاوف مع دلائل التسلط السوفيتى فى أوروبا الشرقية بما أقنع أعضاء اللجنة الموافقة على أن الهدف البريطانى .. أن يكون وبكل تأكيد هو تحرير

البلدان الـدائرة فى الفلك السوفيتى . بما يعنى أن ذلـك يتم فقط بوسـائل حرب قصيرة الأمد . ولايمكن تحقيق شىء من ذلك دون التعاون مع الأمريكان ، وعلى هذا الأسـاس .. حصل الموظفون على موافقة بيفن بالسفر إلى واشنطن .

واستمر الاجتماع الـذى عقد فى مارس ١٩٤٩ ثـلاثة أيـام . وكان أطرافـه هاتير ، جـلادين جب ، واللورد جيكلـوى من الجانب البريطـانى ومن الـ « سى ـ أى ـ ايـه » روبرت جويس وفرانك ويزنر المعادى للشيوعية بلا هواده .

وقد غطى هـذا الاجتماع المجال الواسـع لإمكانية التعـاون بين الشعبين وجهازى المخابرات ضد الاتحاد السوفيتى .

وقـد دهش الجانب البريطاني بتلك الحماسـة الامـريكية للتفـوق علي المخابـرات البريطانية ومباشرة العمليات السرية .. ولكن فزع البريطـانيون من المناقشات الغزيرة التي كشفت عن غيـاب أى تنسيق أو قيـادة حازمـة ومقنعـة داخل جهـاز المخابـرات الأمريكية .

وكانت خطة جهـاز المخابرات البريطانية هى إسقاط النظـام فى ألبانيا ، كما أوضح ذلك هـاتير وصدم ويـزنر باعتبـارها عمليـة سرية نمـوذجية من النمـط الذى تجرى مناقشته .

وبرأى ويـزنر .. فإن أربـع سنوات ضاعـت فى واشنطن ، بينما أهملنا وتنـاسينا ونافسنا خبرة المخابرات البريطانية .. وأخيراً ناصرنا خطتها .

وفى ذلك الوقت تغير الكثير .. ليس فقط طبيعة العدو وتضاريس الأرض التى يجب أن تجرى فيهـا المعـركة . وقـد تأثـر ويـزنر دون خجل بتراث التجسس لـدى جهـاز المخابرات البريطانية .

وكان ويزنر ممتناً لأن بريطانيا راغبة فى تقديم خبرتها وسلم بالقيادة لبريطانيا في تلك العملية .

وقد ظـاهر فـرانك ليندس .. تقديـر ويزنر .. ومعـروف أن ليندس هـو الذى دعم كينان فى اقتراحـه سنة ١٩٤٧ بإنشاء مدرسـة لحرب العصابات وقـد اكتسب ليندس شـهرة لخدماتـه الحربية التى أداها مع الأنصـار المعادين لتيتو فى يـوجسلافيا وأصبح نائبا لـ « ويزنر » ومسئولا عن أوروبا الشرقية .

وفى رأى ليندس .. أن هاتير وممثلو المخابرات البريطانية يمثلون أفضل تراث وتقاليد العالم الانجلو ـ أمريكى .

وكان اقتناعه أن من واجب أمريكا مواجهة إمبراطورية الشر وقد اكتسبت تلك القناعة صلابة بالتقارير الواردة عن فظاعة تيتو . منذ الحرب ورغم حماسة ويزنر للعمليات السرية كانت من النوع المرضى إلا أن مساندة ليندس لعملية ألبانيا كانت حاسمة .

وقوبل الاتفاق الأمريكى ، بأن يتولى الأمريكان الدفع وتمويل عملية المخابرات البريطانية فى ألبانيا ، بارتياح شديد فى برودواى على الأقل من قبل جاك إيستون رئيس اللجنة المشرفة على العملية .

ووصلت مجموعة من الضباط البريطانيين إلى البحر المتوسط فى أغسطس سنة ١٩٤٩ ودربوا عشرين ألبانيا على جس إمكانيات إثارة الفوضى والتمرد . وفى أكتوبر .. وضع العشرون رجلاً على الشاطىء وبنهاية الشهر فقد منهم أربعة .. وقد قيل أنهم قتلوا ، إلا أن الباقين عادوا وقرروا أنه رغم المعارضة الهائلة للنظام الشيوعى إلا أن السكان حذرين تجاه إمكانية نجاح انقلاب .

وكان ذلك كافيا .. عند ايستون ومديرى المخابرات البريطانية ، للبحث عن مساندة على مستوى أعلى لتوسيع مطامحهم .

وحدثت واقعة فريدة من نوعها فى بداية سبتمبر .. بددت أسس الحذر وأطلقت فيضانا من المطالب لمزيد من النشاط المخابراتى .

ففى ٣ سبتمبر .. عاد نظام الاستطلاع الأمريكى البعيد المدى (ب ــ ٢٩) إلى قاعدته بالمحيط الهادى .. ومع النظام دليل دامغ أن السوفيت فجروا قنبلة ذرية .

وفجأة بدت كل التقديرات والتقييمات العسكرية والاستخباراتية والسياسية لاقيمة لها . وأصبح التفوق الروسى فى القوات التقليدية .. لم يعد يوازنه التهديد النووى الأمريكى .

وقد أضعف الفشل فى تقدير امتلاك روسيا للقنبلة من مصداقية الـ « سى ـ أى ـ ايه » والمخابرات البريطانية ، وقاد ذلك إلى إبعاد مدير الـ « سى ـ أى ـ ايه » هيللنكوتر .. وفى نفس الوقت أعطيت للوكالتين السرية والتمويل اللازم لتحقيق الأهداف ، ومن

المفارقات المميزة للصراع بين الشرق والغرب .. أن ستالين كان منذ أربعة شهور يبحث عن تخفيض التوتر بإقامة سور برلين ، بينما البيت الأبيض و « الوايت هول » يعترفون الآن بأنهم فى حالة حرب مع روسيا .

وسرعان .. ماخضع نشاط المخابرات البريطانية الموجه بكل طاقته ضد الشيوعية إلى مراجعة دقيقة والتخريب إذا ماظل مجرد تخريب . كما الحال فى ألبانيا احتاج إلى موافقة الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية . أما إذا كان التخريب أو الاغتيال هو الهدف ، فان المخابرات البريطانية كانت تحتاج إلى موافقة وزارية فقط ، وهكذا فإن الأوراق التى أعدها إيستون تقترح تدمير السفن فى الموانى الإيطالية والتى تعتزم نقل اللاجئين اليهود إلى إسرائيل ، كانت تلك الأوراق يجب أن تمر عبر القنوات للفحص والمراجعة ثم مصادقة .. حكيمنت أتلى رئيس الوزراء شخصياً . وايضاً أعطى بيفن موافقته على العمليات السرية داخل روسيا والدول الدائرة فى فلكها .

وفى صيف سنة ١٩٤٩ ، وافق على التوسع فى تلك الخطط . وكان هارى وهو فى قمة نشاطه الوظيفى ، ينجز طموح حياته ، فقد توسعت منطقة عمليات المنطقة الشمالية لتشمل العملاء فى بولندا وأوكرانيا ونتيجة التعرض لقيود فى الميزانية حصل على موافقة لزيادة الأموال لعملياته . وبينما يتسع نطاق العمليات فى البلطيق . اتفق كار وماكبن على إجراء تحقيق حول « المهمة الكارثة » من السويد وحتى ليتوانيا ، فمنذ إرسال ديكسنس وسيفكس . واختفاء الفريق التالى الذى أرسل .. ماجعل كار يشك أن الفريق ألقى القبض عليه وفى الحقيقة أنهم قتلوا فى شاطىء بالانجا على يد رجال الـ « كى - جى - بى » الذين كانوا فى انتظار الفريق .

واعتقد كار وماكبن أن عملياتهم تتعرض لخيانة ، وأشارت الدلائل إلى لانجس ، حيث أن انسحابه المفاجىء والغامض من المهمة كان بكل تأكيد مدعاة لكثير من التعجب .

وأشرفت لندن على التحقيق وحتى يمكن دفع أى شكوك أجرى الاتصال الأولى مع لانجس « المارز سكوب » .

فمنذ إطلاق سراح سكوب من السجن فى السويد ، ويخدم كتاجر بحرى على متن سفن الشحن البريطانية . وبمساعدة المخابرات البريطانية استقر فى كينجستون فى لندن ، وبناء على طلب ماكبن كتب إلى لانجس قال له : إن صديقه « فيكتور ساندرسون » ضابط المخابرات البريطانى يود السفر من لندن .

وكان لانجس مسروراً بالأخبـار التى جاءت إليه وأن ضابط المخـابرات البريطانى سيزوره .. ورغم أنه يحاول إتمام زواجـه ظل لانجس مخلصاً بالكامـل لفكرة النضال ضد ستالين وتحرير لاتفيا .

ومنذ رحيل سيفكس .. جند هو حنترز المزيد من المنفيين الذين استعدوا للعودة إلى روسيـا .. وكليهما شجعـه استـلام خطـاب شفـرى من سيفكس يخبرهما فيـه .. عن وصوله الآمن إلى ريجا .

وعلى أية حال .. فإنهم يحتاجـون إلى المساعدة من الوكالات الغربيـة وبدت رسالة سكوب بأنها وعد بنجدة ضرورية .

وكانت تـرتيبات سكوب للموعد ، تفترض ألا تعلـم المخابرات السـويديـة شيئاً عن زيارة ساندرسو ن ولا عن الاتصالات .

وكتب سكـوب « يجب أن تـذهب محطـة جـوتبورج للسكك الحديـديـة وتنتظـر شخصاً فى الصالة الرئيسية وتحمل صحيفة « الديلى تلجراف » وأضاف بعض الكلمات الشفرية التى يستخدمها الجانبين .

كان « سانـدرسو ن » حسن المظهر ، رقيق البنية ، أسـود الشعر ومصاب بصم فى إحدى أذنيـه ، نتيجة الوقوف بـالقرب من الانفجارات أثناء الحرب . ويتحـدث الألمانية بطلاقة .

ورغم أن « سانـدرسو ن » سعيـد بلقاء لانجس إلا أنـه كان متلهفـاً للاستماع إلى معلومـات عن سيفكس . وبدا غير منـدهش عندما عـرف القناة الخاصـة بلانجس مع العميل فى ريجا .

وسـأل « سـاندرسـو ن » هل يمكنك إرســال تلك الأسئلة إلى سيفكس وتطلب منـه الاستعجال فى الإجابات ؟ .

وسـأل لانجس : ماذا عن العمليات الأخرى فى لاتفيا ؟.

وأجاب ساندرسو ن : إنه خطير جداً فى تلك اللحظة .. الحديث عنها .

ورتب اجتماعين آخرين ، حيث قـدم لانجس لاتفيين متلهفين أن يصبحوا عملاء فى المخابرات البريطانية .

ومع نهاية سنـة ١٩٤٩ ولأسباب لم يستطع لانجس أن يسبر أغـوارها ، أدرك أن

ساندرسون لا ينوى تقديم فرص أخرى من العمليات السرية . واحتار ؛ لأن رغبته الجارفة كانت ستوجه ضد الشيوعيين ، وأعاد لانجس التفكير فى نصيحة سيفكس فى الاتصال بالأمريكان . وكتب إليه سيفكس .. إنهم حقا معادون لروسيا .

ولم يستطع لانجس أن يخمن أنه كان تحت التحقيق كعميل للـ «كى - جى - بى» .

وعن صديق فى واشنطن . أجرى لانجس اتصالاً مع فرع هارى روستزك فى الـ « سى - أى - ايه » فى مطلع سنة ١٩٥٠ ولم يكن ضباط الـ « سى - أى - ايه » مهتمين بشكوك المخابرات البريطانية لانه خلال عام ١٩٤٩ أحبطت ميول كار للسرية محاولاً روستزك لترتيب لقاء . وكان روستزك وبالمقابل .. أبناء البلطيق متلهفين لإيجاد عملاء مناسبين لهم وبدأ لنمجس مناسباً وفى « كافبرن » كان ستيف تانر يشق طريقه نحو إسقاط مجموعة من الأوكرانيين فوق جبال الكاريبى .

ورغم استبعاد كينان سنة ١٩٤٩ الحاسم للأوكرانيين من العمليات السرية لأنه رفض الاعتراف بمطالب الجماعة العرقية فى أن تكون لها قومية . وبعد عام من ذلك اختفى ذلك القيد .. لأن الرئيس حث الـ « سى - أى - ايه » لاستخدام كل فرصة .. تقرب من اختفاء القوة السوفيتية من البلدان الدائرة فى فلكه .

وكان روستزك .. يعمل على نحو فعال ومعه « شيك على بياض » وتلقى لانجس رسالة من واشنطن بموعد فى ميناء هيلسنبرج وفى اليوم المحدد .. توجه أمريكيان ، الأكبر يسمى نفسه « روبرت أرمستروغ » ، والأصغر يسمى نفسه « جونى والكر » ووصلا إلى محطة السكك الحديدية فى الموعد المحدد .

وعندما شاهدهم لانجس لأول مرة .. اعتقد أنهما من نجوم السينما .. لأنهما وسيمان للغاية .

ويمكن أن تكتب كلمات الضابطين فى هوليوود ، حيث قالا : إننا نريد منك العمل لحسابنا كمتخصص ، وترسل العملاء إلى روسيا . ونطلب أن نختبرك وكل شيكتك هنا فى السويد .

وأحس لانجس بالسرور لهذا الحظ الطيب . ورغم أنه طلب مهلة من الوقت لاستشارة فريقه ، ومن بين هذا الفريق .. اديفنز أوسولتز والذى كان ملفه الشخصى متميزاً فى مكتب لوكاسيفكس الخاضع للحراسة جيداً فى شارع لينيى تحت اسم حركى « بايلوت »

الفصل الخامس

نسيج خيوط العش

لم تخل التحقيقات التى تجريها وكالة الاستخبارات البريطانية فى السويد من توسيع « مركز الاتصالات الخاص » فى شارع رايدر .

فقبل المصير السيء الذى حل بالبعثتين المرسلتين إلى ليتوانيا ، وافق كار على أن الترتيبات فى السويد أصبحت غير مرضية ، وأن التدريب فى المستقبل يجب أن يتركز فى لندن . حيث يمكن للمخابرات البريطانية أن تمارس سيطرة كاملة . ولكى تنسجم عملية التوسع .. يجب أن تقسم « إدارة البلطيق » إلى ثلاثة أقسام ويختص كل قسم بواحدة من الدول الثلاث .

وطلب ماكبن أن يتولى لاتفى أو استونى تجنيد عملاء من أبناء جنسه .. على غرار زايمنتس ويشرف على تدريبهم أيضا ، وصادق كارعلى تعيينات ماكبن ، وعكس ذلك الأهواء السياسية لضباط المخابرات البريطانية . وأولئك على الجانب الآخر من المبنى ، فى وزارة الخارجية البريطانية ومنذ سنة ١٩٤٧ ، وفى ظل عملية ويست ورد هو - جُندت جماعات من الرجال والنساء من أبناء البلطيق فى معسكرات الاعتقال للعمل فى المناجم البريطانية وكذلك فى مصانع النسيج .. حيث تأثر الإنتاج نتيجة النقص فى العمالة . وكان من بين الجماعات التى وصلت إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ مجموعة من اللاتفيين .. وأثناء الفحص الطبى الروتينى لاحظ الطبيب فى ميناء « هاروتش » وجود « وشم » متطابق فى الشكل تحت ذراع كل فرد منهم .

ولم يكن الطبيب فى شك مما تعنيه تلك العلامات السوداء . إنها علامات استخدمت لتنبه الطبيب ، بفصيلة دم المريض وتحذر أن تلك الفصيلة من أصل آرى نمقى . تستخدم فى عمليات نقل الدم ، وبعد الحرب أصبح الوشم علامة لاتمحى ، وأن حاملها عضو فى منظمة إجرامية .. وممنوع بوضوح من دخول بريطانيا .

وخلال الساعات الأربع والعشرين من اعتقالهم .. احتج سفير لاتفيا فى بريطانيا

« شارلس زاوينس » إلى توماس بريميلو .. وذكر الدبلوماسى أن مواطنيه قد وشموا بالقوة عند اعتقالهم على يد الألمان . وخدموا كعمال لدى الألمان . وقد قبل بريميلو وموظفو الخارجية البريطانية هذا التفسير الكاذب ، ووافقوا على أن الطبيب البريطانى يجب أن يطلب منه أن يركز اهتمامه على المرض ولايهتم بفصائل الدم ؟ وكان السماح لأولئك الضباط السابقين وثيق الصلة بسياسة وزارة الخارجية . ونزل الثمانية آلاف أوكرانى تحت رقابة بريطانيا فى ريمينى .

واصبحوا أعضاء فى قسم جاليزيان الشهير . الذين سُمح لهم بدخول بريطانيا سنة ١٩٤٧ . وفى ظل التصنيف التقليدى كأسرى حرب ..

وأكدت الحكومة لأعضاء البرلمان الغاضب أن كل الذين وصلوا خضعوا لفحص دقيق واستبعد منهم مجرمو الحرب .

وعلى أى حال .. سمح موظفو الحكومة بعكس ذلك تماماً . وحدث التغيير فى الموقف على يد أ ـ و ـ هـ ـ ويلكنسون ، خبير شئون اللاجئين فى وزارة الخارجية . وفى غضون أربعة أيام فى شهر يناير سنة ١٩٤٧ قال ويلكسون : « إنه لامفر من اعتبار أولئك الأوكرانيين كمنشقين سياسيين . ويجب أن يلقوا كل مايستحقون ويتحولون إلى لاجئين سياسيين أبرياء » .

وحصل بيفن على موافقة اتلى شخصياً . وأن ينقل الأوكرانيين إلى بريطانيا ، رغم كل الاتهامات التى يوجهها زملاؤه بالبرلمان « وأنهم متعطشون للدماء » ، وكان وزير الخارجية متأثراً بالمشاعر القوية التى عبر عنها موظفوه فى الخارجية فى أن الأوكرانيين يجب ألا يستسلموا للروس ، وإنما سيكونون ذوى فائدة للمخابرات البريطانية شأنهم فى ذلك شأن مواطنى البلطيق .

وبعد مرور عامين من ذلك ، وفى عام ١٩٤٩ أنجز هذا التوقع ، وكان من بين الضباط السابقين المدعوين إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ ، الكولونيل الفونس ريبان وهو يبلغ ٤٥ عاما وقد أنهى الحرب الثانية كقائد للفرقة العشرين فى استونيا ..

وفى إبريل سنة ١٩٤٥ كانت تلك الفرقة تحارب الروس فى تشيكوسلفاكيا وهرب ريبان نحو الغرب قاصداً « المنطقة البريطانية » ومعه ألف رجل .. حتى يتجنب الموت المحقق على يد الشيوعيين .

وبعد عامين فيما بعد وصل إلى بريطانيا للعمل فى طاحونة « براد فورد » وفى سنة

١٩٤٩ ، فوجىء أصدقاء ريبان لسماع أنباء عن الكولونيل السابق وقد أعفى من عمله . وتحرك إلى لندن ،وبدا لهم ذلك وضعاً مزدهراً يدعو للحسد .

وبعد عامين .. جنده ماكبن ليصبح ضابطا فى المخابرات البريطانية مسئولاً عن إرسال العملاء إلى استونيا .

وكان لريبان شرطان لقبول التعيين ..

الأول .. أن يعين الجنرال جوناس سودالا ، المفتش العام السابق بالجيش الإستونى . مساعداً له ..وأن يعين ضمن فريقه ، الكابتن فياتو ، وكما شرح السبب .. أن بارتل يعرف المواقع لكل الأعضاء السابقين من فرقته والذين يلائمون العمل كعملاء وهو وسيط ضرورى بينهم . ووافق ماكبن .

وانتهت بذلك حاجة ماكبن إلى رجل من لاتفيا . أيضا بمساعدة من زاريتابس ، ويفسر السفير اهتمام الحكومة البريطانية كدليل على نيتها لتحرير بلاده وهو يسمى .. وولف ساليرجاس الضابط السابق بالقوات الجوية اللاتفية .. وهو الآن بمعسكرات الاعتقال فى بلجيكا .. كمرشح مثالى . فلقد كان ساليرجاس ذا تدريب عسكرى ، وحماسة قومية ، وعداء أعمى للشيوعية ، وهى الصفات المطلوبة للمهمة . وأوصى ساليرجاس باثنين من الضباط السابقين بالقوات الجوية .. والمتلهفين لمواجهة الشيوعيين ورتب ماكبن نقل الثلاثة من بلجيكا إلى بريطانيا .

وسكن زايمنتس ، ريبان ، ساليرجاس فى لندن وعملوا مع ماكبن فى شارع رايدر .

وتحدد للعمليات فى البلطيق اسماً حركياً « الأحراش » واتخذت العمليات وضعاً حرفياً وثابتاً .

ومن أجل الحفاظ على الأمن ، طلب كار ألا يقابله أى شخص من الثلاثة أو حتى يعرفوا مكان وجوده .

ورغم أن ماكبن حافظ وبصدق على توزيع المسئوليات ، إلا أن سكرتيره نيجى كوكيرتون ،، ومساعدته نورا راشوود لاحظا العلاقات غير المنسجمة بين ماكبن السهل وكار الصارم وقد عكست نفسها فى أوقات العمل ..

وكانت مشكلات تلك العلاقات واضحة للثلاثة رجال من أبناء البلطيق . ولكن تجاهلوا بالكامل سياسات المخابرات البريطانية ذات السمعة النافذه ، وانشغلوا فى البحث عن عملاء لإرسالهم إلى الخارج . وكان ضابطا المخابرات البريطانية فى نفس

الوقت يخططان لطريق تسلل جديد ..

وكان النجاح الظاهر لسيفكس وبيرجمانز وبقائهم احراراً أقنع كار وماكبن أن ينزل العملاء فى المستقبل فى لاتفيا بدلاً من ليتوانيا .

وكان أول العملاء الذين وقع عليهم الاختيار لعملية (الأحراش ١) هم : فاتيولدز بيركس ، واندريه جالدنز الذين وصلا مع ساليرجاس .

وكان بيركس يبلغ من العمر ٣١ عاما والابن الأكبر لدبلوماسى لاتفى . وخدم مع ساليرجاس فى القوات الجوية قبل تجنيده لجهاز المخابرات فى ريجا ، وتولى مسئولية الاستخبارات السياسية . وفى عام ١٩٤٤ هرب من لاتفيا مع وحدة مخابرات واعتقل فى بلجيكا مع ساليرجاس ، وكان اسمه الحركى فى المخابرات البريطانية « كارنجا » .

اما أندريه جالدنز يبلغ من العمر ٣٢ عاما وابن لأسرة فلاحية وقضى الحرب كعضو نشاط فى قوات الكوماندو وكان اسمه الحركى فى المخابرات البريطانية « ميونيز » .

واعد برنامج تدريب العملاء المنفيين ، وكان الفارق العملى هو أن مدرب العملاء سيكون فى لندن لتجنب جذب أى اهتمام لامبرر له . وكانت المدرسة ، فى منزل من الطراز الفيكتورى مكوناً من ٤ طوابق فى ١١١ شارع « أولد تشارش » واستؤجر هذا المنزل من ضابط إنجليزى مقيم بالخارج . وتولى الزوجان .. إيدى ومافيس فلاورز إعداد الطعام وتقديم الخدمات المنزلية ، وكان أول من وصل هو بيركس وجاليدنز فى شهر مايو .. وأعطيا خمسة جنيهات كمصروفات جيب أسبوعياً .

وصدرت لهما بطاقات شخصية جديدة بأسماء كاذبة .وفى قاعدة جورج كوللر تعلما استخدام شفرة موريس والإرسال باللاسلكى . وتعلم الرجلان اللاتفيان كيفية إرسال واستقبال الرسائل . وكيف يشفران ويحلان الشفرة فى آن واحد .. وكيف تنتقل الرسائل فى تواريخ محددة بدقة وطبقا لجدول شفرى .. والحفاظ على اللاسلكى ..

وفى الطابق الثانى .. كان جون كروفتون باسم مستعار هو « جون الصغير » المشرف على تعليم العملاء « حرفة الذكاء » وتعلم المتدربون .. وسائل الرصد وتجنب الرصد والمراقبة .. وتدبير الاجتماعات دون مراقبة . والتحقق من أن المنزل آمن وكيف تجهز الكيماويات المستخدمة فى الكتابة السرية . وأعطيت عناية خاصة بالأمن ، وكيف

لايجب أن تكتشف هـواياتهم ولاخلفياتهم حتـى بالنسبـة لجماعات الأنصار . الـذين يلتقون بهم .. كيف يتلاءمون مع المواقف المحرجة والحسـاسة ، وماذا يقولون فى حالة الوقوع فى الأسر .

وأين يصيغون الكلمة الشفرية الحاسمة فى الرسائل بشفرة موريس والتى تكشف أن المرسل واقع تحت سيطرة العدو .

وأثناء التدريب أصبح « ضباط الحالـة » وعملاؤهم أخوة فى السلاح يشتركان على قدم المساواة فى زهوة النصر وفى المعاناة .

وذكـر المتدربـون أن جهـاز الـ « كى ـ جى ـ بى» كفء ومخيف . « ويقطعـون الأنـوف .. واستمع جالنـدز وهـو يغمغم ، يجب أن يزود العمـلاء بحبـوب السيانيـد لاستخـدامهـا عنـد الضرورة » . وحصل المتـدربـون على دروس عمليـة فى الميـدان ، واستخـدام الأسلحة الصغيرة والبنـادق .. بينما الاستعداد للحيـاة كعملاء فى الـريف الروسى حدث خارج العاصمة .

وتـولى الضباط فى قلعـة « مـونكتون » فى السـاحل الجنـوبى .. تدريب الـرجلين اللاتفيين القتال بدون سلاح ، والحياة فى البرية ، والسباحة ليلاً فى ميناء «بورتسموث » والاقتراب الصامت من الشاطىء انتظاراً للقوارب البخارية .

وتلا تلك التدريبات رحلات إلى دارتمور ، سنودنيـا ومرتفعات سكتلاندا لممارسة مهـارتهم الجديدة .. وتحت إشراف كـروفتون ، وتـوجـه الرجـلان إلى المناطق البريـة الموحشـة البريطانية و إلى قرى « الضـواحى » للبقاء بعيداً عن رؤية المدربين .. ويتركون الرسائل فى أماكن متفق عليها ويبعثون بالرسائل الشفرية .

وفى أثناء عودتهم إلى لندن فى نهاية سبتمبر ، تأكد ماكبن أن كليهما جاهز للمهمة . وشرح كرفتون ، وسـاليرجاس يترجم أن المخابرات البريطانية تريد معلومات عن مواقع الجيش الأحمر . وعن الطـرق وعن الموانىء ، وظـروف الحيـاة . والأهم مـن ذلك كلـه الحصول على أدلة تطـور روسيا فى الطاقة الذرية والصـواريخ . والتأكد من اختبارات التفجير السوفيتى للقنبلـة الذريـة فى سبتمبر والتى جاءت من بعدهـا تقاريـر تفيد أن السوفيت أجـروا اختبارات على الصـواريخ فى البلطيق (وثبت أن ذلك أمـر كاذب فيما بعد) .

وكان كـار .. ان تلك المهمة الأولى .. بمثـابة اختبـار يكشف قوة حـركة المقـاومة ، وتأكيداً للثقة .. طلب كار من ماكبن أن يعيد التأكد من العميلين حول أهمية إبداء الحذر فى اتصالاتهم ، ،يجب الا يضعـا الثقة فى أى شـخص حتـى يتأكدا معـاً أن الأنصار غير مُخْتَرقين من الـ « كى ـ جى ـ بى » وعليهم أن يعتبرا نفسيهما ضبـاط لاسلكى وليسا مقاتلين من أجل الحرية .

وكان رأى ساليرجـاس فى عرض المهمة والذى أعلنـه للعميلين أنها مختلفة تماماً . فأثناء أمسيات كثيرة قضى وقتـه يلعب « القمار » ويشرب « السكوتش » مع زملائه فى شارع أولد تشارش .

وتحدث ساليرجاس عن فرصـة تحرير الأمة من الشيوعية بتوجيـه ضربة قاضية إلى أعـدائهم وإسقـاط حكم ستالين ، وقـال سـاليرجـاس فى أكثر من منـاسبـة : « إن الشيوعيين وحشيون ويجب أن نعاملهم بالمثل » .

وعشية الرحيل . . إلى هامـبورج . . رتب سـاليرجاس لقاءً عاطفياً مع السـفير « زارنيس » ومنح فخـامتـه البركـة للـرجلين من طـلائع مستقبل أمتنـا .. وحثهم على الاعتقاد بأن بريطانيا وأمريكا ستحارب قريباً روسيا وستحرر بلادهم .

وإذا أنكر بعض ضباط المخابرات البريطانية أى معرفة ، فيما بعد بتلك النصائح .. فان ماكبن بلاشك ، وربما كار كانـا على عهدهم بتصريحات ساليرجاس غير الرسمية إلى العميلين وشاركوهما نفس المشاعر .

ونادراً ما تتجاوز سياسة الواقع ، تلك الفانتازيا .. وأظهر ماكبن « القوة المحركة » ثقـة عاليـة بنجـاح العملية ، وفى الأيـام السـابقة على رحيـل العملاء .. أعـادوا فحص معـداتهم . وتقـرر .. أن يحمل كل فرد منهم حقيبـة بنية اللون .. واحـدة من الحقائب تحتوى على جهـاز اللاسلكى ، والحقائب البـاقية بها بندقيتين نصف آليـة ومسدسين ماركة « والتر » وذخائر .

وفى حقائب بلاستيكيـة ضد الماء ، ٢٠٠٠ روبل وجوازات سفـر مزورة وفى أجزاء محكمة من الأحزمـة ، يوجد عملات ذهبيـة ومجوهرات . واصطحب « جون الصغير » الرجلين ، وعبر شـاحنة توجهـوا ومعداتهم إلى فـرفورد للطيران إلى بوكبـورج فى ألمانيا الغربية .

أما المسافر الثالث ، وهو ليتوانى .. لحق بالرحلة فى فوفورد إلى روسيا .

والتقى العملاء الثلاثة ، ومسئولهم البريطاني في بوكبورج مع ضابط اتصال المخابرات البريطاني الشاب « أنتوني كافيندش » وفي الأيام السابقة على وصولهم ، انتقل كافيندش إلى فيلا واسعة في هامبورج ، في ضاحية على الطراز القديم .

وفور ، أن فحص فريق المخابرات البريطانية المسئول المنزل ، وجهزوا العقار للضيافة . حتى تحولت « السندرة » إلى مركز للاتصالات على يد خبراء المخابرات البريطانية .. وكانت مهمة كافيندش رعاية العملاء الثلاثة حتى يصل الخبر من كلاوس بأن ظروف الإبحار ملائمة . وكان تلقي تلك الأنباء من مسئولية ضابط الاتصال البحري « أنتوني كورتني » واحتاج العملاء الثلاثة إلى الترفيه ودون المخاطرة بالأمن ودون السماح لهم بفرصة إطالة الفكر في خطورة مهمتهم .

وكان الحل الذي قدمه كافيندش . هو التدريبات الرياضية ويعقبها ممارسة بعض الألعاب .

وفي الأمسية الأخيرة ! وهو ماأصبح تقليداً .. دعى كافيندش العملاء الثلاثة وجون الصغير إلى عرض جنسي ، في منطقة ريبرهام ذات الأضواء الحمراء .

وبعد شراب مفرط للبراندي .. غادر كافيندش . ووافق على أن يعود الرجال الباقون إلى الفيلا ، كل « بطريقته » .. وفي الساعات الأولى من الصباح ، نهض كافيندش على أصوات طرق على الباب وكان بيركس جالدنز ، قد عاد فقط .. أما جون الصغير والليتواني فقد تورطا في مشاجرات في البار وألقى القبض عليهما . وقضى كافيندش بقية الليل مؤمن إطلاق سراحهم وعمل في اليوم التالي على إقناع نفسه أن المهمة لم تنكشف .. رغم حماقتهم في ظل الإفراط في الشراب وانتظرت المجموعة في مناخ قاسي حتى أكد كورتني أن الزورق (س ٢٠٨) جاهز للرحيل .

وفي الرابعة صباحاً ، من يوم ٣١ أكتوبر ، صعد بيركس ، جالدنز على ظهر مركب « حماية المصايد » في كيل وتوجه إلى أسفل السطح .. وكان كلاوس فقط هو الذي يعرف أين ينزل العميلان في لاتفيا . وفور استلام رسالة قصيرة من هامبورج تأمر بالمسير ، ابحر قاصداً شاطئاً منعزلاً في غرب فينتسلبز .. وعندما هبط بيركس وجالدينز على الشاطيء لم تكن الـ « كي - جي - بي » تعرف شيئاً عن وصولهم ..

وبناء على توجيهات سالبرجاس .. دفن العميلان الحقيبتين في الغابة ، بعيداً عن الشاطيء ، وقصدوا طريقهم ليلاً إلى منزل الأب فاليدس أمولس . ذلك الراعي الذي

يعده تيبطرس من أكثر الناس مدعاة للثقة من بين من يتصل بهم .

وكان ساليرجاس وماكبن .. مقتنعين بجدارة الأب فاليدس بالثقة ، ولكن ثقتهما لم تكن فى محلها ..

حيث وقع القس فى الشرك الذى أعده لـه سيفكس دون أن يدرى منذ عام مضى .. وسقط فى عش الـ « كى ـ جى ـ بى » ..

وعندما بادره بيركس بكلمة السر «هل يمكن أن أشترى شيئا من البيرة هنا؟ » أشار القس على الفور للعميلين بناحية الباب . وقال بيركس « نريد أن نتصل بالأنصار » وكان أمولس يعرف عن اتصال أعده سيفكس مع أوجستس بيرجمانس فى ريجا .

وفى اليوم التالى . وبعد نصيحة العميلين عن أفضل الطرق لسلوكها . قرر أمولس أن ينبه سيفكس لوصولهم . وهكذا انفك أمانهم قبل وصولهم إلى ريجا .. ذلك الأمان الذى تدربوا عليه جيداً فى لندن .

وفوجىءأوجستس بيرجمانس بطرقات غير المتوقعة على الباب فى شقة بالطابق الخامس فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

وكانت دهشته .. أكبر ، عندما شرح لـه الزائران أنهما قادمان توا من السويد . وأنهما أسقطا من مركب سريع منذ خمسة أيام مضت وأنهما جاءا للاتصال بالأنصار فى الغابات ويبدآن فى إنشاء شبكة مخابرات جديدة .

وقدم بيرجمانس لضيوفه بعضاً من الفودكا ودعاهما للبقاء فى شقته حتى يؤمن لهما الإقامة بمنزل آمن .

وفى اليوم التالى ، وفى أثناء تقديم الطعام الفاخر ، غادر بيرجمانس الشقة واتصل مع لوكاسيفكس وقال له : « إنهما يعيشان فى راحة ويشعران بالأمان فى المنزل ويمكن أن يظلا لبعض الوقت . ولكن لايستطيع شخصياً أن يحافظ على الأمان لوقت طويل ..

ولاحظ العاملون فى الإدارة الثانية للـ « كى ـ جى ـ بى » أن القائد تتلألأ عيناه فى ذلك اليوم على نحو غير عادى .. وفى الاجتماع الذى ترأسه الجنرال فيفرس فى شارع لينين . تقرر أن يجهز منزل آمن ليقيم فيه العميلان اللاتفيان ويمكن مراقبتهما بسهولة .

وكان ذلك شاغلاً لعدة أيام قبل أن يعود لوكاسيفكس ليشكو إليه أن العميلين غير مرتاحين .

وقال .. مسئول الـ « كى - جى - بى » إلى فيفرس : إن مشكلتنا ماذا سنفعل مع العميلين الخاضعين للمخابرات البريطانية والمتلهفين لبدء العمل ..

وطلب لوكاسيفكس التجهيز لعملية خادعة ، ولكن ذلك يتطلب وقتاً ، وقد طلب بيرجمانس ، ومن بعده سيفكس ، الذى تعرف على العميلين مؤخراً .. من لوكاسيفكس أن يفعلوا شيئاً مافوراً مع هذين العميلين .

وشرح بيركس .. أن هذين الرجلين .. هما أول موجة من العملاء على وشك الوصول من بريطانيا وحتى من أمريكا .. ويصر كليهما على أن يذهبا للقاء بعض قادة الأنصار . وواجه فيفرس مشكلة وتحدياً .. وكان عليه استرجاع تعاليم درجينتسكى . ويعد لعملية مزدوجة ومتقنة وتتطلب تنظيما محكماً وتزامنا فى التوقيت محكم من قبل الأنصار .

واذا وقع بيركس والمخابرات البريطانية فى الفخ بوضوح ، فإن الـ « كى - جى - بى » .. عليها أن تشكل مجموعة من الأنصار .. تكون أنشطتهم وشخصياتهم مقنعة بالكامل لبيركس وجالدنز ويعتمد النجاح على اختيار العملاء القادرين على الحياة جسمانيا فى الغابات الموحشة ويتحملون الخداع .

وتتطلب العملية تمويلاً ضخماً ولكن فرصة النفاذ إلى قلب المخابرات البريطانية يجب ألا تمر .

وبعد مشاورات تفصيلية مع كرجلوف فى مسكو .. والذى قيل فيما بعد أنه عرض تقريراً بالموضوع على ستالين ، وافق على العملية « الخداعية » والتى أخذت اسماً حركيا وهو عملية « لارسن س » وأشرف على تلك العملية لوكاسيفكس والميجور ألبرت بوندوليس .

وكان بوندوليس قوى البنية ، شيوعياً ثورياً التحق بالـ « كى - جى - بى » أثناء الحرب ، بالمقارنة مع لوكاسيفكس الذى كان ضابط أمن عملى ، وأيضا محباً للنساء وللحياة الطيبة ولم يكن كاسيفكس مخططاً استراتيجياً .

وقرر فيفرس أن يتولى كاسيفكس توجيه العملية من الإدارة بينما يصبح بوندوليس قائداً لمجموعة الأنصار « الوهمية » وتعيش فى غابات كورزيم ، وتحت اسم

حركى « ماكسس » وبسرعة ملحوظة ، اختار كاسيفكس وبوندوليس ستة من ضباط الـ « كى - جى - بى » ذوى الخبرة فى حرب الأنصار فى الغابات ، ليصبحوا أعضاء فى مجموعة « ماكسس » .

وخلال شهور الشتاء المتبقية ، اخترع الضابطان المشرفان على العملية مع كل فرد من « الأنصار » قصة مقنعة عن حياة كلٍ . خاصة عن نشاطات كل فرد بعد الحرب . وتجنبوا أدنى إشارة طفيفة تنم عن التناقض .

وفى بداية فبراير .. وبينما بيركس وجالدنز يتلقون تأكيدات مستمرة أن الصعوبات فى إقامة اتصال مع الأنصار على وشك التغلب عليها تقريباً .

وتوجه كل فرد .. من الأنصار .. فى ظل حراسة إلى غرفة لإحدى اللجان فى قيادة الـ « كى - جى - بى » . حتى يختبرهم بقوة فيفرس ، لوكاسيفكس وبوندوليس وسافر « كرجلوف » خصيصاً من موسكو حتى تيراس الجلسات وفور أن ذابت الثلوج الكثيفة .. توجه المهندسون إلى توكوم فى غابات كورزيم .. وكان الموقع الذى وقع عليه الاختيار .. هو خط المواجهة الأخير بين فيرماتش والجيش الأحمر . وحفروا على الطبيعة خنادق عميقة وتحيط بها المستنقعات ويمكن لمجموعة .. ماكسس .. أن تزعم وعلى نحو يدعو للإقناع أنهم قضوا السنوات الأخيرة .. مختبئين عن الشيوعيين .

وفى نفس الوقت ، تولى سيفكس إقناع بيركس ، المقيم فى منزل لرجل أرمل فى ريجا ، أنه اتصل بقائد مجموعة ماكسس وأنه لمن الخطر تماما ، على قائد الأنصار أن يغادر الغابة حتى تذوب الثلوج لأن قوات الأمن ستلاحظ وبسرعة آثار الأقدام . وتأكيداً للمخاطر .. فإن المفتشين فى كل مكان وكان ذلك أسلوب سيفكس المفضل للإخضاع والسيطرة على عميلى المخابرات البريطانية القلقين باللعب على مخاوف وأعصاب العملاء وسيصبح ذلك أداة الـ « كى - جى - بى » فى التحكم فى أولئك القادمين لتحرير بلادهم .

ووافق بيركس ، مرغماً ، على أن ينتظر حتى الربيع ، وأرضى نفسه بطلب المعلومات الصناعية والعسكرية ، والتى يمكن أن يمررها إلى لندن إما بالرسائل المعتادة والتى ترسل باللاسلكى وفى خطابات ترسل إلى بلجيكا وفرنسا والسويد .

ومن المثير لأى شخص ، أن يضطر بيركس إلى كتابة اسمه المرسل على المظروف ، طبقاً للقوانين السوفيتية ، واستخدم أسماء من التى تظهر فى إعلانات الطلاق فى الصحف اليومية . وأرسل إلى لندن مستخدماً اسماً حركيا هو ... ولف ... وقال : إنه

يواجه بعض المشاكل . إلا أنه يثق فيمن اتصل بهم ، وكانت شكواه الأساسية تنصب على أوراق هويته ، وأنها بدائية جداً ..

وفى الثانى من مايو .. انتهى انتظار بيركس .. حيث وافق قائد مجموعة «ماكسس » على موعد لقاء فى حديقة عامة . وقد أخبره سيفكس بذلك ..

واتخذت إجراءات دقيقة حتى يمكن مراقبة بيركس . وارتدى بيركس معطفاً أزرق ولم يرتد قبعة ، وانتظر بين الأشجار حتى الموعد المحدد .

وفى الموعد .. اقترب بوندوليس من بيركس ، وتبادلا كلمات السر وبعد نقاش قصير ، وافق بوندوليس على تقديم عميل المخابرات البريطانية إلى فرقة الأنصار يقودها « جاريس » .

ويحتاج انتقالهما إلى الغابات سرية قصوى .. وقال له بوندوليس : سيلتقطك أحد أعضاء الفرقة فى شاحنة بالقرب من شارع جوركى . وستكون المقطورة مملوءة بصناديق السمك الفارغة .. وسيختبىء كلاكما فى داخل الصناديق طوال الرحلة .

وبعد ظهر يوم ٣١ مايو ، وبعد ساعتين تقريبا من السير على الأقدام . توقف بيركس ، وجالنز فى وسط الغابة . وتحت الأشجار الكثيفة اختبىء أربعة من الأنصار ومن بينهم .. أرفيتس جاليتس « جاريس » والذى خدم ضمن الفيلق اللاتفى ضد الروس أثناء الحرب .

وقد قضى الأربعة ثلاثة أسابيع فى الغابة حتى يتأقلموا مع البيئة . وعند إشارة من جاليتس ظهر أربعة من رجال مسلحون ، كانوا مختبئين وحيوا القادمين الجدد الذين عبروا على الفور عن امتنانهم للأنصار عن السرية المتقنة .

وكانت استراتيجية لوكاسيفكس تعتمد على الصبر .. وأخذ .. الأنصار .. بيركس ، وجالدنز عبر ثلاثة مستنقعات حتى يصلوا إلى المعسكر فى المخابىء ، حيث سيمكثون أطول مدة لازمة لإقناعهم بإخلاص الأنصار .

ويتطلب ذلك بعض الوقت .. حيث يباشر كل من الطرفين تقييماً نقدياً لمن يعاشرونهم .

وكانت العملية أكثر صعوبة على نحو واضح بالنسبة للمضيفين والذين يخشون أية زلة واحدة يمكن أن تكشف المؤامرة .

وعلى الجانب الآخر ، عرض بيركس برهانا بسيطاً .. وقال : لها إعطونى اسم أغنية شعبية تفضلونها وتقدمها لكم إذاعة الـــ « بى ـ بى ـ س » الدولية وإلى من تهدونها .. ويكون لكم ذلك .. ودهش .. عندما ازدرى الحاضرون العرض وقال له جاليتس : نحن نعرف من أنت ونثق بك ، وحكم عمــلاء الــ « كى ـ جى ـــ بى » من جانبهم على بيركس أنــه شخص ذكى وقوى ذو فكــر واهتم بالأســاس أن يبدأ بجمع الموجــودين حولــه .. وأظهــر ثقته .. وذكــر لكل فــرد من الانصار بــالتفصيل عن خلفيتــه وليس من عادتــه الارتباك عن أى سؤال مفــاجىء حول نقطة محددة .. وقد تعرض لســؤال بعد شهرين عندما حكى عن موضوع معين .. وقيل له مع من سرقت هذا البنك . وفوق كل ذلك كان بيركس يستمتع بلعب الشطرنج وأداء لعبة الورق .. والتى علمها لكل المجموعة .

أما جالدنز فكان أكثر قلقاً ومتــوتر الاعصاب ، ويمارس روتينا يوميا مملاً ينظف الأسلحة . ويأكل وينــام .. وأحيانا يعوق نــومه الإرسال بالــلاسلكى . ويصبح عصبياً بسهولة .. وقــال عنه جاليتس « وعلى وجه خاص .. جالــدنز .. دائماً شكاك » ، وذلك فى تقرير بعث به إلى مسئوليه فى ريجا .

وينفعل جالدنز تجاه أية ضوضــاء تنبعث من شجرة تحترق فى الغابة . خشية أن تكون جاسوساً من الــ كى ـ جى ـ بى .

وكثيراً ماحذر جالدنز المجموعة بأن المفتشين الروس مهرة جداً .. وعليهم الا يتركوا أية آثــار لهم بعناية ، وأن تكــون هناك حراســة دائمة .. ويوفى كل فــرد من الموجودين لمواقفه .. ويؤكد جاليتس أنه مــن الأفضل الا يغادر الغابة ويعتمد على الأنصار فى جمع الاستخبارات والحصول على الطعام ..

ووافق جالدنز .. ولكن آثار سخطــه على هذا الوضع لفقدان الحركة مجادلات بينه وبين بيركس الذى يهتم أكثر بإرسال الاستخبارات إلى لندن وتدريب مشغل لللاسلكى جديد ..

واختار بيركس واحداً من بين الانصار هو .. كازيماس كيبورس « كمتدرب مثالى » فهو يبلــغ من العمر ٢٤ عــاما وقد فسر بيركــس دوافعه لعــداء الشيوعية وقــال « قبل الحرب كان والدى نائباً لرئيس البــوليس وحكم عليه بالسجن لعشرين عاما من قبل الـــ « كى ـــ جى ـــ بى » ومنــذ أن أرسلت والــدتى وأختى إلى سيبيريــا فى حملات التهجير الجماعى فى العام الماضى ، هربت إلى الغابة .

وخلال ثلاثة شهور .. علم بيركس « كيبور » تكنيكات » الشفرة ونقلها ، وبفضل ذلك وفى نهاية الفترة أصبحت سرعة التلميذ تصل إلى ستين رمزاً فى الدقيقة .

ولم يكن بيركس يدرى ان كيبورس يتقن معدل ١٢٠ رمزاً فى الدقيقة بفضل تعليمه فى مدرسة الـ « كى - جى - بى » فى موسكو أثناء الحرب . وفى أكتوبر سنة ١٩٥٠ بعث بيركس بإشارة إلى « جابرييل » وهو الاسم الحركى لسيالدجاس فى المراسلات الشفرية ليقدم له مشغل اللاسلكى الجديد .. وبعد سلسلة من الاختبارات ، وصلت موافقة من لندن وتقول « إن مشغل اللاسلكى يبشر بآفاق طيبة » ، مع عرض أن يصبح كيبورس عميلا كاملاً للمخابرات البريطانية بمرتب عشرين جنيها استرلينيا فى الشهر . وكان المرتب المعتاد ، وسيودع المبلغ بانتظام فى حساب بأحد بنوك لندن وحددت المخابرات البريطانية اسماً حركيا لكيبورس هو « ليوقا » أو بالأسد » ودعى بيركس للاحتفال بتلك المناسبة على زجاجة فودكا . وعندما أتى الكحول بمفعوله .. وضع بيركس يده على ظهر صديقه واعترف لـه بانه خلال الأسابيع الأولى شك فى أن الانصار هم ضباط الـ « كى - جى - بى » وضحك كلاهما .. وشربا نخباً آخر .

ولم تكن برودوى متأثرة بالنتائج التى حققتها المجموعة .. واشتكى المحللون البريطانيون من أن المعلومات هزلية وتتضمن معلومات عن أنواع الطائرات ، والظروف الاقتصادية ومعدلات الإنتاج فى المصانع الاستراتيجية وصوراً لشخصيات من الحكومة وموظفى الحزب وأماكن معروفة لانتشار القوات فى المنطقة ، وكشف الخبراء فى لندن أن تلك المعلومات ربما تكون غير دقيقة .. بالرغم من أن تلك المادة التى أرسلت من لاتفيا .. ضمنت ملخص الاستخبارات البريطانية الـذى يعرض بـانتظام على رئيس الـوزراء ووزارة الخارجية .

وكان فيفرس أيضا مهتما .. بفقر نوعية الاستخبارات التى سلمها لبوندليس ، ولكن عموماً كان هناك قيداً فى موسكو للإفراج عن نلك المعلومات وحتى لمجرد الحفاظ على عملية هامة ومسموح فقط بتغذية لندن بالمعلومات المنشورة فى الصحف لأنه حتى المعلومات الخاطئة « السرية » ستثير شكوكاً وخيبة أمل . وكان طموح ماكين وساليرجاس يعتمد على بيركس وإرساله استخبارات أفضل حتى يوسعا من العمليات .

وقوبل طلب بيركس من الأنصار لمزيد من الاستخبارات بالرفض القاطع وقالا له جاليتس وبوندليس : « إننا نريد مساعدة من الغرب .. وليس العكس من ذلك .. » .

وكانا فى ذلك يعكسان تعليمات تلقوها من لوكاسيفكس عبر عميل للـ « كى ـ جى ـ بى » وله منزل يقع على بعد أربعة كيلو مترات من المعسكر وكان يُرى غالباً وهو يتجول فى الغابة .

وأجاب بيركس « المساعدة تعطى لمن يساعدون أنفسهم »

وكان الصراع من أجل البقاء فى الغابة .. حصنـه تدريجياً ضد الواقع .. ولكن تغير ذلك على نحو حاد عندما وصلته صحيفة فى يناير سنة ١٩٥٠ أعطاها له جاليتس وجاء فيها أن الحرب قـد اندلعت فى كوريا وقـد شرح جاليتس الأمر بقـوله .. تلك هى الحرب العـالميـة التى تـوقعها الجميـع وستنتهى بهزيمـة الشيوعيـة « وسـترسل المخـابـرات البريطانية المزيد من المساعدات » .

وبينما كـان بيركس وجـالـدينـز فى الغابـة .. كـان الـرجل المسئـول عنهما وعن مصيرهما « هارى كـار » يعبر الأطلنطى على متن أفخر السفن « كوين مـارى » وكانت تلك أولى رحلات كـار إلى الولايات المتحدة ، وكـان مينزيس ، قرر أن تنسق المخـابرات البريطانية على نحو أوسع فى شأن عملياتها السوفيتية مع المخابـــــرات الأمريكية الـ « سى ـ أى ـ ايه » . وخاصة منذ التعاون الوثيق فى ألبانيا والذى أثبت فائدته الكبرى .

وفى ١٤ أبريل سنة ١٩٥٠ أصدر مجلس الأمن القـومى توجيها جديداً (رقم ٦٨) والذى أمـر فيه المخابـرات الأمريكيـة بشن هجوم مضاد ، غير عسكـرى ضد الاتحاد السـوفيتى وبتشجيع القـلاقل والتمردات .ومـرة أخـرى .. تأثـر ضبـاط المخابـرات الأمريكية بالنص الحرفى للتوجيه وبالأحداث وكذلك بالحرب فى كوريا .. وفى ذلك الظرف الطارىء تطلعت الوكالة إلى المخابرات البريطانية كحليف مخلص ومؤهل .

وكـــان كار يمـــثل عنـــد المخـــابرات الأمريكية نمـــوذج وتقاليد وكفاءة الوكـالة « البريطانية » .

وكان من بين أوائل المرحبين بكار فى واشنطن ، مسئول المخابرات البريطانى المقيم فى واشنطن كيم فيلبى . وكـان الاثنين قد أصبحـا صديقين بين عـامى ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ عندما كان كار يبنى شبكة العمليات الشمالية . وكان فيلبى مسئولاً عن القسم التاسع . وفى خلال العـامين الذى خـدم فيهما فيلبى فى تركيـا لم تتقاطع طريـق الرجلين ، حتى ترقيـة الجاسوس ووصـوله إلى واشنطن فى أكتـوبر سنـة ١٩٤٩ .. وكان فيلبى يحس بخيبة أمل تجاه كـار .. لان ولع كار بـالسرية قد حـد من كمية المعلـومات التى حصل

عليها جاسوس الـ « كى ـ جى ـ بى » من لندن .

وفور وصـول كار إلى واشنطن .. اصطحبه فيلبى إلى « التيمبـو » فى شارع « ى » حيث مقر الـ « سى ـ أى ـ إيه » وقدم الزائر رسمياً إلى هارى روستزك رئيس القسم السوفيتى فى الوكالة الأمريكية ..

وضعفت طبيعة الرجل الانجليزى المتحفظ إلى حدما عندما أدرك أن العضو المقابل له .. محب للانجليز بسخاء ، ومخلص أيضاً فى محاربة الشيوعية .. ونوى وانتوى كار ان يناقش ولكن فى خطوط عريضة عمليات في بولندا ، وأوكرانيا ، ودول البلطيق ..

وكلا الجهازيـن .. الأمريكى والبريطانى قد أسقط بـالمظلات فريقاً لـه فى أوكرانيا سنـة ١٩٤٩ ولكن اختفى العمـلاء وافترض أنهما وقعـا فى الأسر . وخططت الـوكـالـة الأمريكية سنـة ١٩٥٠ لستة عمليات إنزال وأملت الـوكالة البريطانيـة إرسال أكثر من فـريقين على الأقل ، ولم تتركـز الحاجـة للتعـاون على أى المجمـوعـات هى التى تتلقى المساعدة الغربية ولكن أيضا على مواعيـد المهمات والمناطق المستهدفة للإنزال . وتبادل كار وروستزك المعلومات السرية والفنية وكان هدفهما تجنب أى خلافات خطيرة .

وبنـاء على طلبهما .. دون فيلبى مـلاحظات للـرجـوع إليهـا مستقبلاً . وعنـدمـا استدعـى فيلبى .. كانت المنـاقشات الســائدة حول المناوشـات التى يقوم بها القـومى والأوكرانى « ستيفان بونديرا » .

وقد بدأت علاقة انجلترا مع بونديرا فى الثلاثينات عندما كان رئيس المنظمة القومية الثورية الأوكرانية .. واتصل به ضابط بالمخابرات البريطانية ومعه عرض محدد بوضع شبكته من « المخبرين » داخل الاتحاد السوفيتى تحت تصرف بريطـانيا ، وقبل بونديرا العـرض ولم تتلق منظمته مســاعـدات ماليـة فقط ، بل مســاندة من انجلترا .. وجـرت محاولات بث عمـلاء المنظمة القـوميـة الثوريـة الأوكـرانية من فنلنـدا وعبر الحدود إلى الاتحاد السوفيتى .

وكان ضابط المخابرات المسئـول عن تلك العمليات هو كار والذى أصبح وظل على علاقة مع بونديرا القومى المعادى بحماس للشيوعية .

وفى سنة ١٩٤٥ لم يعثر كار عن معلومات عن نشـاطات بونديرا فى حالة الحرب ، وكان غرضه الوحيد الذى سيطر على عقله هو مواصلة النضال ضد الشيوعية .

وفى سنــة ١٩٥١ .. كـان بعيدا عن الاحتمال أن يكـون كـار على علم بأن جماعـة بونــديرا قــد ارتكبت فظائع أثنــاء المواجهة مع النــازى ، أو يكون .. طبقــا لمساعــديه .. متعاطفا مع إجراء أيــة تحقيقات عن ماضى بونديرا وكــان اهتمامه الجارف هو الحملة الراهنة ضد ستالين .

واعترف روستزك لأن اجتماع واشنطن مع كــار بأنه « كان مهتاجــاً ويفكر بما فى باطنى » وعلى أيــة حال فإن قلقه تلك المرة قــد نحى جانباً وكان كــار يثق فى الأوكرانيين أيضــا بوضــوح كما كان يفعل مــاكبن مع أبنــاء البلطيق . وبدا أن المنفيين عنــاصر لها قيمتها .

ولم يكن احد مستعــداً للتفكير أن أولئك عناصر ضائعــة .. فالكل مشبع بــالتفاؤل بزرع العملاء فى قلب أكذوبة ستالين ..

وأبلغ كار روستزك أن بريطانيا نشطــة فى منطقة البلطيق وتنوى زيادة نشاطها .. ولكنــه ليس فى حلٍ .. لــذكر التفــاصيل لأن الأمــريكان لم يكــن لهم عناصر فى المنطقــة ولاحاجة للتنسيق ..

وأعلن روستزك .. ننوى إرسال العملاء إلى ليتــوانيا وأيضاً دون ذكر للتفاصيل .. وهل يمكننا تبــادل الرأى على مستوى « المكتــب » ووافق كار على قدوم قــائد العمليات السوفيتية فى ميونيخ جورج سيلك إلى لندن للتشاور مع ماكبن .

وكان هناك قليل مِـن التطبيع بين روستزك وكار ، قبل أن يعود ضــابط المخابرات البريطانية إلى بريطانيا مسروراً برحلته وعند عودته .. عرض على أسرته « قائمة الطعام فى السفينة كــوين مارى » وتعجب كل فــرد ، عندما قــارن تلك القائمــة بذلك التقشف الصــارم فى حيــاتهم اليــومية ، وأن هنــاك تلك الــوفــرة من الطعــام على متن السفينــة البريطانية .

طار جورج بيلك إلى لندن من ميونيــخ بعد ذلك بفترة قصيرة ، للقاء ماكبن وتبادل الخبرة فى أوروبا ، وكــان هناك تخميناً بأن ستــالين سيغامــر أثناء انشغال أمــريكا فى كوريا ويشن هجــوماً مفاجئاً فى الغرب .. وكــان بيلك يشعر بضغوط من واشنطن لبث العملاء فى روسيــا ويحتاج إلى إعادة تأكيــد على خططه . وكــان يحترم وبلا أدنى خجل سمعــة المخابــرات البريطــانية وإن أخفى مــاكبن صراحــة شعــوره بأنه يمثل جهــاز المخابرات الأكثــر تفوقاً ، وكان الضابط البريطانى مضيفــاً حميماً ودعاه الأمريكى إلى ناديه للغداء وإلى منزله للعشاء . ودهش بيلك عنــدما شاهد جهاز التليفزيون الدقيق فى

غرفة معيشـة ماكبن . وإن كان يثق على نحو خـاص بأن تلك الطوائف لاتمتد إلى إدارة المخابرات البريطانية ، ثم طرق موضوعاً عن بعض التطورات الحديثة فى ليتوانيا .

وقال الأمريكى : أدرك أن المخابرات الأمريكيـة تدير تقريباً كل العمليات فى البلطيق مع بعض مشاركـة سويـدية .. وبالطبـع هناك المكتب الثانى (المخـابرات الفـرنسية) والتى احتكرت مجموعة VLIK الليتوانيـة ولكن هذا تغير ، فلقد انتهت تلك المجمـوعة إلينا وهناك بعض الحزن .

استمع ماكبن إلى بيلك وهو يتناول قصة حساسة والتى آثارها حديثاً زايمينس .

وفى يناير زار ميسنجور كـروفيكس ، قائد جماعة VLIK واشنطن حيث وعده كبار موظفى الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض لأول مرة بالدعم السياسى والمساعدة المادية للعمليـات السرية . وقبل عـودته إلى أوروبـا التقى كروفيكـس مع فيافـدا وهو ضابط مسئول بالـ « سى ـ أى ـ إيه » وأكـد له أن الوكالـة ستزود الجماعة VLIK بالمال والمساندة .

وفى يونيو سنـة ١٩٤٩ انتقل الكولونيل انتناس سوفا وأسرتـه إلى ميونيخ .. وهو القائد العسكرى للمجموعة .

بناء على دعوة من بيلك ، وكانت الوعـود الأمريكية ممتدة .. « سنعطيكم المساعدات الكثيرة التى تطلبونها إذا جئتم معنا . ولم يكن هناك من حدود » .

وكان بيلك صادقاً فى مكمنه ، حيث عاش شـوقاً واستقر فى مقر إقامة مريح وتحت تصرفه نقـوداً لاحدود لها وقـدم للوكالـة الأمريكية ثمانيـة عملاء أكفـاء اختارهم من جماعة VLIK للتدريب .

وفى الأسبوع الذى انـدلعت فيه الحرب الكورية قُدم إلى بيلك منحة .. هى لـوكاشا واثنين من الليتوانيين الذين غيروا ولاءهم .

وبعـد ١٨ شهـر من التدريب على يـد المكتب الثـانى رافقهم الجنـرال شميتلن إلى قاعدة جوية عسكرية خارج باريس فى المرحلة الأولى لعودتهم إلى ليتوانيا .

وفى اللحظة الأخيرة .. ألغيت المهمة حيث فقدت الوكالة فريقاً مكونا من ثلاثة رجال أرسلوا من السويد إلى روسيا ، وشكت المخابرات الفـرنسية فى خيانة أحد أعضاء فريق لوكاشا .

وكان ولاء لوكاشا للفرنسيين هشا .. وسرعان ما عرض نفسه على وكالة المخابرات المركزية الأمـريكية ، وقبل بيلك العرض وكان لوكـاشا مدرباً جيداً ولـه اتصالات طيبة وسط الأنصار الليتوانيين وكـان فى « مفهوم » الـ « سى ـ أى ـ إيه » « جـاهز للمهمة » وكانت تلك المشكلة التى شرحها بيلك إلى ماكبن .

وبأية حسـابات .. فإن لـوكاشا امتلـك مكونات بطل من أبطـال هوليـوود .. فهو جذاب وشجاع ومخلص لعقيدته الكاثوليكية ولقوميته أيضا .وكان يقضى خمسة عشر دقيقـة يوميـا قبل جلسات التـدريب فى الصـلاة ، وكان تشـدده نتيجة لخبراتـه ، مثل الكثيرين من أبناء وطنه .

وقد وقـع عليه أبلغ الضرر بعودة الشيـوعية والتهجير الجماعى وهـرب مع آلاف الشباب إلى الغابات وانضم إلى « إخوان الغابة » لمحاربة الديكتاتورية .

وحينما ترك بحثاً عن المساعدة . كان يعذبـه الغياب عن الكفاح ، وكان فى خطاباته التى أرسلها إلى خطيبتـه من مستشفى للأمراض الصـدرية فى بـاريس ويعالج بها من مرضه ، ميلودراميا ولكن صادقـاً قال « لاأستطيع أن أفهم لماذا أنا هنا وتركت الميادين الملطخة بالدم فى ليتوانيا ، محبـوبتنا ليتوانيا التى تصلب وتتلوى من الألم وأتألم أننى لاأعـانى نفس المصير والموت مثل الآلاف . أشعـر بصرخـات الجحيم وأحـاول أن أرى الوجوه التى روعهـا الكابوس وبدموعى احـاول أن أضىء مشاعرى ، ولكن أرى دائما الطرقات قد امتلأت بالأصدقـاء الذين لحقهم الموت . وأتوق للحياة .. ولكن أبداً أريد أن تكون عظامى بجوار أولئك الأصدقاء المدافعين حقاً عن الحرية » .

حتما .. سيشتد كـرب لوكـاشا عندمـا يستمع عبر نافذة حجـرة نومـه إلى صوت النصارى مبتهجين « ضاحكاً .. مملوءاً بالسعادة ولامخاوف ولاأنين النساء الأرامل أن الأشياء تصبح ثمينة عندما تكون صعبة المنال » .

إن ضغط الإحساس بالعجـز زائد عن الحد .. خاصة إذا كان يتعلق « بـالدفاع عن قضيتنا » وأكره الناس الذين يساعدون بصمتهم على صلب أمتنا .

وعشية التحرك إلى ميونيخ زوجه كرويفيسكس عروساً تسمى « نيجولى » وكانت عروسه الـزوجة الثانية ، الأولى ليتوانيـة وانفصلا بعد ستة « أيـام عسل » والتقيا مرة أخرى . وقام بتلك المحاولة الصغيرة ليخفى حقيقته وحتى يوحى بأنه سيموت من أجل قضيته .

ولم يكن لدى لوكاشا شــك من أن الـ « سى ـ أى ـ إيه » هى خلاصته . وقــال : « أخيراً أنــا مع أناس يعتقــدون أننا نستحق الحريــة » وهــذا مايــريده بــالضبط بيلك شخص ذكى مفعم بالمثل المخلصة ..

وأزعج لوكــاشا بيلك فى منــاقشاتهما بإقنــاعه أن شبكة المخــابرات البريطــانية فى ليتوانيا اخترقتها الـ « كى ـ جى ـ بى » .

وأخبر بيلك مــاكبن فى لندن فى يــونيــو سنة ١٩٥٠ بــالقــول : إن رجلنا يعتقـد أن ديكسنس قد تحول ، فماذا سمعت منه منذ عودته ؟

وتــوقع ماكبن الســؤال . لأن العداء بين المجمــوعــة الخاضعة لإشراف بــريطانيــا VLIK والتى يقودها ديكسنس ..

ووصلت ثلاث رسائل فى يونيو من بــريدس « مسئول ديكسنس » ومنذ وصولهم فى الأول من مايو .. حكموا على الجميع بالثقة .. ولكن الرابع كان محل شك .

وكانت الرسالة مجرد دعاية ووصلت متزامنة مع رسالة من بيبلس ، العميل الثالث فى المهمة يسأل فيها إذا كــانت المخابرات البريطانية تعلم مــلابسات اختفاء ديكسنس ، وفى الواقع .. أن ديكسنس وبــريدس ألقى القبض عليهما ولم يعرف شىء عن بــريدس ومن المحتمل أن يكون أعدم .. اما ديكسنس ، فربما ، يكون قد وافق على التعامل مع الــ « كى ـ جى ـ بى » .وبعــد أربعة شهور فيما بعد قتل بيبلس فى معركــة داخل الغابة مع الــ « كى ـ جى ـ بى » .

وفى لندن ، عرف ماكبن أن الــ « سى ـ أى ـ إيه » تمتلك أساساً معقولة للشك ، ولم تكن لديه النية أيضا بأن يكشــف للأمريكيين أن ديكســــنس فى إجابته على ســـؤال « خدعه » تضمنه خطاب أخير قد فشل فى الاختبار .

ولايريد أن يعتمد ادعاء زايمنتس بأنه كان هدفا لمحاولة اغتيال فاشلة فى السويد .

وأخذ مــاكبن حكمه من زايمنتس ، الذى هو بــالمقام الأخير لايستطيع أن يشكك فى إخلاص وولاء أى شخــص .وأخبر ماكبن بيلك مــؤكداً « أننا على اتصــال مع ديكسنس وبينما هناك شكوك دائمة حوله فإننا نعتقد أنه أهل للثقة تماماً » .

وعاد بيلك إلى ميونيخ ليعيد التأكد والمصادقة على مهمة لوكاشا .

وقد اعتقــدت المخابرات الغــربية والمنفيون أن الانصــار بالبنادق الآليــة وأجهزة الــلاسلكى إنما يشقون سبيلهم لــلإطاحــة بستالين . ومنــذ سنة ١٩٤٥ .. حث قــادة

المنفيين شعوبهم بالانتظار حتى تحين إشارة التمرد ضد الشيوعيين .

ووصل مئات المتوسلين من جماعات الضغط الممثلة لملايين المهاجرين فى أوروبا الشرقية إلى البيت الأبيض ووزارة الخارجية .. ويحثون بإصرار الساسة الأمريكان على الاعتقاد بأن هناك حركات خلف الستار الحديدى تتصدى للقهر السوفيتي ، وتحتاج إلى دعم .

وحمل الضغط الكونجرس إلى عقد جلسات استماع علنية سنة ١٩٥٠ عن « العدوانية الشيوعية » وكان الساسة فى طليعة من يحثون البنتاجون والـ « سى - أي - إيه » بمساندة الأنصار .

وعندما عاد بيلك إلى ميونيخ من لندن ، لم تكن الخطة أكثر ملائمة للمنفيين ليبرهنوا أن كلمتهم لم تكن من منتجات « مصنع الأحلام » .

ولم يتوقف أحد ليسأل أو يفكر أن سكان دول البلطيق مثل الأوكرانيين والقوميات السوفيتية الأخرى عانوا حرمانا لامثيل له واحتلالاً وحرباً لأكثر من عشر سنوات وأنهم مجهدون ومنهكون .

ولم يتلق بيلك ولا الآخران فى الـ « سى - أى - إيه » أى تقارير شهادة عيان مدعاة للثقة .. ولامواجيز استخبارية عن الاستراتيجيات الأخيرة للـ « كى - جى - بى » لضرب الأنصار ، ولاعن الزراعة الجماعية الإجبارية ، ولاعن الترحيل القسرى لعدد ٣٥٠ الف ليتوانى إلى سيبيريا . ومذبحة لآلاف الأنصار فى معارك قاسية ، وفضل بيلك أن يقبل زعم كوربفيسكس ، وسوفا .. بأنهم وهبوا معدة للقتال ، ولم يشك أحد فى ميونيخ فى حكمتهم ولم يتوقف أحد ليتأمل كم الوقت الذى تستغرقه عملية بناء مقاومة موثوق بها .. وشبكة جاسوسية خلف الستار الحديدى .

ولأن كل فرد ظن أن إطار العمل موجود وقائم . وفى نهاية اليوم .. عندما يجلس هؤلاء فى الفيلا المستولى عليها حول ميونيخ تبدو المحصلة مثبطة للهمة ، وذلك أن معنويات أكثر العملاء المخلصين والشجعان تتعثر .

وبيلك يتقدم ليلقى خطبة حماسية « إننا نحارب من أجل الحرية » وهو لاشك فى ذلك مخلص ، وتنتعش معنويات عملائه . ولكن لبعض الوقت فقط . ثم يتحول بيلك إلى سوفا ، وكوريفكس ليزودهم بالآمال والتطلعات وأن قضيتهم تستحق التضحية ..

وفى نهاية سبتمبر سنة ١٩٥٠ وصل خطاب من لوكاشا إلى زوجته نيجولا يخبرها فيه أن زوجها فى عشية الرحيل . وقال فيه : « إذا كان مصيرى أن اقتل ، فلتحلمى أننى سعيد حيثما أكون واجعل حياتك سعيدة .. لاننى سأصبح جزءاً من تراب وطنى والذى هو الآن مشبع بالدم » .

وفى الأول من أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، لوح لوكاشا واثنان آخران بتحيات إلى بيلك .. والآخران هما بيندكتوس ترامس ، وباولوس سيرفاس . وهو مشغل جهاز اللاسلكى ، وحمل لوكاشا اسماً حركيا هو « سكرجانيوس » وسلم قائد الفرع مبسم سيجاره الفضى وابتسم ، وسار واثق الخطى إلى شاحنة منتظرة .. ولم يكن معهم بطاقات هوية ، ووافقوا على ذلك لأنهم لن يعودوا إلى الغرب . وبعد ست ساعات كانوا فى القاعدة الجوية الأمريكية فى فسبادان وكان هناك طياران جاهزان للتوجه إلى الشمال الشرقى بطائرة من طراز (س ٤٧) ستتوجه إلى منطقة الإنزال بالعملاء .

وكان الطياران قد سبق لهما إنزال اثنين من الأوكرانيين منذ عام مضى ولذا أتقنا إجراءات الإسقاط الآمن وطارا على ارتفاع مائتى قدم عبر الحدود الروسية ثم ارتفعا فى اللحظة الأخيرة إلى ٥٠٠ قدم وهو أدنى ارتفاع لإنزال بالمظلات وشعروا بالفخر لأن رادار العدو فشل فى التنبه للمقتحمين .

وبعد يومين من ذلك وفى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، وفى طقس حسن أقلعت الطائرة (س ٤٧) .. وأعطى كل عميل بخلاف المعدات عشر ساعات ، و٣ آلاف روبل وألفى جنيه استرلينى .

وهبط الثلاثة عملاء فى منطقة تورجيس بعد ثلاثين من السقوط من الطائرة ، وفى ظلام موحش .. وسمع سيرفاس زميله لوكاشا يقسم بأن كتفه جرح بينما ترامبس يلعن المظلة التى تحمل نصف معداتهم وأغذيتهم والتى اختفت ، وقرر لوكاشا بألم واضح « أن ظلام دامس ويتعذر علينا البحث ويجب أن نبتعد » ودفنوا بقية معداتهم وأمسكوا بالبنادق النصف آلية .. وكشف الفجر أنهم يبعدون مائة ميل عن منطقة الهبوط المقررة وبعد أسبوع فيما بعد ، اجتمعوا أخيرا مع رفاقهم من « إخوان الغابة » .

ولم تكن الأخبار مشجعة ، حيث أكملت فرقة من الجيش الأحمر زحفها عبر الغابة . وبعد سلسلة من المعارك الطويلة والقاسية قتل فيها مايقرب من مائة فرد من الأنصار

وكان الواقع قاسياً : فالحرب التى اشتعلت منذ خمسة أعوام على وشك أن تنتهى ، رغم أن الغابات لاتزال آمنة نسبياً .

وكـانت أول رسالـة شفـريـة تصل إلى ميونيخ ، سلمهـا لـوكـاشا إلى سيرفـاس لإرسالها. لم يرد فيها ذكر عن خسارة حرب . وكانت تقريراً فقط عن وصولهم الآمن .

وفشلت المحاولة الأولى من سيرفـاس لنقل الرسالة فى ٢١ أكتـوبر .. بعد أن تلفت بطاريات جهاز اللاسلكى بعد استخراجه من قرب منطقة الإنزال .. وبعــد اســتخدام « مولد » جاءوا به على عجل كان سيرفاس متأكداً أن بث الرسالة فى اليوم التالى سيكون ناجحاً .

بعـدما تلقى شكـراً من ميونيخ عبر الجهـاز واكتملت الدورة .. وخُبىء الجهـاز فى غرفة فحم ، ووقف لوكاشا يكتشف حالة الأنصار واستقر سيرفاس فى مخبأ بالغابة فى حالة خاملة . ويستمع إلى الإشارات وجاهز لبث رسائل لوكاشا إذا طلب منه ذلك .

وقال جـوردون ستيورات إلى فيـافدا فى ٢٢ أكتوبـر سنة ١٩٥٠ : « إن الـرسائل مشوهة » إن الخبير الليتـوانى قد حصل على إجازة من أمريكا ليكون فى ألمانيـا ، عندما فُجرت مهمة لوكاشا .

وانتظر مع رئيس الـــ « سى ـ أى ـ إيه » فى مقـر الإدارة فى « كارسروه » لاكتشـاف النتيجـة وهيجت أنباء ستيـورات أعصـابه وقـال : « علينـا ألا نراسلهم . كل المنظمـة مخترقة . ديكسنس غدر بهم وخانهم » .

وفى ميونيخ قبل بيلك شكـوك فيافدا باعتبارهـا مدعاة للثقة . وقـال إلى الكولونيل سوفا: « من الممكن أن يكـونوا قد اعتقلوا أو تحولوا » وصدم القـائد العسكرى لجماعة VLIK .. إن المخاطر التى حسبت لها الوكالـة كانت أكبر كثيراً مما يتخيل .. وصـاح فى بيلك قائلاً : « من الجنون الاعتقاد بأنك تستطيع أن تبنى شبكة مقاومة بهذه الطريقة .. إنهم تستغرق سنوات إننى أعرف الروس » .

وبعد اسبوعين فيما بعـد وصلت رسالة أخرى من سيرفـاس وكان قد حصل على الاشارات الشفرية من لوكاشا عبر رســول .. ولكنه لم يعرف محتوياتها على وجه الدقة واعتقد سيرفاس أن ذلك يجزم بأن مأزق الانصار أسوأ ممـا توقع وأضاف أنه لايوجد دليل على التعبئـة الـروسية ، وأقنع ذلـك بيلك وفيافـدا أكثـر بـالخيانـة . وإذ يعتقـد

البنتاجون والساسة بأن روسيا تعد للحرب ويرسل لوكاشا بالعكس .. وكانت هناك أرضية للشك بأنه إما اعتقل أو تحول .

وأعطيت مهلة إلى بيلك بالعودة إلى لندن ولم يكن هناك أى ملمح للبغضاء عندما أجمل بيلك شكوكه إلى ماكبن فى لقاء صريح فى برودوى ، ومرة أخرى أعلن على مخاوفه ان يكون ديكسنس خائناً ، ومرة أخرى أخبره ماكبن .. بينما هناك دائما شكوك .. فإن الوكالة البريطانية تثق فى ديكسنس .

وطار بيلك عائداً إلى ميونيخ وأعد تقريراً إلى واشنطن يشرح فيه شكوكه ولايقدم حلاً . وللمصادفة .. كان كار على وشك أن يصل إلى واشنطن لمزيد من المشاورات مع روستزك وكان الأمريكى قد أقنع بأن العملية الليتوانية تعرضت للخيانة من قبل عميل بريطانى وطالب اجتماع « مواجهة » وجهاً لوجه ورغم أن العمليات فى أوكرانيا كانت الأكثر أهمية فى جدول الأعمال .

وطبقا لقول فيافدا « فان مصداقية ديكسنس لم تكن مؤكدة » .

وسأل روستزك .. هل يمكن لأى شخص أن يخرج مرتين من روسيا بهذه السهولة ؟

وكان ذلك بالنسبة لكار « مجرد طريق آخر لترديد سياسات المنفيين التى تصيب بالضجر » .

إنها مجموعة VLIK ضد مجموعة VLAK وليست من شئون الجاسوسية فى شىء ، وكان فيلبى حاضراً الاجتماع مرة أخرى كسكرتير لتسجيل الجلسة .. عندما رفع البريطانى والأمريكى صوتيهما كل على الآخر .

وسأل روستزك : هل تعرف أى من تلك العمليات تحت السيطرة الروسية ؟

ورد كار : عملياتنا لا .

واشمئز روستزك وقال : كيف يمكنك ان تتأكد من أن عميلك ليس تحت السيطرة ؟

وأجاب كار : نحن متأكدون .

وقال روستزك : ولكن كيف يمكنك أن تتأكد ؟

وأجاب كار : لأننا قمنا باختباراتنا ومجموعتنا محكمة ضد الاختراق .

ورد روستزك : وكذلك نحن .. ولكن هناك مجموعة واحدة مخترقة .

ودافع كار : أعتقد أننا نعرف عملنا مع تلك الواحدة .

وكـان فيلبى يدون فى عجلـة المحادثـة المتبـادلة حـرفياً . وكما ادعى فيما بعـد أن المخابرات البريطانية والـ « س ـ أى ـ إيه » كانتا لهما دمى في البلطيق ولايمكن التوفيق بين الطموحـات المتنافسة بينهما .. وهذا مـالاحظته بين الجماعات المتصارعـة وقتالهم المتكرر لأنفسهم . وفى إحدى المرات أصبح الموقف خطيراً ممـا استدعى أن يُرسل هارى كار خبير الشمال الأوروبى فى بـرودوى إلى واشنطن ومعه عـرض يائس لإيقـاف هذا العفن . وانتهت زيارته بكارثة حيث تبادل كار والأعضاء المناظرين له فى الـ « سى ـ أى ـ إيه » الاتهامات كل لـلآخر بالكذب بالجملة .. وهـذا حق تماماً .. وكان ذلك على مائدة الاجتماع ..

ولم يكن فيلبى مدركاً لكل تلك المفارقات . رغم أنه عرف ديكسنس عميل المخابرات البريطـانية منـذ رئاسته للقسم (٩) .. ولكنـه لم يعرف أن هـذا الليتوانى كـان تحت سيطرة الـ « كى ـ جى ـ بى » .

وأبلغ فيلبى المركـز فى موسكـو بمحادثـة كار وشعـوره النهائى حيث قـال :« إن برهان صـدقنا هو أننا نصعد مـن نشاطاتنا » وفى ديسمبر كان عميـلان ليتوانيان على وشك الإنـزال فى شاطىء بـالانجا عن طريـق كلاوس . وهما : الجيس ليخمانـز وبول جاينزكـاس ، وكلاهما ضابط لاسلكى مدرب ومن المقـرر أن يلتقيا مع ديكسنس وبعد ثلاثين عاما فيما بعد عبر كار وبكل أسف ومرارة عن الحماقة التى لانظير لها ..

ولأن كـار أبحر عبر الأطلنطى عنـد عـودته إلى انجلترا .. ولم يـر عنـاوين صحف نيويورك التى تبرر لحكمة إرسال فريق من العملاء .

وفى نهاية نوفمبر .. شنت الصين الشيوعية هجـوماً مضـاداً فى كوريا وفى الأسبوع الثانى فى ديسمبر .. قالت الصحف ، وكار لايزال فى البحر ، إن الجيش الأمريكى يتقهقر وتعمه الفوضى ..

وكان بعض الخبراء يتضاربون حول ضخامة الكارثة المفاجئة .. وأن حرباً محلية على الجانب الآخر من الكـوكب تتحول الآن إلى هزيمـة أمريكية كبرى . ومـاهى النتائج لذلك على أوروبا ؟

وبدت انتصـارات الأعداء كـاسحة : أوروبـا الشرقية والصين أصبحت شيـوعية

وهناك القنبلة الذرية الروسية وحتى فرنسا بدت الضحية الجاهزة للسقوط فى أسر الهيمنة الشيوعية .

وعلى قمة هذا كله ، كلاوس فوخس العالم الذرى والذى ذهب من بريطانيا إلى لوس انجلوس أثناء الحرب أصبح الآن متهما بالتجسس لحساب السوفيت وكان ذلك عند كار .. البرهان الأخير أن الشيوعية الدولية صار لها شبكة محكمة ، وفكر .. فى الحاجة إلى العملاء داخل الاتحاد السوفيتى حتى يحذروا المخابرات البريطانية عن أى هجوم وقائى .

وفى لندن ، كان ماكبن وثلاثة ضباط من البلطيق يجندون وبكل ما فى طاقتهم .. أبناء البلطيق للتدريب .

وفى منزل .. فى غرب لندن كان الشباب الليتوانى يحتل هذا المنزل وقد أتوا إلى بريطانيا كعمال زراعيين تحت مظلة مشروع « ويست وود هو » .

وعملوا بعد ذلك فى أعمال النقل بلندن وبعدما يفرغون من الشراب فى الأمسيات .. كان الموضوع المفضل لديهم للحديث هو إمكانية حرب عالمية جديدة تهزم الشيوعية ، وكان من بين العمال .. ليتوانيان كبار فى السن كانوا جنوداً وعمال خدمات مدنية وسياسيين فى عهد الدولة المستقلة قبل الحرب .

ومن الطبيعى والمنهجى ، أن يكون هؤلاء هم هدف المخابرات البريطانية حيث يلائمون أهدافها تماماً .

وكان زيجماس كوديركا يبلغ ٢٤ عاما واغتصبه الألمان من المدرسة سنة ١٩٤٤ هو وكل الفصول الدراسية وأجبروا على السير غرباً وحفر الخنادق للقوات المتراجعة . وكان الكريسماس لسنة ١٩٥٠ المناسبة الأولى منذ إطلاق سراحه التى يفكر فيها فى مستقبله والهجرة إلى كندا حيث يمكن أن يتخرج من الجامعة وعندما أجلى جيش الحلفاء من سول وهُزم فى الشرق الأقصى ، دُعى كوديركا واثنين من اصدقائه لزيارة مكتب الكولونيل سيتكوس وهو ضابط ليتوانى وقال لهما عند مستهل استقباله لهما : إن الحرب مؤكد أنها ستندلع فوراً فى أوروبا ، وستتحرر بلادنا ونريد متطوعين للالتحاق بجيش الأنصار فى ليتوانيا ولمساعدة بريطانيا فى القتال من أجل حريتنا .. فلابد من الانضمام للمخابرات البريطانية .

وتعجب كوديركا ، رغم ذكائه إلا أنه عامل نقل وقال : ليتوانى يصبح عضوا فى المخابرات البريطانية .

وقال لـه الكولـونيل : من أجل بـلادك ، وهناك مكـافآت ستمنح خمســة جنيهات أسبوعيا عن كل الفترة التى تكـون فيها بالخدمة ويعدونك أيضا بـالجنسية البريطانية عندما تفضل العودة إلى بريطانيا .

وقبل كـوديركـا العـرض على الفور ، ودفعـه اليأس والحاجــة إلى المال والفرصــة الحصول على جنسية لإكمال تعليمه بالجامعة .

أما الآخران فلقد حركتهمتا دوافع وطنية أيضا وبعد أسبوعين وصلا إلى المدرسة فى ١١١ شارع أولد تسارش .

وكـان الكـولونيل الفـونس ريبـان ضـابط أستـونى سابق يعمل بهمــة ونشــاط ومساعـدة فيانو بـارتل ومعه خمسين من العـاملين فى المناجم وصناعــة الغزل .. تمت دعـوتهم إلى السفارة الاستـونية للقـاء قائدهم القـديم فى لندن ، وكـان ريبان واسمـه الحركى روبرت ، قد عمل فى معمل للنسيج وكـان ذلك يمثل انحطـاطا وظيفيا بالنسبة له .

ولكن لشجاعته الشخصية وكبطل حربى .. دفع بـالمخابرات البريطانية أن تعرض عليه العمل معهـا . وهو الآن يشرب زجـاجة سكوتش يـومياً على الأقل ويلعب البـوكر طوال الليل ، وفى الأسابيع السابقة على الكريسماس أعطى قواته حديثا مفعما بالحيوية مؤكداً أن بداية الحرب العالمية الثالثة قد حانت وهناك حاجة عاجلة لاتصالات لاسلكية مع المحطات السرية فى الوطن للاتصال بجيـوش الحلفاء عندما يشنون الهجوم ، وكان ريبان فى نظـر مستمعيه نصف إلــه ووطنياً صـــادقاً لايشق لـه غبار . وفى نهايــة سنة ١٩٥٠ عثر على أربعة متطوعين ، وفى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥١ كان العدد ستة ويتدربون فى شارع أولـدتسارش . ودعى الستة إلى منـزل السفير أوجست تورمل لاحتفــال بعيد استقلال استونيا ، وتحدث ريبان وتـورمان فى ذلك الحفل وقال ريبان للسفير بصوت هــامس : « عن الصراع القــادم والحرب التى على وشـك أن تنـدلع وأضــاف : فلتسجل كلماتى » .

وفى غابــات لاتفيا ، وفى أثنــاء شتاء سنــة ١٩٥٠ وحيث بدأ الشتــاء وبدأت تــؤتى مفعولها على العميلين البريطانين بيركس وجالدنز ، وتبعه الصيف بالناموس والبراغيث مصاصة الدماء .

وفى نــوفمبر همت الحشرات القذرة لانخفــاض الحرارة إلى ما تحت الصفــر والتى نادراً ماترتفع إلى درجة خمسة عشر تحت الصفر .

وكـان الحياة فى أدغـال الغابـات شيئاً قـاسياً على رجـال المخابـرات البريطانيـة والأنصار .

وأرسل بيركس إلى مـاكبن رســائل تفيض بالشكـوى من القلق الجسمانى الـذى يعيشون فيـه . وإن وجدت بعـض اللحظات المريحة عندمـا حصل الأنصــار على مؤن خاصة من الطعام من الفلاحين المحليين ، ولم يشهد بيركـس ولا جالدنز الطريقة التى يجلب بها الأنصار تلك المواد التموينية . وإذا كـان أحدهما قد تجرأ وخرج من المعسكر الآمن ، فلسوف يـدهشان عنـدما يكتشفـان أن جاليتس يلتقط الطعام مـن مكان خفى تحت شجرة ضخمة والذى تأتى به سيارة بلا أرقام قادمة من ريجا وكان هناك حادثاً مثيراً أيضا .. عنـدما التقى بيركس وجالدنـز مع فرقة أخرى من الأنصــار واتفقوا على اللقاء مرة أخرى بعد أربعة أيام وقد ألغى الموعد بناء على توصية جاليتس « لأن ذلك يعد عملاً خطيراً » ومـن غير المعروف لعمــلاء المخابرات البريطـانية : أن آخـرين قـد التقوا بجماعة الانصار وأرسلوهم بعد التحقيق إلى سيبيريا .

وبدأ بيركس يشكو إلى لندن بانتظام عن نقص المال ، فجماعة الأنصار التى يعيش معها تعتمد عليه . ولاتزال لندن تشك ولم ترد على طلبه وفى الغابة ، عرض جالتيس حلاً .. فهناك « صراف بنك » معروف عنه أنه يمتطى حصانا فى طريق معزول قرب الساحل ، ومن الممكن السطو على النقود التى بحوزته .

ووافق بيركس ، وانتظر أربعة من الأنصار ومعهم العميلين البريطانيين ليوم كامل حتى يظهر الصراف المسلح .

وأمكن السطو عليه بنجاح . وكتب بيركس فى خطاب إلى لندن كان علىّ أن اشارك فى عملية السطو .. والتى عـرضت كل العمليات للخطر وكان يمكـن أن تتعقبنا قوات الأمن السوفيتية .. وخشية أن تتعقب الكلاب السوفيتية أثر مرتكبى حادث السطو .. نصحت المخابرات البريطانية جالدنز بالا يظهر من مخباه إلا لأمتار قليلة .

وفى ريجا سجل لوكاسيفكس فى سجلات العملية « السطو على ١٢,٨٣٣ روبل » فى العملية التى دبرهــا بعناية ولاحظ أن تلك الخدعة يمكن أن تعجل بلندن لإرســال مزيد من العملاء .

وبينما انتظرت الــ « كى ـ جى ـ بـى » وتعجبت لصمت برودوى ، شرب بيركس كميات من الفودكا حتى يتغلب على المناخ القارس البرودة ، وعندما أوشكت الفودكا على

النفاذ كان يحتسى الكحول .. ورغم الإفراط فى الشراب ظل بيركس قناصاً ممتازاً .

وبينما بيركس يرقد فى مرضه .. متجمداً من البرد .. ولا يشكو ، واصل مشغل اللاسلكى الذي دربه وهو كيبورس .. نقل الرسائل إلى برودوى .. وفى مارس سنة ١٩٥١ . أبرق جابريل .. ساليرجاس بأن فريقاً من العملاء سيصل قريباً . وابتهج بيركس وجالدنز وقالا لجاليتس .. إن لندن تثق بوضوح فى عملهما . واحتفلوا بالمناسبة ، واتفقوا أن يبحث جاليتس عن مزيد من الطعام .

وعندما وصلت الأنباء .. أحس لوكاسيفكس بالسرور ولكنه لم يندهش لأنه سمع تلك الأنباء من لندن . لأن مشغل اللاسلكى التابع للمخابرات البريطانية ، كان عضوا فى الـ « كى ـــ جى ـ بى » وقد جُند لحساب المخابرات البريطانية فى معسكرات الاعتقال الألمانية على يد جون رانسوم ضابط المخابرات البريطانية الذى ألحق بالقسم الفنى فى لجنة الرقابة البريطانية .

وفى أثناء الإعداد النهائى فى إبريل سنة ١٩٥١ لإرسال أربعة عملاء إلى لاتفيا ، وصل إلى لندن ستة ضباط من الـ « سى ـ أى ـــ إيه » للقاء لمدة ثلاثة أيام مع كار وضباط آخرين فى المخابرات البريطانية وكان جدول الأعمال هو مراجعة وبحث كل العمليات الأنجلو ـ أمريكية فى روسيا والبلدان الدائرة فى الفلك السوفيتى .

ويقود الفريق الأمريكى روستزك ، وكان مقرراً أن يذهب إلى ميونيخ فى مهمة عمل كرئيس للقاعدة « التابعة للـ سى ـ أى ـــ إيه » بدلا من شارلى كاتيك . وقد ترك خلفه فى واشنطن ، مدينة وقعت فى قبضة البارانويا « داء العظمة » .

وكانت المحاكمات قد بدأت مع جولويوس وروزنبرج لاتهامهما بتسريب أسرار ذرية إلى الروس .

وفى الكابيتول ، كان السناتور ماكارثى يشن حملة تفتيش ضد الشيوعية والتى أراد اجتثاثها من المجتمع الأمريكى .

وفى المقابل لم تتلق الإدارة الأمريكية أى معلومات ذات قيمة من داخل روسيا .

وكان الحضور غير المرئى للخطر الشيوعى القادر على كل شىء هو المستقر فى داخل كل ضباط الـ « سى ـ أى ـ إيه » الذين وصلوا إلى برودوى فى إبريل .

وصحب فيافيدا .. روستزك والذى أقنعه أن ديكسنس خانه ، ولو كان تحت

السيطرة السوفيتية . وتحت إلحاح الرغبة فى مواصلة العمليات .. طلب منه أن يعيد فحص الحقائق ، وكانت رسالة خامسة قد وصلت حديثا من لوكاشا يطلب فيها إرسالاً عاجلاً لفريق جديد يشتمل على ضابط اتصال سياسى لتشجيع الانصار .

وعارض فيافدا إرسال المزيد من البعثات حتى يقتنع بعدم وجود اختراق سوفيتى .

وأصر بالقول أنهم يرسلون ديك رومى بارد بدلاً من حقائق راسخة . وطلبت واشنطن الدليل على أن روسيا تحشد قواتها ، وطلب البنتاجون أماكن توزيع الفرق العسكرية وتحركات عربات السكك الحديدية ومخرجات الانتاج الصناعى والنشاط الجوى .

وانتهى فيافدا إلى القول .. إن المخابرات السوفيتية فقط هى التى ترسل لنا هذا اللغو الفارغ عن الوطنية ومشكلات حرب الأنصار .

وقال فيافدا إلى روستزك : « دعنا نأمل في الرب .. وهما يقتربان من برودوى .. وسيكون مفيدا أن نتعلم من البريطانيين شيئاً » .

وعندما بدأ الاجتماع .. وتبادل الطرفان التحيات الخاصة والحديث عن العلاقات الودية بين البلدين والجهازين .

وقال كار : إلى العمل ..

وبدأ روستزك الحديث بالقول .. هارى ، ومؤكداً على خطورة هدفهم « إننا نبحث عن تبادل صريح وواضح للرأى ، ودعنا نقارن الملاحظات والمذكرات ونرى إذا كانت هناك مشكلات بوجه عام .

وعرض كار لعمليات المخابرات البريطانية ولم يذكر شيئاً لم يكن معروفاً ، بإستثناء واحد أن هناك مزيداً من العملاء على وشك الأنزال .. وهذا الشيء الوحيد الذى كشف عنه . وتوضيحا للحذر والسرية فاننا لن نعرض رجالنا بالكشف عن منطقة الإنزال المحددة ولاتوقيت الوصول ، ونحن مهتمون مثلكم تماماً فى أن نكون حذرين .. ولم يكن كار محدداً فى حديثه .. وأدرك الامريكيون أنه يعطيهم مسكنات بدلاً من إشراكهم فى الأسرار ، وبنهاية الصباح وافق كار على أن يكون لدى فيافدا موجز كامل من ماكبن عن النشاطات فى ليتوانيا .

وأوقف الاجتماع للغداء ، وانتهى بعد الظهر متأخراً ولم يكن هناك مزيد من العمل

فى ذلك اليوم .

وفى صباح اليوم التالى ، التقى فيافدا مع ماكبن وانجذب إلى الرجل الذى كان مواطنا بلطيقياً أكثر من كونه انجليزى ، وقال فيافدا لزميله .. « لقد كنت على نفس الموجة » وبعد جلسة عمل والاطلاع على ملفات ماكبن .

دُهش فيافدا لجدية ماكبن وإحساسه بالمسئولية وقد وعد ماكبن بتقديم تقييم وتقدير موقف لحركة الأنصار فى لاتفيا فى موعد لاحق إلى الـ « سى - أى - إيه » . وتوقفوا للغداء ووافقا على اللقاء على العشاء فى تلك الليلة .

ولم يكن روستزك وكار راضيان عن الاجتماع فى ذلك اليوم وقد اقتنع « ضابط الخدمات الاستراتيجية » فى ميونيخ وواشنطن بأن المخابرات البريطانية لها علاقة وثيقة مع ستيفان بنديرا القومى الأوكرانى والذى كان يخرب جهودهم فى تجنيد وإرسال العملاء لمساندة حرب الأنصار فى جبال .. الكاريبى .. وأماكن أخرى .

وادعى الأمريكان أنهم يخظرون استخدام النازيين ومجرمى الحرب ضد الشيوعيين فإن سجلات بانديرا المروعة عن تعاونه مع النازى أثناء الحرب ، إنما كانت عملاً مضاداً على نحو إيجابى ولايوجد برهان كاف أنه قاد أى دعم للنازى فى أوكرانيا .

وقدتدعمت حجة الأمريكيين بتحذير رئيس المخابرات الألمانى السابق رينهارد جيهلين والذى أصبح مستشاراً دائما للأمريكان ..

والذى حذرهم من بانديرا ومنظمته داخل روسيا مخترقة بكل الاحتمالات وقال أحد الضباط الأمريكيين « إننا نصطدم بعقبات فى علاقتنا مع الأوكرانيين ، وبسبب دعمكم لبونديرا » وكانت ثقة كار فى بونديرا الذى يعرفه منذ خمسة عشر عاما تقريبا وإزدرائه للأخبار الجديدة من واشنطن حملته إلى رفض أية محاولة من قبل الأمريكيين ولذلك المؤتمر لتحطيم العلاقة .

ومن بين الذين صعدوا إلى الطائرة فى ميونيخ « دافيد ميرفى » ضابط المخابرات العسكرية فى زمن الحرب فى الشرق الأقصى ، ثم فى برلين ، وميرفى وصف ذاته مرة أنه شخص وسيم دائما ومتردد دائما ومخطىء دائما ، كان عليه أن يدير مركز التدريب الروسى للأوكرانيين ويحل بيلك رئيسا للعمليات السوفيتية .

وكان الطموح فى التوسع فى العمليات من قبل المدير المعين حديثاً للعمليات الأمريكية فى واشنطن آلان دالاس . والذى كان مولعا وعلى ثقة كبيرة فى العمليات المغطاة

والطعن من الخلف ، وقـد بث دلاس فى مسـاعـديـه مفهـومـه عن تلك العمليـات وأنها الضمان الحقيقى لنجاح الجاسوسية .

وكان يشارك المخابرات البريطانية فى الاعتقاد بأن هزيمة الهيمنة الشيوعية تتم عن طريق إثارة ومساندة التمرد القومى داخل الاتحاد السوفيتى .

وكـان انجيل هذا المبدأ .. لتوجيـه مجلس الأمن القومى الأمـريكى رقم ٦٨ والتى كانت مواده والتى تنتمى الآن إلى الذكريات هى التى زودت المؤمنين بترانيم شن الحرب الباردة ، وقـال التوجيه : إن الاتحاد السوفيتى لايماثل أى من الطـامحين إلى الهيمنة فى السابق وإنما مسلح بمبدأ متعصب ، وعلى النقيض تماما من مبادئنا ، ويسعى الاتحاد السوفيتى إلى فرض سلطته المطلقة على بقية العالم .

ويدعو المخطط السوفيتى إلى الهيمنة الكاملـة ، وتدمير آلة الحكومة وبنية المجتمع بالقوة فى بلـدان العالم الأخرى غير السوفيتيـة وإقامة أجهزة وبنى خـاضعة ويسيطر عليها الكرملين .

وإلى ذلك الهدف .. تتجـه جهود الاتحاد السـوفيتى الآن نحو الهيمنـة على الأرض الاوروبية والولايات المتحدة باعتبارها مـراكز القوة الرئيسية فى العالم غير السوفيتى ، والاتحاد السوفييتى هو العدو الرئيسى الذى يجب تحطيم تكامله وحيويته وإخضاعه بوسيلة أو بأخرى اذا أن الكرملين على وشك إنجاز مخططه الأساسى .

وللتصدى وهزيمة الحركة الثورية على نطاق العالم كله ..

زاد مكتب الخدمات الاستراتيجيـة ومكتب تنسيق السياسات عدد العـاملين به إلى ١٤٠٠ ضـابط . وفى ظل عاصفـة النشاط المحمـوم . كان من الصعب على العـاملين فى ميـونيخ الحكم أيهما ميرفى أم روسـتزك .. واسـم الجديـد .. « هـارى الوردى » الأكثـر فاعلية والأكثر عملاً بجدية والأكثر تعصباً ولكن كان الميزان يميل عادة لصالح ميرفى .

وكـان ميرفى قد وضـع نفسـه فى منافسـة مع ميشيل بارك . رئيس وحـدة تنسيق السياسـات المحبوب والخطير أيضا فى ألمانيا والذى وقع فى شرك عملية ألبانيا ..

وقد خدم بارك فى المخابرات الأمريكيـة خلف الخطوط أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن ميرفى كذلك له تلك الحنكة التى لدى بارك .

ولكن سعى إلى التنافس مع تلك الأسطورة .

وكان ميرڤ يرى أنه لافرق بين الألمان والروس ، فهما أعداء يجب هزيمتهما .

وفكر ميرڤ فى أن تياراً من الهواء الساخن يمكن أن يطيح بالروس ..

وفى أبريل سنة ١٩٥١ .. عندما طرد الجنرال ماك أرثر من الخدمة كقائد للقوات المتحالفة فى كوريا والمقاتلة فى أسيا التى وصلت إلى وضع حرج وقاسى .

فان أحدا لن يسأل ميرڤي عن تقديراته بإرسال مزيد من العملاء وأرسل فريق الـ « سى ـ أى ـ إيه » الثانى علي وجه السرعة إلى ليتوانيا .

وأنشىء القسم اللاتفى على يد بيلك تحت مسئولية أمريكى من أصل لاتفى وهو بول هارتمان وكان مسئولا عن المجىء بفريق المجندين المدربين من السويد بقيادة فريد لانجس ويجعلهم فى حالة « استعداد للمهمة » ، وكانت هناك عمليات إضافية فى كل منطقة من الاتحاد السوفيتى وكان ميرڤ مستعداً لاستخدام العملاء الروس البيض دون اعتبار لعلاقتهم بالنازية .

وكان يرى أن تلك بداية مواجهة عالمية جديدة .. وكسب الحرب يتطلب المخاطرة .

وبعد خمس سنوات فقط من الحرب العالمية الأخيرة (الثانية) لم يكن من العادى أن تتوقع رجالاً يموتمون لأجل أى قضية ، وتتطلب التربية الجديدة لضباط المخابرات أن ينافسوا ويتفوقوا على شجاعة وبسالة مكتب الخدمات الاستراتيجية .

وعمل الضباط السباق بالمخابرات ليل نهار وخططوا ووضعوا البرنامج وأصدروا الأوامر حتى يقيموا شبكة عملاء داخل إمبراطورية ستالين .

عملوا أربعة وعشرين ساعة فى كل أيام الأسبوع .. وضحوا بالأجازات والنوم .. ويقود هذا الفريق ميرڤ ويشجعه روستزك وبحثت مجموعة العمليات الروسية عن الوسائل للحصول على المعلومات .. وكانت مشاعرهم بدائية وكثيفة .. مما سيجعل الكثير منهم يعانى بعد ذلك من مشكلات ذهنية .

وكان الموضوع الوحيد الذى يشغلهم هو التاكيد للبنتاجون أن لهم عيوناً خلف الستار الحديدى .

ولم يشك أحد فى أنه من الممكن إنجاز المطلوب .. ولقد كانت المعادلة بسيطة ..

أموال + جهد = النجاح ..

وقال ميرف ساخراً .. إلى روستزك : « إنه مجتمع فلاحى .. إنهم مجرد فلاحين ونساء فى عربات تجرها الخيول » ولامشكلة لدينا .. ولم يوقف أحد ليسأل إذن ماالذى نخشاه ؟

وكان ميرف يتفوق فى دور « الموجه » والناصح .

وكان فرانك ليندس نائب رئيس مكتب تنسيق السياسات . والذى انشغل فيما بعد فى عدد لايحصى من العمليات فى أوروبا الشرقيـة ، بمافى ذلك ألبانيا .. ولأسباب مهنية وطموحـات شخصية يريان أن النجـاح يعتمد على إرسال العملاء عبر روسيـا ، وكانت بواعثهما وطنية وكان محركهما « المهارة فى اللعب » .

ولايمكن لأى شخص أن يتخيل أن جهـاز أمن مجتمع سيكـون أكثر فعـاليـة من جهاز المخابرات الألمانية والذى كان يقـدم المعونة والمساعدة فى شخص رينهارد جهلين والتى قبلها الأمريكان شاكرين ..

وكان الإنـزال فى ليتوانيـا .. أُعد ليكـون فى ١٩ أبريل وفى وسط الفترة الانتقـالية ، واختفت السرية فى غمار الاحتفال مع تمنيات الحظ الطيب للفريق الثانى .

ورغم أن قائد هـذا الفريق .. جولى نوس بيـوتانس خشى من العاقبـة ، وانفجر فى الدمـوع فى مرات عديـدة قبل الرحيل .. وأسقط ومعه جـوناس كوكـاسكاس .. مشغّل الـلاسلكي .ونزل الـرجـلان فى منطقـة محدودة فى الغابـات ودفنـا المعدات واتصـلا بمجموعة من الأنصـار .. واجتهد بيوتانس للعثور على لوكـاشا بينما صحب واحد من الأنصـار كوكـاسكاس إلى سيرفـاس ، حيث خبأه فى مخبأ بـالغابـة .. وعندمـا انتهت التحيات العاطفية ، فصل سيرفاس الظروف القاسية التى عاشها فى السنوات الأخيرة . وكل شخص هنا يرتعد من الروس . ولهم عيون فى كل مكان والحياة فى توتر دائم .

وكان لوكـاشا الذى لم يقابلـوه منـــذ وصولهم ، كـان فى مأمن ويعمل فى منطقة أخرى .

ونقل كوكاسكـاس ومرشده إلى مستودع للفحم داخل سفينـة بينما ظل سيرفاس وثلاثة أصدقاء ينتظرون انتهاء القادم الجديد من دفن معداته .

وفى أثناء عودتهم فى اليوم التالى ، حذرهم فـلاح بأن هناك إطلاق كثيف للرصاص وانفجارات فى الغابة .. وهرب الاربعة وعادوا بعد أسبوعين ليكتشفوا أن مستودع الفحم

قد دمر وأن المرشد مات وكوكاسكاس ألقى القبض عليه ، وكان سيرفاس على يقين أنهم وقعوا ضحية خيانة زوجة الفلاح ..

وتدفقت سلسلة النتائج بسرعة ، وفور اغتيال كوكاسكاس .. خضع للتهديد بالتعذيب ووافق على التعاون .

وفى الغابة .. لم يكن بياتنس يدرى عن اعتقال زميله وحاول الاتصال مع لوكاشا وكان يعتمد فى ذلك على الأنصار الذين خانوه وغدروا به أيضاً .

وبعد أسبوعين أحاط رجال الـ « كى - جى - بى » بمخبأ بياتنس فى الغابة .

ولكى يهرب من الأسر ابتلع بياتنس قرص سيانيد .

وبينما يستخدم رجال الـ « كى - جى - بى » كوكاسكاس صنيعة لهم .. رتب لقاءً مع لوكاشا .. وشك القائد « الأنصارى » ولكنه يجهل مصير بياتنس وزميله ، وجاء فى الموعد المحدد وبعد أن أمر حراسه بإطلاق الرصاص إذا كان الاجتماع شركاً ومصيدة .

ولم يكتشف قبره المجهول .. ولم يعلم أحد بتضحياته على نحو واضح ..

وفى نهاية إبريل .. كان سيرفاس وحيداً وجهاز اللاسلكى الذى بحوزته مخبأ فى غرفة الفحم داخل « السفينة » المحطمة ، بفعل تفجيرات الـ « كى - جى - بى » ، ولكنه استطاع الوصول إلى جهاز بياتنس بعد اكتشافه فى منطقة الإنزال . وفى أول محاولة لبث الرسائل إلى ميونيخ أدرك أن الجهاز تالف ولايقبل الإصلاح .

وقال لجماعة الأنصار : « لقد انقطعنا عن الاتصال » وسأكتب رسالة شفرية على عنوان سرى ، وأحيطهم علماً وأحذرهم من مشاكلنا .

وفى ميونيخ وفى الأول من مايو .. عرف ميرفى وفيافدا أن المهمة قد فشلت . ووصلت المزيد من الرسائل الشفرية من ليتوانيا ولكن محتواها كان لغواً وطنياً فارغاً ، كما نعتها بذلك فيافدا وثبت أن المرسل تحت السيطرة .. ولم يكن معروفاً إلى سيرفاس أن الـ « كى - جى - بى » قد استخرجت جهاز اللاسلكى من المخبأ .. فى غرفة الفحم ، وقامت بالانفجارات فى الغابة لتغطى على فعلتها . واستخدمت كوكاسكاس لبث الرسائل الشفرية إلى ميونيخ ، وكان قصدهم .. تشجيع الأمريكان على إرسال مزيد من العملاء وانفجرت شكوك فيافدا على شكل وابل من الشتائم موجه إلى ميرفى شخصيا وقال : « إنه خطير جداً .. لابد من إعادة التفكير فى كل العملية » ورد ميرفى : « إنك عاطفى جداً .. وعليك العودة إلى الولايات المتحدة » .

وفى ذلك الأسبوع .. ترنح فرع البلطيق وسط الاتهامات والشعور بالذنب ، ووصلت الأنباء من لندن بأن اثنين من كبار موظفى الخارجية البريطانية وهما دونالد ماكلين ، جى بيرجس قد اختفيا وبعد سنوات من التحقيق الدءوب برهنت المباحث الفيدرالية لوزارة الخارجية أن ماكلين كان جاسوساً سوفيتياً .

وفى نهاية الشهر طلبت المخابرات المركزية استدعاء فيلبى ضابط الاتصال بالمخابرات البريطانية فى واشنطن إلى بلاده .

وكان فيلبى هو المخول سراً بتقديم البرهان ضد ماكلين وقد شك فى أنه سيفرر بزميله وقرر الهرب ، ووضح لميرفى وروستزك أن سبب الكوارث السوفيتية واضحة وبينة من تلقاء نفسها . وأضاف فيافدا « أن هناك مثلا ليتوانيا ينطبق على هذا الموقف يقول : أشعر أننى ضربت مثل ذبابة » لقد غدر بنا البريطانيون .

وشارك القليل فى برودوى الأمريكانى فى شكوكهم فى فيلبى .. ورفض مينزيس ورجاله الادعاءات بأن زميلهم المحترم « خائن » ومن بين الأقلية التى قبلت سنة ١٩٥١ الدليل الأمريكى .. نائب مينزيس وهو قائد الجو جيمس ايستون والذى أرسل إلى فيلبى خطابا .. تسلمه باليد .. يحذره فيه من الاستدعاء الوشيك له إلى لندن . وأصبح ايستون مطروداً لأنه تجرأ واعتقد بسوء أحد عناصر المؤسسة الموثوق بهم .. وعاملوه على أنه من الخارجين على المؤسسة .. وأخرجوا ايستون من المناقشات المطولة حول معالجة أمر فيلبى .

وانتمى كار وماكبن إلى الأغلبية الساحقة التى اعتقدت فى البدء ببراءة فيلبى ، وعرف فيلبى من موقعه كضابط اتصال المخابرات البريطانية فى واشنطن تفاصيل عن عمليات الإنزال فى أوكرانيا والتى ظلت المخابرات الأمريكية عن عمد لاتعلم عن عمليات المخابرات البريطانية فى البلطيق . ولذا تسرب القليل بشأن تلك العمليات من مكتب فيلبى .

وشعر كار وماكبن بالامتنان إزاء الأمن المحكم الذى أحاط بمجموعة العملاء الذين هبطوا إلى لاتفيا .. ولم يتمكن ذلك الجاسوس المرعب من تعريض العملية للخطر .

ووصل الرجال الأربعة بدون إعلان .. مع تحذير باتباع أقصى درجات اليقظة والحذر قبل وبعد الاتصال بمجموعة « ماكسس » .

* * *

الفصل السادس

الخـداع الكامـل

كان كار مدركاً أن هواجســه تجاه الأمن أهاجت ماكبن .. لكن تلك المشاعر المكدرة شىء هامشــى .. حيث ينصب الاهتمام على أمن الأمة .. وجـاءت إحالة بيفــى داندريل للتقاعد حديثاً مترافقة مع افتراضات واسعة بأن الروس البيض الذين استخدمهم كانوا مخترقين بالكامل من قبل السوفيت .

وكان كـار فخوراً بموقفه المتميـز فى الجهاز .. وكان مقتنعـاً بأن مثل ذلك الأمرلن يقال له . ولحسن الحظ .. فإن الأمن فى عمليات البلطيق ، لم يعتمد بالكامل على ماكبن .. والذى يشعر كار .. أنه قريب جداً من المنفيين .

وكان هنـاك .. جون لـويس زيـوس « جون الكبير » ، وجـون كروفتـون « جون الصغير » فى المدرســة بشــارع أولـد تشــارش الـذين يمكنهم التقــاط أى شكـوك عن المجندين . وفى حالة فشل مثل هذا الفحص ، هناك المدربين المتخصصين الذين ينتبهون لأى إشارة ، وفى المقام الأخير .. هنـاك السفراء الثلاثة المنفيين ، بمقـدورهم أن يتصلوا بأبناء وطنهم .

ورغم أن مهمة بيرجس ماكلين . تُذكـر بشىء كريه وحتى على أفضل الأحوال أنها عمل خيانى .. إلا أن كار يعلم أنهم أجانب وحياتهم فى خطـر ويعرفون المخاطر .. وكان ذلك الخط الأخير بالنسبة لكار .

وبعد كل شىء .. كـان البريطانيـون ومواطنو البلطيق يشتركـان فى هدف مشترك وهو تحطيم الشيوعية ، وأن المخابرات البريطانيـة تعطى العملاء فرصة نادرة ومتميزة لمساعدة بلدانهم حتى تحقق استقلالها على المدى الطويل . ،اذا حازت تلك المهمة الأخيرة على الرضاء ، فإن المخابرات البريطانية ستزيد من دعمها نوعاً ما .

تلك كـانت هى الأخطار العمليـة والصادقـة لضابط مخلص ، لكنهـا لمن تكن ذات عمق فكرى . وحقـا .. يمكن لأى شخص أن يعرض على كار رأيا بأن ضعف المخـابرات

البريطانيـة كان بسبب فقـدان .. الرؤوس المفكرة .. الأجـابة على الفـور .. أن المؤسسة افضل حالاً بغياب هؤلاء .

ولأن كار هــو الذى نفذ أول عمليـة اختراق كبيرة للاتحاد السـوفيتى لما يقرب من ثلاث سنـوات . ولأنه أيضا مقتنع بأن طفـولته القصيرة فى روسيا والخبرة الطـويلة فى اسكندنافيا والتى تحجب رؤية قادم جديد يساهم فى فن الجاسوسية .

وعمومـا فان العديـد من ضباط المخابرات البريطـانية ، يشاركـون كار فى ازدراء أولئك الـذين يبحثون عن تحليـلات عميقة والتى اسميت فى السنـوات التاليـة (المرايا المتـوحشة) ويتطلب عش الخداع الـذى أتقنته الــ « كى - جى ــ بى » قبل ذلك الفهم النقدى .

وفى عـام ١٩٢١ : وعندمـا أنشئت مؤسســة الـ « كى ــ جى - بى » : وجـه لينين اهتمام فيليكس ديرجنسكى بقوله: « أخبرهم بما يريدون سماعه » .

وبوجـه عام فإن المخابـرات الغربية وقعـت فريسة الخداع لأن يـاكوشيف تسلم معلومات تؤكد الرغبات والتصورات المسبقة للمخابرات البريطانية .

وكانت لندن تحتاج قليلا من الإقناع بأن الحركة المعادية للشيوعية موجودة ، وأنها تبحث بالطبع عن علاقات وروابط مع الغرب وبعـد مرور خمسة وعشرين عاما : تأكد كار تماما من وجود حركات سرية معادية لروسيا فى دول البلطيق .

ومما يدعـو للسخرية : أن يسمح ضابـط مخابرات « للثقة » فى أن تؤثـر فى حياته المهنية .

إن صفات ومميـزات كار قـاصرة بحيث لاتمكنه مـن ممارسة الخداع النمـوذجى وحينما كـانت تبرز على السطح أى إشـارة شك .. كــانت تختنق جـزئيـا بـالمصلحـة الشخصية لماكبـن والعملاء المنفيين فى لنـدن وروسيا وتنطفىء تمامـا باعتقـاده الذى يصل حد الهاجس فى السرية . وينكر أن الآخرين ينفذون إلى عملياته ويستبعد أى تقييم موضوعى واستطـاع خداع لوكاسيفكس أن ينتعش فقط لأنـه تطور فى أفضل الظروف التى اعتقد كار أنها تحول دون وقوع الخطر .

وكان عميل لـوكاسيفكس ، من بين الأربعـة الذين هبطـوا فى لاتفيا وهـو جانيس ايرجلس وكـان اسمه الحركى لـدى المخابرات البريطـانية « أوجست » وقـد قضى هذا الشخص أربعة أعـوام يقاتل الأنصار فى الغابـات عندما وفق سنة ١٩٤٩ على أن لـديه

الخبرة الكافية ليدعى شخصياً أنه من الانصار .

وبعد أن أقام لوكاسيفكس النموذج المطلوب ، بحث عن مشرف للعملية معاد للشيوعية ويمكن أن يثق بأحكامه المنفيين .

وكان المرشح لتلك المهمة ، قس كاثوليكى هو أنثونيس سبرنجوفتش وهو متعاطف مع الانصار ، عرف لوكاسيفكس أنه يبحث وسائل لإقامة اتصال مع الفاتيكان .

وقدم إرجلز سراً إلى القس ، تظاهر أنه كاثوليكى متحمس ، وعرض عليه أن يخدم قضية الكنيسة .. واقتنع سبرنجوفيتش بإخلاصه . ووثق بعميل الـ « كى - جى - بى » وكان معه خطاب مفرط فى المديح من مطران لاتفيا الذى هرب إلى المانيا الغربية .

وفى سنة ١٩٥٠ اسقط إرجلز على ساحل جوتلاند وبعد أن أقنع بنجاح بيرتل بوند من المخابرات السويدية .. بضرورة منحه اللجوء السياسى . سمح له بالسفر إلى المانيا . وبعد نقله إلى معسكر للعمل فى ألمانيا خضع للملاحظة من قبل ضابط « القسم الفنى » باعتباره مجنداً ملائما . واستعد وجهز للقتال من أجل حرية لاتفيا .

ولما كان موجهاً .. اضطر إرجلز فى البداية أن يتورط فى أعمال المقاومة كارهاً . ثم اقتنع به الانجليز أخيراً ونقلوه إلى شارع أولد تشارش .

وبعد عامين .. من صبر ومهارة لوكاسيفكس .. كان عليه أن يحصل على الثمن . فبفضل ذلك أمكن وضع ضابط الـ « كى — جى - بى » ذى الخبرة فى قلب المخابرات البريطانية فى لندن .

وتلقى المعلومات الأساسية ، لتغذية عملية خداع ناجحة .

وازداد طموحه . وقرر أن يوسع من شبكته أكثر .

وقد علم ماكبن ، عن طريق بيركس أن هناك مجموعة أخرى من الانصار تحت اسم حركى « روبرتس » وكان معروفا أنها لاتزال موجودة ، ورغم أن لتلك المجموعة روابط مع الانصار الآخرين المختبئين فى غابات فيدزيم . إلا أن قادة مجموعة روبرتس ، كانوا لاتفيين محترفين ، وعاشوا فى ريجا بشكل شرعى تماما .

وذات مرة .. زرعت المعلومات ، ولم يكن ذلك قبل أن ينمو طموح ماكبن بفترة طويلة ، وقد رأى ان تستفيد المخابرات البريطانية من مجموعة « روبرتس » فى عملية جديدة . وينظم تلك العملية .. ارجلز والذى أثبت بعد ثلاثة شهور من التدريب موهبته

الطبيعية كضابط مخابرات .

وشرح سالبرجاس .. مجند المخابرات البريطانية ، وضابط التدريب لإيرجلز أن مهمته هى بناء شبكة مخابرات « من عمـلاء شيوعيين » أى .. مقيمين بشكل شرعى فى الاتحاد السوفيتى ، من سيبيريا وحتى ليننجراد .

وعلى إيرجلز أن يجد جامعى .. المعلومات .. فى كل مدينة سوفيتية كبرى ويحدد الأماكن الملائمة لإسقاط بالمظلات . وأن يستأجر الصيادين المستعدين لملاقاة السفن البريطانية على الشاطىء .

والحظر الوحيد عليه .. ألا يظهر بمظهر القومى الصارم . ولايدرك أحد من الذين يتصل بهم أنه يعمل لحساب المخابرات البريطانية . ولأن من يتصل بهم هم مواطنون سوفيت ولديهم الغطاء القانونى كمواطنين . فإن إيرجلز يمكن أن يحشدهم لخدمة طموحاتهم .

وهكذا فان جبل العش الذى نسجه لوكاسيفكس بدأ يطبق فى مكانه .

وبعد عام من وصول ارجلز إلى لندن ، تلقى لوكاسيفكس رسالة عبر الوكيل المقيم فى البعثة التجارية السوفيتية فى لندن تفيد أن ارجلز على وشك الرحيل بعد فترة قصيرة ووصلت الرسالة قبل أسابيع من طيران الفريق إلى هامبورج ..

أنزل كلاوس العملاء الأربعة عند مدخل نهر فينتا بالقرب من فينتلز ، وقبل ركوب ظهر القارب المطاطى انقسم الأربعة إلى مجموعتين وذهبت كل اثنين فى طريق منفصل ورغم أن الإيقاع بأكثر من ثلاثة عملاء بريطانيين فى الفخ كان مفاجأة للوكاسيفكس إلا أن صعوبات تحقيق الخداع زادت .

وكان الهدف « عملية لارسن ـــ س » هو السيطرة على أنشطة رجال المخابرات البريطانية داخل عش محكم ومسيطر عليه .

فبوضوح لايمكن السماح لثلاثة عملاء محترفين بالتجول دون رقابة داخل روسيا وأن تكون اتصالاتهم كل بالآخر مكشوفة فى روسيا .

وصحب جانيس بيرزنس ، ايرجلز .. وجانيس هو مشغل جهاز اللاسلكى واسمه الحركى « تومس » وانطلقا إلى ريجا التى تقع على مسافة مائة ميل .. حسب تعليمات سالبرجاس .

وحتى بالنسبة لأولئك الذين يحملون صلاحية بالمرور فإن السفر عبر الأراضى المسطحة التى تحيط بها الغابات عملية محفوفة بالمخاطر والمخاوف .

وقد أرهب التوتر الدولى وجود ستالين المخيف الجميع .. وحتى أشجع المواطنين الذين يتوقفون بانتظام عند نقاط التفتيش المتتالية وغير المتوقعة . ولم يخف ضباط المخابرات البريطانية عن مجنديهم كفاءة ووحشية نظرائهم السوفيت . أنهم ينزعون الأظافر ويحرقون السجائر فى الأجسام ، ويفقأون العيون .

وعَدد سالبرجاس كل ذلك أمام أولئك الذين وهبوا حياتهم من أجل معركة الحرية . وكانت حبوب السيانيد التى زودوا بها عشية الرحيل فى هامبورج .. هى الخلاص ..

ظهر ارجلز وبيرزنس من داخل غابة ، واتخذا طريقهما إلى محطة السكك الحديدية واستوقفهم رجلان مسلحان من رجال الأمن .

وشحب وجه بيرزنس لأن أوراقهما التى تفحص بدت غير مقنعة . وعندما ساروا صوب القرية .. انشغل إرجس فى حديث مع رجال الميليشيا وفجأة توقف الأربعة ومد إرجلز يده بما يزيد على ألف روبل .. وأشار إلى بيرزنس قائلا اجرى وفى ثلاثين ثانية انطلق وابل من الرصاص من المسدس . ولكن طاشت الرصاصات .

وبعد ساعة من ذلك ، سقط الهاربان من الإنهاك فى الغابة .

وعندما وصلا ريجا كان جسد بيرزنس لايزال يرتعد من الخوف .

واقسم ألا يغادر الشقة والتى حافظ عليها ارجلز آمنه ..

وسيعتمد على إرجلز فى جمع الاستخبارات لنقلها إلى لندن ..

وكانا مزودين جيداً بجهاز لاسلكى ، وخرائط وأسلحة ومايزيد على ١٩٠ ألف روبل .

أما العميلان الآخران ، فكانا فى مهمة مختلفة : الأول هو لودس ابانز وهو لاتفى باسم حركى « بيتر » وكان عليه الاتصال بجماعة ماكسس وعليه إخبار لندن عما إذا كان بيركس وجالدنز أحراراً أم تحت السيطرة .

والآخر هو جوستاف من استونيا . وعليه عبور الحدود ويقيم اتصالاً مع الحركة السرية « تالين TALLINN » .

ومن أجل حماية أمن العملية ، أصر ماكبن الا تعرف جماعة ماكسس موعد ولا

مكان إنزال العملاء .

وبناء على نصيحة جـاليتس .. قائد من الأنصـار .. حذر بيركـس لندن أن العملاء الجدد لن ينعموا بالحرية لوقت طويل اذا شكت جماعات الأنصـار بأنهم من عمـلاء الـ « كى - جى - بى » وخاصة على يد جماعات الانصار التى تطوف المنطقة .

وقرر ساليرجاس أن تلك نصيحة معقولـة وسأل بيركس أن يدله على عنوان منزل آمن يقيم فيه العميلان اقامة مؤقته .

ووجد جاليتس مكانا ملائماً .. منزلاً لايبعد عن الساحل .

وهكذا كانت محاذير المخابرات البريطانية قصيرة العمر .

وصارأبانس مباشرة فى العش وطلب من مضيفه إعـلام جماعة ماكسس بوصوله الآمن . وكان جـوستاف مـوضع ريبة أيضـا لأنه لم يترك أبانس يسـافر إلى استـونيا واختفى الأمن نهائيا بعد أربعة أيام فقط .. حيث التقى العميلان بجماعة ماكسس .

وصاح أباتس بكل سرور عندما شاهد بيركس والذى لايزال معروفا عند الانصار باسم حركى « أربس » وكانا صديقين فى القوات الجوية فى لاتفيا ، ثم ضابطين فى جهاز المخـابرات الألمانى وقـال أباتـس إلى بيركس .. تعليماتى هى التعرف على كل جماعـات الأنصار فى ريجا وفى الغابات .

وتـوقع لوكـاسيفكس أن تطلب لنـدن إعادة التحقق من نشـاطات الأنصـــار . وفى الأسابيع السابقة .. أرسل ضباط الـ « كى - جى - بى » إلى غابات فيدزيم للعمل كما لو كانوا أعضـاء فى جماعة « روبرتس » من الأنصار .

وكان يجب تقديم أباتس إلى المجموعة ..

وابتسم الميجور وهو يمازح رئيسه الجنرال فيفرس .. قائلاً أصبحت لعبة هائلة .. ولم يتوقع لـوكاسيفكس أن تعليمات بحـوزة أباتس وفى الانقضاض التـالى لكلارس .. عليه أن يعود إلى هامبورج ومعه بيركس أو جالدنز وقائد جماعة ماكسس « جاليتس » حسب رواية القادم الجديد .

ولم تحن فرصة العودة إلى بريطانيا إلا بعد عامين تقريباً ، فلقد استغرقت الغابات كلا العميلين - وبيركس كان مريضا . وجالدنز لأنه أحس بأن العملية كانت فاشلة .

وقال جـالدنز فى ذات مـرة وهو يتشاجـر مع بيركس : « علينا أن نسافـر أكثر »

ونقتل قليل من الروس أيضا » .

وكان لوكاسيفكس مقتنعاً .. انه وتحت أية ظروف لايسمح لجالدنز شخصيا أن يعبر عن عدم رضاه فى لندن .

ونصح ضابط الـ « كى - جى - بى» جاليتس أن يقول له : « من المهم جدا أن يذهب » ، وأضاف « لقد أوشك الوقت بالنسبة لرجل يتباهى بنشاطه فى زمن الحرب ضمن زمرة مجرمة أن يقدم إلى العدالة .

اما بيركس ، من جهة أخرى .. فإن أمره يعتمد على إرساله تقريراً إلى لندن ، عندما يشفى من مرضه . وفى المناقشات المتكررة مع جاليتس وعد بيركس بأنه سيحث ساليرجاس بزيادة مساعدة المخابرات البريطانية .

ونقل كابورس مقترحات لوكاسيفكس .. بأن بيركس هو الوحيد الذى يجب أن يعود إلى برودوى وفى نفس الوقت هناك حاجة بالنسبة للوافدين الجدد بيتر وجوستاف لمعالجة أمرهم واحتوائهم .

وقال آبانس إلى جاليتس : ساعيش فى كنف « ماكسس » ، ثم جماعة روبرتس وأخيرا اسافر إلى ريجا قبل إرسال تقريرى إلى لندن .

واقتنع بيركس بعد مرور عدة أيام أنه « عميل حر » وقرر آبانس أن يلتقى مع جماعة روبرتس . وترك جوستاف المعسكر معه وأمر آبانس الا يصحبه أى فرد من جماعة الانصار « ماكسس » وأراد أن يكون مستقلاً وإعطاء جوستاف الفرصة للسفر إلى استونيا دون رقابة .

ولم يكن لدي لوكاسيفكس أى اعتراض . فإن ذلك يخدم أغراضه حيث يترك انطباعا لدى آبانس أن جماعات الانصار ليست متصلة بعضها ببعض ، ووصل آبانس إلى غايته دون صعوبة تذكر . وكما كان معداً من قبل انفصل عن الاستونى فى الطريق

وتظل الملابسات الدقيقة المتعلقة بمصير جوستاف غامضة لأنها ربما تكون غامضة أيضا فى ملفات الـ « كى - جى - بى » . ومن المتفق عليه والشائع .. أنه فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٥١ توجه الإستونى شمالاً نحو الحدود . وما هى إلا ساعات قليلة فيما بعد حتى غطى جسده الفيضان السريع لنهر أوجافا . وسيظهر فى أيام قليلة منذ وصول آبانس وجوستاف .

لم يستطع لوكاسيفكس أن يتحقق عما إذا كانت الـ « كى ـ جى ـ بى » فى استونيا كانت قادرة على السيطرة على العميل البريطانى .. ويعد ذلك مؤشراً لفقدان التعاون المؤقت بين الدولتين الجارتين وفشل المركز فى موسكو تنسيق عملية الخداع . ولذا أمر لوكاسيفكس بإلقاء القبض على العميل « الاستونى » بعد انفصاله عن آبانس . وفسدت تلك المهمة البسيطة وابتلع جوستاف قرص السيانيد ، ورغم زعم لوكاسيفكس أن توقيف جوستاف من قبل حراس الحدود كان عملاً خطيراً .

وكان على بيركس أن يمرر رسالته إلى برودوى والذى يفترض فيها أن الـ « كى ـ جى ـ بى » قد بدأت استجواباً وتحقيقاً وتنتظر النتائج . وهكذا استبدت عملية الـ « كى ـ جى ـ بى » على نحو مؤلم ويثقلها التردد . وتركت الجثة مع النهر حتى تشكل جزءاً من قصة التغطية والتى كان مأمولاً أن تثير قدراً قليلاً من الحذر عندما تنقل إلى لندن .

وسمع بيركس أخبار موت جوستاف من رجل أرسلته جماعة روبرتس وغادر بيركس وجاليتس المكان على الفور وعثروا على فلاح شاهد عيان للمأساة والتى وصف لبيركس كيف أوقفه رعاة الماشية الذين يشكون فى أى غريب يسافر عبر منطقة الحدود .

وشرح « الفلاح » أن جوستاف لم يمتثل لرعاة الماشية عندما صاحوا فيه . ولم يكن الرجل الإستونى يتحدث اللغة اللاتفية ، وتجمع حرس الحدود ، وبينما هم يحاولون إلقاء القبض عليه .. ابتلع قرصاً وألقى برأسه فى النهر .. وأخذ يتلوي عندما بدأ قرص السيانيد يؤتى مفعوله .

وشاهد عيان آخر ، زخرف تلك الرواية بوصف كيفية إطلاق النار علي الشخص الهارب ، وعندما شاهد بيركس الجثة ، وجد جرحاً حقيقياً . ونقل كابرس رسالة بيركس الشفرية عن تلك الحادثة .. وفُسر صمت برودوى على نحو إيجابى .

ولم يبد آبانس أية مشاعر ، عندما أخبر عن موت جوستاف رغم أن أنصاره لاحظوا أنه أصبح عصبياً بشكل ملحوظ ..

ثم فهم لوكاسيفكس بعد ذلك أن المخابرات البريطانية اختارت آبانس لفحص الشبكة . وكان شكاكا بالطبيعة ويحمل كراهية عميقة للشيوعية ، وكان أحد أعضاء مجموعة روبرتس وهو البرتس دايلوس « فورست » قد أرسل تحذيره عن مشاعر القادم الجديد إلى مقر قيادة الـ « كى ـ جى ـ بى » وقال آبانس وهو يزمجر ..

« عندما ننتهى من الروس » سأطلق الرصاص على كل شيوعى أجده فى الصباح ثم أتناول الغداء مع كثير من الفودكا ثم أواصل إطلاق الرصاص بعد الظهر وسوف تكون شهيتى فى حـالة جيدة فى العشـاء . وحتى يؤكـد تعهده بـذلك كان آبـانس يلعب دائما بمسدسه ، ودائماً ما ينهض ويسحبه من جيبه على طـريقة « رعاة البقر » ويقول باو ، باو.

وحذر دابلـوس فى تقريـر إلى القيادة أن أبسط ذلة أثنـاء العملية فى وجـود آبانس ستكلف عميل الـ « كى - جى - بى » حياته ..لأنه واثق من نفسه ويصر على أن يكون فى القمة .

وعم عدم الاستقرار بسبب حماقات آبانس .

وأثناء أيامـه الأولى مع جماعة « روبرتس » كشف عميل المخابـرات البريطانية كم عـدد مواطنى البلطيـق الذين تلقـوا التـدريب فى شارع أولـد تشـارش ، بل كشف عن هوياتهم وأسمائهم الحركية (الشفرية) .

وأفادت تلك المفاخـر التى تباهى بها أن المخابرات البريطانيـة كانت تخطط لعملية كبرى . واحتار لوكاسفيكس لغياب الأمن .

وبالتأكيد فإن البريطانيين ليسوا هواه . أو أن الحفاظ على آبانس حيا وراضيا أمر حيوى لاكتشاف الإجابة وضمان ونجاح للـ « كى - جى - بى » .

وفى بـداية مـايو أرسل آبـانس رسـالة شفـرية إلى لنـدن : « كل شىء تمام .. وفى معسكر ماكسس .. انتظـر وصول كلوس فى نهاية الشهـر » وكان على بيركس أن يعود إلى بريطانيا بصحبة جاليتس . كما طلبت برودوى ذلك .

وتم الحصول على قـارب من صياد أسماك ، وبعد تلقـى إشارة من لندن بـالموعد وجـدفوا فى الموعـد بالقـارب لملاقـاة القارب (س ـــ ٢٠٨) وفشل قارب الحراسـة فى الوصول وكان ذلك التأخير غير مفهوم بالنسبة لبيركس ومثير للأعصاب . وقبل الفجر بساعة وبناء على اقتراح جاليتس .. عادوا إلى الشاطىء .

وفى الواقع ، أن بيركس أبحر حتى أصبح على بعد خمسـة أميال من الرجلين ومعه ثلاثة عملاء على متن قاربه . ولكن أخذته الدهشة .. حيث لاحظ قارب حراسة سوفيتى (القارب س ٢٠٨) فى المرة السابقة .. وانتظر للإيقاع بـه فى الزيارة الثانية وغير مدرك

أن المخابرات السوفيتية كانت متلهفة أن يصل القارب بأمان ، ولاحظ كلاوس وهو يقف فى كابينة القيادة فى القارب (س ٢٠٨) أن سفينة سوفيتية عندما بدأ قاربه فى الاقتراب من المياه الاقليمية متجهاً إلى الشاطىء .

واصدر أمراً حازماً .. أن تزاد قوة المحرك إلى ٥٠ عقدة حتى يتفوق على المطاردين . وقبل أن يلتقط المصورون الروس فيلماً للقارب الهارب .

وفى مستهل عودة كلاوس إلى هامبورج كانت تلك الحادثة أسباباً لأزمة دولية ..

حيث اشتكى فاسيليف مولوتوف شخصياً بناء على توجيهات وزارة الدفاع ، إلى بيفن من الغزو غير المقبول .. للمياه الأقليمية السوفيتية بواسطة سفينة تجسس ووقع بيفن فى حيرة وحرج . وتعلق موظفو الخارجية البريطانية المحنكون ، فى القسم الشمالى بتقارير البحرية الملكية عن تركيز ضخم وغامض للسفن الحربية السوفيتية فى البلطيق قرب فينتسلبس ، وان تبدد غموض ذلك فيما بعد ..

ولم يتابع احتجاج مولوتوف . وأبلغ الجنرال كرجلوف غاضباً وزارة الدفاع أن حمايتهم الجادة للوطن قد تداخلت مع عملية فى غاية السرية .

وفى هامبورج ، وانتظارا لليالى الخريف الطويلة ، بدأ كلاوس يعد للعودة إلى البلطيق .

وبنهاية سبتمبر ، طار نفس العملاء الثلاثة من لندن إلى ألمانيا ، وهم : موليسلاف بيانتس « مشغل اللاسلكى » ، حينئذ سنة ١٩٥١ بينما هو يعمل فى مخبز بلندن . وهو عضو سابق بالفيلق اللاتفى وقد وصل إلى لندن فى ظل مشروع « ويست وود هو » ، وشرح فيما بعد للأنصار .. أنه كان غريباً فى بريطانيا وكنت أود العودة إلى وطنى .

واشترط فى عقده مع المخابرات البريطانية أن تدفع له راتب خمسة جنيهات استرلينى أسبوعياً ، على حساب فى بنك سويسرى .

ورفيقاه الآخران هما : ليو أودوفا « أنتس » ، ومارك بيداك « أوتو » وكلاهما من استونيا ، وهما حسب خطة المخابرات البريطانية .. سيلقيان المساعدة فى استونيا من قبل جماعة ماكسس . وكلاهما عضو سابق فى الفيلق الإستونى .

وكان أودوف منذ الحرب أصبح متديناً بشدة ويحمل دائما نسخة من العهد الجديد . ومهمة الرجلين هى تنفيذ مهمة جوستاف الأصلية وإقامة اتصال مع الحركات السرية فى استونيا ..

وتحسباً لمشكلات فى الإنزال ، أرسلت برودوى تياراً من الرسائل إلى ماكسس تنصح بالإجراءات الخاصة بوصول (س ٢٠٨) بما فى ذلك استخدام منارة تعمل بالبطارية . ورسائل بشفرة موريس ، وإشارات ضوئية على شكل حرف (K) .

واختير موقع الإنزال فى ليلة ٢٨ / ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥١ فى خليج يقع على بعد ستة كيلومترات عن فنار أوجافا فى بقعة عمياء بالنسبة لشبكة الرادار السوفيتى .

وبعد أن حصل العملاء الثلاثة على التسلية للمرة الأخيرة فى النوادى الليلية . توجهوا إلى سفينة فلاوس واستعدوا لرحلة الستمائة ميل وتحتوى الحقائب التسعة الضخمة التى يحملونها .. على أربعة أجهزة لاسلكى وكتب شفرة وأحبار سرية وثلاثة مدافع نصف آلية وست مسدسات وألفى طلقة ذخيرة و ١٥٠ ألف روبل ، وقد اقنعت برودوى هؤلاء أن إقامة شبكات « المخابرات فى البلطيق » يخدم بإخلاص فى قضيتهم .

وفى تلك المرة ، أحس كلاوس بالثقة ، عندما لمس حافة الشاطىء فى الليلة القمراء لأنه خدع سفن الحراسة السوفيتية . وعلى بعد نصف ميل من الشاطىء ومضت الإشارات الضوئية على شكل حرف (K) .. وانزل قارب مطاطى يسمى « ليدى جان روسيل » إلى الماء . وعلى الشاطىء أخذ بيركس يلوح بإشارات الوداع إلى كيبورس قائلا .. سأفعل مابوسعى لأكون ضمن مجموعتك عندما أعود مرة أخرى ، ماالذى أرسله لك من لندن ؟

وأجاب كيبورس .. مزيداً من النقود والبنادق والرعاية الطبية ، وأومأ بيركس ودس فى يد كيبورس رزمة وثائق سوفيتية على بياض .

وقال له : يمكنك أن تستخدمها فى إضفاء الشرعية على نفسك ..

وتنهد بيركس .. وخاض فى المياه الداكنة متوجهاً إلى القارب المطاطى وشوهد جاليتس .. فى ذات اللحظة .. وهو ينحنى ويأخذ حفنة من الرمال ووضعها فى جيبه .. وتعجب كيبورس من ذلك لأن ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » لايؤمنون بالعواطف أو الإحساس ..

وفور أن صعد بيركس وجاليتس على سطح المركب ، قدم كلاوس لكل منهما زجاجة براندى وسيجاراً فخماً ، وضحك قائلاً : إنها هدية من العم سام .وساعد الفريق المتلهف لوصول الثلاثة عملاء فى حمل الحقائب .. ثم اختفوا بعدئذ بين الأشجار ، وعند الفجر وفى معسكر جماعة .. ماكسس .. أخرج بياتنس مظروفاً كبيراً من جيبه يحتوى

على خطاب من ساليرجاس وقرأه بياتنس بصوت عال أمام الأنصار المحتشدين . والخطاب يفيض بالأمنيات القومية والوطنية وانتهى بعبارة « لن ننساك أنت ومقاتلوك » .

وحقق كيبورس الذى أصبح « آبانس .. مُشغّل اللاسلكى »

إن مستقبل نجاح لوكاسيفكس يعتمد فى تلك العملية على كيفية مايحرزه جاليتس فى لندن من نجاح أيضا ..

واعتبر ساليرجاس وريبان .. أن الوصول الآمن لقائد جماعة « ماكسس » وعودة بيركس عملاً بالغ الأهمية .. وكانا ينتظران عودة (س ٢٠٨) عندما رسى فى كيل . ولقى الضيوف ترحيبا حاراً بلا حدود . وكان مقرراً أن يطيرا بعد ذلك مباشرة من جوترسلوه إلى « فيرفولد » ولكن الأهم كنوع من الحذر .. تغيير الملابس .. وترك ملابس وأردية الغابات فى هامبورج .

وبدأ ساليرجاس يشرح لجاليتس كيفية حماية نفسه إذا تعرض للاعتقال من المفتشين ، عند العودة .

وفى الطريق إلى بريطانيا ، بدأ جاليتس يحكى إلى ساليرجاس عن نجاحات الأنصار ومشاكلهم . « هناك العديد من الجماعات فى المنطقة » وأكد على سامعه المتلهف « بأن سبعة منها على الأقل قوية » ولكنهم بحاجة إلى مزيد من الأسلحة والمال والوثائق ..

وأومأ ساليرجاس بالموافقة . قائلاً « لاتنزعج » سنساعدكم وسترسل إلى مدرسة خاصة حيث يمكنك التدريب لتكون كادراً يوسع شبكة المخابرات .. واعتقد ضابط الـ « كى ـ جى ـ بى » ان مهمته أقل صعوبة مما تخيل لوكاسيفكس .

وفى لندن ، انفصلت المجموعة .. وكان بيركس يحتاج لعلاج طبى عاجل بينما جاليتس ذهب إلى مكتب فى منطقة فيكتوريا للاستجواب المكثف من قبل ساليرجاس .

وكان المناخ منفرجاً .. حيث وضعت الحرب الكورية أوزارها على نحو غير متوقع . وخفت حدة التهديد لأوروبا .. إلا أن التوتر ظل قائما ..

وفى الأيام التالية .. أدرك جاليتس بالتدريج أن ساليرجاس ، المدعو « جايربيل » كان خطافاً ألقى به العم ماكبن ..

وبدا المواطن اللاتفى متحيراً من أن الانصار لم يستخدموا الأسلحة التى زودتهم

بها بريطانيـا للاشتباك مع الروس فى مناوشات ، ولكن فى حـرب شاملة .. والتى تخيل أنها الأمل الوحيد لاستقلال لاتفيا .

وعلى النقيض من ذلك .. كان مـاكبن الذى التقاه جاليتس فى اجتماعـات منفصلة ، بدا مستبعدا لفكرة إراقة الدماء وطلب من الأنصار القيام بعمليات استخبارية يمكن أن تستخدم من الغرب لإضعاف السيطرة السوفيتية .

وكان الانقسام المكشوف داخل الأدارات لاتخفى دلالته ولكنه خبا فى عقل عميل الـ « كى - جى - بى » لأن الضغوط التى تعرض لها تكثفت فى أثناء الاستجوابات اليومية .

وبعد أربعة أسابيع ، وبالتقـريب ، من وصول رجل الـ « كى - جى - بى » انهارت أعصابه ، وأرسل ساليرجاس إلى جماعـة ماكسس يخبرهم أن قائدهم يعانى من انهيار ويعالج فى إحدى المستشفيات ، وأجلت عودته .

وشك لوكاسيفكس فى أن انكشاف جاليتس والعملية . ولكن من العملىّ . الاستمرار كالمعتاد .

وفى ذات الوقت .. كان بيداك ، وأوروفا يشقان طريقهما الآمن إلى استونيا . وكانت أوامر بيدال هى الاتصال بصديق ريبان القديم سيرسل .. مكان قائداً من الأنصار .

وكان توجيه ريبـان « أنه عند أول لقاء به لابد من سـؤاله عن المساندة التى ينبغى تقـديمها . لأن سيرسل بكل ذكـريات الجبهـة الشرقيـة سيبرهن لك أنك قابلت الـرجل المناسب .. ولكن لمزيد من التأكد هذه قائمـة بالأسئلة الشخصية وبعض الإجابات التى لابد أنه يعرفها جيداً ..

وأطاع بيداك . وفى منزل خارج العاصمـة الاستونية ثالتى التقى مع سيريل الذى اتى بعد تأخير طفيف ..

ووجد بيداك الساعة التى يرتديها فى يده تخضع للتفتيش ولم يحتج .

وفى الإجابة على أسئلـة بيداك ، أجاب سيريل الإجابـات الصحيحة وإن بدا لبعض الوقت غير متأكـد تماما من تلك الإجابـات . ورغم أن بيداك أصبح أكثر يقينـا فى اليوم التالى .. وتبددت أى شكوك لدى بيداك .. وبعد أيام قليلة .. أرسل بالشفرة إلى لندن « كل شىء على مايرام » ولأن الرسالة الشفرية لم تحتو على الحروف التى تشير إلى أن بيداك لايقع تحت السيطرة السوفيتية .. فقد أخبر ريبان .. ماكبن .. ضرورة إرسال المزيد من العملاء بطريقة أكثر أمناً .

ولم يكن معروفا لبيداك .. أن ســـيريل الحقيقى كان معتقلاً من الـ « كى ـ جى ـ بى » وهددوه بالتعذيب . وأنه اعترف سابقاً .. لبديله .. فانت .. بكل جانب من حياته مع ريبان .

ولذلك قرر ماكبن وعلى الفور ، أن طريق لاتفيا هو الأكثر أمـاناً لـــزرع العمـــلاء (وأرسل أخـرون فيما بعـــد على متن قـارب سريع من فنلنـــدا) ويجب تـدبير بعض العمليات عبر الحدود ، نظراً لاتساع ونمو عش الـ « كى ـ جى ـ بى » فى استونيا ..

وخلال الصيف .. عمل آبانس ، كيـــبورس وأربعة آخرون على أنهـــم مجموعـــة « روبـــرتس » ولكن الأنصـــار وجـــدوا ذلك الجهـــد مضنيـــاً . وشرح كيبـــورس إلى لوكـاسيفكس بأن الحياة على مقـربة وثيقة مع عميل المخـابرات البريطـانية .. ووسط الناموس والـرطوبة أملت إحساساً دائماً بـالخوف من الخيانة والغدر وخاصـة عندما ينامون . وأضـاف « ويطلب آبانس الآن أن يشن الأنصار هجوماً على ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » ، وقال كيبورس : « فإن ذلك سيكون عملاً خطيراً » وكان حل لوكاسيفكس هو الهجوم على معسكرات الأنصار .

وأجبرت الغارة المفاجأة جماعة روبرتس على خرق الأمان بحثا عن غطاء . وفاقمت من مخاوف آبانس ووجـوده الحذر .. ووجه فوهة مسدســه تجاه أى صوت ضعيف . وحكم على حيلة لوكاسيفكس أن تواجه بعمل مضـاد ..

وحينما بـدأت الثلوج تهطل وافق ميجـور الـــ « كى ـــ جى ـ بى » على أن مشقـة الحياة فى الغابات لشتاء ثان أمر زائد عن الحد .

ونشطت شبكة المتعاطفين المعادين لـروسيا فى ريجا . وتم تجنيد أطباء ومهندسين ومدرسين وكتاب بما يمكن من تسكين عملاء المخـابرات البريطانية . وتقرر أن يعيش آبـانس مع اليمار رميس ، صحفى فى الثـلاثين من العمر والـذى جنـده لوكـاسيفكس لرعاية العميل البريطانى ..

ولم يكن تجنيد رميس أمراً مثيراً ولكن جدير بالاهتمام ففى أثناء الاحتلال الألمانى شاركت أسرتـه المنتمية للطبقة الـوسطى فى التسامح إزاء النازى ، والعـداء للشيوعيين والتحق بناء على رغبته بالجيش الألمانى .. وهاجر هو والألمان المتقهقرون إلى ألمانيا ، ثم عاد إلى ريجا فيما بعـد ، ليستـأنف دراسته وبدلا من أن تعتقلـه الـ « كى ـــ جى ـ بى »

وترسله إلى سيبيريا . أطلق سراحه وسمح له بـالعودة إلى وطنه وكان ذلك أمراً غامضاً . وفي عـام ١٩٤٧ كان لـوكـاسيفكس يبحث عن مـواطنين لايثيرون شكـوك المخابـرات البريطانية . وكان ريمس موضع اهتمام خاص .

وقبل الحرب .. كـان ريمس .. وبمساعـدة أسرته ، على صلـة خاصـة مع المجتمع البريطاني المقيم في بـلاده ، وكشاب صغير ، ظلت ميولـه السياسية بريئـة تماما ، وأي تحقيق تجريـه المخابـرات البريطـانية لن يعثـر لـه على نشاط يميني أو يسـاري .. بل يكشف عن أساس مؤيد للغرب ، ذلك جعل من ريمس مرشحاً مثالياً لعملية الخداع التي تقوم بها الـ « كي - جي - بي » .

وعند تلقي ريمس في نهاية سنة ١٩٤٧ خطابا ليرسله إلى المكتب العسكري في ريجا للكشف عن صلاحيته المستمرة للمشروع ، رغم أن ذلك كان مجرد إجراء روتيني

وفي مقابلـة غير رسمية ، لاحظ ريمس وجـود ضابط قليل الكـلام بجوار المحقق ، وكان الاجتماع قصيراً وسئـل أن يظل بالخارج . وبعـد خمسة عشر دقيقـة اقترب منه الضابط الصـامت وبدأ معه حديثـا عن الأحداث في بلاده من الحرب . واشتركـا معا في لقاءات ودية تالية ، وكان الحديث انتزاعاً « بطريقة سرية » لمواقف ريمس بأسلوب ودي ولطيف . وعندما كشف الضـابط المجهول عن هويته وكان هو الميجـور « لوكاسيفكس من الـ « كي - جي - بي » أدرك ريمس كيف مهد الضابط الأرضية بمهارة على المستوى النفسي قبل أن يقدم عـرضه « نريد منك بعـض سنوات عمرك في خدمـة الوطن » ولن تكون لديك أية مشاكل بعد ذلك .. ولك شكرنا فقط » وكان هذا عرضا لايمكن رفضه.

وخـلال العامين التـاليين .. عهد إلى ريمس بمهمـة أن يبـدوا أمام الـدبلومـاسيين الغربيين كمعادي ساخط للشيوعية . أملا في أن ينخدعوا ويدخلوا إلى المصيدة .

وفي سنة ١٩٥٠ ، عنـدما كـان لوكاسيفكس يبحث عن منـازل آمنة « لـلأنصار » استدعى ريمس إلى مـوسكو ليكون واحـد ضمن مجموعة مـاكسس وأن يوفر حـاجة لودس آبانس لمنزل أمن في شارع زالا في ريجا .

ولا تحتاج إلى شيء غير أن تجعلـه راضياً وعقيماً قدر الإمكان .. وبـدت لريمس مهمة غير معقدة حتى كان لقاؤهما الأول على وجبـة طعام .. حتى أدرك أن ضيفه كان ممثلاً ومؤلفاً وكان « لصا مرتجلاً لايمكن التكهن بما يفعل على الإطلاق » .

وكان آبانس قلقاً تجاه بناء شبكة وعصبيـاً تجاه مخاطر مواجهة الـ « كي - جي - بي » وكان الحل دائما عنـده هو حمل مسدس محشو بـالرصاص في جيبه من مـاركة

والتر .. وكان يخرجـه على الفور عنـدما كـان يدخل أو يغادر الشقـة التى يقطن بها فى الطابق الرابع . ويضـع بجانب نافذة حجرة النوم .. لفة من الحبال .. للهروب السريع .

وعندمـا سافر آبانس مع ريمس بـالسيارة .. كان يضـع بندقيـة نصف آلية تحت ملابسـه .. وحتى تناول الطعام فى الشقة أصبح شيئـاً خطيراً . وكان غالبا مـا يصوب مسدسه تجاه ريمس وهو يردد مزعوراً مـن الخوف « لانريد استخدام الرصاص ضد الشيوعيين ، إنما سنشنقهم فرداً فرداً » .

وكان المنفى العـائد تجاه حمام الدم الـذى يحلم به .. تصيب ريمس بقشعـريرة ، لأنه يدرك أنه سيكون من أوائل الضحايا ..

وسأل ريمس .. بالتأكيـد أن البريطانـــــيين أكثر تحضراً من أن يتـورطوا فى قتل الناس ؟

وأجاب آبانس .. ليس هناك من شىء تفعله مهم .

وأومأ ريمس .. سنكون فى مأمن ..

وواصل آبانس القـول « عندما نصـل السلطة » فى صوت أجش ومشهـود فى أثناء عشـاء مع الشراب ، سـوف أحصل على نقـود كثيرة وعلى موقـع فى الحكومـة . وأثنـاء الشراب يكون آبانس طريفاً للغاية .. بينما تصبب ريمس عـرقاً بارداً عندما بدأ ضيفه الحديث عن ذكريـات الحرب وتفاخر بـدوره فى إعدام جماعات إرجياس وقـال قتلناهم جميعاً ، شيوعيين ويهوداً ونسـاءً وأطفالاً .

وبعد ذلك .. فحص لوكـاسيفكس الأرشيف لمعرفة عما إذا كان آبانس حقـا قاتلا محترفاً ولم يعثـر على دليل بذلك . ومن المحتمل أن يكـون كلامـه مجرد تفاخـر فارغ ولكنه كشف عن تحالف غير معروف بين القوميين واللاتفيين والحكومة البريطانية .

وبينما كان آبانس فى رعاية ريمس .. بتمويل من المخابرات البريطانية ..كان يخرج إلى المدينـة على نحـو منتظـم لجمع المعلـومـات ويبحث عن المجنــدين . وكـان يعطى كابوريس ـ عبر « ريمس » رسائل لنقلها إلى لندن ولم يكن مشغل اللاسلكى ، التابع لـ « كى ـــ جى ـ بى » فى الغـابة ، كما تخيل آبـانس وإنما عاد إلى أسرتـه فى ريجا . وكان يتوجـه يوميا للعمل فى شـارع لينين وكانت سيارته الليمـوزين مزودة بنوافـذ سوداء خشية أن يقع عليه بصر آبانس عندما يعبر شوارع المدينة الصغيرة .

وفى بداية مارس سنة ١٩٥٢ ، تلقى لوكاسيفكس معلومات كافية من مصادر أخرى فى لندن تؤكد أن مرض جاليتس حقيقى . وأن الشهور المنصرفة لم تكن هناك تحركات ولم يصل عملاء جدد وحاول أن يحفظ مشغلى اللاسلكى فى جماعة روبرتس وماكسس فى حالة عمل .. وزودهم باستخبارات حقيقية .

واختلط تقديره ، عندما طلبت برودوى من آبانس قائمة بكل سفن الأسطول البحرى فى ميناء فينتلبيس ، وحمل ريمس الرسالة الشفرية من كيبورس إلى آبانس .. وبعد فك الشفرة ، طلب عميل المخابرات البريطانية من ريمس الحصول على المعلومات .

وأبلغ لوكاسيفكس المركز فى موسكو عن مطلب لندن ، وطلب إذنا بإرسال المعلومات . ولدهشته . أن موسكو أجابته .. أن وزارة الدفاع عارضت إعطاء لندن المعلومات الحقيقية وأصرت أن تحصل لندن فقط على عدد سفنٍ يقل عن الموجود فى الميناء .

واحتج لوكاسيفكس بأن سفن الشحن الفرنسية والسويدية التى تزور ميناء فينتليس .. والتقارير التى سيقدمونها بعد عودتهم ستدحض معلومات الانصار ويبدو أن البيروقراطية لم تهزم أمام لوكاسيفكس .

وجهز ريمس المعلومات المعلومات « الكاذبة » التى طلبها آبانس والتى شفَّرها وسلمها لريمس لترسل إلى كيبورس لنقلها إلى لندن .

وبعد بضعة أسابيع فيما بعد .. أرسلت لندن إشارة أفادت « أنها لاحظت فجوة فى المعلومات وتحث على مزيد من العناية بالتفاصيل » .

وشملت الرسالة على مطلب آخر : وهو أن عميلاً على وشك السفر إلى جوركى ومطلوب تقرير عن غواصة جديدة ، كشفت عنها مصادر أخرى ، على وشك الإبحار من باكو وعبر الفولجا ، متجهة إلى البحر الابيض، ولأن وزارة الدفاع فى موسكو لن تسمح بالإفراج عن الاستخبارات المطلوبة .. قرر لوكاسيفكس اتخاذ إجراءات صارمة ضرورية .

يجب أن يعود جاليتس .. فبدونه .. ستقل قوة دفع عملية الخداع ، ومخاطر الانكشاف تتزايد .

وقرر لوكاسيفكس .. زيادة المخاطر .. فلابد أن تقتنع برودوى أن الأنصار فى خطر وهناك حاجة لمزيد من العملاء ، وأرسلت رسالتين فى أوائل ابريل سنة ١٩٥٢ لتنذر بالخطر فى لندن .

وكانت أول رسالة .. جاليتس مات من المرض .. وكان مينوس (أوجادنز) طلب من بيركس إرسال حبوب مخدرة لزائدته الدودية التى تسبب له ألما .. وفسر سالبرجاس « إشعار الموت » بأنه يعنى أن تلك الحبوب كانت مطلوبة على وجه السرعة أكثر مما أدرك .. وكان الموت سوء حظ ولكن الحقيقة كانت أسوأ .

وكان جالدنز قد قضى الشتاء فى منزل متعاطف مع الأنصار وزوجته وجدت شقاق بين الرجلين عندما تقدم جالدنز بشكل واضح من السيدة . وكان عليه أن يبحث عن مأوى آخر .

واتفق أن يسافر أولا إلى ريجا . وكان نفس قارب الصيد الذى حمله إلى الغابات منذ ثلاثة سنوات مضت هو ذاته الذى حمله عائداً إلى المدينة . وتوقف فى الطريق .. للتزود بالوقود .وحينئذ ظهرت « سفينة حراسة مسلحة » وسئلت المجموعة عن وثائق الهوية واضطر السائق إلى أن يشير إلى جالدنز وقال « إنه مسافر مجاناً » ولم يره من قبل ، واعترف جالدنز أن زوراقه فقدت .

وبينما صوب أحد رجال الحراسة المسدس صوب جالدنز ، بدأ الآخر يفتش فى ملابسه وعثر على مسدس وخرائط . وقال بدهشة ظاهرة : « لقد أمسكنا بجاسوس » واستجوب جالدنز ولقى حتفه وأنكر عن عمد أية معرفة « بعش لوكاسيفكس » تحسباً لإمكانية الهرب وبعد الإعدام وصلت الرسالة المختصرة إلى لندن تخبرها بموت جالدنز . وبعد أسابيع قليلة .. وصلت رسالة بالحبر السرى على عنوان سرى فى أوروبا الغربية وتحتوى على تفاصيل « دفنه بكل التقدير » وتجهيز مقبرته بالقرب من ثلاثة أشجار بلوط .

وكان جانيس بيرزنس (تومى) ضحية خطة لوكاسيفكس لإنذار لندن . ووضع لوكاسيفكس قصتين ، وتقرر سجلات الـ « كى ـ جى ـ بى » أنه كان دائم الخوف من الرقابة والرصد والأسر وأخيراً فقد أعصابه والقى بنفسه من النافذة بشقة بالدور الخامس فى ريجا .

والتقرير التالى الذى أرسل إلى لندن قرر : أن بيرزنس ومساعد له ألقت الـ « كى ـ جى ـ بى » القبض عليهما فى ريجا فى الطريق لإرسال رسالة لاسلكية وسحب كلاهما

بندقية ومات المساعـد على الفور ، بينما جرح بيرزنس وبدلاً من أن يقع فى الأسر حياً .. أطلق على رأسه الرصاص ببطولة ..

وتنتهى الرسالة بالأسف .. وتقول : إن جهـاز اللاسلكى وجدول مواعيد الرسائل الشفرية .. عثرت عليه ال « كى - جى - بى » ، لكن ظلت الشفرة سليمة .

وأثمرت الأنباء السيئة النتائج المأمولة ..

وافترضت جماعة ماكس أن يعود جاليتس ومعه ثلاثة عملاء فى ابريل .

وكانت الأيام التى سبقت نقل جاليتس إلى ألمانيـا محمومة ولكن كانت بها لحظات هزلية فريدة .. حيث أنفق سالبرجاس سـاعات طويلة مجادلاً قائد الأنصار عن فرصة التمرد الشامل المسلح لتحرير لاتفيا . وتوقفت المناقشات بسبب مرض رجل .. الأنصار .. وإن كان سـالبرجاس يعتقد أنهم لابد أن يـوافقوا على استراتيجية عدوانيـة تتجاهل تماماً تعليمات ماكبن وبلغت تلك المناقشات الذروة قبل رحيل جاليتس .

ومرت بوجه سالبرجاس لحظة عبوس غير عادية . عندما نهض وصافح جاليتس . وأخرج ورقـة من ملف ، وشرح ضابط المخابـرات البريطانية .. أهمية الـرسميات التى يجب أن تمتثل لها . وأحب أن توقع على تلك الوثيقة ، وأخـذ جاليتس الورقة ووقع « أنا أرفيتـز جاليتس » وقـرأ باللغـة اللاتفيـة .. أعرف أننى أتحمل مسئـولية تجاه لاتفيـا وشعبها والرب وأقسم أننى لن أقول شيئا عن عملى ولاعن تلك الأهداف .

« وأفهم أننى إذا قلت مثل هـذا فإننـى أستحق الموت وأعتبر نفسى فقط فى حل من هذا القسم عندما تعطينى الحكومة اللاتفية إذناً بذلك .

وعندما انتهى جاليتس من القـراءة ، قال سالبرجاس بنبرة حزن « عليك أن تقسم أمام الله والجكومة أنك ستقاتل من أجل تحرير لاتفيا » .

وكـان عميل الـ « كى ـــ جى - بى » مـؤهلاً بلقـائه لكى يتفهم ملابســات الموقف وبدأت أعصــاب جاليتس تنسل مـرة أخرى . وصــاح وهو يشير إلى الحقـائب المملوءة بالمستلزمـات والأغراض « لاأريد كل تلك الحقائب » وإن الغابـات مليئة بالمفتشين ولم يهتم سالبرجاس وسافرا معـاً إلى هامبورج وفى عشية الصعود إلى القارب (س ٢٠٨) طلب الكولونيل ريبان من جاليتس التحلى بالشجـاعة فى نضاله المستقبلى . ضد ستالين اللعين . ولايمكن لأحد أن يلعن اسم ستالين العظيم ..

ونظر اللاتفى إلى ريبان وأوشك أن يلقى به من النافذة ..

ولايزال ساليرجاس فاشلاً فى الوصول إلى الاستنتاج الصحيح .

وفى ليلة ٢٠ ابريل سنة ١٩٥٢ ناور كلاوس مرة أخرى تجاه وميض الضوء الأحمر فى البقعة المخصصة للإنزال القريبة من فنار أوجافا بالقرب من فينتوبوليس .

وكان على متن الزورق .. جاليتس وعملاء ثلاثة جدد هم :

- انستاس بيرلتس « ميك .. ليتوانى » .

- وجانيس بياسنتكس « هوجو » من استونيا .

- والذى تدرب على أعمال التزوير وتشغيل اللاسلكى .

- والبرت كوسك - ليتوانى باسم « جورج » .

وعندما اقترب الزورق من الشاطىء .. ونادى المجدف وهو زيجماس كوديركا .. المجموعة الموجودة على الشاطىء .. وزيجماس ليتوانى جندته المخابرات البريطانية منذ عام مضى فى لندن .

وقال .. إننا قادمون من عند جاربيل .. ورد بياتنس المسئول عن الاستقبال كما نصحه ساليرجاس « لوسفير فى انتظاركم » .

وبعدما قفز الأربعة من الزورق .. صعد شخص واحد على متن الزورق وهو لودس آبانس العائد إلى بريطانيا .. «المنهار عصبياً » .

وكان لوكاسيفكس قد قرر التوصية بعودته ، ليس كعمل إنسانى ولكن بعد عودة جاليتس المنهار عصبياً فان ساليرجاس والانجليز يريدون التأكد من أن الشبكة لاتزال عاملة .

ويمكن لآبانس أن يؤدى هذا الدور .. لأنه فى خلال الشهور الأخيرة كان متلهفاً على إنشاء شبكة اتصالات عبر ريجا وعدد من هؤلاء كانوا متعاطفين حقيقيين وأبرياء .

وتنفيذاً لتعليمات ساليرجاس ، فى الشهر السابق على رحيله .. نقل آبانس كل شىء تعلمه فى شارع أولد تشارش إلى كيبورس . بما فى ذلك كل الشفرات التى بحوزته

وبعدما صعد آبانس على سطح الزورق .. كان هناك شخص ليتوانى آخر يبلغ من العمر خمسين عاما .. لم يعرف عنه لوكاسيفكس شيئاً واسمه « إدموندز » ولم يحذر

المركز فى موسكو من وصوله من فيلنيس .. ويعامل كعضو من الأنصار وصعد إلى القارب متوجهاً إلى لندن .

وانتهى تبادل المنهارين عصبياً . وأعفى جاليتس من العمل بين ..الأنصار .

وبعد استجوابه حكموا عليه بأنه .. كارثة .. وفى حقبة ستالين فإن الزملاء كانو قليلى التعاطف إزاء بعضهم البعض .

أما آبانس وبعد استجوابه فى لندن ظل فى خدمة المخابرات البريطانية فى سنة ١٩٥٥ ويعيش الآن فى شمالى لندن ولم يفقد حتى الآن قدراته الذهنية .

ولايزال سالبرجاس وماكبن وكار يعتقدون أن العمليات فى البلطيق تسير على نحو طيب نسبياً . وأقنعت الرسائل القادمة من روبرتس البريطانيين أن المخابرات تبنى شبكة جاسوسية عبر الاتحاد السوفيتى واصلت ماكسس عملها على نحو مرضٍ أيضاً .

وكانت الشبكة الليتوانية مشكلة بعدما انقلب ديكسنس . ولكن جرت إقامة اتصالات جديدة وادموندز ممثل زعيم الأنصار قدم إلى لندن لينافس استراتيجية جديدة وأخيراً أقيمت اتصالات ثابتة مع شبكات المعارضة الاستونية السرية .

واكد .. العميل الاستونى ألبرت كوسك وصوله الآمن إلى تالين فى رسالة قصيرة أرسلها إلى ريبان نقلت عبر واحد ممن اتصل بهم . والذى اعتقد أنهم كانوا أعضاء فى شبكة قائد الأنصار الاستونى « سيريل » .

وفوجئت الـ « كى - جى - بى » فى استونيا .. بالوصول المفاجىء لكوسيك .. حيث كان مقرراً من قبل المركز فى موسكو أن يظل لبعض الوقت مع جماعة ماكسس فى لاتفيا .

ولكن تغير ذلك الترتيب ، عندما لاحظ الأنصار أن الاستونى يتصبب عرقاً ويختفى بانتظام بين الغابة . وبعد أسبوع واحد اعترف كوسيك أنه أصيب بمرض الزهرى وربما يكون أثناء الليلة الكبيرة فى ريبر هام .. وتغلبت المصلحة الذاتية على الواجب المهنى ، وانحنى لوكاسفيكس أمام مطالب ضباطه بأن يرسل العميل فوراً إلى أستونيا قبل انتشار المرض .

وأرسل إلى لندن إشارة بحالة كوسيك السيئة .. وكانت إجابة ريبان واضحة « لاتتصل بأطباء واستخدم أقراص البنسلين واختبىء فى الريف بينما عثروا له على منزل آمن فى المدينة » .

ومن بين الخمسة وثلاثين كيلو أمتعته التى حملها عميل المخابرات البريطانية كومة .. جوازات سفر سوفيتية على بياض وبطاقات هوية . وتصاريح عمل وختامة

مطاطية . والتى تختم الوثائق بطريقة شرعية .

وحصل العميل على بعض الوثائق من قسم الخدمات الفنية بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ « سى ـ أى ـ إيه » . والتى أنشئت مصنعاً متخصصاً فى مركز قيادة الوكالة فى واشنطن .

وكان خبراء الـ « كى ـ جى ـ بى » متأثرين جداً إزاء التقدم فى إتقان عمليات التزوير من قبل نظائرهم .

وعندما وصلت الأنباء فى الغرب سنة ١٩٤٩ عن أن السوفيت بدأوا إنتاج جوازات سفر جديدة .. وعرفت المخابرات المركزية والمخابرات البريطانية بكل أسف أن السوفيت يستخدمون الجوازات التى عثروا عليها بحوزة اللاجئين .

ولم يعد .. بعد ذلك بمقدور عملائهم الاعتذار بأن أوراقهم فقدت أو سطا عليها الألمان أثناء الحرب .

ولذلك .. بدأت الوكالتان فى تزوير جوازات السفر .. وأنتجوا جوازات سفر على درجة من الإتقان افضل من الأصل .

وكان الشرط الأساسى لذلك هو تجنب الأخطاء التى وقعت فيها المخابرات الألمانية أثناء الحرب .

ولكن خان المزورون الأختام .. وكان السوفيت يستخدمون أختاماً معدنية قاصرة الجودة وتصدأ بسهولة وتلوث أوراق جواز السفر .

بينما استخدم الألمان أختاماً من الصلب النقى لاتصدأ .

وكان ذلك واحداً من الأشياء الدقيقة التى عمل المصنع المتخصص فى المخابرات الأمريكية على تجنبها .

وفى واشنطن جند قسم الخدمات الفنية مائة متخصص لتحليل جواز السفر السوفيتى وإنتاج نسخة طبق الأصل .

وكانت المشكلات هائلة .. حيث كان مطلوباً من الخبراء تجاهل التطورات والتحسينات فى القرن الماضى ، ويستخدمون تكنولوجيا إنتاج الورق الردىء .. وكانت الخطوات التالية هى العثور على ماكينة قديمة وعندما فشل البحث ، بنت الـ « سى ـ أى ـ إيه » معملاً لإعادة إنتاج الورق السوفيتى المصنوع من أوراق الزيتون الأخضر .

وتحول الورق من اللـون القرنفلى إلى الأزرق فى عمليـة واحدة .. وأضيفت عـلامة مائية متميزة . وكانت الخطوة التالية البحث عن مطبعة تعود إلى قرن مضى .

وانتهى البحث المضنى إلى ماكينـة مناسبة فى مـركز لأحد البنوك فى فيينـا . وجند الكيمائيون لإنتـاج الأحبار السـوفيتية المختلطة والمتميـزة المستخدمـة فى خمسة عشر جمهورية ، والتى يرسل إليها العملاء .

واستأجـرت الوكـالـة المنفيين الـذين تعلموا فى تلك المنـاطق أنماط الخطـوط التى يستخدمها أبناء وطنهم والذين يعملون الآن فى الوزارت السوفيتية ..

وكان من بين العملاء زيجماس كاردوكا الليتوانى وهو الذى ركب الزورق فى رحلة كـلاوس الأخيرة واختير للسفـر فى رحلـة كـلاوس فى خـريف سنـة ١٩٥٢ ، وسيعمل كمشغل لاسلكى ؛ لأن ادمـوندز الليتـوانى أيضـاً والذى اجتمع مع آبـانس على وشك العودة و إنشاء شبكة المخابرات البريطانية .

وظل ادمونـدز لغزاً خلال إقامتـه فى لندن ، ورفض بقوة أن يكشف عن هـويته إلى زايمنتس متحججاً بالأمن وخوفه من الـ « كى - جى - بى » فى لندن . وكان يصر على أنه مُـرسل من الأنصار الليتـوانيين وقبل زايمنتس التفسير ، رغم ان زايمنتس قيل لـه من أحد المنفيين : إن أدمـوندز يبـدو قريب الشبه جـداً من مأمور السجن فى كـاناس . ولم يعلق أحد على قائد الأنصار الذى يزور لندن ويشترى باروكة ليستر صلعته .

وكان من المناسب لزايمنتس أن يتجاهل التحـذيرات وفضل ماكبن أيضاً الا يأخذ حـذره . وفى أثناء تلك الشهـور التى أقام فيهـا ادمـوندز فى لنـدن حصل كوردكـا على تأكيدات بان عملية المخابرات البريطانية آمنة بالكامل .

وكان كوردكا يعمل باسم حركى فى المخابرات البريطانية باسم « كونارد » واسمه فى جـواز السفـر المزور هو « زيجماس زوربـا » والتأكيـدات التى تلقـاهـا كـانت من زايمنتس وجون لويدزوس وجون كروفتون فى شارع أولد تشارش .

وقد قال له « جون الكبير » لويدزوس .. فى أكثر من مرة « فلننظر إلى حركة العملاء التى لاتهدأ فى لاتفيا » . ورغم أن ضـابطى الاتصال فى المخـابرات البريطـانية لايعلمان شيئاً عن العمليات الأخرى فى روسيا ولكنهما أحسا أن « حركة زرع العملاء فى البلطيق كانت جوهرة التاج فى المنطقة الشمالية » .

وكان مجهـولاً للرجلين .. أن هنـاك إشارات تحذير فى بـرودوى ، أثارهـا البرهان

المتزايد عن فشل العمليات فى ألبانيا وتشيكوسلوفكيا وبولندا وأوكرانيا .

وهناك دلائل تتراكم تـدريجياً ضد فيلبى .. ولامـدعاة للدهشــة فى ذلك .. فمنذ أن فترت الهمة فى اصطياد حيوان الخلد .. ولم يكن هناك أى تفكير فى مواصلة بحث دؤوب عن بن عرس . إن شذا العمليات الخاصة لايدركه الجميع وإنما الأكثر حساسية . وكان أولئك من المخلوقات النادرة فى المبنى العتيـد . والأغلبية مثل كار يشبهون المتخصصين المتخفيين الذين وصفهم وليم كولبى « مديـر المخابرات الأمريكية » فى المستقبل .. وكتب عنهم فيما بعد « اجتماعيـاً ومهنياً .. اجتمعـوا معاً أكثـر من مرة واحـدة وكونـوا أخوة مشتركة ويأكلون فى مطاعمهم المفضلة معاً .

وهم منقسمـون حتـى على أنفسهم .. وتنسـاق عـائلاتهم وراءهـم ولـذا لم تكن دفـاعاتهم دائماً قـوية وبهذه الطـريقة انفصـوا بأنفسهم عن العالم العـادى وكونـوا لأنفسهم رؤية بديلة للعالم . وحياتهم المزدوجة أصبحت هى القيمة الواضحة ينظرون من أعلى على بقيـة المواطنين . ومـــن ذلك نشــــأ بعــــــد ذلك مـاسمى ونعت بـاسم عقيـــدة « الولع » الاستخبـارات وهى رؤية غريزية ومشوهة ونخبـوية للاستخبارات، تفترض أن تكون المخابرات فوق كل العمليات الجارية فى المجتمع .

ويخدم المرء مخلصـا وطنـه ثم يحال للتقـاعـد مـن مهمتـه ، بعيـداً عن أى تقييم موضوعى لعمليـاته . كان ذلك قدر متـزيس وخليفته جون سانكلير . أمـا كار فقد ظل غافلاً عن البلاء .

وفى سنة ١٩٥٢ فقدت المخـابرات البريطانية مـدير العمليات والذى كـان عليه أن يبتدىء بأى تحقيق أو استقصـاء مع نفسه ، وغدت المخابرات البريطانية خداعها للنفس بالرغبة فى الاعتقاد بنجاحها الخاص ..

وفى واشنطن .. كانت الـ « سى ـ إى ـ إيه » تعانى من مشكلات مشابهة لكن المدير الجديد للـوكالة الجنـرال والتربيدل سمث قام بمـراجعة شاملـة ويأمل من خلالها أن يجتث السرطان الذى أصيبت به المخابرات البريطانية .

***

الفصل السابع

ورطة فى موسكو

هو ينظر بلا مبالاة إلى موقف انتظار سـيارات الوكالة فى مطلع عام ١٩٥١ أدرك « الخنفس » سميث ان ميراثه كمدير جديد للـ « سى - أى - إيه » قد أصبح فعلا ضحية لتاريخهـا القصير . أما أولئك من أمثال روزيتزكى من مكتب العمليـات الخاصة « أو - أس - أو » فقد كانوا موظفين حكوميين قادوا البلاموس والدوج التقليدية .

على العكس من ذلك فإن نماذج من النظـريين الجامعيين الـذين يعملـون فى مكتب التنسيق السياسى « أو - بى - سى » قـد تم توظيفهم لأداء مهـام مؤقتـة وجاءوا من البنوك والمكـاتب القانـونية والشركـات الكبيرة بواسطـة فرانك ويـزنر وقـدموا نماذج رياضية مبهرة تدعو إلى التباهى .

لم يحاول أى شخص إخفاء حقيقة الانقسامات الاجتماعية المحـزنة داخل الوكالة والتى انعكست فى صورة منافسات مهنية شرسة . وفى خلال العام الماضى تمكنت كلتا المجموعتين من مضاعفـة الأعضاء العاملين والموارد والطموحـات إلا أن النفور المتبادل بينهما قد حال دون وجود حماس مشترك لتحطيم الشيوعية .

وإلى حد مـا يجرى تنفيذ العمليات لتـدعيم السمعة السياسيـة للوكالـة أكثر من الالتزام بتنفيذ استراتيجية استخبارية .

فى عام ١٩٥١ قـام سيمث بتعيين آلان دالاس للعمل على التوصل إلى اتفـاق لتنفيذ عملية إدمـاج برضـاء الجانبين من أجل القضاء على الازدواجيـة وفرض سيطـرة أكثر إحكاماً ومع ذلك لم تحقق الجهود البيروقراطية التى بـذلها الرجل نجاحاً سريعاً .. وقد أدى تعيين دالاس إلى تشجيع « أو - بى - سى » و « أو - إس - أو » على زيـادة أنشطة التجسس الجادة ولكن أيضا الانغماس فى مهرجانات مظهرية .

لقد قام ويزنر الذى وصفـه فيلبى بدون لطف بأنه معتد بنفسه يميل إلى السمنة -

بتجنيد أى شخص وكل الاشخاص الذين أوصى بهم « شخص ما » فى الشبكة .

إن نفس الوكالة التى كانت تنفق مبالغ كبيرة من الأموال لمساندة مواطنى أوكرانيا وروسيا البيضاء وجورجيا وألبانيا ودول البلطيق وبولنا تقوم بإطلاق بالونات تحمل سلالاً من منشورات الدعاية الإخبارية عبر الستار الحديدى وإرسال دعوات مطبوعة على ورق مصقول إلى حفلات استقبال وهمية فى سفارات الاتحاد السوفيتى فى عواصم دول غرب أوروبا وإسقاط قنابل دخان على حشود الشباب فى برلين الشرقية .

وفيما بين الجانبين المتطرفين كانت الإدارة الأمريكية متمسكة بالحرب النفسية من أجل كسب قلوب وعقول الشخصيات الهامة من خلال تمويل محطات الراديو ودور النشر والصحف والمؤسسات .

فى أوائل الخمسينات كانت الحرب مستعرة بين الأيديولوجيات على الأصعدة الفكرية أكثر من الأصعدة العسكرية كانت هيئة الحرب النفسية برئاسة الجنرال روبرت مكلور تعتبر عاملا مساعداً فى الصراع .

بالنسبة لسميث كان يرى بعد كل ذلك أن كلا من الدعاية السوداء ومهمات الحقائب السوداء قد أصبحت خارج السيطرة .

استدعى سميث صديقه لوكيان تروسكوت من التقاعد لإعادة تقييم العمليات السرية للوكالة فى روسيا والدول التى تدور فى فلكها . وكان سكوت رجلاً داهية يمتلك حس الجندى المقاتل الذى قاد الجيش الخامس حتى عام ١٩٤٥ وبدا واثقاً من مهمته الجديدة عندما أعلن عن عزمه التوجه إلى ألمانيا للاطلاع على مايجرى هناك .

وصل تروسكوت إلى ألمانيا فى ابريل ١٩٥١ يرافقه اثنان من المساعدين الشباب هما بيتر جيسوب وتوم بولجار ، واللذين يحملان رأياً متحاملاً سلفاً إزاء نماذج « أو ـ إس ـ أو » و« أو ـ بى ـ سى » الذين يمكن خداعهم بسهولة وكان من أهدافهم المبكرة « مايكل بورك » الذى كان يتابع المغامرة الألبانية بعد الانسحاب البريطانى رغم وجود دلائل على أنها حلت وكذلك وولبول ديفيز الذى قدم ملايين الدولارات لمساندة جماعة سرية أيرلانديه تسمى « دبليو ـ أى ـ ان » .

أدى شك تروسكوت الواضح إلى إثارة حنق أولئك الذين هم على شاكلة بورك الذى تصادف أنه كان يعيش حياة رغدة مع زوجته على حساب الـ « أو ـ بى ـ سى » وقد كان هذا الشعور بالحنق متبادلاً .

وصلت مواجهة سكوت الذروة مع هؤلاء المتأرجحين القانعين إلى القمة عندما قذف بورل بكأس خمر على وجهه وهى الحادثة التى أوصى بها الجنرال بشدة إلى مارى روزتيزك وديفيد ميرف .

قام تروسكوت وبولجار بتفقد معسكرات التدريب التابعة لـ « أو ـ إس ـ أو » التى مازالت تتوسع فى كافبرن فى مطلع عام ١٩٥٢ حيث يتم اطلاعهم على المنازل المصادرة فى الغابات وعلى طول ضفاف البحيرات الواقعة جنوبى بافاريا حيث يتلقى عشرات العملاء تدريبات على القيام بمهام سرية .. وقد جاء رد الفعل على حماس روزتيزك وميرف وثنائهم على طموحات الوحدات وفرص النجاح فاتراً .

وقد أعلن تروسكوت فى هذه الأثناء أن هؤلاء العملاء لن يستمروا ؛ لأنهم معروفون فى اوساط اللاجئين ومن المؤكد ان يتم اختراق هذه المجموعات من اللاجئين .

وتساءل بولجار وماذا سيفعل هؤلاء عندما يصلوا إلى هناك ؟ إذا كانت ٢٧٠ فرقة المانية قد أخفقت فى الإطاحة بستالين فإنه لايفهم ماذا يريد هؤلاء اللاجئين أن يحققوا .

إلا أن ميرف الذى بدا مقتنعاً بوجود حركات مقاومة على طول الحدود برد هذه الشكوك قائلاً : « حتى اذا لم يرسلوا إلينا استخبارات جيدة فإننا سنسبب كثيراً من المتاعب للروس عن طريقهم » .

وتابع روزتيزك قائلاً : إن أولئك الموجودين فى الكرملين لابد أن يشعروا بالرعب تماماً ، وقد جاء فى مذكراته فيما بعد كيف عاش ساعات طويلة من التوتر والقلق الحاد فى وقت كانت فيه حياة عملاء الوكالة فى خطر وهم يحاربون شبح مخطط لغزو العالم .

وعق بولجار على هذا الكلام ساخراً : إن الشىء الوحيد الذى تثبته هو قانون الجاذبية .

وقال تروسكوت ـ إن أرواح الناس تتعرض للخطر عندما يتفرجون على آخرين يضعون اقدامهم فى الماء إلا أنهم لايجدون شيئاً وها نحن نفس الحال لانحصل على أى استخبارات .

ومن بين المغامرات التى سيبحثها تروسكوت فيما بعد ويعتبرها دليلاً على الإهمال قيام « إس ـ أو ـ إس » بإرسال مجموعتين من الليتوانيين للنزول على شواطىء بولندا .. فقد قام ضابط اتصال وكالة « سى ـ أى ـ إيه » ميك انيكيف بالاتفاق حول التفاصيل مع مجموعة رينهارد جيهلين التى اصبحت فيما بعد وكالة المخابرات

الخارجية الألمانية وكان واثقاً من سلامة الإجراءات الأمنية بصورة مطلقة . وفيما بعد انتهت عملية الهبوط بكارثة رهيبة حيث هاجم الحراس هؤلاء العملاء فجأة ولقوا جميعاً حتفهم . وفى رأى تروسكوت أن هذه الأحداث لابد وأن تكون قد نبهت العاملين فى « أو ـ إس ـ أو » على الأقل لاحتمالات اختراق « كى ـ جى ـ بى » لصفوفهم .

ولكن عندما لقوا فيما بعد ذلك جنرالات ذوى أربعة نجوم بعد ذلك من واشنطن خلال صيف عام ١٩٥١ لإعداد تقرير حول استعدادات « أو ـ إس ـ أو » للحرب السرية والتى تمت مناقشتها فى اجتماعات خاصة لرؤساء أركان « لجنة ادحوك حول الأنشطة السرية » لم يبد أى واحد منهم شكوكاً حول هذه العمليات . على العكس طالب كل واحد منهم بتنفيذ مهام أكبر وأكثر طموحاً . فقد كانت واشنطن فى حاجة إلى معلومات استخبارية من داخل روسيا وفى النهاية ترغب فى إزاحة ستالين .

كان من رأى لجنة الاستخبارات المشتركة أن أكثر الأهداف قابلية لإشعال الثورة ضد ستالين هى دول االبلطيق .

كما ترى أن أحسن مصدر لتجنيد عملاء لتنفيذ هذه الأهداف هو المجموعات القومية الموجدة التى ترغب تطوعاً فى الانضمام إلى الكتائب العسكرية المناهضة للشيوعية وتتوقع الحصول على مساندة أمريكية لنيل الاستقلال عن الاتحاد السوفيتى .

وبعد ان تلقت وزارة الدفاع الامريكية ــ البنتاجون ـ مبلغ ١٠٠ مليون دولار بموجب ـ اتفاقية الأمن المتبادل ـ لتمويل العمليات العسكرية تم إقامة معسكر دائم للتجنيد يضم مجموعات من العملاء المحتملين وكان هؤلاء هم الذين تم التاكيد للجنرال ايزنهاور خلال جولة تفتيشية أنهم على درجة من الأهمية الحيوية من أى حرب قادمة انطلاقاً من أن دول البلطيق ترتبط بعلاقات صداقة مع الغرب .

فى مثل هذا المناخ كان من اليسير على ميرف وروزنتيزك ألا يكترثا باعتراضات تروسكوت وكانا على قناعة بأن شرحهم الواضح للعمليات المتوقعة يقود إلى النجاح .

لذا رأيا أن من الأفضل تجاهل فظاظة تروسكوت خاصة اعتراضاته حول الخسائر وكان من بين أولئك الذين وصلوا حالا للتدريب فى كافبورن ثلاثة من مواطنى لاتفيا حيث تم تجنيدهم عن طريق لاوناجس فى السويد وكان ميرف يعتزم إرسالهم فى مهمة بأسرع مايمكن .

وكما هـو الحال فى جميع المهام المتـوقعـة تم إرسال الأوراق التى تحمل تفـاصيل المهمة إلى واشنطن للموافقة . وبعد أن درس جورج بليك الرئيس الجديد لقسم البلطيق فى المقر الرئيسى لوكالة بدقة أوراق المهمة قام بتمـريرها فى أروقة الوكالة لتوقيعها من المختصين وكان أخر شخص يوقع على هذه الأوراق بالموافقة هو ريتشارد هليمزمدير العمليات .

ورغم ادعاء هليمـز بأنه كان دائما فى ريبة مـن هؤلاء رعاة البقر ومن جـدوى هذه العمليات باعتبـارها تشبه ـ لسعـة البرغوث ـ فإن بليك لم يجد أى معارضـة تذكر من الثورة الأمريكية .

وقع هليمـز بالموافقة على مهمـة أبناء لاتفيـا تماما كما سبق وأن وافـق على عملية إنزال الليتوانيين من قبل .

فى البدايـة قام لاوناجس ولـونيدس بروبمبرج ـــ وهو زميل لاتفى جـاء أيضا من السويـد ـ بتدريب الـلاتفيين الثلاثـة إضافة إلى اثنين من الأمـريكيين يحملان اسمين حركيين هما ايـرنست وبول . ولكن فى مارس ١٩٥٢ تـولى مسئوليـة التدريب شخص أمريكى من أبوين لاتفيين هو بول هرغان مستخدماً اسما حركياً هو ـ الكولونيل كول ـ وكان هارتمان يعمل من قبل فى وحدات مكافحة المخابرات المعادية فى أوربا مسئولاً عن تفتيش المعسكرات الخاصة باللاجئين ثم أصبح مسئولاً عن عملية لاتفيا رغم قلةخبرته فى العمليات الاستخبارية .

وعلى أية حال فقـد كان يملك دافعاً قوياً وفخـوراً بمعلوماته الأمنيـة التى استقاها خلال سنوات عمله فى معسكرات (دى.بى) فقد كان يردد أمام زملائه « أننى أعرف كل شىء عن « ترست » ولكن لا أصدق أحد سـواء البريطانين أو المهاجرين . وكان كل همه إيجاد أشخـاص يعملون لصـالح الـ « سـى ـ أى ـــ إيه » فى الاتحاد السـوفيتى دون الانتباه كثيراً إلى التفاصيل .

وبعد أن مـر اللاتفيـون الثلاثـة على جهاز الكشف عن الكذب طلـب هارتمان من لاوناجس وبـرومبرج مغادرة المعسكـر حتى يتولى المرحلة من تـدريبهم ومن الأفضل أمنياً ألا يعرف أحد غيره بمكان الهبـوط المقترح .. وأصدر هارتمان تعليماته إلى العملاء الثلاثة بضرورة الاهتمام بالحصول على معلومات طازجة وعدم التركيز على الباراتيزان والمعادين للشيوعية إنما الاتجاه إلى خلق شرعية لوجودهم ويعيشوا حياة عادية . وكان

من الواضح أن الغرور قد أقنع هارتمان بأنه لا يمكن أن يقع ضحية للخداع .

فى يوم ٣٠ أغسطس تم إنــزال الثلاثــة الفريــد سن ريكستينس (ايمانتس) ونيكولاى بــالوديس (بــوريس) وأدفينس أوســولينس (هربــرت) بالمظــلات بعد أن حصلوا على تأكيــدات بأنه سيتم فى نهايــة المهمة إمــا إجلاؤهم بــالقوارب أو يتــوجهوا اعتماداً على أنفسهم إلى سفــارة الــولايــات المتحدة فى وارســو أو هلسنكى بــاستخــدام الوثائق المزورة والدولارات والذهب الموجود معهم فى الأحزمة .

وكما هو الحال مع جميع العمــلاء الأمريكيين تلقى الثــلاثة وعوداً بــالحصول على مبلغ ١٥ ألف دولار مكافأةبعد عــودتهم سالمين أما إذا مالقــوا حتفهم فإن هذه الأموال ستــدفع إلى أقــرب الناس إليهــم وقد ســاهمت هــذه الــوعود فى إثــارة حماس العمــلاء وتحفيزهم .

إلا أن الريــاح قد تأتى بما لا تشتهى السفن فقد تعــرضت خطة هارتمان الــدقيقة للفشل خلال دقــائق من سقوط العمــلاء الثلاثــةفى غابــة كورلانــد القريبــة من حدود ليتوانيا فقد سقط بالوريس على مســافة بعيدة من ريكتينس واوسولينس وبذلا جهوداً مضنية للعثور عليه إلا أنهما فشلا فى ذلك .

وبعدأن دفنــا مظليتهما والمعدات الثقيلــة التى فى حوزتهم ســار العميلان فى اتجاه مزرعة يقطن فيها عم لريكستينس وبعد شروق الشمس اكتشف الرجلان وجود دورية تابعة للجيش على الطريق مما دفع ريكستينس إلى الهرب وسط أشجــار الغابة مذعوراً والركض يتبعــه زميله إلى الهرب فى اتجاه المزرعة وبعــد أيام قليلــة تمكنت عناصر من كيه. جى. بى كشف مخبأهما بمساعدة أحد المخبرين فقام ريكستينس بابتلاع أقراص السيانيد واستسلم اوسولينس .

فى ريجا بدا الجنــرال فيفرز وكأنــه على وشك أن يكرر نفس الخداع الــذى نفذه فى عملية لارسين اسن ضــد الولايات المتحــدة إلا أنه شعر ان انتصــاره غير مكتمل نتيجة وجود العميل الثالث بالوديس حراً قادراً على جمع المعلومات وإرسالها إلى ميونيخ .

كان فيفيرز يعرف بداهة ان الــ «سى ـ اى ـ إيه » والــ « إس ـ اي ـ إس »يجريان اتصالات منتظمة لمقارنة المعلومات الاستخبارية القادمة من الاتحاد السوفيتى .

ومن المؤكد أن تقــارير بالوريس ستتضــارب بالضرورة مع التقاريــر المزيفة التى

تعدها كيه. جي. بى وترسلها إلى « إس ـ اى ـ إس » عن طريق مجموعات البارتيزان .

حتى وصول العملاء الأمريكيين كان فيفيرز على يقين أن غياب الاسئلة الواردة من لندن حـول التنقاضــات فى التقاريـر الاستخباريـة التى تم إرسالها بالفعـل هو دليل واضح على ان إس ـ أى ـ إس» قد فشلت فى إقامـة عملاء حقيقيين مستقلين فى الاتحاد السوفيتى . أمـا الآن فإن رسالة واحـدة دقيقة من بالوريس خـاصة للافـادة عن عدم وجود بارتيزان فى الغابة ستكون أكبر خطر على استمرار خداعه للـ « اس ـ اى ـ اس».

وبعد أن قام الميجور بوند وليس باستجواب اوسولينس فشل فى الحصول على اى مساعدة منه لمعرفة مكان زميلـه إلا أنه فى وقت لاحق كان اوسولينس هو مفتاح القبض على بالـوديس بعد أن عـرض بوندوليـس على اوسولينس فى الزنـزانة الاختيـار مابين الإعدام أو التعاون فاختار الطريق الثانى .

وفيما بعد ادعى السوفيت ان اوسولينس كان عميـلاً ـ للكيه. جى. بى ـ تمكن من اختراق (أو ـ إس ـ أو) واسمه الحركى ابيلون تـم زرعه فى أو. إس. أو إلا أنه لا يوجد دليل يؤكد ذلك بصورة مطلقة .

حتى قبل أن يتخـذ اوسولينـس قراره بـالتعـاون ارتاب هـارتمان فى القبض على المجموعة نظراً لأنه لم يتلق أى إشارة بالراديو تفيد وصول أفراد المجموعة سالمين .

وأدت هـذه الواقعـة إلى وجود أزمـة فى فرع البلقـان فى كالـة المخابـرات المركزيـة الأمريكيـة بعد أن بـدت إجراءات الأمن المطبقة بـدون جدوى . وتأكيـداً على ذلك بدأت الصحف ومحطات الإذاعـة السوفيتية فى نشرو إذاعـة سلسة من البيـانات تصف أدق أسرارمعسكرات كيمبتون وطـانوبورن التى تستخدم فى تدريب أبنـاء روسيا البيضاء وأوكرانيا ودول البلطيق وذكرت بالاسم عدداً من ضباط السى. اى. ايه .

وخلص هارتمان وميرفى إلى أن هـذه المعلومات تـم الحصول عليها من عمـلاء بعد وقوعهم فى أيدى المخـابرات السوفيتية إلا أن لاونجس وآخرين من العاملين فى الـوكالة عبروا عن اقتناعهـم بقيام كيه. جى. بى بـاختراق المعسكرات مـؤكدين» أنهم يعـرفون حتى نوع طعام الإفطار الذى نأكله» .

بعد أربعة أسابيع من مغادرة أفراد المجموعة الثلاثة قام هارتمان بشطب أسمائهم ولم يكن من الضرورى أن يخضع هارتمان نفسه لاستجواب أو تحقيق أو حتى يعاني من رد فعل عـاطفى نتيجة خسارتـه المحتملة لهؤلاء العمـلاء وقال مـوجهاً كـلامه إلي

لاوناجت : « إن ذلك جزء من مهمتنا » .

خلال مراجعــة العملية تكهن روز تيزك أنه قد يكون هنــاك اختراق آخر عن طريق اللاتفيين الذين يجرى تـدريبهم أو من أعضاء كتيبة العمال اللاتفية . وفعــلاً كان فرع كيــه. جى. بى فى لاتفيــا قـد تمكن مــن زرع عمــلاء فى الكتيبــة ولكن فــور القبض على اوسولنيس توقفت تقاريرهم .

فى حقيقة الأمر ليس كما اعتقدت فيفيروز أنه تم الكشف عن عملائه بل إن ماحدث هو إنــه لمنع المزيد من الاختراق تم نقل التدريبات على العمليــات المستقبلية إلى واشنطن بعيداً عن متناول الكيه. جى. بى .

وفى الــوقت الـــذى رتب هــارتمان لإجـــراءات الانتقــال حصل بــونـــدوليس من اوسولينيس على خطــاب مكتوب بخط اليد لإرســاله إلى عنوان سرى فى ألمانيا الغــربية . تضمن الخطاب المكتوب بحبر سرى تقريراً من اوسولينس يـذكر فيه أنه فى أمان إلا أنه فقد الاتصال مع زميليه الآخرين وتساءل عما إذا كان ــ الكولونيل كول ـ يعرف مكان وجودهما .

ودفع الشغف للحصول على المعلومــات بوندوليس إلى إرسال رسالة ثــانية ثم بعد ذلك استخدم جهاز الإرسال الخاص بريكستينس « الميت » على أنه جهاز اوسولينس .. وقام ضابط كيــه. جى. بى بشرح كيف أن جهاز الراديو قد تم إصلاحــه للتو وتساءل عما إذا كــان هناك أى معلــومات عن « بــوريس » (بــالوديس) وقــد تم تكرار إرســال الرسالة الأصلية عدة مرات كما هو مخطط دون أن يكون هناك أى رد .

وقد ظل هارتمان مرتــاباً بشدة حتى بداية شهر نــوفمبر عندما أخبره أوسولينس كتــابــة أن جميع أمــوالــه قــد نفذت . وقــد احتــوى نفس الخطــاب بعض المعلــومــات الاستخبارية وقد وافق هارتمان على أن استقبال الرسالةلابد أن يكون معروفا فى ألمانيا الغربية . وقد تزامن هذا الاتصال الأول مع القبض على بالوديس .

خلال الشهور التى كان بونــدوليس يخشى من خطر فضح عملية خداع الـ سى ـ اى ــ اس لم يمارس بالــوديس دور العميل ولكن كــان يعيش بدلاً من ذلك حيــاة ذات

أسلوب مرفه . بعد هبوطه فى الغابة قام بـدفن معداته وسافر مباشرة إلى عشيقة قديمة لـه حيث أنفق معها المبـالغ الكبيرة من الأمـوال والذهب الـذى حصل عليـه من وكالـة المخابرات المركزية الأمريكية .

وقد انتهت هـذه الحياة الرغدة على نحـو مفاجىء خلال حملـة تفتيش روتينية فى إحدى محطات السكك الحديدية حيث تبين أن أوراقه المزورة غير كافية .

ومع تأكـد فيفيرز ــ بعـد استجواب بـالـوديس ــ أنـه لم يرسل أى معلـومـات استخبارية دقيقة إلى واشنطن وقـرر ضرورة استخدام اوسولنيس كمغناطيس لجذب عملاء أمـريكيين آخرين من خـلال إرسال تقـارير منتظمة. ولم يتم التـأكد من مصير بالوديس أدى وصول أول خطاب من اوسولنيس ورسـالة الراديو فى نهاية عام ١٩٥٢ إلى اطمئنان هارتمان أن مخاوفه الأولية كانت جزئياً بدون اساس .

وفى غضـون ذلك كان لاونـاجس وزميلـه ضابط التـدريب الـلاتفى « ليونيـدس برومبرج » ، يعيشان عيشـة رغده فى بلايتسبرج بولايـة مريلاند القـريبة من واشنطن يستمتعان بما وصفه قدم بالقطار المغناطيسى .

قدم هـارتمان إلى الرجلين اثنين من أبنـاء لاتفيا لتدريبهم على مهمـة قادمـة وكان الأهم فيهما هو ليونيدس زارنيس البالغ من العمر ٢٥ عاماً والمولود فى لاتفيا وتمكن من الهرب مع والديـه إلى الغرب عـام ١٩٤٤ وبعد ذلك بأربع سنوات هـاجر إلى الـولايات المتحدة ودرس الهندسـة فى جامعة لوزيانا.

وعنـد التخرج كتب زارنيس مقـالاً تضمن هجـوماً لاذعـاً استنكـر فيه الاحتـلال الشيـوعى لوطنـه وفى وقت لاحق بعث بالمقـال الذى تضمن الهجـوم إلى البيت الأبيض وحث الـرئيس الأمريكى إلى اتخاذ إجـراء ما .وبعـد ذلك تم تمرير الخطـاب إلى وكالـة المخابرات المركزيـة ليستقر أخيراً فى أيدى هارتمان الذى استدعـى بدوره الشاب الذى كان يعمل فى ذلك الوقت فى شركة « بيل للتليفونات » لمقابلته .

لقد جاء اللقـاء بين الشاب المثالى المتحمس وضـابط المخابرات الطمـوح بعد أوقات متـزامنه مع بـدء وصـول رسـائل اوسولنيس إلى واشنطن . وقـد تم اقنـاع زارمنيس بسهولـة لقبول فرصـة الكفاح من أجل حرية بـلاده وسال لعابـه للحصول على المبلغ

الكبير الذى وعد به . بعد إعلان قبوله تم نقله مع مجند آخر إلى مزرعة فى ولاية فرجينيا حيث خضع لتدريبات مكثفة بواسطة تسعة معلمين كان من بينهم بروميرج ولاونجس .

وهكذا مابين ليلة وضحاها بدأ مازق هارتمان المتمثل فى عدم وجود عملاء فى روسيا أو مجندين لإرسالهم يجد طريقه إلى الحل . وقد حرص على زيارة المزرعة مرتين فى الأسبوع بشغف للوقوف على مدى تطور عمليات التدريب حيث أكد له لاونجس أن كل شىءيسير كما هو مخطط له ولكنه لم يكشف عن الكثير من اتصالاته مع اوسولينس .

خلال تلك الفترة تعرضت رغبة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لتنفيذ العمليات السرية إلى انقلاب مزدوج من جانب السياسيين . فقد تم انتخاب دوايت ايزنهاور رئيساً للولايات المتحدة بعد حملة انتخابية تميزت بوعد جون فوستر دالاس بأن تقدم الإدارة الجمهورية بإنهاء السياسة السلبية التافهة المعمرة المعروفة باسم سياسة احتواء الشيوعية والتى تترك بشراً لا حصر لهم أمام الطغيان والإرهاب الملحد وفى المقابل مكنت هذه السياسة الحكام الشيوعيين من تحويل الشعوب الأسيرة إلى سلاح لتدمير الولايات المتحدة .

أما أخوه آلان نائب مدير الوكالة للتخطيط فقد دعا إلى شن حملة صليبية روحية من أجل تحرير الشعوب الأسيرة فى شرق أوربا . ووضع السناتور جوزيف ماكارثى هذه التعهدات فى ابلغ صياغة عاطفية عندما قال ـــ ستالين هو ستالين ـ وأكد هذا السياسى الجامح أن ستالين يدبر مؤامرة شيوعية عالمية وقد تقبل الناخبون هذه الآراء رغم ان تأييدهم لمزيد من العمليات قد ترافق مع الكشف عن العديد من العمليات المحرجة .

فى شهر ديسمبر أذاع راديو وارسو سلسلة من البرامج حول مجموعة المقاومة دبليو ـ اى ـ ان التى حصلت على مساندة كبيرة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مكان تقييم ويزلزلها فى او. بى. سى بأنها تجتذب حوالى ٥٠٠ من الناشطين إلى جانب ١٠٠ أف متعاطف . وكان قد تم تهريب صور عن دبابات محترقةومبانى للشرطة وقد نهبت من السلاح لتكون دليلاً على نجاح العمل السرى ضد الشيوعية .

دون شك وثقت « سى ـ اى ـ ايه » و « إس ـ أى ـ إس » فى مصداقية حركة

« دبليو ـ أى ـ ان » حتى برهن راديو بولندا على أن هذه الشبكة كانت منذ البداية عملية خداع حبكتها كيـه. جى. بى . وفى نفس الوقت ظل العاملـون فى تشغيل أجهزة الإرسال الذين أوفدتهم المخابرات الأمريكية والـ « اس. اى. اس » صامتين .

وفى غضون ذلك انتهت المحاكمة الداخلية التى جرت فى (ام. اى فايف) لكيم فيلبى نهاية غير حاسمـة دون اعتراف أو احتمال للمحاكمة رغم ان جى. ايدجار هوفـر مدير مباحث التحقيقات الفيـدرالية ـ اف. بى. اى ـ كـان مقتنعا أنه مذنبـاً وأخذ يكيل اللوم ضد البريطانيين لأنهم تسببوا فى فشل وإجهاض العديد من العمليات الأمريكية .

أما فى داخل المخابرات المركزية الأمريكية فقد لعب جيمس جيسس انجليتون دوراً مفيداً فى إقنـاع ـ الخنفس ـــ سميث والآن دالاس ان « دبليو ـ اى ـــ ان » كانت خـدعة مثـالية ممـاثلة « اللترست » . واكتشـف ان الخداع كان التكتيك التقليـدى للمخابـرات الروسية منذ العهد القيصرى .

ولكن التناقض يبدو فقط واضحاً من استعادة الأحداث . ففى كل لحظة تبدو فيها معظم عمليات المخابرات المركزية الأمريكية والـ سى. اى . اس السرية فى روسيا والدول التابعة لها بمثابة كارثة كان السياسيـون يطالبون بالمزيد . وكانت هناك أصوات قليلة فى المخابرات هى التى أبدت عدم موافقتها .

رغم الأوهام والخداع والاختراق منذ كان هناك عدد قليل هم الذين يبدون ريبه قبل تخطيط عمليـات التجسس فى حكمـة الاستمـرار فى تنفيـذ هـذه العمليـات وكـان شك القادمين من الخارج مثل تروسكوت لا يؤخذ فى الاعتبار .

ورغم ذلك وبعد تكرار مشاجرات عنيفة وافق ويزز رئيس او. بى. سى على مطالب الان دالاس بأن يـراجع عمليـاتـه . وكـان أول المستهـدفين من عمليـة التقييم فـرانك ليندساى نائب ويـزز الذى تعرض لانتقادات ووصف بانه « يـركب نمراً ويرفع رجليه بثبات فى الهواء » .

كان ليندسـاى وهـو ضابط شجاع ومخلص يظهر حذراً كبيراً عندمـا كانت تقدم إليـه مهام لنيل مـوافقتـه عليها . وكـان يجيـز اى مهمة فيهـا اى بصيص من الأمل فى النجاح . وهو الأمر الذى برره بعد ذلك بقوله « إننا كنا نعتقد أن نخوض حرباً ويجب ان ننتهى كل شىء فى سرع وقت » كما شرح كيف كـان يضطـز للخضـوع امام ضغـوط امتعاملين مع أو. بـى سى وقد قبل بـدون تفكير الجملة العاطفيـة التى قيلت فى « ان ـ

سى ـ إس ٦٨ » التى وصفت روسيا « بأنها تسعى إلى فرض سلطتها المطلقة على باقى العالم » .

لقد مـرت معظم عمليات « أو. بـى. سى » فى البانيـا وبولندا وروسيـا على مكتب لنيدساى بالتوازى مع الأمور المتعلقة بالحرب النفسية .

كان ليندساى يعمل على أمل النجاح فى إثارة انتفاضات وهبات قومية ـ فإذا فشلت ـ يمكن فى هذه الحالة العمل مباشرة لزعزعة النظام السوفييتى عن طريق إغراق البلاد ـ بهويات بدون معالم وبطاقات تموين .

أدت المراجعـات الأولى عـام ١٩٥٢ إلى تغيير طفيف إلا أنـــه مع نهايـة ذلك العـام تكشفت الكوارث وأصبح ليذساى رئيساً للجنة ميردد التى ستتولى مراجعة كل عملية بعد زيـارة مراكـز الدراسـات والأبحاث الأمـريكية لـدراسة الـوسائل البديلـة لجميع المعلومات الاستخبارية .

بعد عودته أصبـح آلان دالاس مديراً للمخابرات المركزية الأمـريكية واستقر سى. دى جاكسون أسخن مقاتلى الحرب البارده فى البيت الأبيض. جـاء تقرير ليندساى عن تحقيقاته بمثـابة نعى له حيث قال : « لقـد فشلت عملياتنا ولا يوجـد بدائل » وهنا رد عليه دالاس بحدة : فرانك لا تقل هذا . وقـد برر دالاس بعد ذلك القيام بجميع العمليات ساخـراً بقولـه : « لقد أعطتنـا خبرة جيدة للحرب القـادمة » وانتهى الأمـر باستقـالة ليندساى وبقاء الآخرين فى الوكالـة وهم على قناعة أنه إذا جاء متطوعون فى الحال فإن خدماتهم ستكون مطلوبة .

وفى تلك الفترة جرت مراجعات مماثلة ولكـن أكثر تميزاً فى برودواى . وكان هـارى كـار بطبيعة الحال مشـاركـاً فيهـا بكثافـة ونتيجـة فشل العـديد مـن عمليات إنـزال المجموعـات الاوكرانية من مجموعـة بانديـرا تمت الموافقة على اقامة مـركز مشترك مع المخابرات المركزيـة الأمريكية فى « اى. جى فاربن » فى فرانكفورت لـلاستفادة من أبناء روسيا البيضاء الذين زعموا أن هناك شبكة نشطة معاديةللسوفيت مازالت تعمل داخل الاتحاد السوفيتى .

وفيما كـان تـدريب عشرة على الاقل من أعضـاء « ان . تى . إس » فى كـاوفبرن تم الاتفاق على تدريب آخـرين فى المنطقة البريطانية ومع ذلك لم يكن كار مشاركـاً بطريقة مباشرة .

وذلك حسب رواية ضابط الاتصال البريطاني ميكي ليكوسكي ، والياس ميكي بيترز ، الذى انضم إلى جورج بيليك لإدارة ماسيكون فيما بعد أغلى عملية فى العالم إلى اس . أى . اس فى ألمانيا . من ناحية أخرى ظل كار يحكم قبضته على عمليات البلطيق التى كان يعتقد أنها ناجحة جداً .

خلال شهور صيف عام ١٩٥٢ استجابت مجموعة الروبرتس وماكسيس إلى السيل المتدفق من طلبات لندن للحصول على المعلومات الاستخبارية ، وكان يتم تداول هذه المعلومات وتصنيفها على أنها « سرية جداً » ويتم إبلاغها على أنها معلومات « موثوق بها » إلى ١٠ دواننج ستريت ووزارة الخارجية البريطانية .

ونتيجة لذلك كان يتم تعميم السياسات البريطانية بصفة جزئية على أساس المعلومات المغلوطة القادمة من موسكو وعندما كانت طلبات لندن تزيد كان الرد سريعاً جداً ، [لسنا جواسيس بل مقاتلين من أجل الحرية يريدون الإطاحة بالشيوعيين لجمع المعلومات] .

وقد أثار هذا الرفض قليلاً من القلق فى لندن لانه فى نهاية سبتمبر وانتظاراً لطول فترة الليل ارسل سيلاراجس إشارة بأن اثنين من الليتوانيين واثنين من اللاتفيين سيتم إنزالهم فى ليتوانيا فى خريف ١٩٥٢ .

وصل قارب كلوس كما هو مقرر بدون مشاكل ، وكان الليتوانيان هما زيجماس كوديركا (كونراد) و « ادموندس » الغامض وقد نظم ماكبن حفلة قبل مغادرتهما مباشرة ل « ادمونس » فى شقته فى هامبستيد ورغم ان اس . أى . اس لم يكن لديها أى معلومات موثوقة حول هذا العميل ومع ذلك كان زيمانتاس وفى المقابل ماكبن كانا مقتنعين بمصداقيته .

لم يكن كوديركا يعلم أن أول اثنين من الليتوانيين بعث بهما إلى اس . أى . اس إلى ليتوانيا قدألقى القبض عليهما أو أن ديكنيس فى دائرة الاشتباه ، لذا كان يعتقد أن العمليات فى غاية الأمان والخطر ضئيل جداً تاركاً وراءه عشيقته ـ دورثى كولير ـ وبعد أن رأى فى السنوات القادمة أياماً مروعة كان يردد بينه وبين نفسه « أن كلا من زيمانتاس وجون ليودزيوس قد اكد لى أن هناك أماناً وقد وثقت فيها وصدقتها » .

وأطلق على الرجلين اللاتفيين اسمين حركيين هما « ليـدوماس » الذى سربته كى - جى - بى وقضى ستة أشهر فى بريطانيا وكورت أحد العاملين على أجهزة الإرسال وبعد وصولهم تـوجه الأربعة إلى إحدى الغـابات فى حين تم تخزين إحدى عشر حقيبـة ثقيلة مملوءة بالأسلحة وأجهزة الراديو والأدوية فى أحد المخازن .

أخذ كلـوس معه راكباً واحد فى رحلـة العودة . بناء على طلب سيـلاراجس حضور أحد الاعضاء البـارزين فى مجموعة ماكسيس اختار لوكـاسيفكس جانيس كليماكانس الذى كـان قد ألقى فى إحـدى الغابـات مع بيركس .. وكان كليماكـانس ابناً لفـلاح لقى مصرعه رميـاً بالرصـاص بعد الحرب بواسطة اللصـوص أو البارتيزان . لـذا لم يفكر مطلقاً فى الانضمام إلى الحزب الشيـوعى . هذا الرجل المعروف بـوسامته ومهارتـه كان يعمل مسئـولاً بـارزاً فى الإدارة التعليميـة فى ريجا وقـد استغل لـوكـاسيفكس قـوتـه الواضحة فى الإقناع للحصـول على موافقته باختراق معسكر البارتيـزان على أنه قومى يـريد مقـابلة بيركس ، وعلى ذلك أصبح كليماكـانس خيطـاً فى مؤامـرة لوكـاسيفكس المحكمة بدقة ليستخدمه عند الحاجة فى المستقبل .

وبعد عامين وعلى متن قارب كلوس كان كليماكانس يقترب من كيل فى حقيبته وعاء به ورنيش أحذية . استبدت الحيرة بلوكاسيفيكس بالطلب الخاص من لندن الذى تلقاه من جبرائيل وقد عجز المستشـارون العلميون للـ كى - جى — بى فى معرفة أى وأسرار قد يكشف عنهـا المعجون ولكن الدوافع التى يكشفـونها فى وقت لاحق قد كشفت كثيراً عن خصومهم ، فقد كان أحد ضباط الـــ اس . أى . اس يمتلك مصنعا لورنيش الأحذية وأراد ان يتعرف على المنتج المنافس .

وشعر كل من مـاكبن وسيلاراجس بـالارتياح بعـد وصول كليمانس فقـد كانت الإدارة تعانى من ضغوط وحضور كليماكانـس سيعطى مركز الاتصال الخاص فرص لكى يثبت لكار والمنطقة الشمالية أن فرعهم نظيف من الاختراق السوفيتى .

وقد كانت دهشة كليمكانس - كما أبلغ لوكـاسيفكس بعد وصوله بعدة أسابيع أنه لم يكن هناك أحـد على الإطلاق يشك فيـه « لقد حصلت على وثائق هـوية بـاسم ليون بلومبيرج وأرسلونى إلى اوْلد تشرش ستريت لقضاء ثلاثة أشهر فى التدريب .

فى واقع الأمر أن كل عميل جديد فى العادة يكون موضع اشتباه بطريقة تلقائية ولكن ثبت ان أفضل طريقة لتهدئة مشاعر عدم الثقة الطبيعية لدى القادمين الجدد هى المبادأه بالمشاعر الودية وفى الغالب اذا ماوقعت أخطاء فادحة بطريقة غير متعمدة فإنها سرعان ماتظهر .

ولكن حتى حلول أعياد الميلاد عام ١٩٥٢ لم تكن هناك أى اشارة للشك فى كليمانس وكان سيلار جلس على قناعة تامة ان كليمانس بارتيزان حقيقى . وفى مطلع عام ١٩٥٣ وبموافقة من ماكبن قام بتقديم كليمانس إلى سفير لاتفيا تشارلز زارنيس .

أدى اندلاع الحرب الكورية إلى لفت انتباه زارنيس مثل كثير من الاوروبيين الشرقين فى لندن على الطلب المتزايد من جانب المسئولين العسكريين والأمنيين البريطانيين الذين يريدون معلومات أو مجندين لتنفيذ عمليات خاصة . وقد أدت هذه الطلبات إلى جانب التعهدات الواضحة من السياسيين الأمريكيين بهزيمة ستالين إلى دعم اقتناع زارنيس بأن صراعاً كونياً على وشك الحدوث .

قام ماكبن خلال زيارته المتعددة لدار المفوضية لأداء مباريات البريدج فى المساء بدعم اعتقاد زارمنيس بأن تشكيل ألوية من أبناء دول البلطيق فى ألمانيا وإنشاء شبكة مخابرات لاتفية شروط ضرورية لتحقيق حرية وطنه . وكان زارنيس يكتب فى مذكراته اليومية بعد زيارة من ماكبن او سيلارجاس عن أمله فى أن حركة المقاومة ستوجه ضربة لتحقيق الحرية .

ثبت فيما بعد أن الحرب الكورية كانت فرصة ضائعة إلا أن آمالا جديدة مماثلة انتعشت عندما توفى ستالين فى مارس ١٩٥٣ . وفى هذه المناسبة اخذ عديدون داخل البيت الأبيض يحرضون الرئيس الامريكى على استغلال حالة عدم الاستقرار المتوقعة فى موسكو وتوجيه ضربة وكان ماكبن وزارنيس يتبادلان الأوهام خلال ذلك بتشجيع من كليمكانس وفى تلك اللحظة كانت كى - جى - بى قد حققت التوازن الكامل من أجل تنفيذ المناورات الأمثل عن طريق عملائها فى كلا الجانبين وقدرتهم على توجيه الاسئلة الصحيحة لاستنتاج الإجابات الصحيحة .

وقد تظاهر كليمكانس أمام الرجلين اللاتفيين الموجودين فى لندن أنه مقتنع أن حرباً وشيكة واقعة لامحال ، وكدليل على اقتناعهما اشار سيلارجس وزارنيس إلى محادثتهما مع ماكبن ، ومن جانبه أقنع كليمكانس كلامن ماكبن وسيلارجس

وزارنيس أن البارتيزان تمتلك قدرات يمكن الاعتماد عليها فى حالات الطورىء .

وتظاهـر كليمكانس وكانـه عميل محرض وبدا مقتنعا بضرورة وجـود اتفاق بين المتطوعين من لاتفيا والبعثة الموجودة فى لندن لإضفاء الصفة الرسمية على علاقاتهم .

وفى إبريل ١٩٥٣ تم تـوقيع الاتفاق بين زارنيس وسيـلارجس وكليمكانس « وقع باسم ليون بلومبرج » وتضمن إقـامة إطار للاتفيا بعد الحرب العالميـة الثالثة وتناولت الاتفاقية فى وثيقـة ضخمة بالتفصيل السياسـات المستقبلية للحكومة القوميـة واتفاقاً حول من البارتيزان سيتولى منصباً وزارياً فى حكومة يرأسها زارنيس .

وقد نجح كليمكانس فى إصراره على أن يتم تعيين كيبورس أحد العاملين على جهاز الإرسال وزيـراً للبريد على أن يتم تعيين البرتس دوبـولس « فورست » مـوظفاً كبيراً فى سلك الخدمة المدنية .

كان كليمكانس يتـوقع أن يعود فى شهر مايو آلان كلوس أبـدى اعتراضاً نظراً لأن الليل فى تلك الفترة كان قصيراً جداً لايسمح بـوجود فترة أمان للوصـول ومغادرة المياه الإقليميـة السوفيتيـة وهنا فـرض على كليمكانـس أن يبقى فى بريطـانيا حتى حلـول الخريف .

لم يبد لوكاسيفكس الذى تلقى تقاريراً منتظمة من لندن عن طريق البعثة التجارية السوفيتية فى لندن قلقاً بالغاً بل على العكس كـان وجود عميل موثوق به ومستقر داخل منظمة اس ـ أى ـ اس يعد بمزايا هائلة .

وفى ظل هذا كان الضحيـة الوحيدة هو ليونيدس زارنيس أحـدث عملاء المخابرات المركزية الـذى تم إنزاله جواً فى أراضى لاتفيا يوم ١٤ مـايو ، وتم سحب زارنيس ثانى مجند لهارتمان فى اللحظة الأخيرة .

الواقع ان ولاء ليونيدس زارنيس للبعثة لم يهتز أبداً حتى عندما أصر هارتمان على اولويته هى إرسال معلومات عسكـرية حول تنظيمات الجيش الأحمر وإحدث قاذفات القوات الجوية وأى تفاصيل تتعلق بالبرنامج النووى السوفيتى .

لم يستطع هارتمان أن يوفـر إقامة آمنة للعميل أو تفـاصيل دقيقة عن لاتفيا التى غادرها زارنيس شاباً مراهقاً ولايعرف الكثير عنها .

وكان هارتمان اتخذ إجراءات بسيطة لحمايـة عملية من احتمالات أن يواجه عملية

خداع تدبرها كى - جى - بى باستخدام اوسولنيس .

لقد كانت عمليات إسقاط زارنيس بالمظلة التى استغرقت ٣٠ ثانية هى عملية سقوط فى المجهول باستثناء واحد هو تزويد هارتمان عملية البرىء بحقيبة تحتوى على ٢٥ ألف روبل لتوصيلها إلى اوسولنيس .

لم يتم أبداً إجراء أى تحقيق بعد المهمة حول لماذا خرق هارتمان قاعدة أساسية فى عمل المخابرات لإجراء احتياطيات تتعلق بمكان المهمة وعندما حل وقت لإجراء مثل هذا التحقيق كان هارتمان يعمل خبيراً فى إدارة مكافحة التجسس المضاد مع جيمس انجليتون ويشاطر رئيسه هاجس وجود عملاء متسللين من كى - جى - بى اخترقوا صفوف المخابرات الامريكية .

فى عام ١٩٥٢ بدا هارتمان متأكداً من حكمه لانه فى الوقت الذى ألقى فيه التهم الساخرة على بريطانيا بسبب الافتقار إلى الاحتياطيات الآمنة كما بدا فى فضيحة بورجيس - ماكلان قام بإرسال إشارة إلى اوسلينس يبلغه فيها أن الأموال التى طلبها ستصله فى ميعاد ومكان محددين وأبلغه أيضاً بكلمة السر التى سيتم استخدامها . وحتى قبل أن يطير زارنيس لعبور الأطلنطى كان بوندوليس يعرف أنه اذا ماانتظر بعض الوقت فإن أحدث عميل للمخابرات المركزية الأمريكية سيقع فى الشرك .

بعد أسبوع واحد وقع المحتوم فقد شعر زارنيس بانزعاج من الوحدة والخطر وصعوبة المهمة اندفع إلى مقابلة اوسولنيس فى وسط مدينة ريجا وبعد تبادل كلمة السر تم اقتياده إلى احدى الشقق حيث تم تقييد يديه فوراً حتى لايتمكن من ابتلاع حبوب السيانيد وكان عليه أن يواجه مصيره وبعد انتهاء اعترافاته تم إرساله إلى سيبيريا ليلقى حتفه هناك بعد أن قرر رجال فيفيرز ذلك .

فماذا كان الموقف فى ألمانيا ؟ وفى ظل انقطاع رسائل زارنيس بعد رسالته الأولى التى أفاد فيها بوصوله سالماً وصلت رسالة من أوسولنيس يسأل فيها عن مكان الاتصال به ويبدى سخطه من الخطر الذى يواجهه نتيجة ظهوره المتكرر فى المكان المتفق عليه سابقاً .

استبدت الحيرة والقلق بهارتمان وأصاب الاكتئاب برومبرج الضابط الذى قام بتدريب زارنيس حيث كان اختفاء ذلك الأخير أمراً غير مفهوم ومع حلول نهاية شهر يونيو ومع إلحاح اوسولنيس على الأموال يقبل هارتمان فكرة أن زارنيس قد فقد وأعد

ترتيباته لإرسال خطاب يحتوى على الأمـوال المطلوبة مع أحد رجال الأعمال المسافرين إلى روسيا بطريقة مشروعة لإرسال الأموال بالبريد من هناك إلى ريجا .

بعد أن تلقى اوسولنيس الأموال أرسل إشارة يعبر فيها عن استيائه الشديد بسبب ضآلـة المبلغ المرسل وخطورة الطريقـة التى أرسل بها . لقد كـانت استراتيجية فيفيرز تقـوم على ضرورة استمـرار الاتصـالات بين اوسـولنيس وهـارتمان حتى يتمكن من التعرف على أى عملاء جـدد قادمين من طرف المخابرات الأمريكيـة وهنا كان يتعين أن يظهر اوسولنيس بمظهر بائس ولكن يواجهه بشجاعة .

ووسط تكرار طلباته من أجل الحصول على أموال جديدة أرسل اوسولنيس ـ ذلك العميل الأسير ـ بناء على تعليمات من كى ـ جى ـ بى نداءً إلى برومبرج الذى كان قد نقل إلى السويـد جاء فيه « لقـد أخبرت كول » مراراً وتكراراً بـالورطة المزريـة التى أعيشها ولكنه لم يفعل شيئاً إنك وحدك القادر على فهم الموقـف لذلك أطلب مساعدتك فوراً وإلا ذهب جهدى كلـه هباءً « منثوراً » تأثر بـرومبرج بهذه الرسالـة كما كانت تهدف كى ـ جى ـ بى وتم إرسال ٢٥ الف دولار أخرى مـع احد المتعاونين حتى يتمكن اوسولنيس من الهرب وفى ذات الوقت شعر برومبرج بالذنب نتيجة إرساله زارنيس ليلقى حتفه .

واتخذ قـراراً بأن يذهب هـو بنفسه إلى لاتفيـا للوقـوف على مصير الشبكة هنـاك واشترط قبل ذلك عـزل هارتمان بعيـداً عن أى نشـاط يتعلق بهذه العمليـة على أن يحل محله جون اوستين الذى يدخن بشراهة والذى وافق على عدم التدخل فى عملية التدريب التى يقوم بها برومبرج كما اشترط أيضاً إبلاغ أسرة زارنيس بخبر وفاته .

وفى مطلع عام ١٩٥٤ استقبل والد زارنيس الذى يعمل طبيباً فى النرويج زائراً غير متوقع ادعى انه من الشركة التى يعمل بها ابنه ـــ بيل تليفون ـ وقد أخبره هذا الزائر أن ابنه لقى حتفه فى حادث تحطم طائرة فوق فيتنام ولم يتم العثور على رفاته .

وتظاهـر مندوب الشركة المزعـوم بالحزن وهو يسلـم والد زارنيس مبلغ ١٥ الف دولار قيمة التأمين المستحقـة له لدى الشركة . ولم يحدث بعد ذلك أبـداً أن عرفت أسرة زارنيس بتفـاصيل القضية وقـوبلت كل الأسئلة التى واجههـا فى واشنطن بالتجـاهل التام ، وفى تلك الفترة تم إنزال برومبرج داخل الاراضى الروسية .

وتم تسليم الـــ ٢٥ الف دولار الجديـدة إلى اوسلنيس عن طريـق أحد المتعـاونين مساعـدة اس ـ أى ـ اس والتى كـان رجالها فى غايـة السعادة بسبب نجـاحهم مقابل

فشل الامريكيين ، وكان الرجل الذى حمل المبلغ هـو كليمكانس لدى عودته إلى لاتفيا فى خريف عام ١٩٥٣ جاء وداع كليمكانس فى لندن بعد عام دافئاً كشهادة ثقة رجال اس ـ أى ـ اس فى شبكتى البارتيزان .

عاد كليمكـانس هذه المرة محمـلاً بالأسلحة والأدويـة وأجهزة الـراديو والخرائط وحوالى مليون روبل وكان المبلغ كافياً لكى يتباهى لوكاسيفكس بعد ذلك بأن اس ـ أى ـ اس قامت بتمويل عمليات الخداع التى نفذتها كى ـ جى ـ بى .

كان على نفـس قارب كلوس انستيـاس دوكايتيس (البينـاس) وهى من ليتـوانيا وهنيو كار كمان (البرت) مـن استونيا وكان قد تم تـدريبهما كفنيين للعمل على جهاز الإرسال وتمت مساعدتهما للوصول إلى المكان المحدد لوصولهما .

رغم ان الاحتفـالات بأعياد الميـلاد فى روسيا الشيـوعية لم تتم بعـد إلا ان فيفيرز ولوكاسيفكـس وبوندوليس كانـوا فى غاية السعادة مع اقتراب نهايـة عام ١٩٥٣ وكان نجاحهم يعـود فى جزء كبير منـه إلى دقة تطبيق القـواعد الـواردة فى الكتاب الـذى ألفه فيلكس دزيرزنسكى .

سرعان مـا تلاشت هذه السعادة بعـد إعلان قصير عن تنفيذ حكم الإعـدام عشية الاحتفـال بأعياد الميـلاد فى لافرنيتى بيريـا رئيس جهـاز كى ـ جى ـ بسبب ارتكابـه سلسلة من الجرائم والتجسس لحساب قوة أجنبية .

ولم يكن من الممكن الحيلولة دون تأثر تنظيم الشرطـة فى ريجا بالاضطرابات التى وقعت فى مـوسكو وهـاهم الضباط الـذين نفـذوا أحكام الإعـدام فى زملاء لهم بتهمـة الانحراف عن خط بيريا يواجهون العقاب بصـورة مفاجئة وأصبح القاطنون فى شارع لينين أكثر قلقاً إزاء الأمن داخل المبنى من أمن الجمهورية .

وكـانت النتيجة التى تـرتبت على ذلك بطء وصعـوبـة فى الاتصالات مع المركـز فى موسكو وفى تلك اللحظة بالضبط التى أكد فيهـا البارتيزان عن طريق كليمكانس للندن انهم سيرسلون مزيـداً من المعلومات الاستخباريـة فى مقابل إرسال مزيـد من العملاء والمعدات والأموال .

وصل الطلب المتوقع من برودواى بالحصول على مزيد من المعلومات الاستخبارية فى الثـانى من فبراير عـام ١٩٥٤ فى إشـارة طويلـة على غير المعتـاد وقد شرحت لنـدن

لمجموعة روبرتس طبيعة المعلومات التفصيلية المطلوبة حول مصانع محددة وترسانات بناء السفن ومحطـات الكهرباء والموانىء وطلبت لنـدن بصورة أكثر إلحاحـاً عينة من مياه نهر توبـول فى الأورال حيث كان من المعتقد أنه تم تشغيل مفاعل نـووى حديثاً فى المنطقة وكانت إس ـ أى ـ سى تريد أن تدرس قدرات المفاعل .

أرسل جبرائيل « سيلارجس » إشـارة طلب فيها إيفاد جانيس أرجلـز الذى قضى فترة من الوقت مع إس ـ أى ـ إس فى لندن إلى المنطقة لوضع رسم كروكى وإذا كان من الضرورى خلط لتر من مياه النهر بالكحول لتفادى أى شبهات وعليه أن يدفن الزجاجة بعد ذلك فى مكان محدد بالقرب من ريجا على أن يتم نقلها فى وقت لاحق .

فى شهر مـارس أبرق إرجليس إلى لنـدن أنه قام بتنفيـذ المهمة بنجـاح وفى المقابل طلبت برودواى من مجمـوعة ماكسيس استعادة الـزجاجة وتسليمها إلى كلـوس الذى كان على وشك أن يقوم بإنزال مزيد من العملاء خلال عدة أسابيع .

ومع اقتراب موعد وصول القارب انتشرت أنبـاء بين مجموعة ماكسيس أن العميل جانيس بيلسيتنيكس (هوجو) الـذى كان يقضى الشتاء مع ريميس فى شقته فى ريجا يعانى من انهيار على عكس اوبانس كان هوجو يلوز بالصمت والانطواء حتى وصل إلى درجة من الفـزع تحول دون مغادرته الشقـة وقد جاء رد فعل جبرائيل بإيجاز شـديد قائلاً : (نحن نعـرف أنه عبىء كبير) . وقال يمكن ان نعتبر ان هوجـو قد هلك من أجل قضية وطنه الام .

ربما بسبب مـوت ستالين حـديثاً وانفراج الأمـور فى الاتحاد السوفيتـى بصورة طفيفة أو ربما خوفاً أن تؤدى هذه الامور إلى تعزيز مكانة الانصار رفض لوكاسيفكس تنفيذ حكم الإعدام الذى طرحه سيـلارجيس . وبناء على ذلك تم شحن الزجاجة الثمينة مع بيليتنيكس إلى ٢٠٨ اس عند الوصول فى نهاية شهر مارس .

بعد مضى أقل من ثـلاثة أسابيع انهالت دفعة من الاسئلـة على ارجليس من لندن هل هناك حيـوانات ترعى فى الحقـول القريبة ؟ مـاهى أقرب قـرية ؟ وكانت كل إجـابة يرسلهـا تثير سيلاً من الأسئلـة الأخرى وبلغت هذه العمليـة الذروة بطلب مـوجز من برودواى بضرورة إرسال مندوب من مجموعة روبرتس إلى لندن فوراً .

وهنا انقلب ارتباك لوكاسيفكس إلى قلق باغ عنـدما استفز رده بعدم امكانية تدبير أحد من مجموعة روبرتس طلباً جديداً بإرسال أحد الانصار مشفوعاً برسـالة تهديـد

« إذا لم يأت واحد من البارتيزان واحد اعضاء روبرتس إلى لندن فإن جميع الاتصالات ستقطع » ، وكان من الواضح ان هناك ازمة ما .

ارتاب لـوكاسيفكس فيما اذا كان بيليتنيكـس قد اكتشف الحقيقة حـول الخديعة وبعد مراجعة العمليات برمتها كان الاعتقـاد الغالب لدى كى ـ جى ـ بى أنه ربما تكون وفاة « تومس » « بيرزنيس » هى التى ادت إلى الازمة .

ربما كان هذا العميل مرتابـاً وعبر عن قلقه بإرسال خطاب سرى قبل قتله . وربما الاكثر احتمالاً ان برودواى لاحظت كما لاحظ هو نفسه ان مزيداً من عملاء اس ـ أى ـ اس الذين ارسلوا إلى مجموعة ماكسيس وقعوا فى الاسر او قتلوا اكثر من الذين انضموا إلى مجموعة روبرتس .

وعلل لوكاسيفكس الموقف بان برودواى قد اقتنعت ان الاحتكاك يؤكد الثقة فى حين ان الامان يعادل الاختراق ، وكان الغالب الرغبة فى عدم إرسال سبيتر رينهولدز الضابط البارز فى مجموعة روبرتس إلى لندن لانه يعرف الكثير خوفاً من نجاح المحققين فى اس ـ أى ـ اس فى معرفة الحقيقة منه

وكان البديل هو إرسال ضابط ماهر ولكن جاهل يمكنه امتصاص شك البريطانيين حول روبرتس دون ان يكشف عن الكثير .

ووقع الاختيار على عميل كى ـــ جى ـ بى مارجيرز فيتوانيس وهـو فنان يبلغ من العمر ٣٥عاما وهو أيضا طبيب مارس العمل السرى خلال فترة الاحتلال الالمانى .

وفى عـام ١٩٤٧ حقق فيتولينس انقـلابـاً كبيراً عندمـا قـدم نفسه على أنـه عميل بـريطانى ذهب إلى الغـابـات وأجرى اتصـالات مع مجمـوعـة حقيقية من الانصـار ـ البارتيزان ـ حيث أبلغ كل مجموعة أن ضابطاً بريطانيا بارزاً سيعقد مؤتمراً صحفياً فى ريجا لشرح آخر تكتيكات تحرير لاتفيا ، ومع البريطـانى يكون رئيس حكومة لاتفيا فى المنفى الذى تم تهريبه إلى داخل البلاد مؤخراً .

وبعد ان قام بتهـدئة الشكوك الأولية لدى قادة الانصـار ـ البارتيزان ـــ قام أيضاً بتهدئة مخاوفهم حول سلامتهم قائلاً لاتقلقوا فإن البريطانيين منظمون جداً وأستطيع أن أحصل لكل واحد منكم على بطـاقة هويـة صالحة وكل مـا أحتاجه هـو صورة لكل مندوب وقد اقتنع حوالى ١٥ من قادة الانصار تماماً بما قاله الرجل وعاد بالهويات التى بدت حقيقية .

واخبر كل واحد منهم بمفرده أن الاجتماع سيعقد يوم ١٢ ابريل فى ريجا .

فى يوم ١٤ ابريل بعد أن قام قادة الانصار بإبلاغ (الضابط البريطانى) بتفاصيل نشاط كل مجموعة على مدى أربع وعشرين ساعة تم إلقاء القبض على الجميع ولم يرهم أحد بعد ذلك .

بعد ذلك بسبع سنوات قرر لوكاسيفكس ان فيتولينيس هو الرجل الوحيد الذى يستطيع السفر إلى لندن لإنقاذ عملية لارسن اس وخلال شهر من التعليم من جانب لوكاسيفكس وبوندونيس لم يتم ذكر أى شىء له عن المياه الإشعاعية أو عن الأزمة .

وتم إحاطته علما فقط بانشطة البارتيزان فى الغابات والإجراءات التى يتبعونها فى إرسال المعلومات الاستخبارية إلى لندن وقالا له : « إن مهمتك هنا أن تطمئنهم على أن المجموعة بخير » وكان لوكاسيفكس يردد له يومياً « إنك تعرف فقط ثلاثة من أفراد مجموعتك ولم تكونوا على اتصال ابداً بفنى الراديو المرسلين من لندن » .

وتواجد من إجراءات الحذر والريبة التى تنتاب لندن لأول مرة عند وصول ٢٠٨ اس فى سبتمبر ١٩٥٤ . لم يسلم كلوست عملاء او موارد جديدة . ولم يدر أى حديث عندما تسلق فيتولنيس « ذى لادى جان روسل .

***

الفصل الثامن

المصيدة تتمزق

كان فيتولينس يقف خلف كلوس عندما اقتربت ٢٠٨ اس من حافة الرصيف فى « كيل » يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٩٥٤ .

فى وضح النهار استطاع الرجل أن يرى مجموعة صغيرة من خمسة رجال يقفون على أرضية الرصيف .

رغم دقة دروس لوكاسيفكس إلا أنه لم يدرب أو يعد ضابط كى - جى - بى على مواجهة النظرات الحادة والمصافحة الخالية من الإخلاص التى كانت فى انتظاره وهو يخطو فوق الأسمنت المبلل .

كان سيلارجس هو البادىء بالحديث وهو يحاول إخفاء توجسه عند تقديم أفراد المجموعة « اليكس » الذى هو بيركيس وبوبس وهو لاتفى اخر وفريد عميل اس - أى - اس المقيم فى هامبورج ثم سكوت الذى كان يبدو بوضوح أنه هو المسئول الكبير .

ثم تبادل كلمات قليلة بين أفراد المجموعة قبل أن يغادروا الرصيف لركوب سيارتين تتوجهان إلى ٨ جولف ستراسى .

وفور دخول المجموعة إلى إحدى الفيلات المملوكة للـ اس - أى ـ اس تلقى فيتولونيس أمراً بخلع ملابسه لأخذ حمام وترك الملابس فى غرفة مجاورة وفيما كان مغموراً فى الماء راوده الشك فى أنهم يفتشون ملابسه وتصور أن هناك مرايا سرية عاكسة لمراقبته . وقد حدث فعلا أن قام الخبراء العاملون تحت قيادة سكوت بتفتيش الملابس للتأكد من أن مرتدى هذه الملابس عاش فى الغابات الرطبة .

وتوقعا لمثل هذا الأمر قضى فيتولنيس الأسبوعين السابقين قبل رحيله فى مخبأ حتى تحمل ملابسه رائحة الغابات ومع ذلك عثر ضباط اس - أى ـ اس على علبة كبريت جافة مما أثار فضولهم .

وإزاء صعوبة المغادرة قال سكوت بعد ثلاثة أيام مانحن قابعون هنا فى هامبورج لأن الضباب الكثيف يحول دون إقلاعنا .

وإزاء هذا الوضع قضى فيتولنيس حوالى أسبوعين ومضيفيه أيامهم فى المطاعم والبارات وكان ثلاثة أشخاص يتناولون الطعام معاً وهم فيتولينيس وسكوت وفريد وتم استبعاد سيلارجس وبيركيس .

وفى الغالب كانت المحادثات بين الثلاثة تحمل طابع الاستجواب إلا أن سكوت لاحظ خطورة سيادة مناخ الاتهامات وأخذ يبتسم للحيلولة دون تراكم الجليد .

وعندما تقرر شد الرحال إلى لندن لم يكن السحاب قد زال تماماً واستطاعوا فى النهاية بعد أربع محاولات من الهبوط فى فيرفورد .

بعد الوصول تم اقتياد « البارتيزان » إلى مقر إقامته المؤقت فى لندن وهو عبارة عن شقة صغيرة مريحة تقع فى ٢ سلوان ستريت فى مقابل حمل هارفى نيكولاس الفاخر فى كيفتبردج .

بعد انتهاء فترة التوتر فى هامبورج فوجىء فيتولنيس بمفاجأة سعيدة بعد يوم من وصوله وتتمثل فى دعوته إلى حفلة فى هامبستيد ترافقه نورا داشوود مساعدة ماكبن وكان هذا الأخير يحتفل فى قصر باكنجهام بحصوله على وسام او - بى — أى وكانت الحفلة فى منزل ماكبن تقام بمناسبة تقاعده .

كان المشاركون فى الحفل الذين يدركون الظروف حريصين على عدم الإشارة إلى ان تقاعد الرجل كان سابقاً لأوانه فقد كان فرعه يعانى من أزمة مستمرة منذ الربيع وهاهو ماكبن يسقط كأول ضحية للأزمة .

وقد تم تقديم سكوت إلى فيتولنيس على أنه خليفة ماكبن . وكان الضحية الأكثر خطورة هارى كار الذى وافق على الانتقال إلى العمل فى كوبنهاجن كضابط مقيم فى عام ١٩٥٥ . ورغم جهود الإدارة فى إخفاء عملية تنزيل رتبته وإعطائه فرصة قبل التقاعد للحصول على بدلات العمل الكبيرة للقيام فى الخارج إلا أن الأجيال الأقل سناً فهموا أن هناك شيئاً ما خطأ حدث خلال حقبة هارى كما أن الإشاعات ترددت كذلك خلال حفلة ماكبن .

كانت الشقة الصغيرة فى ابيردار جاردنز مكتظة بزملاء من برودواى والمهاجرين فى مراحل مختلفة من الثمالة متجاهلين فى غمرة السعادة عذاب العقد الماضى .

لقد كانوا من الجيل الذى لبى طلبات القادة العسكريين للحصول على معلومات استخبارية من وراء خطوط العدو .

وكان يبدو أن الإسراف فى احتساء الوسكى والفودكا بمثابة احتفال بالتزام المضيف بالنضال .

كان فيتولنيس يشرب مع مجموعة تعتقد أن الحرب مازالت مستعرة دون أن يكون هناك سلام أبداً .

وفى الوقت الذى كان الجيل الجديد فى برودواى لتناول الشاى وبعد ذلك يتم تخصيص وقت كاف يرافق فيتولنيس الساحرة نورا داشوود فى نزهة حول كنيفتسبردج ، كان المحامى الصغير الأصلع يكرر أسئلته ببطىء على فيتولنيس وتدور حول أسرته وعمله وأصدقائه .

ونظراً لأن المحقق لايعرف اللغة اللاتفية أو الروسية فقد كان يوجه الأسئلة باللغة الألمانية وكان عدم تمكنه من الحصول على أى اشارة متناقضة بمثابة شهادة لاختيار لوكاسيفكس لهذا الجاسوس . فقد تحدث فيتولنيس بالحقيقة كلها مع بعض الحذف وبلغت الأمور ذروتها فى اليوم التاسع عندما قرر تغيير المسار بطريقة درامية .

فيتولنيس ـ لقد تخرجت من الجامعة الماركسية بدرجة فى الفنون .

المحقق ـ إذن أنت ماركسى ؟

فيتولنيس ـ نعم أنا ماركسى قالها وهو يصرخ بصوت مرتفع متصنعاً الغضب . وأرفض أى استجواب جديد .

وهنا تدخل سكوت قائلاً : نحن نعرف أنك ماركسى .

ورد فيتولنيس لقد مللت من أسئلتك إذا لم تكن تثق فى أعدنى إلى بلادى مرة اخرى .

سرعان ماساد الغرفة صمت مطبق تبادل خلاله الانجليزيان النظرات ثم غادرا الغرفة

يدين ماكبن لعدم قبوله أو فهمه لتغير الظروف منذ عام ١٩٤٥ وكانت وجهة نظر أولئك الموجودين فى هامبستيد هذه الليلة أن الكفاح ضد البلشفية لم يتوقف أبداً وأن الحرب ضد النازيين كانت قطيعة بائسة أو حتى فرصة ضائعة .

إن وجود فيتولنيس فى الحفل هو رمز للفشل فى فهم طبيعة الأزمة الخانقة فى ريدر ستريت وبرودواى والتى ثــارت بعد رفض ماكبن بــانفعال الأمر المؤقت بــالتوقف عن إرسال عمــلاء ، وكان يجادل كــار بأن تفاهــة غضبه واحدة لاتكفى لكــى يرفض المرء الكــدمــة كلهــا ولقــد بلغ الغضب والعــداء ذروتــه مع رحيل مــاكبن رغم أن أحــداً من المشاركين فى الاحتفال يمكن أن يفهم الظروف كاملة حتى ماكبن نفسه .

وفى اليــوم التالى انتهى الجو غير الــرسمى وتم اقتيــاد فيتــولنيس إلى مبنى ضخم بــدون اسم فى فيكتوريــا ستريت للقاء سكــوت وأحــد المحامين المجهــولين والذى قــدم بجفاف إلى فيتــولنيس على أنه المستجوب ومع ذلك لم يخيم على الجو شعــور عدائى أو محموم إنما كان هناك أربع ساعات من الاستجواب يومياً يتخللها استراحة .

بعد وقت قصير عاد سكوت إلى الغرفة ليعلن أن الرجل ليس عميلا من عملاء كى ـ جى ـ بى ثم غادر ثانية ورغم ذلك مــازالت الشكوك تراوده ، وكان سكوت والمحقق على اقتناع بأن فيتــولنيس موضع شك إلا أنهم قرروا أنه يمكن تحقيق المزيــد من المكاسب عن طريق بدء عملية خداع بدلا من هدم العلاقة .

ولم يخبر ضابطا اس ـ أى ـ اس سيلارجس بمخططهما وتم السماح له ان يطمئن بلدياته أنه اجتاز الاختبار .

وفور مغــادرة المحقق للغرفة ظهر سيــلارجس وهو يحمل زجاجــة ويسكي وهو يصيح ـــ هيا نحتفــل ـ ولكن فيتــولنيس تســاءل : لماذا كانــوا فى شك منى ؟ وهنــا رد سيلاراجاس إنها الميــاه فى إشارة إلى العينة التى تم تعبئتها مــن الاوراك . وهنا تساءل فيتولنيس مياه ؟ وهنا جاء سلاراجاس بنسخة أولية من من طلب اس ـ أى ـ اس الذى تسلمه ايرجليس قائلاً إذا كان ـ اوجست ـ إشــارة إلى ايرجليس خائف جداً من الذهاب إلى الأورال فإنه يمكنــه غمر الزجاجــة فى نهر داوجافا فى وسط ريجا واذا كان يــريد أن يمارس حماقة معنا فإنــه يستطيع أن يتبول فى الزجاجة ولكــن بدلا من ذلك أرسل إلينا عينة من المياه مشبعــة بالإشعاع لدرجــة أن أى شخص يعيش فى المنطقة المجاورة لهذه المياه لابد أن يمــوت فوراً والذين يستطيعون مــزج هذه المياه هم رجال كى ـــ جى ـ بى فقط .

استبدت الحيرة بفيتــولنيس حيث كان لوكــاسيفكس دون أن يعرف هــو وجد من الصعب تلبية طلب اس ـ أى ـ اس نظراً لان معلوماتهم حول وجود مفاعل يقع على نهر توبال فى الأورال كانت معلومات خاطئة حيث لايوجد مفاعل يعمل فى البحر .

وإزاء ذلك طلب لوكاسيفكس من المركز فى موسكو إعداد عينة من المياه ولن يجرى تحقيق داخلى للتعرف على الفاعل وأخذ العالم المختار على عاتقه مهمة إحاطة الملتقى علماً بالإنجازات العظيمة التى أحرزها التقدم العلمى فى روسيا . لم يكن لوكاسيفكس يتصور أن يصل غباء موسكو إلى حد تعريض العملية برمتها للخطر بالمبالغة فى تصوير قوة المفاعل لدرجة لاتصدق وعشية تنفيذ حكم الإعدام فى بيريا انهار ترتيب موسكو تماماً .

وبينما كان يعب الويسكى فيم فيتولنيس موقف سيلاراجاس وقد رأى المهاجر عدم وجود ميزة شخصية فى إعلان أن فيتولنيس أو مجموعة روبرتس ليسوا موضع ثقة ، كان اللاتفيون فى المنفى يريدون من البارتيزان ــ الأنصار ـ ان يدعموا آمالهم السياسية ويحافظوا على وضعيتهم فى لندن ووجودهم المستمر . فقط هو الذى أدى إلى استمرار تمويل الحكومة البريطانية للبعثة . ووجد فيتولنيس ميزة تكتيكية فى تأكيد شكوك سيلاراجاس والتى عبر عنها أيضاً سكوت فى أن هناك احتمالاً باختراق مجموعة روبرتس وأن إيرجليس غير موثوق به وفى ذات الوقت أكد أن مجموعة ماكسيس مازالت سليمة .

بعد أن انتهى فيتولنيس من شرح وجهة نظره لاحظ ترحيب سيلاراجاس بوجهة النظر هذه نظراً لأن أى نتيجة أخرى ستؤدى إلى تحقيقات جديدة بشأن مجموعة ماكسيس وربما نهاية عمليات اس ـ أى ـ اس فى لاتفيا وليتوانيا واستونيا .

وهنا لن يغفر زارنيس والزعماء المهاجرون لسيلاراجاس إذا بادر بأى إجراء يؤدى إلى توقف عمل المخابرات البريطانية فى البلطيق ليس فقط لأن ذلك سيسد الطريق أمام مصير دولهم ولكنه سيؤدى بصورة كبيرة إلى التقليل من أهميتهم فى نظر وزارتى الخارجية البريطانية والامريكية وكان من مصلحة سيلاراجاس الشخصية أن يدرك هذه الحقيقة .

وافق سكوت على دورة تدريبية لفيتولنيس قبل أن يعود إلى لاتفيا ولكن بدلاً من أن يذهب إلى المدرسة فى تشيلسيا فإن المدربين سيأتون إلى سلوانى ستريت ، ولم يكن بسبب عزله عن باقى العملاء سراً فقد قال له سكوت أنت موضع ثقة ولكن كى ـ جى ـ بى اخترقت صفوف البارتيزان ، وقد وضح أن فيتولنيس هو الذى وقع ضحية الوهم فقد كان سكوت متأكداً من وجود ثغرات فى عمليات البلطيق إلا أنه يحتاج بعض الوقت حتى يتحقق من هذه الشكوك دون إفساد أى ترتيبات سابقة .

كـان بيركس واوبانس وعمـلاء آخرون عـائدون قد خضعـوا لإعادة استجـواب واعربوا عن اعتقـادهم أن مجموعة ماكسيس محل ثقـة وقد بدا أن هذا الـرأى قد تأكد خلال العام الذى قضاه كليمكانس فى لندن مؤخراً ، وذلك من واقع خبرة إس ـ أى ـ إس مع احتمال أن يكون قد تم اختراق روبرتس .

ورأى رجال إس ـــ أى ـ إس ضرورة تعليم فيتـولنيس لبعض المهـارات واستمرار ظهوره بعد أن لاحظوا استمتـاعه بجو الحرية والمرح الذى يسود لنـدن ، والاستضافة الرقيقة من جانب سكوت ونورا داشوود .

فى واقع الامر بدا فيتولنيس راضياً عن حياته وسط الرأسماليين كما هو متوقع من مقاتل من أفراد البارتيزان المناهضين للشيوعية .

فى الوقت الـذى استمرت فيـه التحريات بـدأت عملية تدريـب فيتولنيس على تعلم مبادىء تشغيل جهـاز الإرسال وتزوير جـوازات السفر إلى جانب مباريـات فى إسقاط الرسائل الميتة فى منتزه هايـد بارك مع ضابط صفار وكيفية العمل تحت ضغط المراقبة فى منتزه ريجنتس ، والشىء الذى لم يعرفه ضباط إس ـ أى ـ إس أن تلميذهم استخدم نفس المهـارات فى تحرير تقـريـر متقدم إلى لـوكـاسيفكس فى ريجا يحتوى كل مـايتم التخطيط له .

كان هناك تصور مشترك يجمع بين فيتولنيس وسيلاراجاس حيث اعتقد الرجلان شكوك مبعثها فقط المياه المشعة إلا أن الحقيقة تـؤكد أن هذه الشكوك قامت على أسس أكثر رسوخاً من هذا .

فى وقت سابق من هذا العام أبلغ بول هـارتمان خبير المخابرات المركزية فى شئون لاتفيا جورج بيليك رئيس قسم البلطيق فى واشنطن عن وجود مشاكل تواجه لينويدس برومبرج الـذى تم إنزاله فى لاتفيـا يوم ٦ مايـو ، وكان برومبرج قـد أصر على أن يقوم بنفسه بعملية التحرى عن مصير ليونيدس زارنيس وسيلتقى مع اديفينس اوسوانيس شخصيا والذى لم يكن معروفاً للمخابرات المركزية الأمريكية أنه يتعاون مع كى ـ جى ـ بى فى ريجا .

جاءت عملية إنزال برومبرج كما أكد فى إشارته القصيرة بالراديو بعد عملية ناجحة تماماً ولم يـلاحظها أحد وبعد أن دفن بعـض معداته استقل القطار إلى ريجا وقـد أثار وجوده المفاجىء دهشة أصدقـائه القدامى إلا انهم قبلوا تفسيره بأنه عائد من الترحيل

فى سيبيريا ووفروا له مكانا ينام فيه .

وفي يوم ١٢ مـايو وبعد السماح لبرومبرج ببعض الـوقت للتأقلم مع الجو أرسلت وكالـة المخابرات المركزيـة الامريكية رسالـة بالبريد العادى إلى اوسـولنيس تطلب منه مقابلة أحد رجالها فى المقبرة « فوريست » وكـان هذا أول خيط يقود كى ـ جى ـ بى إلى معرفة وصول العميل الجديد .

أصدر بـوندوليس تعليماتـه إلى اوسولنيس بـأن يجرى اتصالاً مباشراً فـوراً مع برومبرج ثم يتفقا على موعد آخر وجـاء اللقاء ميلودراميا حيث كان اوسولنيس يسير فى مؤخرة موكب لتشييع جنـازة حاملاً باقة من الزهور لم يكن متـوقعاً أن يرى الضابط الذى دربه فى السـابق إلا أنه فوجىء ببرومبرج واقفاً أمامه ، وفعـلاً تم الاتفاق على لقاء آخر ثم افترق الرجلان .

كان بـوندوليس حاسماً إزاء مصير بـرومبرج حيث أن المطلوب هـو عدم السماح لعميل المخابرات الأمريكية بإرسال أى تقاريـر استخبارية يمكن مقارنتها مع التقارير المرسلة إلى اس ـــ أى ـ اس كان لابـد من القبض عليه فى اليوم التـالى وقد أشرف فيفيرز شخصياً على العملية للحيلولة دون ابتلاع برومبرج لأقراص السيانيد .

فى أول استجواب جـذر بوندوليس العميـل برومبرج من النتائج المترتبـة على عدم تعاونـه إلا أن برومبرج اعترف بالمكان الـذى أخفى فيه المعدات وهدف مهمتـه من بناء الشبكـة التى فشل تلاميـذه فى تنفيذهـا بنجاح كما أعلـن عن نوايـا وكالـة المخابـرات المركزية الأمريكية فى المستقبل .

وفيما بين الاستجوابات قـام اوسولنيس بتهدئة خاطـر برومبرج وشرح له المأزق الذى وقع فيه واقترح عليه أن يقبل التعاون مع كى ـــ جى ـ بى بعد كل هذا لايوجد أى دليل على أن روسيا تعد العدة للهجوم على الغرب والحياه تبدو فى لاتفيا أفضل مما كان متوقعـاً وتدريجياً بـدأ بوندوليس فى الاقتناع أن بـرومبرج رغم ماهو معـروف عنه من عداء شديد للشيوعية ربما يكون قد اقتنع بالتعاون مع كى ـ جى ـ بى .

لم تراود وكـالة المخابـرات الأمريكية اى شكـوك بعد حول صمت جهـاز الإرسال الخاص ببرومبرج نظراً لأن اوسـولنيس قـد أرسل رسالـة خطية يـؤكد فيهـا أن اللقاء بينهما تم فى سلام وأن جهاز إرسال برومبرج قد تعرض للتلف ويمكن إصلاحه .

لم تكن مـوافقة برومبرج فى النهـاية على التعـاون تثير أى شك أو مفاجـأة ، وجاء

السيناتور الذى اعده بوندوليس لإرسال إشارات إلى واشنطن ليقترح أن الرجلين يستعدان لمغادرة ريجا وضرورة إرسال عميل جديد بدلاً منهما .

حمل برومبرج من بين معداته عدداً من جوازات السفر البيضاء وطوابع شرطة لتزوير تأشيرة دخول ميناء مورانسك للهروب على ظهر سفينة شحن يطلبها مالزم الأمر قبل موعد الهروب وكانت هذه هى الخطة المتفق عليها مع هارتمان .

العقبة القادمة أمام بوندوليس هى كيفية الحيلولة دون ان تتضمن أول رسالة رمزية لبرومبرج أى إشارة إلى أنه وقع بين يدى كى - جى - بى .

من المعروف أن كل شخص يستلم جهاز إرسال بالراديو له أسلوب فى طبع مفتاح مورس يكون معروفا لدى المستقبل تماماً مثل خط اليد .

وهناك أحد الفنيين فى ألمانيا الغربية مكلف بالتقاط ونسخ رسالة برومبرج وهو فنى متمرس بأسلوب برومبرج الشخصى فى الإرسال ، كما اتفق هذا الفنى على وجود انحراف طفيف فى الأسلوب فى إرسال خطابات معينة لإبلاغ عن وقوعه فى قبضة كى - جى - بى ، لم يكن بوندوليس يدرك هذه الوسائل فقد حذر برومبرج قبل أول رسالة من اللجوء إلى الخداع .

وصلت رسالة برومبرج الأولى إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى شهر يوليو وتضمنت تقريراً استخبارياً موجزاً أعده خبراء ومحللون فى شارع لينين كما تضمن أنباء عن اعتزام برومبرج واوسولنيس مغادرة روسيا .

ماذا عن الموقف فى واشنطن؟ اعتقد هارتمان والمسئولون الآخرون فى الوكالة أن برومبرج مازال حراً طليقاً رغم الفجوة بين الرسائل .

مع حلول عام ١٩٥٣ وبعد أن أصبح تعاون برومبرج مع كى - جى — بى شيئاً عادياً بدأ بوندوليس بإهمال فى تخفيف حدة الرقابة على برومبرج ، الذى استغل الموقف وقام بإجراء تغيير أو انحراف طفيف فى شريط إشارة موريس ليكشف أنه وقع فى قبضة كى - جى — بى إلا أن أحدا لم يلاحظ مغزى هذا التغيير سواء فى واشنطن أو ألمانيا الغربية.

ومع ذلك أدى التحليل الدقيق لتقاريره الاستخبارية إلى إثارة نوع من سوء الفهم . فقد كانت رسائله الخالية من أى معلومات عسكرية أو إشارة إلى أن الاتحاد السوفيتى يقوم بالتعبئة للحرب تشبه المسكنات .

وعلى الرغم من أن هـذه النوعية من المعلـومات كانت تحوز قبول اس ـ أى ـ اس خلال خمس سنوات إلا ان سى ـ أى ـ إيه كـانت تريد المزيد . ومع ذلك أرسل هارتمان تقريراً إلى برومبرج يتضمن الاستعدادات لإجلاء العميلين عن طريق ميناء مورمانسك .

من خلال الـوقت ذاته كان فـرع البلطيق فى المخابـرات المركزية الأمـريكية يتلقى رسائل متباعدة من ليتوانيا وكانت كى ـ جى ـ بى تستقبل كوناس كوكاوسكوس الذى خان لوكشـا فى إرسال تقارير استخبارية وطلبـات بالمساعدة بواسطـة جهاز الارسال الذى تم الاستيلاء عليه قبل تدمير المخبأ .

ولكن رغم وجود العميل باولوس سيرفيس وهو فنى يعمل على جهاز الإرسال حراً طليقـاً فى الغابـات فإن المخابـرات الامريكيـة كانت متأكـدة منذ وقت طـويل أن جميع عملائهـا قد لقوا حتفهم وأن الـرسائل التى تصل عن طريق أجهـزة الإرسال بالـراديو مصدرها كى ـ جى ـ بى .

وفى وقت لاحق من عام ١٩٥٤ وصل خطاب من سيرفيس ورغم تعـرضه للخيانة والقبض عليه فى وقت لاحق من ذلك العـام إلا أن محللى المخابرات الأمريكيـة ارتبكوا فى الحكم على ماإذا كانت شكوكهم بعد ذلك كله قائمة على أساس قوى .

وخوفاً من فقد عميلين جديدين تم إنزالهما فى استـونيا قرر بيليك إيفاد لويزا بيدرا فاس وهى أمـريكية من أصل ليتوانى إلى لندن لمقـارنة الرسائل الـواردة إلى المخابرات الأمريكية بتلك التى وصلت إلى اس ـ أى ـ اس من البلطيق .

امضت بدرا فاس ثـلاثة أسابيع فى برودواى خلال شهرمـايو ١٩٥٤ . كان هناك تناقضات طفيفـة فى الرسائل الواردة إلى الوكالتين ونقص فى صلب الموضـوعات الهامة طوال الفترة وتطـابق مذهل فى المعلومـات الواردة من مجموعـة البارتيزان فى الغـابات بتقريرها كان بيليك وهارتمان وفايفادا يتوقعون ماهو أسوأ .

على أى حال وافق هارتمان على خطة أخيرة بإجـلاء برومبرج وبعث برســالة إلى « العميل » تخبره أنه سيتم إرســال طائرة صغيرة إلى حقل قريب من الشـاطىء ، وعند اقتراب الطائرة عليه أن يقوم بإضاءة ثلاث مشاعل توضح مكان الهبوط .

بناء على تعليمات بونـدوليس تم إبلاغ برومبرج الرسالـة وصدق على الخطة ، وفى الليل غادر مقره فى لينين ستريت . وفى الحقل تم مد حبل من السلك حول منطقة الهبوط حيث ينتظر رجال كى ـ جى ـ بى .

وكما هو متوقع سمع صوت طائرة صغيرة وتم إضاءة المشاعل وكان العملاء السريون يراقبون الطائرة وهى تدور ثم تبدأ فى الهبوط وسرعان ماعادت إلى الاختفاء فى ظلام الليل الدامس .

وفى تبادل لاحق للرسائل أبرقت المخابرات الامريكية فى ألمانيا الغربية أن طاقم الطائرة أبلغهم بفشلهم فى رؤية المشاعل .

اعتقد بوندوليس أن الطيارين كانوا خائفين وفضلا العودة لكن الحقيقة أنهم تلقوا أوامر بعدم الهبوط . فقد كان هدف الرحلة هو الإبقاء على برومبرج حياً .

سرعان ماتبددت جهود سى ـ أى ـ إيه للإبقاء على الاتصالات مع برومبرج للتخطيط لهروبه عبر ميناء مورمانسك رغم العواقب المحتومة على حياة العميل الذى تعتمد عليه الخطة .

لقد كان شعور هارتمان متبلد إزاء هذه الخسارة ، وفى أعقاب ذلك تم تعيينه ليتولى منصب فى مجال مكافحة أنشطة التجسس المضاد تحت قيادة انجليتون .

لقد جاء إنهاء عمليات المخابرات المركزية الأمريكية فى البلطيق متزامنا مع بيان علنى ألقاه جون فوستر دالاس أمام الكونجرس قال فيه : « إن الشعوب الأسيرة لابد أن تعرف أننا لم نتساهل » ورغم أن الامر بقى سراً إلا أنه كان مفهوماً أن الإدارة الأمريكية لن تفعل شيئاً حقيقياً لإنقاذ هذه الشعوب .

لقد صادفت محاولات زرع عملاء فى روسيا عن طريق حدود فنلندا وتركيا وإيران فشلا ذريعا نتيجة العقبات القاهرة التى صادفت الجواسيس فى روسيا والتى تتمثل فى المساحة الجغرافية الشاسعة والطقس القارس والتوتر الرهيب ، علاوة على أن المخابرات المركزية الامريكية كانت على وشك استخدام طائرة التجسس يو ٢ مما قلل من أهمية العنصر البشرى فى التجسس باهظ الثمن .

وما أن تأكد بوندوليس أن رسائل المخابرات الامريكية أصبحت عديمة القيمة توقف عن ممارسة عملية الخداع . وتم الحكم بالسجن لمدة ٢٥ سنة على برومبرج ونفيه إلى سيبيريا حيث مات على مايبدو بأزمة قلبية وهو يلعب كرة السلة . أما سيريفيز فقد حكم عليه بالسجن لمدة ٢٥ سنة وتم إطلاق سراحه بعد قضاء ١٩ سنة .

لقد كانت أزمة إس ـ أى ـ إس أكثر خطورة . حيث هناك حاجة لنوعيات خاصة

لإدانة خمسة أعوام من النجاح . ورغم أن التحقيقات المشتركة التى أجريت بالتعاون مع بيدار فاس قد أثارت شكوكاً جديـة استمرت شبكتا لاتفيا والشبكات الثلاث العاملة فى ليتوانيا تتظاهر بالعمل فى حرية .

أشـار تحليل لعمليات ليتـوانيـا إلى أن الظـروف التى أحاطت بـالقبض على أحـد العملاء فى مارس ١٩٥٣ واسمه بول جانيتـز كاس (جوارس) الذى وصل عام ١٩٥٠ للعمل لحساب ديكسنيس يمكن أن تنسب إلى سوء الحظ علاوة على أنـه لاتوجد شكوك تحيط باختفاء عميل آخـر هو الجيس لوكماناس . كما ان أولئك الذين مـازالوا يبعثون برسائل لم يضمنوها أى إشارات تفيد أنهم يعملون وهم تحت سيطرة كى ـ جي ـ بي .

وجاء تقـرير من زيجمانس كوديـركا الـذى عبر مع (ادموندس) فى خـريف عام ١٩٥٢ أفاد أنـه يعيش مع أحد الحدادين فى إحدى المزارع . لم يكن هنـاك شيء قد تغير خلال العامين الاخيرين حيث كان يختبيء فى النهار تحت سطح المنزل ويغادره فى الليل للتنزه وكان يرد على رسائل بـــرودواى كمـــا هو مقرر ، ويقوم بإرســـال تقـــارير « ادموندس » التى تأتيه عن طريق وسيط متعاون . ونظراً للاعتقاد السائد أن كوديركا حر طليق لم يكن يرى برودواى أى سبب يدعو إلى التفكير فى العكس .

اما اتصـــالات برودواى مع عميلين آخريـن فى ليتوانيا وهما البنيـاس (انستياس دوكايتيس) وميك (انستياس بـرشلوتاس) اللذين كانا يعيشـان فى مدن صغيرة فقد كانت تسير على نحو مريح كذلك .

ممثل آخـر عن البـارتيزان ـــ الانصـار ـ أمضى ستـة أسـابيع فى لنـدن وكرمـه زيجمانس عاد مع أحد الفنيين لتشغيل جهاز الإرسال .

وخلص سكوت بعد التشـاور مع كار إلى انه نظراً لاختـلاف خبرة اس ـ أى ـ اس عن الـ سى ـ أى ـــ إيه فإنه سيكون من الخطأ التوصل إلى نتائج مفـزعة رغم أن مؤشر الميزان يشير إلى تزايد الشكوك .

كإجراء وقائى قـررت اس ـ أى ـ اس اختبار شبكة استونيا وأرسـل ريبان رسالة إلى البارتيزان يطلب فيها ضرورة إرسال أحد قادتهم إلى لندن فوراً للتدريب .

وكإجـراء ناجم عن الشك الطفيف مـن جانب اس ـــ أى ـ اس من احتمال حـدوث اختراق من جانب كى ـــ جى ـ بى عندما جاء رد الاستـونيين بأن جون يمكن أن يلتقط

بواسطة كلوس فى الأول من نوفمبر فى سيرديما تم اتخاذ قرار بإنزال عميل آخر هو ـ هارى ـ على نفس الرحلة .

كان من الواضح أن إس ـ أى ـ إس مازالت تعتقد أن الاختراق محصور فى مجموعة روبرتس .

ذهب ريبان إلى كيل لاستقبال « جون » وبعد فترة إقامة قصيرة كشف الاستونى عن هويته باسم ولتر لوكس بعدها طار الرجلان إلى لندن ، وهناك تم استجواب عضو البارتيزان لعدة أيام ولم يتم الاستجواب باللغة الروسية كما طلب المحقق إنما بالاستونية حيث ادعى لوكس أن لغته الروسية ركيكة ، قام ريبان بدور المترجم فى المحادثة التى أصبحت لحسن حظ لوكس الذى يتحدث الروسية بطلاقة محادثة ركيكة . جاءت الأسئلة بطريقة نمطية ودارت حول حياة العميل الاستونى وخلفيته العائلية .

وفى نهاية الأسبوع أكد ريبان والمحقق ارتياحهما إزاء عضو البارتيزان الذى تم إرساله إلى مدرسة هولاند بارك لتلقى التدريبات ، وهى المكان الذى كان حتى وقت قريب مخصصا لتدريب الأوكرانيين .

اعتمد سكوت مثله فى هذا مثل ماكبن على تقييم ريبان حول « بلدياته » نظراً لتوافر جميع الأسباب للثقة فى تقييم ريبان الذى كان ضابطاً بارزاً سابقاً فى اس ـ أى ـ اس وقادراً على شم رائحة الشيوعية والتجسس وهو نفس الرأى الذى يحمله ريبان فى نفسه . إن كان ريبان يعتقد أن خبرته الطويلة لاتجعل شيئاً يغيب عن ملاحظته .

وفى أعقاب تدريبات عادية قام ريبان بتقديم لوكس إلى اوجست تورما سفير استونيا فى لندن .

وكما هو مطلوب انحنى الزائر تحية لسعادة السفير وقدم المهاجر ومعه صندوق صغير بداخله حفنة تراب وقال لوكس : « إن هذا تراب من وطنك الحبيب » بعد أن تلقى السفير الهدية ــ وكان أقل سفراء دول البلطيق واقعية ــ أخذ يسرح بنظره ويناجى نفسه حول ضرورة وحتمية الحرب فى المستقبل القريب لتحرير الوطن .

وكان اللقاء الثانى للرجلين فى الحفلة التى أقيمت فى مقر البعثة يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٤ للاحتفال بالعيد الوطنى لاستونيا ، وكان ريبان يقف فى وسط الاحتفال بين أفراد الجالية الاستونية فى الملتقى يتراقص على عقبيه كالعادة بعد أن كان قد احتسى زجاجة سكوتش .

بالقرب من ريبان وقف لوكس الذى حرص على إخفاء سبب وجوده فى لندن يتحدث بحماس عن فظائع الشيوعية وفجأة قام أحد الضيوف بأخذ ريبان جانباً وهمس فى أذنه وهو يشير إلى لوكس .. هل ترى هذا الرجل ؟ إننى أعرفه من استونيا حيث التحق بالجيش الاحمر عام ١٩٤١ ووصل إلى رتبة ميجور .

هراء ! رد بذلك عميل اس ـــ أى ـ اس السكران وقال لقد كان جندياً هرب من وحدات الرماية وبعدها بقى لوكس لمدة أربعة أشهر فى لندن .

فى الجانب الآخر من كينسينجتون تأكدت الثقة مرة أخرى فى اعضاء البارتيزان فى مقر مفوضية لاتفيا وخلال تناول الشاى فى أيام الآحاد المتعاقبة حيث كان يتم دعوة فيتولنيس لمقابلة زارنيس وسيلاراجاس . فى حين تقوم ماريان زارنيس ابنة السفير بالعزف على البيانو فى أحد أطراف صالة الاستقبال الواسعة يناقش الرجال الثلاثة على أنغام الموسيقى مستقبل حكومة لاتفيا الحرة ، وعندما حان وقت مغادرة فيتولنيس بعد تسعة أسابيع لم يكن لدى أى مهاجر أدنى شك حول مصداقية ضيفهم .

مع مرور الوقت تأكدت شكوك سكوت إلا أن فيتولنيس الغارق فى السعادة لم يكن مدركاً بما يخبئون ، وطوال فترة إقامة فيتولنيس دعاه سكوت عدة مرات لتناول وجبات الطعام ورافقه إلى كمبردج وهو يشير إليه بسعادة « هذه هى كليتى القديمة » وكرر وهو يقف فى المدينة العتيقة موجهاً كلامه إلى فيتولنيس ـ ساكون دائما على ثقة فيك ـ وقد بدا هذا الكلام لفيتولنيس دليل على الاخلاص .

بدا على فيتولنيس الاقتناع بنجاح مهمته عندما أخبره سكوت أنه بعد قضاء أسبوع إجازة سيعود إلى بلاده .

وقبل أن يغادر فيتولنيس اكد سيلاراجاس ثقته فيه من جديد وطلب منه أن يحمل رسالة إلى رجالهم هناك وقام بتسليمه مظروف وعلبة مملوءة بالادوية وفى هامبورج قضى ليلة تقليدية ممتعة ، وقبل أن يغادر مباشرة عرض عليه حبوب السيانيد ولكنه رفض . بعد أن ارتدى ملابسه التى جاء بها سافر وحده على ظهر ٢٠٨ اس إلى بورنهولم انتظاراً لتحسن حالة الطقس ثم تم إنزاله على ساحل لاتفيا .

إن التقارير التى قدمها فيتولنيس فى شارع لينين والتى بدأت فى مطلع يناير عام ١٩٥٤ واستمرت لمدة شهرين لم ترض لوكاسيفكس بسهولة رغم أن الميجور حاول إخفاء عدم ارتياحه .

وفى حين بدا من الواضح ان فيتولنيس حاز ثقة سكوت فإن الأسباب التى اختير على أساسها مثل الجهل والبراءة كانت تمثل نقصا وعيبا فى التقارير التى قدمها .

ورغم أن فيتولنيس ضابط مخابرات محترف إلا أنه كان أيضاً فناناً ربما بدا إخلاصه الحقيقى حمل اقتناع فى لندن . إلا أن هذا الاخلاص أثار الشك فيه بعد عودته .

كان فيتولنيس متأكداً من نجاح مهمته إلا أن عودته بدون مواد أو عملاء جدد توحى بالعكس . وانحصر أمل لوكاسيفكس فى إمكانية احتواء الأضرار باستمرار وصول المعلومات الاستخبارية والحفاظ على عملية الخداع بالنسبة لعملاء اس ـ أى ـ اس الاثنى عشر الذين مازالوا يعيشون مع البارتيزان ، وكتجربة إضافية أصدر أوامره بإلقاء القبض على كورت كرومنيس عميل اس ـ أى ـ اس الذى يعيش مع مجموعة روبرت وتكهن أن تؤدى عملية القبض هذه إلى إرباك إس ـ أى ـ إس إلا أن الحقيقة التى لم يستطع أن يعترف بها هو أو فيفيرز أن عملية لارسن اس قد تغيرت جذرياً .

لم تعد أنشطة لوكاسيفكس بعد الآن مناورات لخداع اس ـ أى ـ اس ولكن محاولات للحد من الإضرار التى تلحق بـ كى ـ جى ـ بى واكتشاف الاخطاء لتى وقعت .

وهكذا أصبحت نسمات التباهى بالنجاح فى لينين ستريت فاسدة بسبب الإحساس بالإحباط وعدم الجدوى ، فمع عدم وصول أى عملاء جدد خلال شهور الشتاء واحتمالات الخمول فى الخريف ومارافقها من سيل الطلبات الواردة من برودواى لحصول على معلومات من مجموعة ماكسيس تستلزم السفر إلى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى .

بدأ المركز فى موسكو يشك فعلا أن البريطانيين بدأوا يمارسون اللعبة بالعكس وتريد تحليل المعلومات المزيفة التى تلفقها كى ـ جى ـ بى ، وخلص إلى أن تحليل أبعاد المعلومات المزيفة التى تبعث بها كى ـ جى ـ بى يمكن أن يكون ضارا بنفس الدرجة التى تنجم عن المعلومات الصادقة التى تتلقاها اس ـ أى ـ اس .

أدى انعدام وصول أى معلومات موثوق بها من لندن إلى تعقيد مهمة كى ـ جى ـ بى ومع ذلك ظل لوكاسيفكس يعتقد فى إمكانية الوصول إلى حل يتمثل فى العودة إلى منهج دزيرزهنيسكى التقليدى فى زرع عميل بين صفوف اس ـ أى ـ اس لاستعادة ثقتهم ، وكان المرشح المثالى لهذه المهمة هو كليمكانس الذى أدت علاقاته الوثيقة مع زارنيس وسيلارجاس إلى إبرام اتفاق لندن .

خلص لوكاسيفكس إلى أن وجود كليمكانس فى بـرودواى هو الطريق الوحيد لبعث عمليته أو إلحاق ضرر دائم بـ إس - أى - إس .

وتقوم خطـة العمليات « التى تمت لمساتها الأخيرة فى تـرست » على اتخاذ خطوات جديدة فى اللحظـة المناسبة عند اكتشـاف عملية الخداع لمضاعفة متـاعب الضحية وهو ماحدث عام ١٩٢٩ عنـدما نجحت كى - جى - بى عن طريق أحد عمـلائها الذين طلبوا حق اللجوء الذاتى بعد اعتراف تلقائى فى تحويل انتباه أجهـزة المخابرات الغربية عندما اعترف أن - ترست - قـد أقامها ديزيرزهنيسكى عمداً لخداع المخابـرات الغربية بعد أن أدلى بتفاصيل مؤكدة اختفى ليعاود الظهور فى موسكو بعد أن نجحت كى - جى - بى فى تحويل انتباه الغرب . عن منشقين حقيقيين والتركيز على علاج أخطائهم الذاتية .

فى عام ١٩٥٥ بناء على أوامر من الدائرة الثانية فى مركز موسكو كلف لوكاسيفكس كليمكانس بأداء مهمـة مماثلة للتغلب على بـدء تفكك مصيدة كى - جى — بى الأصلية بإعـداد مصيدة جـديـدة عن طريق مهمـة كليمكانـس لتدمير العـلاقة بين الـلاجئين المهاجرين و اس - أى — اس عن انشطة اخرى تنفذها كى - جـى - بى وإثارة الشكوك حول علاقة اس - أى - اس مع مصادر المعلومات الأخرى .

بـدأ تنفيذ المؤامـرة الجديـدة بإرسال إشـارة فى يـونيو ١٩٥٥ من مـاكسيس إلى جبرائيل تقترح عودة كليمكانس إلى لندن مع زوجته للعمل كضابط اتصال لفترة طويلة فى ٢٢ اغسطس جاء الرد من سيـلاراجاس . « موافقو ن ولكن هنـاك خطر » واستطرد قـائلاً : « لقد تعـرضت مجموعـة روبـرتس لعدد من حـوادث القبض على أعضائهـا » ولايمكن إرسال قارب إلى كورزيم ولأسباب أمنية انصحك بالبحث عن طريق آخر سواء عن طريق السويد أو ألمانيا . وبسبب شعور لوكاسيفكس بعدم الجدوى فقد تقبل الرد على معناه الظاهرى إلا أن حسابات المركز فى موسكو كانت أكثر واقعية .

مع حلول عـام ١٩٥٥ شددت الـرقابة حـول حدود الاتحاد السـوفيتى البرية مع الدول المجاورة وأصبح من المستحيل تأمين طريق برى للخروج كما أن الاقتراح بإيجاد أو سرقة قارب صيد لعبور بحر البلطيق لم يعد طـريقة مأمونة ، وخلص لوكاسيفكس إلى أن السماح بمرور بعض الـوقت حتى يمكن التغلب على مشكلة العبـور يجعل لندن أكثر اقتناعاً .

بعد ذلـك وصلت رسالـة من ماركسيس إلى بـرودواى تفيد أن كليمكانـس مازال

يبحث عن طـريق آمن وسيكون على اتصـال وفى ريجا كان لـوكاسيفكس على ثقـة من نجاح الخدعة الجديدة .

فى غضون ذلك كانت عمليات إعادة تنظيم المركز فى موسكو تجرى على قدم وساق بعد وفـاة ستالين وبيريا ممـا أدى إلى موافقة المركـز على الاقتراح دون تدقيق أو تعليق وتم إبلاغه أن فرع كـى ـ جى ـ بى فى استونيا فى محاولة لإعـادة ثقة اس ـ أى ـ اس فى شبكات البـارتيزان قـد سمح بعودة هنيوكـاركمان عميل اس ـ أى ـــ اس إلى لندن مع كلوس عندما حمل القارب لوكس عائداً من لندن .

ولما كان لـوكاسيفكس معـزولا عن الغرب فقد فشـل فى فهم مغزى التغيرات التى حدثت فى صفوف العاملين فى برودواى خاصة فى المنطقة الشمالية .

جاء تقاعد ميتيزيس عام ١٩٥٢ وانتهاء مواقع القوة مثل كار وجيبسون وآخرون فى الدور الـرابع من الذين انضمـوا إلى الخدمة فى اس ـ أى ـــ اس بعد الثـورة البلشفية قضى تماماً وإلى الأبـد حلم توجيه ضربة واحـدة قاضية إلى الشيوعية . أمـا خلفاؤهم الـذين عملوا كخبراء فى الشئـون السـوفيتية مثل جـون بروس لـوكهـارت وهارولـد شيرجولد وجاك ايستون وهم شهود عيـان على تفوق الاتحاد السوفييتى فى ألمانيا فقد كانوا أكثر حماسة وأقل عاطفة من أسلافهم .

ورغم أن هـؤلاء العـاملين الجدد سيعـانـون من هـــزائم أمـام كى ـــ جى ـــ بى وسيوصمون بـالاختراقات الموخذية إلا أنهم مثل معظم أبناء جيل مابعـد الحرب كانوا كثيرى الانتقاد لأسـلافهم وآبائهم وجـاءت عودة كاركمان لتـؤكد شكـوكهم فى هؤلاء الأسلاف .

جاءت تقارير كاركمان فى لندن بمثابة صدمة لكل من ريبان وسكوت حيث كشفت النقاب عن أنـه عرف كل شىء عن عمليـات اس ـ أى ـ اس فى الاتحاد السـوفييتى فور وصوله إلى هناك قادما من لندن .

وأخذ يشرح بالتفصيل كيف أن جميع الشبكات مخترقة من كى ـ جى ـ بى وكيف استطاع إخفاء شكوكه طوال فترة إقامته فى استونيا وإقناع البارتيزان أنه بمجرد عودته سيشجع إس ـ أى ـ إس على تقديم المزيد من المساعدات .

لقد كان وصول لوكس وفرصة التبديل الروتينى تمثل فرصة تدبير هروبه .

جـاء رد فعل اس ـ أى ـــ اس إزاء ماكشف عنـه كاركمان متحفظـاً وتم استدعـاء مـاكبن لإجراء استجـواب مفصل وتم إرسال النتـائج إلى سى ـــ أى ـ إيـه والتى ألقت باللوم على العملاء وماكبن دون الاعتراف بمهارة الخصوم أو إلقاء اللوم على كار .

وعند هذه النقطة اراد خلفاء مكيبين وكار دفن القصـة المحزنة برمتها حيث تأكدوا أن المكاسب من وراء استمرار هذه التمثيلية المملوءة بـالالغاز قليلة جداً . إلى جانب ذلك توصلوا إلى أنه لاتـوجد أى فرصة لإنقاذ عملاء اس ـ أى ـــ اس والذين يوجد منهم على الاقل أحد عشر عميلاً داخل دول البلطيق .

بصعوبة شديدة أعطى الضباط البريطانيون اهتماما إلى أولئك من أمثال زيجماس كوديركا الذى كان يعيش فى فيلينيوس وأرسـل العديد من الخطابات خلال عام ١٩٥٥ يطلب عـودته بسبب نفـاذ النقود كما كتب خطـابات إلى زيمانتـاس وحتى ادمونـدس اعترف فيها بعدم وجود فرصة لعمل أى شىء ذى قيمة .

جاء رد بـرودواى إلى ادموندس حـاسماً : « لم يعد من الممكن تنفيـذ عمليات عن طـريق البحر » وكـان تبرير بـرودواى للتخلى عن العملاء بأنهم متطـوعون من تلقـاء أنفسهم ويعرفون حجم الأخطار ولايمكنهم أن يحتجوا على النتائج .

على النقيض من ذلك ركـز سكـــوت على اقتراح مـاكسيس الأخير بضرورة عـودة كليمكانس إلى لندن حيـث أن وجوده سيكون فرصة جـاءت من السماء لاختبار جميع الشكوك إلا أن برودواى كانت تخشى من قيام كى ـ جى ـ بى بإغراء ٢٠٨ اس لدخول المياه الإقليميـة السوفيتية وأسر كلوس وهـذه مخاطرة غير مقبولـة إلا أن الذى أدهش سكوت هو إصرار ماكسيس على سفر كليمكانس إلى بريطانيا .

فى بدايـة عام ١٩٥٦ تحدثت مـاكسيس مرة ثـانية عن المشـاكل التى تحول دون توفير قارب وطلبوا بإلحاح ارسال ٢٠٨ اس إلا أن جبرائيل رد بـوجود أسباب سياسية تحول دون إرســال القارب وكـان السبب الذى قـدم قريبـاً من الحقيقة وهـو الزيـارة المرتقبة للزعماء السوفيت بولجانين وخروشوف .

فقد طلب مكتب رئيـس الوزراء من اس ـ أى ـــ اس عدم تنفيـذ أى عمليات قبل أو خلال الزيارة التاريخية حتى لايتم إحراج الضيوف .

ارغمت رسالـة اس ـ أى ـ اس الحازمـة لوكاسيفكس ومـركز موسكـو على إعادة دراسة كيفية إثارة البريطانيين لقبول مسئولية عملية السفر إلا أن هذه الأفكار تعرضت

لمقاطعة بسبب رسالة غير متوقعة من سيلاراجس فى ٢٢ يونيو ١٩٥٦ تنص : « لن نستطيع مساعدتك بعد الآن » وتؤكد : لن نرسل لك بعد الآن أى مساعدات مادية أو معنوية لأن جميع المنازل الآمنة نسفت ويتعين عليك يافيستورز - الاسم الكودى لكليمكانس لدى إس - أى - إس - ألا تحضر وتبقى فى منزلك .

وتضمنت الرسالة مانصه : ان الرحلة فى غاية الخطورة وستهدد جميع منظماتنا الأخرى .

دمروا أو احتفظوا بأجهزة الإرسال والشفرات وهذه آخر رسالة من طرفنا حتى تتحسن الأمور .. نحن على استعداد للاستماع إليك حتى يوم ٣٠ يونيو ، ومن الآن فصاعداً فليساعدك الله ! .

مثلت هذه الرسالة ضربة إلى لوكاسيفكس إلا أنه بدأ التفكير فى حلول طائشة حيث كانت عبارات رسالة شيلاراجاس ودية جداً ولاتوحى بأى إشارة باكتشاف الحقيقة وربما يكون فى ذلك بصيص من الأمل .

نظراً لان لوكاسيفكس لايحيط بشىء من الشئون البريطانية كان من الصعب عليه أن يعرف خلفية رسالة سيلاراجاس فقد كانت اس - أى - اس تمر بمرحلة من الاضطراب .

خلال زيارة الزعماء السوفيت أرسلت اس - أى - اس ليونيل (بوستر) كراب وهو غطاس مسن لفحص جسم المدمرة السوفيتية الراسية فى مرسى بورت سموث إلا أن كراب اختفى وإزاء الاحتجاجات السوفيتية وتسرب أنباء المغامرة واجهت المخابرات البريطانية فضيحة غير مسبوقة لعصيان أوامر رئيس الوزراء . سرعان ماتكشفت الأخطاء الفادحة لـ اس - أى - اس عندما أعلن السوفيت عن نجاح كبير لمخابراتهم فى برلين من خلال حفر نفق للتجسس على الغرب تحت مقار القيادة السوفيتية إضافة إلى وجود أخطاء فادحة للمخابرات البريطانية فى الشرق الأوسط .

ونتيجة لذلك أصبح ثمن الإدارة الخاطئة معروفاً فى اس - أى - اس وفى نهاية الأمر تم إحلال سير ديك وايت فى رئاسة ام - أى - فايف (ام - أى - ٥) بدلا من السير جون سنيكلاير بعد تردد طويل نتيجة عدم تصديق الشك فى قدراته .

وكان هدف هذا التغيير هو إعادة تنظيم جهاز المخابرات ليشمل الأفراد العاملين وأساليب العمل للحيلولة دون وقوع مزيد من الأخطاء والإحراج المربك .

نجح هارى كار ف ترتيب لقاء بعد مشقة مع المدير الجديدليفوز بسبق إبلاغ وايت حول المراحل النهـائية لعمليات البلطيق وكـان كار معـروفا بانه يعمل بأسلـوب يلائم الحقبة الأمبراطـورية ولايعـرف شيئا عن تـوازن القوى الجديـد فى العالم ـــ وقد تمت المقابلة خلال إحدى زياراته الدوريـة من كوبنهاجن بهدف تقديم تقرير إلى وايت حول المراحل النهائية لإنهاء عمليات البلطيق .

فى واقع الأمر تمثل رسالة سيلاراجس الأخيرة إلى ماكسيس إحدى طرق برودواى لكنس الخزانة وتنظيفها قبل وصول المكنسة الجديـدة إلا أن مثابرة لوكاسيفكس أدت إلى خنق الخطة فى مهدها بعد أن أعلنت المنطقة الشمالية أن عملياتها فى البلطيق تمت من منطلق الاهتمام التاريخى ! .

بعد أربعة أيام مـن رسالة سيلاراجس النهائية رد كيبـورس وهو أحد العاملين فى تشغيل أجهزة الإرسال فى مجموعة ماكسيس وفى أول فرصة لتنفيذ الخطة المتفق عليها أرسل رداً قال فيه : « نحن نواجـه كثيراً من الأخطار والمشاكل وأنك طعنتنا بسكين من الخلف .. نحن فى انتظار مساعدتك ولايمكنك أن تتخلى عنا .. فيستوس سيصل بمفرده نظراً للأخطار التى تواجهنا » .

إن إرسال كليمكانس فى ظل الظروف السائدة ـ كعملية استخبارية بحتة ـ هو عمل طائش إلا أن لوكاسيفكس كان غير قادر أو غير راغب فى تصديق أن فيتولنيس لم يحقق على الأقل نجاحـاً جزئيـاً . بالفعل تم فى الســاعات الأولى من صبـاح الثانى من يـوليو ١٩٥٦ إنزال كليمكانس على شاطىء جوتلاند .

وما أن وطأت قدمـاه رمال الشاطىء حتى استسلم للشرطـة المحلية وطلب نقله إلى لندن لمقابلة تشالز زارينس .

ولما كان السويديون لايعرفون شيئا عن خلفية هذا اللاجىء لذا لم يكونوا فى عجلة من أمرهم ويـريدون بشدة معرفة مـايدور لدى جارهم المبـاشر وتم وضع كليمكانس رهن الاحتجاز لمدة شهرين لإجراء استجوابـات عادية غير مؤثرة وفى شهر سبتمبر تم السماح له بالمغادرة إلى لندن .

بعد وصـوله قام كليمكانس بتسليم نفسـه إلى اس ـ أى ـ اس لاستجوابـه . اعتقد لوكاسيفكس أن العام الناجح الذى قضاه العميل فى لندن سيرجح بشدة كافة مزاياه إلا أن تجربة فيتـولنيس والأحد عشر عاما الماضيـة من سذاجة اس ـ أى ـــ اس دفعته إلى التقليل من جبروت وقـدرة اس ـــ أى ـــ اس عنـد اللـزوم .. ورغم أن مســار الأحـداث

سيكون مختلفاً إلا أنــه كان هناك اتفاق على أن استقبـال فاتر لكليمكانـس قد جرى فى الدقائق الاولى .

بدا موقف سيلاراجس متراوحا بين العصبية والسخـرية فقد كان من الواضح أن اللاتفى يفضل بقاء كليمكـانس بعيدا عن لندن . فإذا ماتم اكتشــاف حقيقة كليمكانس واستمـر سكوت شغـوفـا للبحث عن الحقيقـة فإن سيـلاراجس نفســه سيكون هـو الضحية القادمة .

توقع سيلاراجس ألا يعامل « سكوت » هـذا الوافد الجديد بنفس الأدب الانجليزى المعروف الـذى عامل به من قبل فيتـولنيس وتأكد من ذلك مباشرة بعـد رفض سكوت طلبه بالسماح لكليمكانس بزيارة تشارلز زارنيس . ومع توقع سيلاراجس لما هو أسوأ قـام بإفشاء الأخبـار إلى السفير .. وكتب زارمنس فى مفكرتـه اليوميـة فيما بعد « لقـد تعرضنا للخيـانة من شخصيات لاتفية بارزة .. مما عـرض بعض من الشباب الصـغار للسجن أو للقتل » .

كانت مهمة سكوت الخاصة تتمثل فى ضرورة اكتشاف كيف نفذت كى - جى - بى عمليات الخداع .. تم نقل كليمكـانس إلى إحدى الشقق المعزولـة سيئة التهويـة فى لندن حيث بقى هناك لمدة ثلاثـة أشهر يتم استجوابه يوميا بالنهـار وأحيانا فى الليل دون أن يتعرض لأى ممـارسات تعـذيب وحشية . إلا أن عملية الاستجـواب كانت منظمـة جداً وتهدف إلى ممـارسة ضغـوط نفسيـة حتى يصـاب بالإرهـاق حتى يعترف وفى نهايـة الأسبوع الرابـع بدأت قوة تحمله البـدنية تنهار . واستمرت عمليـة الاستجواب ثمانية أسابيع أخرى .

رواية ماحـدث خلال هذه الاسابيع والتى ضمنها لوكـاسيفكس فى ملفاته اتسمت بحرص لوكاسيفكس على مصالحه الذاتية وحمايـة سمعته أمام مرؤسيه الذين أمضوا سنـوات قـاسية فى الغـابـات بعيـداً عن عـائلاتهم وتضمنت الروايـة مـايشير إلى أن كليمكانس قد تعرض لاعنف شكل من أشكال الاستجواب الممكن .

وكتب لوكاسيفكس أن كليمكانس قد وقع فى زنزانـة بدون نوافذ فى لندن وتعرض للتعذيب الوحشى حتى يعترف بـالحقيقة ثم تطورت عملية الاستجـواب إلى عملية أكثر وحشية بعد حرمـانه من النوم وتقديم الطعام المملح إليه ليـأكله وأخيراً تم حقنه بمواد كيمياوية . وقـد حكى لوكاسيفكس بعض العاملين معه أن المحقق أخـذ يلوح بمسدس محشوٍ بالطلقـات فى مواجهة كليمكانس . وفى نهاية الشهور الثـلاثة أصبح كليمكانس

حطام انســان ورغم الشجاعة التى أبـداها وسط نوبـات من فقدان الوعى إلا أنــه فقد قدرته على المقاومة وبدأ فى الإدلاء باعترافات كاملة .

وأكد لوكاسيفكس فى حديث مع كيبورس أن الرجل استطاع أن يصمد أمام تعذيب وحشى لايمكن ان يطيقه أى انســان إلا أن كيبورس رأى من جانبه أن كليمكـانس عند عودته قد تعرض لعملية إعادة توجيه وطلب علاجا طبيا ومع ذلك رفض العرض الاخير من اس ـ أى ـ اس ليعود ليعمل عميلاً بريطانياً .

الحقيقـة قد تكـون مختلفة نسبيـا عما قيل سـابقاً حيث انهارت مقـاومة الـرجل بمجهود اقل مما ذكر وأدلى باعترافات كاملة ليدمر بذلك آخر ذرةمن ثقة اس ـ أى ـ اس فى اللاجئين وعندمـا كرر تمسكه بعدم الإفصـاح عن التفاصيل الكاملـة للعملية عرض عليه سكوت فـرصة العمل مع اس ـ أى ـ اس وفيما كان الرجل يفكـر فى قبول العرض حتى يضمن عودتـه سالما كانت خيوط اس ـــ أى ـ اس مع مصيدة كى ـ جى ـــ بى قد تمزقت تماما.

فى أغسطس وبعد إشارة بالراديو من لوكس إلى استونيا سافر تريبان إلى هلسنكى للقاء العميل ورافقه فى الرحلة هنيوكاركمان الذى كان أول من كشف عملية خداع كى ـ جى ـ بى ولكن اللقـاء لم يتم وبدلا من ذلك تلقى ريبان إشارة أخـرى من لوكس يطلب فيها أن يأتى إلى استونيا أو على الأقل يتم اللقاء فى البحر . إلا ان ظهور نوايا كى ـ جى ـ بى أعاد ريبان إلى لندن مخلفا على الأقل أربعة من عملاء اس ـ أى ـ اس فى استونيا وأثر إرساله رسالة نهائية توقف عن الاتصال بالراديو وترك بعدها اس ـ أى ـ اس .

وقـد بقى كاركمان فى اسكنـدنافيـا وعمل على سفينة تجاريـة سويـدية كضـابط اتصال وبعد ذلك بوقت قصير تم اغتياله .

فى غضـون ذلك كانت العمليـات فى ليتـوانيا فى طـريقهـا إلى الزوال ففى الـرد على استغاثـات زجماس كوديـركا من أجـل إنقـاذه أرسل إليه زيمانتـاس إشارة فى يـوليو قائـلاً : (لانستطيع تدبير إعادتك إن موقفك ليس سيئـاً حاول تدبير هروبك عن طريق السـويد) وفى شهـر سبتمبر وفور وصـول كلينكـانس إلى لندن تم إلقـاء القبض على كوديركا.

وهو فى حـالة مـن الرعب واجـه اثنين من المحققين هما الجنرال جـورمونـراموف وبيتيوركـاربوتشين ومتبعـا قواعد اس ـــ أى ـ اس فى الاكتفـاء بعرض قصـة الغلاف

وانكـار أيـة اتهامات ولكن الحضـور الـذين يـدخنـون بشراهـة سخروا منـه وقـال كـاربوتشين : « نحن نعـرف كل شىء .. خـذ سيجـارة واستمع » وخلال حـوالى ربع ساعة قام ضابط كى ـ جى ـ بى بشرح أدق تفـاصيل مهام كوديركا فى اس ـ أى ـ اس واستطـرد قـائلا : « إن ادمـونـدس رجلنـا وعليك أن تعترف بما حـدث تمامـا وهـذا سيساعـدك فى المحاكمـة والرفض لن يفيدك فى شىء » ورد كـوديركـا : إن كل ماكنت أريده هـو مساعـدة بلادى والدراسـة فى الجامعة . وقـد طلب الادعاء خـلال محاكمته توقيع عقـوبة السجن لمدة ٢٥ عاما إلا أن المحكمـة قضت عليه بالسجن لمدة ١٥ عـاما فقط .

على الجانب الآخر انتهت محنة كليمكانس بصـورة أسرع فمع حلول شهر نوفمبر وبعـد ان أكل واستراح نظم له سكـوت حفل وداع . ووفقـا لما رواه لـوكاسيفكس قـال ضابط اس ـ أى ـ اس : « سنعيد إرسالك إلى روسيا ولكننا نريدك أن تحمل معك رسالة أبلغ أساتذتك أننا شاكرون لهم الـدروس إلا أننا لسنا حمقى وأخيراً أبلغهم أن يعاملوا رجالنا كما عاملناك»

لم يكن هناك أى إيحاء على عقد صفقة أو استرداد عملاء بـريطانيين مقابل ضابط كى ـ جى ـ بى .

ونظراً لخوف اس ـ أى ـ اس المفهوم مـن أن إجراء أى محاكمات علنية لعملائها فى روسيا سيؤدى إلى فضيحة دولية مخزية فقد كانت تفتقد إلى أى قوة تفاوض .

وكـانت مصادفـة أن يتم حل العقـدة نهائيا فى لنـدن متـزامنا مع انعقـاد المؤتمر العشرين للحـزب الشيوعـى السوفيتى فى مـوسكـو حيث أدان نيكيتـاخروشـوف عن الجرائم التى ارتكبتهـا كى ـ جى ــ بى فى عهد ستـالين . ووجدت القيـادة السوفيتيـة الجديدة عدم فائدة تذكر من وراء تمجيد انتصارات نظام بيريا .

وهكذا تم اقتياد كليمكانس بواسطة ضبـاط اس ـ أى ـ اس إلى مطار حربى خارج لندن وهنـاك انتظر العميل السوفيتى فى قلـق حتى استوت الطائرة فى الارتفـاع ليعرف الاتجاه الأخير .

ثم بدأ فى الاسترخاء عندما طارت فى اتجاه الشرق وبعد الهبوط والخروج من مطار استوكهولم كانت هناك سيارة ليموزيـن ذات مقاعد مريحة انطلقت بركابها بسرعة إلى داخل المدينة حيث توقفت أمام السفارة الروسيـة فى ١٧ فيلا جاتان وهناك قال المرافق

البريطانى بسعادة هانحن قد وصلنا إلى المكان الذى نقول لك فيه مع السلامة .

خرج كليمكانس من السيارة وطرق بـاب السفارة وغادرت السيارة قبل أن يسمع صوت قفل الباب يفتح ليدخل إلى مبنى السفارة .

بعد عـودته إلى روسيا مكث فى المستشفى عـدة أسابيع وبعـد أن تعافى حصل على نجمـة حمراء ودعى إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعـى أما كيبـورس الـذى ذكاه فقـد حصل على نجمتين .

اما العملاء البريطانيون فلم يكن موقفهم واحداً ففى حين تم تنفيذ حكم الإعدام فى بعضهم وقضى آخرون عشرين عاما فى السجون خـارج موسكو تم معاملة عدد منهم بـرفق . على سبيل المثال جـوناس جـانيتـز كاس وهـو ليتوانى أرسل لتشغيل جهـاز الارسال مـع جوناس ديكنيـز تم الإفراج عنهـم بدون محاكمـة بعد أن قضى عـاما فى السجن وأفرج عن زيجماس كوديركا بعد عامين فقط رغم الحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاما .

وفى صدفـة غير متوقعة التقى مع ادمـوندس على رصيف المحطة فى فيلينـوس بعد رحلة دامت ١٤ ساعة بالقطار من موسكو وذهب معا إلى إحدى المتنزهات القريبة حيث شرح له ادموندس عمليـة الإفراج عنه مبكراً وقال له ضـابط الـــ كى - جى - بى إنك لم تقتل أحداً ولم تكن شيئاً .

لقد قتل العـديد من الناس خلال سنـوات مابعد الحرب ولـذلك فإنك سعيد الحظ لأنك لم تواجه سوى عقوبة السجن . وقال : إن الطريـق الوحيد الذى كان لدينا لوضع نهاية للحرب كانت هو السيطرة على الناس الذين يحاولون إشعال النار .

بعد هذه المحـادثة ترك كليمكانس المنتزه متوجهـا للقاء عشيقته التى لم تكن تعلم بالقبض عليه وليرى ابنه لأول مرة والذى ولـد بعد القبض عليه . وخلال سنوات إعادة التكيف لم يـوجه غضبـه إلى الـ كى ـــ جى ـــ بى إنما إلى البريطانيين وأبـر عائلتـه أن البريطـانيين هم الذين أوقعـوه فى الشرك وتخلـوا عنه بعـد ذلك تماما وقـال : « إنهم لم يعيدوا إلىّ حتى ممتلكاتى الشخصية » .

لقد واجه عمـلاء اس - أى - اس المهاجـرون الثلاثة مصيراً مختلفاً بعـد أن طردوا جميعا من الخدمة فى نهاية عام ١٩٥٥ . سيلاراجـس فكر فى بداية الأمر فى افتتاح محل تجارى فى بيكونيسفيلد إلا أنه فعل مثل غيره مـن الاوروبيين الشرقيين الذين خافوا من

انتقام كى ـ جى ـ بى وبحثوا عن حياة جديدة وهوية جديدة فى كندا حيث توفى فى نهاية السبعينات .

أما زيمانيتس الليتوانى فقد رفض عرضاً للتدريس فى جامعة اكسفورد وفضل الهجرة إلى لوس انجلوس وسافر وهو محطم روحيا وعاطفيا بعد كشف النقاب عن حالات الفشل والموت والخداع وعمل طوال أحد عشر عاما بعد ذلك بستانى وحفار قبور فى مقبرة محلية ومات مخبولا عام ١٩٧٣ .

وهاجر ألفونس ريبان من بريطانيا بعد طرده من الخدمة إلى مدينة اوجسبرج فى ألمانيا الغربية وباعتباره ضابط اس ـ اس سابق فى ألمانيا فقد استحق بطريقة تلقائية الحصول على معاش وقبل أن يسقط ميتا بسبب إسرافه فى شرب الكحول قام بإحراق جميع أوراقه الخاصة بطريقة منظمة ـ وكما أخبر أحد زملائه أنه قام بهذا على أمل عدم اكتشاف كى ـ جى ـ بى لمصيبته .

على الجانب الآخر رقى لوكاسيفكس إلى رتبة جنرال وقضى عقد الستينات فى مركز موسكو وفى ديسمبر عام ١٩٧٢ وصل إلى لندن ليعمل سكرتيرا أول للسفارة السوفيتية باسم ياكوف كونستا نتينوفيتش بوكاشيف وطوال ثمانية سنوات تولى إدارة عمليات مكافحة التجسس فى بريطانيا ولم يتنبه أى واحد فى جهاز اس ـ أى ـ اس للعلاقة بين بوكاشيف وكارثة البلطيق .

ولسخرية الأقدار كان يسكن فى منزل يقع فى ٣٤ هولاند بارك على بعد مرمى حجر من مبنى مفوضيات دول البلطيق الثلاث التى أصبحت أشباحا من مخلفات فترة منسية وفى بعض الأحيان خلال نزهته الليلية كان يمر بالمبانى المزخرفة المهجورة لتذكره بنجاحه .

ولدى عودته إلى ريجا عام ١٩٨٠ عبأ حقيبة بأشياء تذكارية من بريطانيا وحتى وفاته عام ١٩٨٨ كانت حوائط شقته المريحة تحمل شواهد من إقامته السعيدة فى لندن .

وتردد أن لوكاسيفكس أصبح عاشقا لانجلترا وعند تقاعده بالغ فى تصوير أساطير نجاحه العظيم وزعم أن آخر رسالة تلقاها من برودواى للإعلان عن عودة كليمكانس عام ١٩٥٥ تضمنت « باسم الملكة نرجوك أن تحفظ هذه المسالة سراً » .

فى نوفمبر ١٩٥٧ زار كيم فيلبى لوكاسيفكس فى ريجا حيث قام بهذه الزيارة بعد

أن وهن وضعف فى سن الخامسة والسبعين وكان سبب الزيارة جزئياً أن يقدم تحياته إلى منزل رئيسه فى كى ـــ جى ـ بى فى اسبانيا جانيس بيرزنيس إلى جانب القيام بنوع من الخداع السياسى لـلإيحاء من خلال التليفزيـون الممل أن المظاهرات القـومية التى تجتاح دول البلطيق تتم بتدبير من جهاز المخابرات البريطانية .

وكذلك الظهور فى برنامج تليفزيونى خاص يعده لوكاسيفكس للاحتفال بالذكرى السبعين لإنشاء كى ـ جى ـ بى وقال فى البرنامـج مخاطبا المشاهدين من أبناء لاتفيا فى تفسير الاحتجاجات القومية فى الشوارع : « إنهم يفعلون بالضبط الآن ماكانوا يفعلونه على أيامى وأنا أعرف كل شيء عن ذلك » ولكن كما أسر فيلبى فيما بعد إلى لوكاسيفكس خلال حوار دار معه وتم تسجيله بنـاء على طلب الثانى اعترف فيلبى أنه لم يشارك أبداً فى عمليات كار فى البلطيق بعد عام ١٩٤٧ ولم يكن يملك أى دليل على فشلهم .

ان المزاعم غير المباشرة التى وردت فى سيرتـه الذاتيـة المعتمدة من كى ـــ جى ـ بى بأنـه السبب وراء إلقاء القبض على عمـلاء المخابـرات البريطانيـة كانت فى ذلك الـوقت محاولة أخرى من أساتذته للتعتيم على دوره الحقيقـى الذى كان يتمثل فى إعلام مركز موسكو حول نجاح خطط الخداع .

قبل عودته إلى موسكـو قام فيلبى برفقة لوكاسيفكس بجولة فى المدينـة تاركا أبناء البلطيق غير مصدقين أن المظـاهرات التى تسير فى الشوارع تنادى بحق تقـرير المصير يدبرها محرضـون رأسماليون حتى لوكاسيفكس نفسه لم يكن يصدق هذا التفسير .

فى واقع الأمـر أفضى ضابـط كى ـ جى ـــ بى إلى زمـلائه بمسانـدتـه لسياسـة الجلاسنوست الجديدة لـدرجة أن البعض شك فى أنه يؤيد حدوث نـوع من بعث جديد لاستقـلال لاتفيا . ومع ذلك لم يـرد حـد أنه منـذ أربعين عام قـام عمـلاء المخابـرات البريطانية والمشرفين عليهم بالسعى لتحقيق نفس الأهداف التى يسعى إليها القوميون خلال عهد الجلاسنوست الذى أعرب عن ترحيبه به .

أما كار الذى كان متقاعداً فى منـزله فلم يشعر بارتياح إزاء الأنباء الواردة من دول البلطيق وكان قد بلغ سن الثامنة والثمانين يكافح بشق الانفس ليعيش يومه علاوة على أنه عكس لوكاسيفكس لم يكن سعيدا باجترارذكريات الماضى .

كان مديـر المنطقة الشمالية قد تقـاعد عام ١٩٦١ دون أن يتلقى أى تكريـم جديد وكان يحيط نفسه بذكريات الطفولة والميداليات الرياضية التى حصل عليها فى المدرسة ويستطيع فقط الاستماع إلى اغانـى بيوتر لشنكـوا ومستغرق إلى مـالانهاية فى التفكير

حول أين ولماذا تم الكشف عن أسرار عملياته . وكانت إجابته التى لم تتغير أنه فيلبى الذى كان لجوءه إلى موسكو تفسيرا مريحاً لجميع مصائبه . كان يحمل مقتاً مميزاً لفيلبى ـ وحسب ماجاء فى التايمز فى نعيه أن خيانة فيلبى كانت سبباً فى وفاة العديد من الذين عرفهم كار فى روسيا ، وسواء كان كار يعرف الخطأ المجهول أم لا فإنه عندما جاء المؤرخون الشباب من المكتب لاستكمال التفاصيل المفقودة من سجل حياته الشخصية وجد كار من المناسب التعتيم واستند على سمعته بأنه مغرق فى السرية . لقد أصبحت القيم مختلفة جداً حالياً عما كانت عليه فى أيامه حتى المبنى تم نقله من سانتا جيمس إلى مكان كئيب يسمى سنيشرى هاوس ولايوجد أحد فى هذا المكان يفهم معنى المصيدة الحمراء .. لقد خدم بلاده وقضيته بإخلاص وأمانة وحب وهذا كل مايحتاج العالم إلى معرفته .

توفى كار فى مارس عام ١٩٨٨ وتم دفن جثمانه فى احتفال خاص بسيط فى جويلفورد وكانت صفحة الوفيات فى التايمز أول من عرَّف ولديه وأخيه عن عمله وعذابه طوال الثلاثين عاما الماضية إلا أنهم لم يدركوا بسهولة طبيعة الجراح .

بعد ذلك بشهرين توفى كيم فيلبى فى موسكو وفى موكب مهيب تم تكريم أحد خونة الأمة علنا فقد جنبه كار المحاكمة وبعد ستة أشهر وفى العاشر من نوفمبر مات جانيس لوكاسيفكس فى ريجا . وهكذا بعد سبعين عاما من الثورة البلشفية ورث ناسج المصيدة « ترست » لجيل جديد من المجرمين .

بدون شك سيجدون أيضاً جيلا جديداً ليكون ضحية لهم .

* * *

فهـرس الكتـاب

صفحة

فصول الكتاب

***